

المستودع والمستدضر
ففي أسباب النزاع بين
مبارك الصباح ويوسف الإبراهيم
(١٨٩٦ - ١٩٠٦)

دراسة أكاديمية مجازة
منقحة ومعدلة

خلف بن صغير الشمري

2006

المكتويات

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
الفصل الأول	
الكويت النشأة وطبيعة السلطة	
٢١	– نشأة الكويت
٢٧	– علاقات الكويت بمحيطها
٣٦	– علاقات الكويت بالدولة العثمانية
٤٦	– سلطة آل صباح ونفوذهم في الكويت
٥١	– السلطة في عهد الشيخ محمد آل صباح
٦٨	– نفوذ التجار في الكويت
٧٦	– الشيخ يوسف آل إبراهيم
الفصل الثاني	
استيلاء مبارك على السلطة	
وتزعم الشيخ يوسف آل إبراهيم المعارضة	
٨٧	– الخلاف بين مبارك وإخوته
١٠٥	– قتل مبارك لأخويه واستيلائه على السلطة
١٠٨	– ردود الفعل المباشرة على الحدث
١٢٥	– بروز دور الشيخ يوسف آل إبراهيم وتبنيه المعارضة
١٢٨	– التوجه نحو العثمانيين
١٣٤	– النزاع على الأملاك
١٣٨	– محاولات الشيخ مبارك الصلح مع خصومه

الفصل الثالث

نشاط الطرفين في فترة التسابق الدولي على الكويت

- ١٤٥ نشاط الشيخ يوسف آل إبراهيم خلال ١٨٩٧/١٣١٥
- ١٥٠ حملة يوسف البحرية ضد مبارك
- ١٥٧ الموقف العثماني من الحملة
- ١٦٢ الموقف البريطاني من الحملة
- ١٦٥ خطة الهجوم من قبل يوسف وشيخ قطر ضد مبارك
- ١٧٥ التنافس الدولي على الكويت ومعاهدة الحماية
- ١٨٧ موقف الدول الكبرى من معاهدة الحماية البريطانية على الكويت

الفصل الرابع

الصراع ما بين عام ١٣١٨ - ١٣٢٣هـ / ١٩٠٠-١٩٠٦

- ٢٠١ الشيخ يوسف آل إبراهيم في حائل وتطور الصراع
- ٢١٧ معركة الصريف - الطرفية - ١٩٠٢هـ / ١٣١٨
- ٢٣٣ أسباب انتصار الأمير عبد العزيز الرشيد
- ٢٣٧ حقيقة الدور البريطاني والعثماني في معركة الصريف؟
- ٢٤٢ تأزم موقف مبارك بعد معركة الصريف
- ٢٦١ نشاط الشيخ يوسف آل إبراهيم خلال عام ١٩٠٢هـ / ١٣٢٠
- ٢٦٩ حملة الشيخ يوسف آل إبراهيم البحرية - (الثانية) - على الكويت
- ٢٧٣ عودة يوسف آل إبراهيم إلى حائل
- ٢٧٦ وفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم وأثرها على سياسة مبارك آل صباح
- ٢٩١ الخاتمة

الملاحق

- ٢٩٧ ملحق رقم (١): رسالة والي البصرة علي باشا إلى الباب العالي يعرض وضع استقرار العتوب في جنوب البصرة (المخراق) ١١١٣هـ
- ٢٩٨ ملحق رقم (٢): صورة الشيخ مبارك آل صباح

- ٢٩٩ ملحق رقم (٣): صورة الشيخ يوسف آل إبراهيم
- ٣٠٠ ملحق رقم (٤): لوحة محفورة على مدخل ديوان آل بن إبراهيم في بهيئة: يعود تاريخها إلى عام ١٢٩٢هـ
- ٣٠١ ملحق رقم (٥): بيت آل بن إبراهيم في بهيئة مقابل قصر السيف حالياً: أقام فيه الشيخ مبارك من عام ١٩٠١ إلى عام ١٩٠٧م: حينما انتهى بناء قصر السيف
- ٣٠٢ ملحق رقم (٦): قصر آل بن إبراهيم في ضاحية كولابا - بومبي - الهند
- ٣٠٣ ملحق رقم (٧):
- ٣٠٤ ملحق رقم (٨): شكوى الشيخة منيرة بنت علي بن جابر الصباح: زوجة الشيخ جراح الصباح لشورى الدولة
- ٣٠٥ ملحق رقم (٩): برقية باللغة العربية من أهالي الكويت إلى ناصر الداخلية: في اسطنبول، في التظلم والشكوى من والي البصرة حمدي باشا
- ٣٠٦ ملحق رقم (١٠): برقية باللغة العربية من أهالي الكويت إلى ناصر الداخلية: في اسطنبول، في التظلم والشكوى من والي البصرة حمدي باشا
- ٣٠٧ ملحق رقم (١١): برقية باللغة العربية من أهالي الكويت إلى ناصر الداخلية: في اسطنبول، في التظلم والشكوى من والي البصرة حمدي باشا
- ٣٠٨ ملحق رقم (١٢): برقية باللغة العربية من مبارك الصباح إلى رئيس مجلس الشورى: في التظلم والشكوى من والي البصرة حمدي باشا
- ٣٠٩ ملحق رقم (١٣): صورة من مجلة اللواء
- ٣١٠ ملحق رقم (١٤): صورة من مجلة اللواء
- ٣١١ ملحق رقم (١٥): صورة من مجلة اللواء

- ٣١٢ ملحق رقم (١٦): خارطة الخليج العربي
- ٣١٣ ملحق رقم (١٧): خريطة دولة الكويت
- ٣١٤ ملحق رقم (١٨): خريطة توضح مواقع مهمة منها الحملة البحرية الأولى عام ١٨٩٨م
- ٣١٥ ملحق رقم (١٩): تصوير فضائي لمنطقة الصبية وجزيرة بوبيان
- ٣١٦ ملحق رقم (٢٠): بقايا قصر الصبية، منتجع الشيخ يوسف آل إبراهيم: بعد تدميره عام ١٩٠١ عقب موقعة الصريف
- ٣١٧ ملحق رقم (٢١): خارطة لمواقع الصبية والصابرية والحجيبة وكانت فيها قصور ونخيل: لآل إبراهيم منتصف القرن التاسع عشر
- ٣١٨ ملحق رقم (٢٢): خارطة جون الكويت
- ملحق رقم (٢٣):
- ٣١٩ ملحق رقم (٢٤): رسالة باللغة العربية بختم الشيخ مبارك آل صباح
- ٣٢٠ ملحق رقم (٢٥): رسالة باللغة العربية بختم الشيخ مبارك آل صباح
- ٣٢١ ملحق رقم (٢٦): وثيقة باللغة العربية بختم عبد الرزاق خالد الخطير
- ٣٢٢ ملحق رقم (٢٧): رد على رسالة تعزية بوفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم مرسله من قبل الحاج شمالان بن علي بن سيف، ورد الشيخ عبدالعزيز آل إبراهيم عام ١٣٢٤هـ
- ٣٢٣ ملحق رقم (٢٨): شجرة أسرة آل صباح
- ٣٢٤ ملحق رقم (٢٩): سلالة الشيخ يوسف بن عبدالله بن عيسى بن محمد: ابن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم بن ريمان العنقري
- ٣٢٥ المصادر والمراجع
- ٣٢٧

مقدمة

لا أدري هل هي صدفة أم مفارقة في أن يكون تاريخ إجازة رسالة الماجستير، التي بين أيديك، عام ٢٠٠٦، هو مرور مئة عام على رحيل أحد قطبي هذه الدراسة، الشيخ يوسف بن عبد الله آل إبراهيم عام ١٩٠٦. هذه الشخصية التي لعبت دوراً محورياً في تاريخ الكويت وتخومها، ولم تُعط حقها في ما كتبه معظم المؤرخين. لذا فأنا هذا البحث هو أول محاولة أكاديمية تعاطت مع الحدث، وكشفت الكثير من المستور، واستحضرت المستودع. وكما قال الفيلسوف الألماني نيتشه في مقدمة كتابه "أقول الصنم"، عام ١٨٨٨: "إن قراء هذا الكتاب يحتاجون إلى شجاعة للممنوع، وعيون جديدة لرؤية أشياء عن بُعد". فالبحث هذا من بدايته وحتى نهايته ماهو إلا إعادة النظر إلى ما سبق كتابته.

لقد شهدت الكويت عند بداية القرن الرابع عشر الهجري، وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي توتراً في العلاقة بين أفراد الأسرة الحاكمة آل صباح، وقد وصل التوتر إلى حد خطير سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٦ عندما استولى الشيخ مبارك الصباح على السلطة بإمارة الكويت، بعد اغتيال شقيقه: الشيخ محمد الصباح، وهو شيخ الكويت آنذاك، والشيخ جراح الصباح. ونتيجة لهذا الحدث ظهرت معارضة قوية ضد الشيخ الجديد، تزعمها أحد أكبر الأعيان والأثرياء في الكويت، آنذاك، الشيخ يوسف آل إبراهيم، والذي تربطه صلات عميقة قوية ونافذة بالشيخ المغدور محمد الصباح.

دخلت الكويت، في تلك الفترة، مرحلة من التوتر والاضطراب، صاحبها نشاط محمود، خصوصاً بعد مغادرة الشيخ يوسف آل إبراهيم الكويت. فقد عمل كل طرف، بكل ما أوتي من قوة عسكرية ومهارة سياسية، للقضاء على الآخر، فدخلت المنطقة فترة من النزاع استمر عقداً من الزمن. ومع تطوره وتوسع دائرته انجذبت إليه قوى إقليمية مثل إمارة قطر، وإمارة الرشيد، وإمارة عربستان، وآل سعود، حكام نجد المنفيين، وبعض اللاجئيين من أعيان نجد، ومنهم آل سليم، وآل مهنأ، وجملة من القبائل النجدية، وقبائل المنتفك

بجنوب العراق. كذلك انجذبت إليه قوى دولية مثل الدولة العثمانية، وبريطانيا العظمى. لقد أسهمت تلك القوى، كلاً من موقعه، في تصعيد النزاع وإحداث تغيير في مجرياته.

انعكس التنافس الدولي الشديد، بين الدولة العثمانية وبريطانيا، وبدرجة أقل ألمانيا وروسيا وفرنسا في دول الخليج، على النزاع بين الشيخ مبارك الصباح والشيخ يوسف آل إبراهيم مباشرة، حيث سعت تلك الأطراف إلى الاستفادة منه، وتحقيق موطئ قدم لها في الكويت. علماً أن النزاع استمر بين الطرفين، الشيخ مبارك الصباح والشيخ يوسف آل إبراهيم، حتى وفاة الأخير سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٦. إلا أنه لم ينته من دون أن يترك آثاراً عميقة ومتغيرات سياسية على مستقبل المنطقة، وتغييراً جذرياً في وضع الكويت السياسي.

على ضوء ما تقدم، تكمن أهمية هذه الدراسة في جوانب عدة، ولعلّ من أبرزها معالجة فترة مهمة وحرجة من تاريخ إمارة الكويت، قررت مستقبلها السياسي لأكثر من نصف قرن. كذلك أعطى فرصة سانحة لبريطانيا لحسم التنافس حول الكويت لصالحها. إضافة إلى ذلك ثبتّ النزاع الحكم في الكويت للشيخ مبارك وذريته. هذا، وستكشف الدراسة أيضاً علاقة الأطراف الإقليمية، ومدى تأثيرها وتأثيرها في تطورات الأحداث خلال تلك الفترة.

لاشك أن أهمية البحث، في مثل هذا الموضوع، تكمن في معرفة شطر هام من تاريخ إمارة الكويت، وعلاقتها مع القوى الإقليمية والدولية، قبل فترة الصراع، أي خلال القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي. ومعرفة جذور الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، التي تجذرت في عمق تاريخ الكويت. والكشف عن كيفية استيلاء الشيخ مبارك الصباح على السلطة، وردود الفعل التي واجهته، وتفصيل أسباب تبني الشيخ يوسف آل إبراهيم قضية الثأر لأبناء القنيلين الشيوخين محمد وجراح، وموقف الدولة العثمانية من النزاع بين الطرفين في مراحل الأولى. ثم تتبع مفصل النزاع المسلح الذي اتسعت دائرته لتشمل قوى إقليمية عديدة في المنطقة كما أسلفنا. ولا يفوت الدراسة إمطة اللثام عن موقف الدول الكبرى، والقوى الإقليمية من الكويت، خلال هذه الحقبة الدقيقة.

إن الصعوبات التي تواجه الباحث في مثل هذا الموضوع عديدة، وتأتي في مقدمتها ندرة الدراسات العربية الأكاديمية، وصعوبة الحصول على المصادر المخطوطة الخاصة، وعدم وفرة الوثائق العثمانية، التي تتحدث عن أحد طرفي النزاع، وإن وجدت تأتي صعوبة ترجمتها لقلّة المتكلمين من اللغة العثمانية قبل استبدال الأبجدية التركية. وما زاد الأمر صعوبة أيضاً أن المصادر العربية على ندرتها كانت تركز على أحد طرفي النزاع، وهو الشيخ مبارك الصباح، مهمشة الطرف الآخر، وهو الشيخ يوسف آل إبراهيم، فعندما يأتي للأخير من ذكر يكون عابراً في سياق الحديث عن الشيخ مبارك.

حاولنا سد ثغرة ندرة المصادر، إلى حد ما، من المكتبات العامة المصرية، والمملكة العربية السعودية، ودولة قطر، ودولة الإمارات، وكانت مراكز الأخيرة العلمية نعم المعين في رفدنا بوثائق بريطانية وعثمانية، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها أفادت البحث كثيراً. كذلك ما حصلنا عليه من معارض الكتاب الدولي بالقاهرة، والرياض، والكويت، والإمارات العربية المتحدة، والبحرين. ولأهمية الكويت في موضوع الدراسة، فقد قمنا بزيارتها، ومرات عديدة، لمعرفة طبيعة المنطقة، وهي مكان الحدث، وقد ساعد ذلك على فهم مجريات الأحداث، وكشف اللبس حول المسميات. إذ زرنا قصر السيف القديم المبني في موقع نقعة آل إبراهيم التي ردمها الشيخ مبارك الصباح (الديوان الأميري حالياً)، ومنطقة بهيته فريج الشيوخ (مكان حادث القتل)، وفريج ال بن الابراهيم وبنيد القار، والصبيّة، والجبراء، والمناطق التي وقعت فيها اصطدامات ومعارك كالصريف والحفر والمناطق الحدودية.

شكلت الوثائق العثمانية، غير المنشورة، واحدة من أهم مصادر الكتاب، ومنها المتوافر في مركز الوثائق والدراسات في ديوان الرئاسة/أبو ظبي، وفي داره الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض. وكانت تلك الوثائق تندرج في الأرشيف العثماني ضمن تصنيفات عديدة، ومنها أوراق (يلدز)، ودفتر العينيات والإرادات (الداخلية والعسكرية...)، وقد أمدت البحث بمعلومات مهمة في ما يتعلق بعلاقة الكويت بالدولة العثمانية. كذلك كان لتقارير ورسائل ولاية بغداد والبصرة حول الصراع أثر كبير في الإغناء بمادة وثائقية. وقد ركزت هذه الوثائق على التنافس الأوروبي، وخصوصاً بريطانيا حول الكويت.

- وقد وصلنا إلى قناعة بوجود تقسيم المراجع وتوزيعها كما يلي:
- ١ - المؤرخون، الذين عاشوا الأحداث، وكتبوا عنها من أهل البلد، واعتمدوا على الروايات في تسجيل الأحداث، وهم:
- القناعي، "صفحات من تاريخ الكويت"، مختصر مفيد بدون وثائق، صدر عام ١٩٥٠.
- الرشيد، "تاريخ الكويت"، توسع محدود لتاريخ الكويت عموماً، بدون وثائق أو تواريخ خصص حوالي نصفه للاهتمامات الأدبية والفكرية، ونقد بعض العلماء التقليديين، مما حدا بكثير من كبار السن، وحافظي التاريخ عدم التعاون، ما شكل خسارة كبيرة.
- الذكير، "العقود الدررية" (مخطوطة)، شاهد عيان لحوادث هذا البحث أحتوت مخطوطته ووثائق مهمة، وهي رسائل من قطبي النزاع.
- ٢ - المؤرخون الأجانب، الذين زاروا الكويت خلال تلك الفترة أو بُعدها:
- ويكم، "المشكلة الفارسية"، كتاب هام لصحفي بريطاني له نشاط استخباري أحتوى فصلاً عن الكويت، التي زارها العام ١٩٠١، وكتب عنها عن كثب. ولم يتطرق الباحثون لهذا الكتاب أثناء اعداد بحثنا، فكان العثور عليه سابقة نفخر بها.
- الأنطاكي، "السيرة العطرة بين الكويت والمحمرة"، من كُتاب المديح، لا قيمة تاريخية لكتابه، فهو لم يتعاط مع الموضوع أصلاً، وإن وجدت بعض الإشارات عن الحياة الشخصية للشيخ مبارك وعلاقته بالشيخ خزعل.
- زويمر، من أوائل المبشرين المسيحيين في الخليج، زار الكويت وكتب عن الشيخ مبارك باختصار.
- مليري، كسابقه..
- ٣ - المؤرخون، الذين جاءوا بعد الحوادث بفترات متفاوتة واعتمدوا على المصادر والتقارير الرسمية البريطانية:
- لوريمر، "دليل الخليج".
- سانداينا.
- بدوول.

- آدموف وكرغولوف، من قناصل روسيا القيصريّة في البصرة وبغداد، اعتمدا على الوثائق الاستخباراتية الروسية، وبعض مصادرهم، وما يدور من اشاعات محلية بحكم عملهم. ويمكن أن يُقال في ذلك المبالغة والتهويل.
- الريحاني، "ملوك العرب"، و"تاريخ نجد الحديث"، إشارات عن الحوادث بدون تفاصيل.
- وهبة، "جزيرة العرب"، و"خمسون عاماً في جزيرة العرب" أكثر قرباً من سابقه، التقى الكويتيين في الهند، واقام بضيافة آل إبراهيم فيها، حينما طارده السلطات البريطانية انتقل إلى أملاكهم في الدورة بولاية البصرة آنذاك، ودرس في مدرستهم الخاصة فيها، ثم عاش في الكويت أبان حكم الشيخ مبارك، ودرس في المدرسة المباركية، ثم انتقل إلى البحرين وبعدها التحق بخدمة الملك عبد العزيز آل سعود منذ أوائل العشرينيات.
- ٤ - المؤرخون من أهل المنطقة، ممن كتب في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن المنصرم:
- سيف الشمالان، "من تاريخ الكويت"، اعتمد على المرويات، وبعض المقابلات، لمن عاشوا الأحداث.
- حسين خلف، "تاريخ الكويت السياسي"، خمسة أجزاء، جمع معظم مواد كتابه من خلال عمله في مديرية الإرشاد بالكويت، وأخذ الكثير من معلوماته من التحفة النبهانية، وتاريخ الكويت للرشيد، ومن مكتبة محمد أحمد خان بهادر في البصرة، ولم ينسب مصادره لأصحابها. أظهر دور جده لأمه الشيخ خزعل، ونشر بعض المصادر المتبادلة مع الشيخ مبارك. ويتضح تحيزه وميله إلى الشيخ مبارك بصورة جلية: فأفعال الشيخ مبارك شجاعة، وأعمال الشيخ يوسف دسائس. شابت كتابه أخطاء متعددة في التواريخ وتعيين الأحداث.
- راشد الفرحان.
- ٥ - المؤرخون الدعائيون المتحيزون بوضوح من أجانِب وعرب، وقد ظهرت

كتبهم في فترة الخمسينيات (فورة البترول)، وهم على العموم صحفيون واعتذاريون، وكان عملهم لقاء فوائد ومصالح. ولهذا يُحذر الباحث من مغبة الاعتماد عليها، لأنها تتجنب الحقيقة في معظم الأحيان:

- ديكسون، "عرب الصحراء"، و"الكويت وجيرانها"، وقد تناول بحثنا التحليل والنقد لهما كما سنرى.
- زهرة فريث، "الكويت بلدي"، والمؤلفة هي ابنة دكسون، وسارت على خطأ أباه.
- سلمان، "الكويت حاضرها وماضيها".
- الشرياصي.
- القلعجي، "أضواء على تاريخ الكويت"، "الخليج العربي".
- ٦ - إصدارات حكومية، مثل مؤلفات لجنة كتابة تاريخ الكويت:
 - أبو حاكمة، "تاريخ الكويت".
- ٧ - الكتب الأكاديمية والرسائل الجامعية، التي كتبها كويتيون اعتمدوا على البحث المكتبي فقط، ولم يأتوا بجديد، وكان جُل اعتمادهم على المصادر البريطانية المتوفرة آنذاك:
 - المنصور، "الكويت وعلاقتها في عربستان" و"التطور السياسي في قطر".
 - الخترش.
 - ميمونة الصباح.
 - حسن إبراهيم الراشد.
- ٨ - الكتب التي ظهرت في التسعينيات من القرن المنصرم، والألفية الجديدة:
 - سلوى الغانم، "عهد مبارك الصباح"، أول دراسة جريئة تصدر من جامعة شهيرة (لندن)، ولكنها اعتمدت على المصادر الإنكليزية فقط في مجمل العمل.
 - انسكومب، "الخليج العثماني"، أول باحث أوروبي يعتمد على الوثائق العثمانية، وجاء كتابه ليسد فراغاً طال انتظاره.
 - كورشن، "العثمانيون في قطر"، تركي أستاذ تاريخ في جامعة

مرمرة، ساعدته معرفته بالعثمانية والعربية، استفاد من الأراشيف العثمانية كافة.

- القاسمي، "بيان الكويت"، تكمن قيمته في نشره لبعض الوثائق العثمانية، ويؤخذ عليه بأنه اعتذاري بلا داعي، لا يعرف المنطقة أرضاً وبشراً، وقد اساء لفظاً لبعض الشخصيات فابتعد عن الحيادية والأمانة التاريخية، ويستشف منه عدم معرفة واقع الحال، ففقد مصداقيته. راجع رد يعقوب الإبراهيم عليه تحت عنوان "التبيين.. رد ورأي".

- سلوت، "مبارك الصباح مؤسس الكويت الحديثة"، صدر بالإنكليزية، واعتمد في تأليفه على التقليل من قيمة كتاب سلوى الغانم، وقد صدر بمساعدة مالية من مركز البحوث والدراسات الكويتية.

- بونداريفسكي، "الكويت في الوثائق الروسية"، كسابقه كان كتاباً اعتذارياً، وصدر بمساعدة مالية من مركز البحوث والدراسات الكويتية. واعتمد على المصادر الروسية.

- زكريا، "الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات". إشارات عن الموضوع دون إسناد أو وثيقة.

- فاسيليف.

وبعد تبيان المصادر والمراجع لابد من كلمة تحذر من العواطف والميول السياسية بأنواعها، التي يخضع لها هذا المؤرخ أو ذاك، ويبقى الصادق وحده القادر على التمييز والتجرد للوصول إلى الحقيقة. وبالقدر نفسه نذكر بالحرص على المستوى المعلوماتي، لأحداث هي في جوهرها امتداداً لما يحدث في أيامنا الحاضرة. ونحن هنا لا ندعي تقديم الحقيقة خالية من المؤثرات، لأنها مهما كانت تبقى الضحية الأولى دائماً. لكن، نقول حاولنا استقصاء طريقتها، عبر البحث الموضوعي وإظهار المتناقضات، والجهل المتواتر في قضية شائكة، حاول الكثيرون اهمالها. ومن حق الباحثين والقراء علينا هنا أن نحذرهم ونتيح لهم الفرصة للوقوف على واقع التجني والإساءة، وعدم احترام العقل للإفادة والإستفادة، فالسر يكمن لامحالة وراء هذه، وما حدث على أرض الواقع وحرفها عن الوقائع التي حصلت فعلاً، والرغبة في الوصول الى بحث حريص

لا يضل ولا يشقي. وما لاشك فيه، أن التخندق لا يترك للبحث طريقاً، ولا يرجع حقاً مسلوباً طال موعد استحقاقه.

ومما يزيد الطين بلة، في التاريخ وخصوصاً في قضية النزاع التي نقدمها في هذا الكتاب، هو الاعتماد على البحث المكتبي، وذلك لسهولة، وهو ما استمره الكثيرون، فتورطوا بأكاذيب ومختلقات لاعد لها، ارتكوا في تثبيتها على ادعاءات ومزورات، هي في واقعها حاولت تبسيط حوادث هامة وفاصلة في التاريخ، والغالب منها جُمع من ثرثرة المجالس والمخبرين، لذا أتى المكتوب خلاف ما حصل بالفعل. كذلك أتت الأوصاف والتسميات للشخصيات والأحداث غير مسؤولة، والمبالغة فيها كانت مفضوحة، وقد تراوحت روايتها بين قاصد الكذب والإساءة ومحرف للحقائق، وبين جاهل بحقيقة الأحداث من الكتاب أو الموظفين الأجانب، هرفوا بما لم يعرفوا، وجاءت كتاباتهم على مبدأ: "الحسن والحسين ابنتا معاوية!"

وأبرز هؤلاء كان هارولد ديكسون، الذي امتهن كتابة التقارير السرية بحكم عمله في دوائر الاعتماد البريطانية في العراق والبحرين وأخيراً في الكويت حتى نهاية عمله في ظروف غامضة ١٩٤١. وعُرف عنه عدم معرفته بالتاريخ، وهذا ما اتفق به الكثيرون من علية المؤرخين، ومنهم علامة الجزيرة حمد الجاسر، في نشر سلسلة من المقالات نشرتها صحف عدة، وما نشرته المجلة العربية الصادرة في الرياض بين ربيع آخر ١٤١٩هـ وجمادي أول ١٤٢٠هـ. وما كتبه عنه الدكتورة سلوى محمد أحمد الغانم في أطروحتها التي قدمتها في جامعة لندن، ثم كتابها "حكم الشيخ مبارك ١٨٩٦-١٩١٥). وكما كتب عنه خلفه في المعتمدية البريطانية في الكويت الميجر دي جوري، وبعد إطلاعه على المراسلات والأوراق الخاصة فأطلق عليه لقب "عبد ديكسون الذي لا يتجاوز طوله بندقيته".

ولم تكن أكاذيب هارولد ديكسون مستغربة، في ما كتبه عن حوادث النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف الإبراهيم، بعد أن تناول على العديد من الشخصيات الأحياء منهم والأموات، وعلى عوائل وعشائر وقبائل، ولم يسلم منه حتى رفاقه في العمل، ومواطنيه البريطانيين. وقد وصلت الكثير من أكاذيبه إلى مسامع الملك عبد العزيز، في ما تعلق بشخصية مهمة في البحرين، وقد

استاء الملك من هذا التصرف الهابط. نكتفي بهذا الذي ذكرناه على سبيل الاستطراد وسوف نعود للتفاصيل في الفصل الأول.

أما الشخصية الثانية التي حاولنا النى عنها فهي كتابات الصحفي المأجور عبدالمسيح الانطاكي وسوف نكشف ما ذكره الباحثين المعنيين عنه في الفصل المتعلق بالشيخ مبارك.

ورغبة في تحاشينا الاستعانه بما كتبه ديكسون وابنته والانطاكي فقد اخذنا في دراستنا رسالتين أحدها لباحث غربي هو جاكوب غولديبيرج وهو استاذ زائر لعدة جامعات أمريكية ومن ضمنها جامعة هارفرد. وآخر شرقي من الهند رام تانندن كومار استاذ التاريخ في جامعة دلهي سابقاً ورئيس قسم التاريخ في جامعة بتنا في الهند حالياً. فعلى الرغم من وجود خيط رفيع مما كتبه ديكسون عن الحوادث، لانهم لم يجدوا من المصادر المحلية ما يفيدهم، أما لعدم وجود ترجمة بالانجليزية لهذه الاعمال من جهة أو استحالة توفر دراسة مخصصه مستفيضه عن الفترة هي موضوع بحثنا. ولكن لسوء الحظ وقعوا في مستنقع هو حصيلة خيال، وحينما نستعرض ما كتبه نرى مدى خطورة الانسياق في الارتكان لمصدر كهذا ونقله بدون تحليل أو تدقيق وهو أجراء على التاريخ وتجنبي عليه.

إن كتابة التاريخ بعيداً عن الأهواء، له فائدة وأثر للموضوع المبحوث، وكسر حواجز الوجل وإظهار الجوهر، لتعكس تجلياته في مسيرة الوقت الحاضر. فقصه النزاع كما هي أراها تُثبت استقلالية الكويت بصورة واضحة، وتبين خطل القائلين بتابعيتها لولاية البصرة. فعلى الرغم من تدخلات الدولة العثمانية في النزاع، ألا أن الأحداث عكست أن الوضع آنذاك لم يكن شأنًا عثمانياً، ضمن تابعية الكويت للبصرة، بل كان شأنًا كويتيًّا بحتاً، تطور إلى شأن إقليمي، ثم تدرج إلى صراع دولي، دخلت حلبته الدول الكبرى، بإضافة إلى الدولة العثمانية دخلته: بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، وإن كانت الأخيرة بأقل فاعلية. كذلك كان نظام الحكم شورياً مستقلاً، على خلاف الدولة العثمانية نفسها بتراكمتها التاريخية الفردية.

قسم الكتاب إلى أربعة فصول وخاتمة: تناول الفصل الأول جذور الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، وفيه شرح الأثر المباشر لهذا

الخلافاً على تاريخ الكويت الحديث، مبيناً أصوله وجذوره في تاريخها منذ نشأتها، واستعرضت الدراسة تاريخ الكويت: النشأة وطبيعة السلطة وعلاقتها بالقوى ذات الأثر في هذا الصراع. كما ركز على أهم الأحداث ذات الصلة - المباشر وغير المباشر - فتحدثت الدراسة عن سلطة الحاكم في الكويت ونفوذ التجار، وأبرز الملامح التاريخية لشخصيات الصراع وتطرقت الدراسة للمحة حول مسرح الأحداث وزمانه في عهد الشيخ محمد الصباح.

وتضمن الفصل الثاني مناقشة أسباب الصراع، وكيفية استيلاء الشيخ مبارك على السلطة، وردود الفعل الداخلية والخارجية لذلك. ثم ذكر تبني الشيخ يوسف آل إبراهيم لقضية الثأر وأسبابها، ومناقشة بداية الصراع والحرب السياسية، بتوجه طرفي النزاع للدولة العثمانية وأثره. ثم الدخول في تفاصيل قضية النزاع على الأملاك، التي كانت من القضايا المهمة في هذا الصراع، من دون إغفال بيان محاولة الوساطة لإنهاء النزاع.

ويأتي الفصل الثالث مناقشة النزاع المسلح بين الشيخ يوسف آل إبراهيم والشيخ مبارك، وأثر القوى الكبرى، وخصوصاً الدولة العثمانية في توجيه هذا النزاع، وأثر القوى الإقليمية في توسيع دائرته. كذلك تتبع مواقف القوى الكبرى والقوى الإقليمية تجاه الكويت في هذه الحقبة التاريخية الدقيقة، وعلى المواقف التي كان يتمحور حولها الصراع، سواء أكان لها أثر واضح في هذا الصراع أم في توجيه بعض المواقف الدولية حول الكويت، وأثر ذلك على مجرى الصراع وتوجه طرفي الصراع إلى بريطانيا ونتائج هذا التوجه.

أما الفصل الرابع فتتبع نشاط طرفي الصراع بعد عقد معاهدة الحماية البريطانية على الكويت، وأثر القوى الإقليمية، وخصوصاً إمارة الرشيد في تطور مراحل الصراع خلال هذه الفترة، وما ترتبت عليه من أحداث، وأولى مراحلها كانت قبيل معركة الصريف، والتي امتازت بانجذاب القوى الإقليمية المحيطة إلى حلبة الصراع. بينما تمثلت المرحلة الثانية والثالثة في معركة الصريف، وأثر القوى الإقليمية والدولية فيها، وفي محاولات الشيخ يوسف آل إبراهيم بعد موقعة الصريف للإغارة على الشيخ مبارك لتتحيته. وكانت خاتمة هذا الفصل بالحديث عن وفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم، ونهاية الصراع وأثره.

ونود هنا أن نشير أن هذه المادة العلمية للدراسة موزعة ومتنوعة بتنوع الآراء والاتجاهات التي تناولت تاريخ الكويت، والخطة التي انتهجناها في جمع مصادرها الأولية والثانوية هي دراسة تلك المادة وتحليلها والمقارنه فيما بينها ونقدها وإعادة صياغتها ليبرز المنهج التحليلي القائم على ربط حلقات الصراع بالحقائق التاريخية.

وفي الختام يتقدم كاتب البحث بجزيل الشكر ووافر التقدير ومزيد الامتنان الى الاستاذ د. عبداللطيف ناصر الحميدان الذي ساندني مشكوراً بالاشراف على إعداد هذه الدراسة وما قدمه من مساعدات كبيرة وتوجيهات سديدة كان لها الاثر الكبير في الوصول الى الشكل النهائي.

أرى الواجب يدعوني أن اجزل الشكر والتقدير الى أساتذتي في هذه المرحلة في قسم التاريخ بكلية الاداب - جامعة الملك سعود- الرياض وهم الدكتاترة الافاضل: عبدالله السيف، علي الخليف، عزالدين موسى، عبدالرحمن الشمالان، عبدالله العثيمين، عبدالله السبيعي، عبدالله البكر، مفيد العابد وأحمد العدوان.

ولا أنسى من قدم لي التوصية لدراسة الماجستير الدكتور عمر العقيلي والدكتور فهد السويكت فلهما مني الشكر على ثقتهما وأشكر أيضاً الاستاذ محمد القرني- سكرتير قسم التاريخ - والدكتور سليمان خاطر - الاستاذ اللغة العربية - كلية المعلمين - حائل الذي تفضل مشكوراً بمراجعة الرسالة لغوياً والشكر موصول لمن قدم لي العون والمساعدة في المراكز العلمية في المملكة العربية السعودية وخص دارة الملك عبدالعزيزو مكتبة الملك فهد الوطنية ومركز الوثائق والدراسات في ديوان الرئاسة بأبوظبي على حسن المعاملة وسعة الصدر لتحمل أمثالي من الباحثين.

وأقدم شكري ووافر تقديري للصديق الصدوق سالم بن غانم الحربي على مواقفه الاخوية معي حيث كان طيلة فترة انتقالي من مدينة الرياض ملبياً لاحتياجاتي الدراسية التي تصلني وأنا في مدينة حائل وأقدم شكري وعرفاني الى الاستاذ دايل بن علي الخالدي على نصائحه وتوجيهاته وأشكر الاخ فهد بن محمد الشمري في قطر الذي لم يألو جهداً في تسهيل أمور البحث من مجموعه كتب قيمه تبحت في تاريخ قطر.

كما لا انسى أن اقدم شكري وتقديري للاح الاستاذ يعقوب يوسف الإبراهيم الذي زودني بالوثائق والخرائط من بداية القرن الرابع عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، والتي أثرت البحث وأفادت الباحث بتفهم طبيعة المنطقة وكان مرشداً لي خلال فترة إقامتي في الكويت مما ساعدني على تفهم طبيعة المنطقة واقدم شكري وتقديري لآل إبراهيم جميعاً في الكويت على حسن الضيافة والحفاوة طوال إقامتي فيها.

وأخيراً كل الشكر لاسرتي التي وفرت لي المناخ المناسب للدراسة.

هذا واسأل الله التوفيق والسداد للجميع.

خلف بن صغير الشمري

جامعة الملك سعود

كلية الآداب - قسم التاريخ

الرياض - المملكة العربية السعودية

الفصل الأول

الكويت النشأة وطبيعة السلطة

- ١ - نشأة الكويت.
- ٢ - صلات الكويت بمحيطها.
- ٣ - صلات الكويت بالدولة العثمانية.
- ٤ - سلطة آل صباح ونفوذهم في الكويت.
- ٥ - السلطة في عهد الشيخ محمد آل صباح.
- ٦ - نفوذ التجار في الكويت.
- ٧ - الشيخ يوسف آل إبراهيم.

الفصل الأول الكويت النشأة وطبيعة السلطة

نشأة الكويت

تقع إمارة الكويت في شمال غربي الخليج العربي، بين خطي عرض ٢٨ و ٣٠ شمالاً، وخطي طول ٤٦ و ٤٨ شرق خط غرينتش^(١). وتملك الكويت موقعاً استراتيجياً على الخليج العربي، فميناء الكويت صالح لرسو السفن^(٢) مما ساعد على انتعاش حركة النقل البحري، وأوجد اهتماماً كبيراً بحرفة الغوص للبحث عن اللؤلؤ، فأدى ذلك لازدهار ميناء الكويت البحري^(٣). ومما يميز موقع الكويت هو قربها من شط العرب وارتباطها القريب بنجد، إذ تعد منفذاً تجارياً لنجد وشمال الجزيرة العربية^(٤). وبعد هجرة آل صباح^(٥) ومن

(١) سيف مرزوق الشمالان، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٥، ص ٩٩هـ، ب ديكسون، الكويت وجاراتها، ترجمة فتوح الخترش، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٥، ص ١٣. غانم سلطان وآخرون، جغرافية الكويت دراسة في الظروف الطبيعية والسكان، (ط٢)، دار المعرفة بإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٢٦. عبد العزيز المنصور، الكويت وعلاقتها بعرستان والبصرة، ١٨٩٦ - ١٩١٥ (ط٢)، ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٠ ص ٢١.

(٢) الشمالان، تاريخ الغوص، مرجع سابق، ص ٩٩. ميمونة الصباح، الكويت حضارة وتاريخ، الناشر المؤلف، الكويت ١٩٨٩، ص ٢٦٢.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت (د - ت) ص ٦٦٧. سلطان، مرجع سابق، ص ٢٠٨ المنصور، الكويت وعلاقتها، مرجع سابق، ص ٢٢. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥، ص ٢٣١.

(٤) ارنولد ويلسون، الخليج العربي مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمه وقدم له عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، (د - ت) ص ٤٠٠، عبدالله السبيعي، الأمن الداخلي في الإحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١/ ١٨٧١ - ١٩١٣ (دراسة وثائقية)، مطبعة جمعة الخالد، الرياض ١٤٢٠/ ١٩٩٩ ص ١٥٥.

(٥) آل صباح: ينسب آل صباح أنفسهم إلى فخذ الدهامشة من عشيرة العمارات، التي ترجع إلى قبيلة عنزة العريقة، وكان موطنهم الأول الهدار بالأفلاج بنجد، ومنها هاجروا إلى قطر، وهناك تعلموا ركوب البحر. وبعد استقرارهم فترة نزحوا من قطر لخلاف مع حكامها آل مسلم، فاتجهوا نحو الكويت، ولا يجزم مؤرخ بتحديد تاريخ هجرة آل صباح والعتوب إلى الكويت (سيف بن مرزوق الشمالان، من تاريخ الكويت، ذات السلاسل الكويت (ط٢) ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ ص ١٤، أحمد أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث - ١٧٥٠ - ١٩٦٥ ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٤ ص ٢٢. عبد =

جاء معهم من العتوب^(١) من نجد في أواخر القرن الحادي عشر، وبداية القرن الثاني عشر الهجري الموافق للنصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي تقريباً، استقر هؤلاء في البداية بمنطقة المخراق^(٢). ونزح العتوب بعد فترة من الزمن إلى أم قصر^(٣) أولاً ثم إلى الصبية^(٤). وأخيراً اتجهوا إلى القرين^(٥) " الكويت " ^(٦)، الذي كان ضمن ممتلكات بني خالد^(٧)، حيث شيد ابن عريعر كوته هناك^(٨)، ويقع على مرتفع " ربوة " في المنطقة المعروفة

= العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز الرشيد، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٨ ص ٣٤. ديكسون مرجع سابق، ص ٢٤).

(١) العتوب: مجموعة من الأسر العربية المختلفة النسب، وإن كان أكثرهم من قبيلة عزة، وتسمى هذه الأسر بني عتبة أو العتبيين أو العتوب، فتلك التسميات ترجع إلى الأصل الثلاثي (عتب)، أي أكثر من الترحال من مكان إلى آخر. (ديكسون، مرجع سابق، ص ٢٤. أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٢٢).

(٢) المخراق: تقع على الضفة الغربية من شط العرب بولاية البصرة العثمانية (يعقوب آل إبراهيم، التبيين، رد ورأي علي بيان الكويت، غير منشور ص ١٠).

(٣) أم قصر: تقع جنوب العراق على الحدود الكويتية الشمالية، وتعتبر منفذ العراق البحري على رأس الخليج العربي، وهي مرسى للسفن الكبيرة والصغيرة، وسميت بهذا الاسم نسبة لقصر هناك، قيل بناه محمد بن أحمد بن رزق.

(٤) الصبية: تقع على جون الكويت في الجهة الشمالية الشرقية في مقابل الجهة الجنوبية الغربية من جزيرة بوبيان. وسميت بالصبية نسبة لسكانها من قبل الصابئة، وقد أخرجهم العرب منها. واتخذ الشيخ يوسف آل إبراهيم من الصبية منتجلاً له يروح به عن نفسه في بعض فترات فصلي الربيع والصيف، وبنى فيه قصوراً، وغرس بها النخل وبعض الأشجار في زمن الحاكم الخامس للكويت الشيخ عبد الله الصباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩ هـ/ ١٨٦٦ - ١٨٩٢. (الشملان، تاريخ الغوص، مرجع سابق، ١/ ٢٢١، راشد الفرحان، مختصر، تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، راجعه عبد الله زكريا الأنصاري، دار العروبة، القاهرة ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ ص ٢٠؛ مشاهدات الباحث خلال زيارته للكويت).

(٥) القرين: مصطلح متعارف عليه يطلق على الكويت، وكان موجوداً تقريباً على أغلب الخرائط التي رسمها الأوربيون عن الجزيرة العربية (ب - ج سلوت، نشأة الكويت: ترجمة مركز البحوث والدراسات الكويتية، قدم له عبد الله الغنيم، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٣، ص ١٢٤).

(٦) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٣٦. الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٠٨. يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٢.

(٧) قبيلة بني خالد من أعرق القبائل العربية التي استقرت شرقي الجزيرة العربية، وشكل آل حميد، زعماء بني خالد، إمارة قوية في منطقة الإحساء والقطيف، وأثروا تأثيراً كبيراً في الجزيرة العربية منذ القرن الحادي عشر هجري، الموافق السابع عشر الميلادي (الصباح، مرجع سابق، ص ١، ١٢٤).

(٨) كوت ابن عريعر: أول بناء في الكويت شيده عقيل آل حميد، وأتم بناءه أخوه براك آل حميد أمير الإحساء العام ١٠٧٩ هـ، وقيل إنه محمد بن لصكة آل حميد، ووضع زعماء بني خالد فيه جماعة من عبيدهم وأتباعهم، وأخذ مستودعاً للأسلحة لتجهيز قواتهم أثناء غزواتهم الشمالية جنوب =

ببهيته^(١). واستقر العتوب برئاسة آل صباح وآل خليفة^(٢) والجلاهمة^(٣) قرب الكوت. وفي أثناء استقرار العتوب قرب الكوت انضمت إليهم أسر غير عتبية^(٤). كأسرة آل إبراهيم^(٥). ومن الأسر العتبية، التي استقرت هناك أسر " الزايد، والرومي، والخالد، والسيف، والمعاودة"^(٦).

= العراق، (عبد الله الحاتم من هنا بدأ الكويت - ط ٢ - دار القبس، الكويت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ ص ١١. عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٣. الفرخان، مرجع سابق، ص ٤٥).

(١) بهيئة: تقع في قلب الكويت على ساحل الخليج العربي، ويقع بها قصر السيف، وبيوت آل إبراهيم، ومسجد ابن إبراهيم، والسجن القديم، وشق أول شارع بالكويت عرف باسمها (الحاتم، مرجع سابق، ص ١٦٢. الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٠٢؛ مشاهدات الباحث خلال زيارته للكويت).

(٢) آل خليفة من الأسر العتبية التي ترجع إلى قبيلة عنزة، وقد هاجروا مع العتوب من الهدار بالأفلاج من نجد، واستقروا بالكويت فترة من الزمن. ثم هاجروا إلى قطر مع رئيسهم علي بن خليفة. واستقروا بالزبارة، وعملوا في مجال التجارة، وبدأوا يشكلون قوة كبرى هناك، وبعد ذلك استولوا على البحرين، وطردوا حكامها من آل مذكور السنة ١١٩٧هـ (الشمالان، المرجع السابق، ص ١٢١).

(٣) الجلاهمة: تعتبر أسرة الجلاهمة من أبرز الأسر العتبية، ومن الأوائل الذين مارسوا الحياة التجارية البحرية، وكان جابر بن رحمة رئيس أسرة الجلاهمة أول شخصية من الأسرة يأتي له ذكر في كتب التاريخ، ولما حدث خلاف بين الجلاهمة وآل صباح نزحوا عن الكويت في القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. واتجهوا نحو آل خليفة في الزبارة، وهناك مارسوا حياتهم التجارية والسياسية (حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت السياسي، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٢ الجزء ١ ص ٤٢ - ٤٧).

(٤) يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٧.

(٥) آل إبراهيم: أبناء محمد بن إبراهيم بن ريمان العنقري، هاجر محمد بن إبراهيم بعد مقتل جده ريمان رئيس (ثرمداء)، التي تبعد عن الرياض حالياً ١٥٠ كيلو، فاتجه إلى جهة الكويت في حدود ١١٢٠/ ١٧١٨. وبعد فترة من الزمن استقر مع العتوب في المخراق، ومنها اتجهت جماعته إلى الكويت، وقاموا بوضع اللبانات الأولى للكويت مع بقية قبائل العتوب (إبراهيم بن صالح بن عيسى، بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ)، ط ١، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦ ص ٢١٥. عبد الله بن محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق إبراهيم الخالدي، شركة المختلف، الكويت ٢٠٠٠ ص ٣٩٧. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط ٥ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ الجزء ١/ ١٢٦. أحمد عبد العزيز المزني، أنساب الأسر والقبائل في الكويت، ط ١ ذات السلاسل، الكويت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ ص ٣٣. فاديه الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية، مقابله مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم، مجلة الرجل، لندن، يناير ٢٠٠٥ العدد ١٤٣ ص ٨٣. نجدة فتحي صفوة، الشيخ يوسف آل إبراهيم من أبرز رجالات الكويت، مجلة ثقافة، الدوحة، السبت ١٥/ ١/ ١٩٩٧ العدد ٦٦٣٣ ص ١٦).

(٦) الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٠٩.

لقد اختلف المؤرخون حول تاريخ استقرار العتوب في الكويت^(١) رجع مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد أنها ما بين ١١٠٠ - ١١٢٥هـ/١٦٨٨ - ١٧١٣^(٢). وبعد استقرار العتوب في الكويت بدأت الهجرات تأتي إليها، وأخذت بالتوسع، وقد رأى سكانها أنه من الضروري اختيار رجل منهم ينتخبونه أميراً لهم، لحل مشكلاتهم وفض نزاعاتهم، والنظر في أمورهم العامة، فوقع الاختيار على صباح بن جابر (صباح الأول) ت ١١٩٠هـ/١٧٤٣ جد أسرة آل صباح^(٣). ولم تكشف كتب التاريخ هل أن هذا الاختيار كان بين أهل الكويت وصباح فقط أما انه كان مع الاسرة جميعها.

وكان اختيارهم لصباح الأول نتيجة إقامته الدائمة في الكويت، فهو لم يعمل في المجال البحري على عكس أكثر عتوب الكويت، الذين اتخذوا البحر وسيلة لكسب الرزق، ومنه الغوص على اللؤلؤ والتجارة به، فكان هؤلاء يتغيبون لفترات طويلة من جراء ذلك؛ فتم الإجماع لتنصيبه فوافق صباح الأول بعد أن أخذ العهد منهم بالسمع والطاعة للحق واتباع الشورى^(٤).. وذكر الشمالان أن من أسباب اختيار صباح الأول حاكماً عليهم أنه كان لوالده الزعامة على قبيلته في نجد^(٤). ولم نجد ذلك في كتب الأنساب. وحيث

(١) أشار مدحت باشا في مذكراته عند زيارته للكويت السنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١: أن آل صباح قدموا قبل خمسمائة عام إلى الكويت، أي بحدود العام ٧٨٨هـ، وهذا الرأي عليه بعيد عن الواقع، بينما نكر مبارك الصباح أن أجداده قدموا إلى الكويت العام ١٠٢٢هـ، ويذكر آخرون أنها السنة التي تعرف بطفي الماء أي ١٠٨٣هـ (يوسف حتاتة، وآخرون، مدحت باشا، حياته مذكراته محاكمته، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٢/١٤٢٤هـ. الحاتم، مرجع سابق، ص ٩. الشمالان، المرجع السابق، ص ١١٤).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٣١.

(٣) عيسى القناعي، صفحات من تاريخ الكويت، ط ٣ (د - ن) الكويت ١٩٦٠ ص ١٤. عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٠؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٤٥. الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٤) الشمالان من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٦. يذكر راشد بن فاضل آل بن علي في كتابه "مجموع الفضائل في النسب وتاريخ القبائل" ص ٦١: أن الشيخ عبد الله بن أحمد الخليفة كان يُعبر الصباح حُكام الكويت بحطب العرفج. وكذلك جاء في تاريخ الكويت الحديث لأبي حاكم، ص ٢٧: "يبدو أنه لم يكن لصباح شهرة كبيرة قبل تسلمه شؤون المدينة، فوالده جابر مثلاً لم يرد له نكر في الروايات المعاصرة. وكذلك فإن اسم الصباح لم يرد في رحلات الرحالة الأوربيين، على الرغم من أنهم أشاروا إلى الكويت، وأوضحوا أنها تخضع لحكم شيخ عربي".

يذكر حمد الجاسر: "الجميلات من سكان الهدار، يُنسب إليها آل الصباح أمراء الكويت. ولم أقرأ عنها عما طالعته في الكتب سوى أخبار في مؤلفات حديثة"^(١). وهكذا يتضح، من خلال ما سبق، أن اختيار صباح الأول تم بطريقة شورية، هي أقرب إلى نظرية العقد الاجتماعي لوضعها جان جاك روسو عام ١٧٦٢ والتي طبقت في الكويت قبل ذلك بعقد من الزمن (راجع العلاقات الكويتية الفرنسية - يعقوب يوسف الابراهيم - كتاب القبس ٢٠٠٦) مكلفاً بالنظر في شؤون المدينة الصغيرة وسكانها، واستمر حكم أسرة الصباح إلى يومنا هذا^(٢).

تبع أكثر العتوب المذهب المالكي^(٣)، فكان قاضيهم ومفتيهم وعلماؤهم ومدرسوهم منهم، وبدأت بلدتهم تكبر شيئاً فشيئاً، وهم يديرون مصالحهم في ما بينهم، ولم يعطوا فرصة لأحد بالسيطرة عليهم^(٤). وإن كانوا في ظل حماية بني خالد أصحاب الكوت، الذي شكل نواة مدينة الكويت، فأصبحوا بذلك تحت التبعية العامة لإمارة بني خالد^(٥). وعلى الرغم من تلك العلاقة، إلا أنهم أعطوا العتوب شبه استقلال ذاتي، فلم يمانعوا اختيارهم صباح حاكماً لهم، أو استمرار وراثته في الحكم. ومما يؤكد ذلك ما قام به سعدون بن غرير آل حميد أمير الإحساء من زهابه للكويت ليعزي في وفاة شيخ الكويت صباح العتبي العام ١١٩٠هـ/١٧٧٦، ويبارك في الوقت نفسه للحاكم الجديد عبد الله بن صباح ١١٩٠ - ١٢٢٩هـ/١٧٧٦ - ١٨١٤^(٦).

(١) حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج ١ ص ١٢٥.

(٢) العزاوي، مرجع سابق، ٢٣٢/٧. أحمد الشرباصي، أيام الكويت، ط ١، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣ ص ٩.

(٣) محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، دار إحياء العلوم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ ص ١٩٧. الشمالان، من تاريخ الكويت، ص ١١٦. يعقوب آل إبراهيم، التبيين، ص ٩. ونكر العزاوي أن أهل الكويت على المذهب الشافعي (العزاوي، مرجع سابق ٢٣١/٧).

(٤) العزاوي، المرجع السابق ٢٣١/٧.

(٥) وليد حمدي الأعظمي، الكويت في الوثائق البريطانية ١٧٥٢ - ١٩٦٠ مطابع الريس، لندن (د - ت) ص ٢٣. محمد حسن العيدروس، تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، دار العيدروس للكتاب، الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٢/٢٠٠٢ ص ٢٦. الصباح، مرجع سابق، ١٢٧/١. سلوت، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٦) عند اقتراب ابن عريعر من بلدة الكويت خرج له الشيخ عبد الله لاستقباله، وليس معه إلا عدد قليل =

لقد ساعدت هذه العلاقة على نمو الكويت، في ظل أوضاع مستقرة، والتفرغ لمباشرة أعمالهم. فبدأت قوتهم تنمو بعد أن كانوا يشكلون مجتمعاً صغيراً، بفضل حماية بني خالد التي هيأت لهم ظروف تطوره ونماء بلدتهم. فقد شكل بنو خالد حاجزاً أمنياً للكويت من جهة نجد^(١)، وخصوصاً مع ظهور الدولة السعودية الأولى، التي دخلت في الصراع مع بني خالد، خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وبداية القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي^(٢). كما قدم عتوب الكويت مساعدات لبني خالد أثناء صراعهم مع الدولة السعودية^(٣). غير أن سقوط حكم بني خالد على يد القوات السعودية ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣ أنهى الحاجز العازل بين الكويت والدولة السعودية، وفي الوقت نفسه انفصل العتوب عن تبعيتهم لبني خالد^(٤). فورثوا العداء مع الدولة السعودية نتيجةً لتبعيتهم لبني خالد، كتقديمهم المساعدات لبني خالد أثناء صراعهم مع القوات السعودية، وإيواء اللاجئين من زعماء بني خالد وغيرهم، عند فرارهم من قبضة القوات السعودية^(٥). ومن الأمور التي أُرمت العلاقة بينهما إدراك العتوب للسياسة السعودية القائمة على التوسع على حساب القوى المحيطة بها^(٦).

= من الرجال. أراد ابن عريعر تنبيهه إلى خطئه في إهماله استقبال زائريه، فإنه يعد ذلك من عدم التدبير وقصر السياسة، فقبض على شحمة أنن الشيخ عبد الله وهزها هزة قوية دمعت منها عيناه. وفهم الشيخ عبد الله ما أراد وما يعنيه ابن عريعر من فعلته تلك. (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢١٢؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٨).

(١) الصباح، المرجع السابق، ١/ ١٣١. أبو حاكمه، مرجع سابق، ص ٦٥.
 (٢) حسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات نوي الإسلام، حرره وحققه: ناصر الدين الأسد، ط ٣، شركة الصفحات الذهبية الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٧٠ / ١ وما بعدها. عثمان ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق محمد الشثري، دار الحبيب الرياض ١٤٢٠ / ١٩٩٩ الجزء ١ ص ١٧٩. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث (د - ن) دار الجليل، بيروت ص ٧٠. عبدالله العثيمين، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، ط ٢ العبيكان، الرياض ١٤١٢هـ، ص ٦١. أبو حاكمه مرجع سابق، ص ٧٠.

(٣) الصباح، المرجع السابق، ١/ ١٣٢.

(٤) أبو حاكمه، مرجع سابق، ص ٦٥. الصباح، مرجع سابق، ١/ ١٣٢.

(٥) عبدالله العثيمين، مرجع سابق، ص ١٠٠. الصباح، المرجع السابق، ١/ ١٣٢. أبو حاكمه، المرجع السابق، ص ٦٥. عبد الرحمن بن سعود المرشدي، من تاريخ وقصص الآباء والأجداد، تسجيلات الاستقامة، الرياض، المجموعة الثانية، شريط رقم ٧.

(٦) الصباح، مرجع سابق، ص ١٣٢. أبو حاكمه، مرجع سابق، ص ٦٥. المرشدي، مرجع سابق، ش ٧.

وهكذا أصبح العتوب في خط المواجهة أمام القوات السعودية، التي بدأت بشن هجومها على بلدة الكويت، ودرءاً لهذه الهجمات قاموا ببناء سور حول الكويت لحمايتها من تلك الغارات^(١)، والتي بدأت في العام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤ مع هجوم إبراهيم بن عفيصان^(٢) الذي نزل بالشامية^(٣)، ثم أغار على الكويت، فحصلت اشتباكات مع سكانها، وتمكن من هزيمتهم ولكنه عاد أثرها إلى نجد^(٤). ولم تتوقف الدولة السعودية عن هذه الهجمات والاغارات على الكويت إلا عند قدوم قوات محمد علي باشا والي مصر إلى الحجاز^(٥).

علاقات الكويت بمحيطها

العلاقات بآل سعود

كانت علاقة الكويت بالدولة السعودية الأولى يسودها العداء والتوتر، ولكن بعد قدوم قوات محمد علي باشا والي مصر واحتلال الحجاز ونجد ثم القضاء على الدولة السعودية السنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨، عادت منطقة نجد إلى سابق عهدها، تعيش فراغاً سياسياً لم يدم طويلاً، فقد استطاع آل سعود إحياء ملكهم من جديد مع الإمام تركي بن عبد الله^(٦)، الذي أعلن قيام إمارته

(١) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٢١. محمد حسن العيدروس، تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، دار العيدروس للكتاب، الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ ص ٤١. الحاتم، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) إبراهيم بن سليمان بن عفيصان: أحد قادة الدولة السعودية الأولى تولى إمارة الدلم ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م. ثم تولى إمارة الإحساء عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٣م. ثم ولي أميراً لعنيزة عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م. (ابن بشر، مصدر سابق، ١/ ١٣٠ وما بعدها).

(٣) الشامية: مورد ماء وتكثر فيها الآبار ويعتمد أهالي الكويت على أبارها حتى أمكن تكرير مياه البحر، وتعتبر في الوقت الحاضر أحد أحياء مدينة الكويت (حمد محمد السعيدان، الموسوعة الكويتية المختصرة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٩٢م، ٢/ ٨٤١؛ الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض، دار الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص - ص ٣٣ - ٣٤).

(٤) بن غنام، مصدر سابق، ٢/ ١٦٩؛ ابن بشر، مصدر سابق، ١/ ١٣٣.

(٥) قضى محمد علي باشا بطلب من السلطان العثماني على الدولة السعودية، وتمكن ابنه إبراهيم باشا من القبض على الإمام عبد الله بن سعود آخر حكام الدولة السعودية الأولى بعد استسلامه سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م؛ انظر (ابن بشر، مصدر سابق، ١/ ٢٦٦؛ الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، مصدر سابق، ص ٧١ وما بعدها).

(٦) الإمام تركي بن عبد الله بن محمد آل سعود ١٢٤٠ - ١٢٤٩هـ/ ١٨٢٥ - ١٨٣٣م: من قادة =

السنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠، وعمل على استعادة الملك بنجد وشرقي الجزيرة العربية، وسار على نهجه خلفه الإمام فيصل بن تركي^(١) ١٢٤٦ - ١٢٨٢هـ/١٨٣٩ - ١٨٦٥. وكان طموح الإمارة السعودية الثانية أقل بكثير من سابقتها، فاكتفت بالسيطرة على نجد وشرقي الجزيرة العربية^(٢). وقد كانت العلاقة بين الدولة السعودية وإمارة الكويت، في عهد الإمام تركي بن عبد الله وابنه الإمام فيصل، ودية^(٣).

بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي ١٢٨٢هـ/١٨٦٥ تولى ابنه الإمام عبد الله^(٤) الحكم ١٢٨٢ - ١٣٠٧هـ/١٨٦٥ - ١٨٨٩^(٥)، وثار عليه أخوه الإمام سعود^(٦)، ودخلا في نزاع على الحكم استمر تسع سنوات ١٢٨٢ -

= الدولة السعودية الأولى وقاوم الحملة المصرية منذ قدومها للجزيرة العربية، وبعد استسلام الدرعية سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م. هرب جنوبي نجد، وبعد قيام محمد بن مشاري بن معمر بتكوين إمارة على أنقاض الدولة السعودية الأولى عمل تركي تحت إدارته. لكن بعد عودة مشاري بن سعود إلى نجد استلم زمام الإمارة من ابن معمر قام الأخير بالقبض على مشاري وأرسله للحملة المصرية بعينزة وقُتل هناك. ونتيجة لذلك جمع تركي بن عبد الله قوة واتجه إلى الدرعي وقبض على ابن معمر وقتله، وأعلن نفسه حاكماً لنجد، واتخذ من الرياض عاصمة لإمارته، واستطاع أن يوحد نجدًا وشرقي الجزيرة العربية وتم اغتباله بمؤامرة دبرها مشاري بن عبد الرحمن آل سعود منه ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م بعد حكم دام عشر سنوات (انظر ابن بشر، مصدر سابق، ١٢/٢ وما بعدها؛ الريحاني، تاريخ نجد، مرجع سابق، ص ص ٩٣، ٩٢).

(١) الإمام فيصل بن تركي: بعد وصول خير مقلد والده عاد إلى الرياض وتمكن من القضاء على مشاري بن عبد الرحمن، في نفس العام ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، ومن أبرز ما قام به فيصل بن تركي تعيين عبد الله بن رشيد حاكماً لجبل شمر، وإعطاؤه شبه استقلال ذاتي، وحكم الإمام فيصل على فترتين الأولى ما بين عامي ١٢٤٦ - ١٢٥٥هـ/١٨٣٠ - ١٨٣٩م والثانية بين عامي ١٢٥٩ - ١٢٨٢هـ/١٨٤٢ - ١٨٦٥م؛ (ابن بشر، مصدر سابق، ٧٣/٢ وما بعدها؛ انظر الريحاني، المصدر السابق، ص ٩٢ وما بعدها).

(٢) الريحاني، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٣) ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب أمير قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، (دت)، ١٥١٧/٣؛ خزعل، مرجع سابق، ١١٥/١

(٤) لوريمر، المصدر نفسه ١٥١٧/٣؛ خزعل، مرجع سابق، ١١٥/١.

(٥) الإمام عبد الله بن فيصل: هو الابن الأكبر للإمام فيصل وتولى الحكم بعد والده ودخل منذ البداية في صراع مع أخيه سعود وقد حكم الإمارة طوال تسع سنوات متفاوتة بينه وبين أخيه وتوفى في ربيع الآخر ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م بالرياض؛ (الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٩٧ وما بعدها).

(٦) سعود بن فيصل بن تركي آل سعود: بعد وفاة والده الإمام فيصل سنة ١٢٨٢هـ ثار على أخيه الإمام عبد الله الفيصل ودخل معه في صراع في معارك عدة من أشهرها معركة المعتلي وجودة، =

١٢٩١هـ/ ١٨٦٥ - ١٨٧٤. تمكن بعدها الإمام سعود بن فيصل من هزيمة أخيه الإمام عبد الله، ودخل الرياض سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠^(١). وذهب الإمام عبد الله إلى جهة جبل شمر، حيث كانت تربطه بالأمير محمد الرشيد صداقة قديمة^(٢).

كذلك استنجد الإمام عبد الله بوالي بغداد مدحت باشا^(٣)، وطلب منه النصرة ضد أخيه سعود، فوجدها مدحت باشا فرصة لإعادة الاستيلاء على الإحساء من جديد^(٤). فأرسلت حملة عثمانية للسيطرة على الإحساء والقطيف سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١^(٥). وطلب مدحت باشا من الشيخ عبد الله الصباح المشاركة في الحملة فجهز الأخير قوة للمشاركة في هذه الحملة^(٦). حاول الإمام سعود ثني الشيخ عبد الله الصباح عن المشاركة في هذه الحملة لكنه فشل، فطلب الإمام سعود من بريطانيا منع الكويت من المشاركة في الحملة العثمانية.

= وأدى ذلك الصراع إلى خروج الإحساء والقطيف من الحكم السعودي وإضعاف الإمارة السعودية وتولى سعود الحكم خلال فترات متفاوتة لكنه توفي وهو على سدة الحكم سنة ١٢٩١هـ، (إبراهيم بن عبيد العبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، مطابع النور الرياض، (د - ت) ١/ ٢١٤؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٢١٤).

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، دفاتر عينات Ayniat رقم ٨٥٩ تاريخ ٢/ محرم ١٢٨٤هـ، العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٥٧، الريحاني، المصدر السابق، ص ٩٧، محمد بن علي العبيد، النجم اللامع للنوادر جامع، أخبار وإشهار من القرنين الثالث عشر والرابع عشر ص ١٠٩.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول أرادة، مجلس مخصوص، I.MEC.MAH، رقم ٢٥٥٠/ ١٦٦٧، بتاريخ ٣/ محرم ١٢٨٨هـ؛ عبد الله البسام مصدر سابق، ص ٣٧١.

(٣) مدحت باشا ابن القاضي الحاج محمد أشرف بن علي أفندي ولد في الإستانة سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢ من رجال السياسة والإدارة في الدولة العثمانية وكان كثير التنقل في صغره بحكم عمل والده، وتولى مناصب عديدة في الدولة العثمانية وانتهى أمره بسجنه في الطائف وكتب في سجنه مذكراته وتوفي في السجن سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م ويطلق عليه لقب (أبو الأحرار) (حتاتة، مرجع سابق، ص ١١؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٧٠ - ٢٧١).

(٤) الأرشيف العثماني، استنبول، أرادة، مجلس مخصوص، I.MEC.MAH، رقم ٢٥٥٠/ ١٦٦٧، تاريخ ٣/ محرم ١٢٨٨هـ؛ الأرشيف العثماني، استنبول، أوراق الباب العالي B.E.O، رقم ٤٤٠٠٢، تاريخ ٨ ربيع الأول ١٢٨٨هـ؛ عبد الله السبيعي، الحملة العسكرية العثمانية على الإحساء والقطيف، دراسة وثائقية، مطابع الجمعة، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ص ٣٢؛ حتاتة، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٥) انظر حول هذا الموضوع صلات الكويت بالدولة العثمانية، ص ٢٩.

(٦) الأرشيف العثماني، استنبول، إرادة داخلية I.DAH رقم ٩٦/ ٤٤، بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٩٩.

لكن، بريطانيا رأت مشاركة الكويت في تلك الحملة شأنًا خاصاً بها، وأنها غير ملزمة بالتدخل بين الدولة العثمانية والكويت بأي شكل من الأشكال^(١). ونظراً لأن الكويت لم تدخل ضمن (نظام المعاهدات المانعة) المعقودة مع أكثر مشيخات الخليج^(٢). وبعد سيطرة الحملة العثمانية على الإحساء والقطيف استمر الصراع بين أبناء فيصل بن تركي، وكانت الغلبة للإمام سعود، فرحل الإمام عبد الله بن فيصل إلى الكويت، وأقام فيها في ضيافة الشيخ عبد الله الصباح، مما أثار غضب الإمام سعود بن فيصل^(٣)، الذي جهز قوةً واتجه بها إلى جهة الكويت السنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣، فأغار على أطراف الكويت ووصل إلى الوفرة^(٤). لكنه لم يحقق شيئاً يذكر، فعاد أدرجه إلى نجد^(٥).

وفي أثناء تواجد القوة السعودية في الوفرة، جهز الشيخ عبد الله قوة بقيادة أخيه مبارك لصد المهاجمين، إلا أنه في أثناء سير القوة الكويتية وصلت الأخبار بانسحاب المهاجمين، فعاد مبارك إلى الكويت من دون حدوث المواجهة بين الفريقين^(٦). بعدها بدأ الموقف يتغير بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، فأصبحت الكويت هي المنفى للأسرة السعودية، حيث انتقل إليها الإمام عبد

(١) جون. بكيلى: ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠م، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، (دت) ٥٩٠/٢.

(٢) المعاهدات المانعة: عقدت بريطانيا عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م اتفاقيه السلام الشامل مع ثمانية من الشيوخ المحليين في ما يعرف اليوم بالإمارات العربية المتحدة وتعهد الشيوخ "بالأ يتخلوا أو يؤجروا أو يرهنوا بأي شكل من الإشكال ولأي سبب من الأسباب قسماً من أراضيهم إلا بأذن بريطانيا التي تعهدت في مقابل ذلك بحماية إمارات الخليج ومشيوخاته"، وأخذت بعدها تتحكم في شؤون ذلك الساحل وتفرض على مشيخاته اتفاقيات مختلفة تحت حجج متنوعة فهي تتذرع بمحاربة الرقيق مرة وتنظيم صيد اللؤلؤ مرة أخرى والمحافظة على السلام بين القبائل مرة ثالثة وعرفت تلك المعاهدات بالمعاهدات المانعة (خالد محمود السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، مطبوعات داره الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣م، ص ٢٢ - ٢٣).

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٦؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٨؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٤) الوفرة: موقع يبعد ٦٠ ميلاً جنوب الكويت وتقطنه قبيلة العوازم، ويكثر فيها أبار المياه. (ديكسون، مصدر سابق، ص ٦٨).

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٦؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٦) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٣٦؛ الشمالان، المرجع السابق، ص ١٣٨؛ الفرخان، المرجع السابق، ص ٦٨.

الرحمن آل سعود^(١) بأمر من الدولة العثمانية السنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢^(٢)، التي جعلت الكويت مقراً لأسرة آل سعود، بعد تمكن الأمير محمد بن رشيد من القضاء على الدولة السعودية، وسيطرته على حاضرتها مدينة الرياض عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١^(٣).

ب - علاقتها بآل الرشيد

لقد بدأت العلاقات بين الكويت وآل الرشيد واضحة في أواخر عهد الأمير محمد بن رشيد ١٢٨٩ - ١٣١٥هـ/١٨٧٣ - ١٨٩٧^(٤)، حيث قام الأخير السنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨ بالإغارة على قبيلة العوازم^(٥) بالصبيحية^(٦) بالقرب من

(١) الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود عرف عنه التدين والاعتدال والشجاعة وهو آخر حكام الدولة السعودية الثانية المنتهية بعد موقعة حريملاء ١٣٠٩هـ (عبد العزيز التو جري، لسراة الليل هتف الصباح - الملك عبد العزيز دراسة وثائقية - رياض الرئيس، بيروت " ط ١ " أكتوبر ١٩٩٧ ص ٣٠؛ ناصر الحميدي، صورة الملك عبد العزيز في كتاب، مجلة الحرس الوطني، الرياض العدد ٢١٥ السنة الحادية والعشرين، صفر ١٤٢١هـ/مايو ٢٠٠٠م، ص ٨٤)

(٢) علي عبد الرحمن أبا حسين، برقية شفرية نادرة حول طلب الإمام عبد الرحمن آل سعود الإقامة في الزبير أو الكويت، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد ٣٧، رمضان ١٤٢٠؛ عبد الله بن ناصر السبيعي، التصدي السعودي للحكم العثماني للإحساء والقطيف ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ/١٨٧١ - ١٩١٣م "دراسة وثائقية". مطابع الجمعة الإلكترونية، الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ص ١٣١.

(٣) الأرشيف العثماني يلديز خصوصي Y.A.HUS رقم ٤٨/٢٥٣ بتاريخ ربيع الثاني ١٣٠٩هجري، إبراهيم بن صالح ابن عيسى، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الأمانة العامة للاحتفالات بمرور مائة عام علي توحيد المملكة الرياض ١٤١٩ / ١٩٩٩م، ص ١١٤؛ عبد الرحمن الناصر، عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد، مخطوطة في مكتبة أرامكو الظهران برقم N AS ٨، ٩٥٣ - ورقة ٤٢.

(٤) محمد بن رشيد: هو محمد بن عبد الله آل رشيد آل خليل آل جعفر من عبدة من قبيلة شمر ويسمي محمد المهاد، مات عقيماً، تولى إمارة آل لرشيد بعد قتله لابن أخيه بندر بن طلال واستطاع أن يجعل من إمارة الرشيد أكبر إمارة في الجزيرة العربية بعد قضاؤه على الدولة السعودية الثانية وكانت مدة إمارته عشرين سنة ومدة ملكه ثماني سنوات لنجد كلها. (العبد المحسن، مرجع سابق، ١/ ٣١٠).

(٥) العوازم: من القبائل التي ضمت مجموعة من الناس ويمتد سكانهم في شمال شرق الجزيرة العربية، ويوجد أكبر تجمع للعوازم بجزيرة العرب في الوقت الحاضر في دولة الكويت. (الجاسر حمد:، جمهره أنساب الأسر المتحضرة في نجد، دار اليمامة، الرياض ١٤٠١/١٩٨١م ١/ ٦٤١؛ محمد عبد الله العبد القادر الحدود الكويتية العراقية دراسة في الجغرافيا السياسية/مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠٠٠م ص ١٠٥).

(٦) الصبيحية: هي مورد ماء يقطنه العربان أيام الصيف، وتعتبر الآن منطقة نفطية وتبعد اثنين وثلاثين ميلاً عن الكويت وسميت بهذا الاسم على الأغلب نسبةً لآل صبيح من بني خالد (عبد العزيز =

مدينة الكويت. وعندما علم أهل الكويت بالأمر خرجوا لمواجهة، إلا أنهم عادوا إلى الكويت بعد وصولهم منطقة ملح^(١) وبلوغهم نبأ ارتحاله عن الصبيحية^(٢). ويعتقد يوسف البسام بأن ذلك كان الهجوم الأول على الكويت من قبل إمارة الرشيد^(٣). أشار إلى تلك الغارة أحد شعراء ابن الرشيد بقصيدة طويلة شاهدها:

حَرَّ شَلَعٍ مِنْ قَصْرِ حَايِلٍ مَدَلِيٍّ

يَأْرَبُ زَيْنٌ بِالْمَدَالِيِّ وَفَوْقَهُ

يَشَلَعُ وَيَأْخُذُ بِالْخَضْرَاءِ تَعْلِيٍّ

وَكَلَّ الْقَبَائِلَ شَبَهَتْ بِي سَبُوقَةَ^(٤)

ويعتقد أن هذه الغارة كانت رداً على إغارة مجموعة من أهل الكويت على منطقة الأجر^(٥) بمنطقة جبل شمر، وكسبوا غنائم من تلك الهجمة^(٦). لكن، على الرغم من هذا الاحتكاك فإن العلاقات عموماً كانت جيدة، ويعود ذلك لانشغال ابن الرشيد في حروبه ضد آل سعود في نجد، وقد قدم الشيخ عبد الله الصباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩ هـ/ ١٨٦٦ - ١٨٩٢ المساعدات لابن رشيد في حربه ضد آل سعود^(٧). ولعل أبرز المساعدات التي قدمت لابن رشيد هو تسهيل

= الرشيد، مصدر سابق، ص ٥٤؛ السعيدان:، مرجع سابق، ٢/٩٢٦؛ دكسون، مرجع سابق، ص ٥٤؛

الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية، مرجع سابق، ص - ص ١٤١ - ١٤٢)

(١) ملح: واحة تقع جنوب الكويت وفيها آبار مياه صالحة للشرب، وتكثر فيها الأشجار، وتعتبر الآن منطقة بترولية. (الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية، مرجع سابق، ص ١٦٤؛ السعيدان، مرجع سابق، ٣/١٥٧٣).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٦؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٣٩.

(٣) يوسف البسام، الزبير قبل خمسين عاما مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، المطبعة العصرية، الكويت، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م، ص ٢٠١.

(٤) هو ناصر العنبر أحد العبيد المقربين للأمير محمد بن رشيد وله قصائد حماسية يمدح فيها الأمير محمداً (المرشدي)، عبد الرحمن بن سعود، من تاريخ وقصص الآباء والأجداد، تسجيلات الاستقامة، الرياض، المجموعة الثانية شريط رقم (٨).

(٥) الأجر: قرية تقطنها الوبيار من عبدة من قبيلة شمر تبعد عن مدينة حائل ٩٠ كيلو متراً شرقاً وهي تقع في منتصف المسافة بين مدينتي حائل وبريدة؛ (حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦، ١/٦٣؛ مشاهدات الباحث)

(٦) المرشدي، مرجع سابق، ش ٧؛ مقابلة مع الراوية مفلح عمّاش العنيزان بمنزله بقرية ضبيعة بمنطقة حائل، بتاريخ ١٤/٨/١٤٢٤ هـ

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV. رقم ٤٩/٤٧ تاريخ ١٦ رجب ١٣٠٨ هجري، الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV. رقم ٢٠/٩١ بتاريخ ١٣ شعبان =

شراء الأسلحة وغيرها، عبر ميناء الكويت^(١) الذي تعتمد عليه إمارة الرشيد بحريا^(٢)، واستمرت العلاقة الجيدة والحسنة، مع ابن الرشيد، في عهد الشيخ محمد الصباح^(٣).

بيد أن هذه العلاقة أخذت منحى آخر بعد سيطرة الأمير محمد بن رشيد على نجد، وقضائه على الدولة السعودية الثانية السنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢، فأخذت العلاقة طابع الحذر والريبة من قبل إمارة آل الرشيد، ولعل السبب وراء هذا الموقف هو تزايد قوة إمارة آل الرشيد، بعد سيطرتها على أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية، مما أثار المخاوف منها^(٤). وكانت تسعى من أجل ذلك للسيطرة على منفذ بحري يربطها بالخليج العربي، ولم يكن أمامها سوى الكويت، حيث أنها تتناسب استراتيجياً مع أهدافها السياسية والاقتصادية^(٥). والأمر الآخر هو التطورات السياسية الجديدة، التي رافقت مغادرة الإمام عبد الرحمن وأسرته لنجد، واستقرارهم في الكويت، بموافقة الدولة العثمانية السنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢. وعلى هذا فقد اهتم الأمير محمد بن رشيد بشؤون الكويت، وبدأ يركز على الأوضاع والتطورات الجديدة فيها^(٦)، وقد تميزت العلاقة بين

= ١٣٠٨ هجري، لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٢، السعودون، العلاقة بين نجد والكويت، مرجع سابق، ص ٣٩.

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤٧/٤٩ تاريخ ١٦ رجب ١٣٠٨ هجري، الأرشيف العثماني؛ اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV، رقم ٢٠/٩١، تاريخ ١٣ شعبان ١٣٠٨ هجري؛ مقابلة مع الراوية مفلح عمّاش العنيزان بمنزله بقرية ضبيعة في منطقة حائل، بتاريخ ١٤٢٤/٨/٢٦هـ.

(٢) ويلسون، مرجع سابق، ص ٤٠٣.

(٣) حسين حسني، الأوضاع العامة في نجد (في العهد العثماني) ترجمة سهيل صابان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض رقم ١١٤٠٤٢، ص ١٥٧.

(٤) فهد المارك، من شيم العرب مؤسسة الخافقين، دمشق، "ط ٤"، ١٩٨٨ م ٣٩٣/٤؛ محمد القشعمي، "سليمان بن صالح الدخيل (١٢٩٠ - ١٣٦٤هـ/١٨٧٥ - ١٩٤٤ م صحفياً ومفكراً ومؤرخاً" (ط)النادي الأدبي، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م ص ٢٣٢.

(٥) ألويس موزل، تاريخ بيت الرشيد، مجلة العرب، المجلد العاشر (من رجب ١٣٩٥هـ إلى جمادى الآخر ١٣٩٦هـ) ص ٥٧٢؛ القشعمي، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٦) العبد المحسن، مرجع سابق، ٢٩٦/١؛ ذكر المارك أن الأمير محمد بن رشيد كان يرسل بعض رجالته من فترة لأخرى للكويت لمراقبة ومعرفة أحوال آل سعود وأوضاعهم هناك وكان أبرز تلك السفارات، سفارة رجل يدعى علي المجراد، الذي قدم للأمير محمد ابن رشيد تقريراً حول أبناء =

الطرفين بشيء من الود المصحوب بالحدز والحيطة، ففي عهد الشيخ محمد آل صباح ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/١٨٩٢ - ١٨٩٦ كان هناك تبادل للسفارات والزيارات عن طريق مبعوثين من قبلهما، يحملون معهم الرسائل الودية، والهدايا المتبادلة بين الطرفين، ويتم استقبال الوفود بكل حفاوة وعناية^(١).

علاقتها بإمارة المحمرة^(٢)

بعد استقرارهم في الكويت أخذ العتوب بدفع ضريبة مالية لبني كعب في إمارة المحمرة، لكن، تطورات استجبت أدت إلى العداء بين الطرفين، ذلك لما قام عتوب الكويت بمساعدة آل خليفة للسيطرة على جزر البحرين، وطرد حكامها آل مذكور^(٣) حلفاء الكعبيين^(٤). فرد الكعبيون بمهاجمة العتوب بالكويت في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ووقعت بين الطرفين عدة مواجهات أشهرها موقعة الرقة ١٢٣٠هـ/ ١٧٨٣، التي انتهت بانتصار عتوب الكويت^(٥). غير أن هذه العلاقة تغيرت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، فتحوّلت إلى تعاون وصدّاقة بين المشيختين، نتيجةً لتغير سياسة عربستان بسبب الأخطار التي حدقت بها في تلك الفترة، أثر الصراع عليها بين

= الإمام عبد الرحمن، وحدز - أي المجراد - الأمير محمد بن رشيد من الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن. (انظر المارك، مرجع سابق، ٩٤/٤ وما بعدها)

(١) انظر المارك، مرجع سابق، ٢٩٦/٤ - ٢٩٧.

(٢) المحمرة: عاصمة مشيخة عربستان حتى عام ١٢٤٤هـ/١٩٢٥، وقام الكعبيون ببنائها قرب مصب نهر قارون "كارون" في شط العرب وهي من أهم الموانئ التجارية على الخليج العربي وتعرف اليوم بخرم شهر، وأما بالنسبة لعربستان فتقع إلى الجنوب الشرقي من العراق وسكانها كلهم من العرب ويقطنها قبائل بني كعب وأشهر مدن هذا الإقليم المحمرة وعبادان والأحواز وتقع الآن تحت السيطرة الإيرانية (انظر: المنصور، الكويت وعلاقتها، مرجع سابق، ص ٧٦، ٧٣).

(٣) آل مذكور: من قبيلة المطاريش التي جاءت من عمان وكان شيخها نصرًا المذكور وحكموا البحرين عام ١١٦٧هـ/١٧٥٣م، ودخلوا في حرب مع آل خليفة حول البحرين انتهت بانتصار آل خليفة وطردهم من البحرين، وانتقلوا بعدها أكثرهم إلى مدينة بوشهر على الساحل الإيراني. (العيدروس، مرجع سابق، ص ٣٢).

(٤) الشمال، المرجع السابق، ص ١٢١؛ عبد العزيز محمد المنصور، التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ - ١٩١٦م، ط ٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١٥٩.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٧؛ الشمال، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٩.

الدولتين العثمانية والإيرانية^(١). ونجد أن الكويت أصبحت ملجأً آمناً لشيوخ عربستان في الملمات والعوادي. على سبيل المثال لا الحصر لجأ الشيخ ثامر الكعبي، شيخ بني كعب، إلى الكويت أثناء سيطرة العثمانيين على المحمرة^(٢)، وقامت الكويت بواجب تقديم المساعدة في زمن الشيخ عبد الله بن صباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩ هـ/١٨٦٦ - ١٨٩١ لشيخ المحمرة جابر بن مرداو^(٣) أثناء نزاعه مع قبيلة النصار^(٤)، حيث ساعد ذلك في الانتصار عليها^(٥). وهكذا تحولت الكويت مع عربستان من العدا إلى التعاون والصداقة.

كان وراء هذا التحول عدة أمور، لعل أبرزها: المصالح الاقتصادية المشتركة بينهما، فالمحمة والكويت تعتمدان بالدرجة الأولى على ما تدره عليهما مزارع النخيل وغيرها، في ولاية البصرة، من أرباح وفيرة^(٦)، فأدى ذلك إلى تقاربهما بحكم المصلحة الاقتصادية المشتركة بينهما، وقد كانت بداية العلاقة بين الشيخ مبارك آل صباح والشيخ خزعل بن جابر بن مرداو^(٧) تعارفهما أثناء وجودهما في أملاكهما الزراعية بولاية البصرة العثمانية، فتطورت تلك المعرفة إلى أصرة صداقة حميمة بينهما^(٨)، وإلى جانب ذلك كان هذا التعاون والصداقة بينهما نتيجة شعور الطرفين بالخطر، الذي تتعرض له التجارة في شمال الخليج، مما يؤثر على مستقبلهما التجاري خاصة، وتعتبر الموارد العائدة من التجارة البحرية من أهم الموارد لأهالي البلدين، وخصوصاً

(١) المنصور، الكويت وعلاقتها، مرجع سابق، ص ٨٢؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٠٧.

(٢) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٢.

(٣) جابر بن مرداو: حاكم المحمرة وأمير قبيلة بني كعب (الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٤).

(٤) قبيلة النصار: إحدى قبائل بني كعب العربية المستقرة في عربستان وجنوب فارس (ديكسون، مرجع سابق، ص ٢٥).

(٥) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٣٧؛ خزعل، المرجع السابق، ١/١٠٨؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٦) الأرشيف العثماني استنبول، يلدز متنوع Y.MTV. رقم ٨٣/١٩٧، تاريخ ٨ شعبان ١٣١٧ هجري؛ الأرشيف العثماني، استنبول، يلدز، متفرق، المعروضات والإخباريات Y.PRK.AZJ. رقم ٢٧/٣٠، تاريخ ٢٧ صفر ١٣١٦ هـ.

(٧) الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٩؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٨) الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٩؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٠.

الكويت، فتعاونهما يعطي نوعاً من بسط الأمن والاستقرار في مياه شمال الخليج، ويساعد أيضاً على محاربة القرصنة البحرية^(١).

العلاقات الكويتية العثمانية

كانت أول مناسبة ربطت العتوب بالدولة العثمانية هي هجرتهم إلى شمال الخليج العربي، واستقرارهم في البداية في منطقة المخراق، ونزوحهم منها بعد فترة من الزمن، وانتقالهم في أماكن عديدة من شمال الخليج. كان آخرها القرين (الكويت) حيث استقروا هناك في كوت ابن عريعر. ومن الطبيعي أن يكونوا موالين للسلطان العثماني على الرغم من أنهم يخضعون بالتبعية والولاء لإمارة بني خالد في الإحساء^(٢).

وبعد سقوط إمارة بني خالد على يد الدولة السعودية الأولى ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣ تحرر العتوب من أي سلطة أو تسلط، مما ساعدهم على الاستقلال في التصرف في شؤونهم الداخلية من دون ضغوط خارجية^(٣). فعند حلول القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، مثلاً نجد أن تجار عتوب الكويت يحملون علماً خاصاً بهم، يرفعونه في أسفارهم وتجارتهم^(٤)، بينما كان بعضهم كان يرفع العلم العثماني فوق سفنه^(٥)، ولعل ذلك يرجع إلى تصور بعضهم بالولاء للدولة العثمانية كمثلة للمسلمين، وربما ليعطي التاجر نوعاً من الحماية والأمان خلال تنقلاته. إلى جانب ذلك، هناك من التجار العتبيين من يرفعون الأعلام الأجنبية كالهولندية والبريطانية فوق سفنهم، حتى يتمتعوا

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٧٨.

(٢) سلوت، مرجع سابق، ص ١١٨؛ ويلسون، مرجع سابق، ص ٤٠٠؛ الاعظمي، مرجع سابق، ص ٢٢؛ الصباح، مرجع سابق، ١/١٢٧.

(٣) الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١١٩؛ لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٤؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/٢٣١.

(٤) العزاوي، المرجع نفسه ٧/٢٣١؛ حتاته، مرجع سابق، ص ٢٣٩؛ جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر... (١٨٤٠ - ١٩١٤)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧/١٩٩٧، ص ٣٠٥.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٠٩؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٢٨؛ سليمان حسن محمود، الكويت ماضيها وحاضرها، المكتبة الأهلية، الكويت، (دت ص ١٩٨).

بالاتيازات الممنوحة للرعايا البريطانيين والأجانب عند ولاية بغداد^(١)، ودفعاً لما يواجهونه من معاملة غير طيبة في موانئ الهند^(٢).

أما بالنسبة لحاكم الكويت الشيخ جابر بن عبد الله آل صباح ١٢٢٧ - ١٢٧٦هـ/١٨١٢ - ١٨٥٩ فقد كان يميل إلى الدولة العثمانية، وذلك بحكم طبيعة المكان وقربه جغرافياً من الدولة العثمانية أولاً، وللرابطة الدينية ثانياً، فالمسلمون وخاصةً السُنَّة منهم كانوا موالين للسلطان العثماني، خليفة المسلمين. ويتضح ذلك من خلال موقف الشيخ جابر من محاولات بريطانيا التقرب منه، بعد إدراكها لأهمية الكويت في القرن الثالث عشر الهجري/نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، بعد أن كانت مهمشة لها لوقت قريب، فلم تكن تشكل لديها أية أهمية تذكر مقارنةً بمشيخات الخليج الأخرى. تبدل الوضع تبعاً لمؤشر المصالح البريطانية الجديدة بتغير الأوضاع في المنطقة^(٣).

قامت الحكومة البريطانية بالهند بإرسال وفد إلى الكويت في ٣٠ أكتوبر عام ١٨٣٩ / ١٢٥٥هـ ليتباحث مع شيخها، تحت ستار إنشاء خط بريدي صحراوي بين الكويت والبحر الأبيض المتوسط. ولكن الهدف الحقيقي هو استقصاء التواجد المصري في الكويت وكان على رأس الوفد الملازم ت. إدموندز T.Edmunds معاون المقيم السياسي البريطاني في بوشهر الكابتن صمويل هنيل S.Hennell^(٤). لكن الوفد فشل في تحقيق أي مباحثات، نتيجة لموقف الشيخ جابر وطريقة استقباله له، التي أوحى بأنهم ضيوف غير مرغوب فيهم^(٥).

(١) حتاته، مرجع سابق، ص ٢٢٩؛ قاسم، مرجع سابق، ص ٣٠٥، العزاوي، مرجع سابق، ٧/٢٣١.

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٩.

(٣) منذر الموصللي، الأسرة.. الدولة.. دور الكويت وآل صباح في الخليج العربي، رياض الريس، لبنان ١٩٩٩م/١٤١٩هـ؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ١١٣؛ ويلسون، مرجع سابق، ص ٤٠٤.

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٤.

(٥) عند وصول السفينة البريطانية الحربية أطلقت مدافعها بالتحية لشيخ الكويت، ولم يرد عليهم التحية، ولم يسمح لأحد من أتباعه بالتوجه نحو السفينة، وبعد إرسالهم له رسالة مكتوبة، رد عليها شفويًا، وتجاهل الوفد مدة ثلاثة أيام، وهم على ظهر السفينة، حتى أرسل إدموندز من يخبره أنه يريد مقابلته، فسمح له باللقاء، وعند دخول الوفد مقر جابر كان المكان مكتظاً بالحاضرين، ووقف فقط عند اقترابهم منه ولم يرفع من فمه الغليون الذي كان يدخنه، ورفض أي تعاون مع بريطانيا. (لوريمر، المصدر السابق، ٣/١٥١٤).

من المرجح، أن هناك سبباً وراء تصرف الشيخ جابر مع وفد كان يمثل الإمبراطورية البريطانية العظمى في عز ظروفها! فلعل نعمة تغير الأوضاع السياسية في المنطقة جعلته يقدم على مثل هذا التصرف، فهو يدرك تماماً أن أي تعاون مع بريطانيا يعني مغاضبة الدولة العثمانية، التي أصبحت مسيطرة فعلياً على أكثر أجزاء الجزيرة العربية بفضل قوات محمد علي باشا، القادرة على ضرب أي قوة في الجزيرة العربية. فهو رجل الدولة العثمانية، ويدها الضاربة. لاي معارضة لها، مثلما حصل بالدولة السعودية الأولى. فأدرك الشيخ جابر أن أي محاولة تقارب مع بريطانيا هي بمثابة التحدي للدولة العثمانية المجاورة له، وذلك يعني معادته والقضاء عليه^(١). خاصة تواجد الملازم عبدو محمد رفعت الملقب بمحمد افندي مأمور مشتريات الميرة للجيش المصري في الاحساء، المقيم في الكويت منذ عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٨ تقريباً^(٢). وكان الهدف الظاهري لمهمته هو شراء الإمدادات اللازمة للحملة المصرية الموجودة بالاحساء والقطيف. أما هدفه الحقيقي فهو القيام بدراسة المنطقة لفهمها وجمع المعلومات لقائد الحملة المصرية خورشيد باشا والذي استطاع تجنيد عناصر تمدده بالمعلومات وقد اتضح ذلك في رسائله الى محمد علي باشا في مصر في ٢٧ مارس ١٨٣٧ ذكر فيه تعاون عبدالله الفداغ وكذلك رسالة مؤرخه ٢٨ أغسطس ١٨٣٩ ورد فيها اسم حمد بن جبار الذي كان يزوده بالمعلومات، تمهيداً للخطة المصرية بانتزاع العراق من الدولة العثمانية. وكان الشيخ جابر الصباح يعمل بكل ما في وسعه لإرضائه، وتذليل الصعاب أمامه^(٣). إضافة لما سبق فإن الشيخ جابر يدرك أن مصالح بلده مرتبطة بالدرجة الأولى بالبصرة، فجميع ما يلزمها يتم إحضاره منها، لقربها وتوفر جميع متطلبات بلده فيها^(٤). علاوة إلى املاكه من بساتين النخيل فيها والتي تشكل دخلاً لا يستهان به.

(١) لوريمر، المصدر السابق، ١٥١٥/٣.

(٢) لوريمر، المصدر نفسه ١٥١٣/٣. دار الوثائق المصرية أوراق قصر عابدين رقم الملف ٧/٢٦٧ تاريخ ١٦ يونيو ١٨٣.

(٣) لوريمر، المصدر نفسه، ١٥١٣/٣ - ١٥١٤.

(٤) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ خزعل، مرجع سابق، ١١٩/١.

لكل ما تقدم من أسباب رفع الشيخ جابر العلم العثماني فوق أرض الكويت السنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٥، فقدمت له الدولة العثمانية ممثلة بوالي بغداد محمد نجيب باشا^(١) منحه عبارة عن مئة كاره^(٢) من التمر سنوياً، ثمن رفضه التعاون مع البريطانيين، وولائه للسلطان العثماني^(٣).

بعد وفاة الشيخ جابر وفي عهد أبنه الشيخ صباح حدث نزاع حول ملكية بساتين النخيل في الصوفيه مع افراد من عائلة الزهير الزبيرية، فأتجه الطرفان إلى المحاكم في البصرة السنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦، فحكمت لصالح آل زهير^(٤). مما دعا الشيخ عبد الله بن صباح ممثل والده، شيخ الكويت، استأنف الحكم ورفع شكواه إلى والي بغداد نامق باشا ١٢٧٨ - ١٢٨٤هـ/١٨٦١ - ١٨٦٧^(٥) الذي أصدر أمراً نقض فيه الحكم الصادر من محاكم البصرة، وأبقى البساتين لآل صباح^(٦). فجاء قرار نامق باشا هذا، تعدياً على سلطة القضاء، واختراقاً لمبدأ استقلاليتها^(٧)، وقد علل عبد العزيز الرشيد موقف الوالي

(١) محمد نجيب باشا: والي بغداد ما بين عامي ١٢٥٨ - ١٢٦٥هـ/١٨٤٢ - ١٨٥٠م تقلد مناصب عديدة بالدولة العثمانية فكان قبل ولاية بغداد والياً بالشام وقام بإصلاحات عديدة في بغداد وهناك موقع مسمى باسمه بالأعظمية إلى يومنا هذا، وتوفى بعد عزله عن الولاية بعامين أي سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٢م (انظر العزاوي، مرجع سابق، ٥٨/٧ - ٨٤).

(٢) الكاره تساوي واحداً ونصف طن، والطن يساوي عشرين من، والمن يساوي ٨٤ كيلو (يعقوب آل إبراهيم، التبئين، مرجع سابق، ص ١١).

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، داخلية قلم مكتوب DH.MKT. كانون الثاني ١٣١٥، وفي ترقيم دار أعلام عبد العزيز ٢/٧/٢٦؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ خزعل، مرجع سابق، ١١٩/١.

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٩؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٠؛ خالد السعدون، أحداث في تاريخ الخليج العربي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠١م ص ٩٨.

(٥) نامق باشا: من أهل قونية وجاء إلى اسطنبول وهو صغير السن ولد سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م وترقى في المناصب العسكرية بسرعة حتى نال في شهر شعبان ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م منصب المشيرية لفيلق العراق والحجاز، ثم عين في أوائل سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥٣م والياً لبغداد وبقي فيها إلى ٢٩ شوال ١٢٦٩هـ حيث عين لمشيريه المدفعية العامرة في اسطنبول وفي ربيع الأول سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م عاد والياً للمرة الثانية لبغداد وعزل عن منصبه سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م ولقب بشيخ الوزراء وعرف بنامق باشا الكبير وكان يتقن العربية والفرنسية والإنكليزية وتوفي سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م؛ (انظر العزاوي، مرجع سابق، ٧/٨٩ - ٩٠ - ١٥٤).

(٦) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٣٠؛ لوريمر، المصدر السابق، ٣/١٥١٩؛ السعدون، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٧) السعدون، مرجع سابق، ص ٩٩.

بأنه محاولة لاستمالة عبد الله بن جابر، وإقناعه بقبول لقب قائمقام^(١)، ولكن الأخير اعتذر لأن السلطة بيد والده المخول الوحيد بالبت في مثل هذه الأمور^(٢).

ولم تتوقف مساعي والي بغداد المذكور عند محاولته السابقة، حيث اثير الموضوع مرة أخرى ابان حكم الشيخ عبدالله بن صباح من أجل إقامة إدارة عثمانية في الكويت، لتكون قائمقامية ملحقة بولاية البصرة، وإنشاء ثكنة عسكرية فيها^(٣). فتم ابلاغ الشيخ بذلك والذي بدوره قام بعرض الامر على أعيان الكويت فرفضوا الرضوخ بما يحدد من استقلالهم ويخضعهم لدفع رسوم وضرائب باهظة لم يعتادوا عليها، فتجار الكويت هم الذين يحددون الرسوم التي يدفعونها، ولم يستطع حكام الكويت، إلى عهد الشيخ مبارك، رفع الرسوم عليهم، وهو ما جرى عليه العرف ومبدأ التراضي ضد أي إجراء مالي لا يناسبهم^(٤).

وحسب راوية محمد بن صالح آل إبراهيم، أنه بعد وصول خبر مخطط والي بغداد، بشأن مستقبل الكويت، جمع الشيخ عبد الله آل صباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩هـ/١٨٦٦ - ١٨٩١ الأعيان للإستشارة، فرأوا تأجيل البت في الأمر حتى يعود الشيخ عبد الله بن عيسى آل إبراهيم^(٥) من موسم الحج للأخذ

(١) قائمقام: كانت الدولة العثمانية مقسمة في القرن التاسع عشر الميلادي إلى وحدات إدارية سميت بالولايات وتنقسم الولاية إلى سناجق (الويه)، والألوية إلى أقضية، والأقضية إلى نواح وكان على رأس كل ولاية والي، وكل لواء متصرف، وكل قضاء قائمقام، وكل ناحية مدير ناحية، (إبراهيم أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ - ١٩١٦ - مطابع جامعة الموصل، الموصل، ١٤٠٣/١٩٨٣ ص ٦٩).

(٢) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٣) حتاتة، مرجع سابق، ص ٢٣٨؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٣٠؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٥) عبد الله بن عيسى بن محمد آل إبراهيم: والد الشيخ يوسف آل إبراهيم، من أعيان الكويت وكبار تجارها، وعرف عنه أنه صاحب مشورة ورأي؛ (الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية، مرجع سابق، ص ٨٧). توفي في مكة في جمادي الآخر ١٢٩٢هـ ١٨ جولي ١٨٧٠. تناولت جريد "التايمس" اللندنية، وبعض الصحف الفرنسية موضوع لقاء الكولونيل بيبي مع أبو عيسو من رجال الكويت البارزين، والمقصود هو عبد الله بن عيسى آل إبراهيم العام ١٨٦٤. وقد نوقش التقرير الذي أعده بيبي من قبل حكومة الهند، وظهر في المراسلات السرية. قال: "عند اجتماعي مع أبو عيسو = ABU ESAW الذي نقل لي بأنه مخول من قبل شيخ الكويت وأعيانها، بأن يفتح ميناء ومدينة =

بمشورته. وعند عودته اقترح عليهم كتابة رسالة للسلطان العثماني عبد العزيز خان ١٢٧٧ - ١٢٩٢هـ/ ١٨٦١ - ١٨٧٦. فحواها: أن أهل الكويت يريدون الإن من السلطان بالرحيل عن أرضهم، لعدم رغبتهم بوجود ثكنة عسكرية فيها، فغض السلطان العثماني الطرف عن مخطط والي بغداد نامق باشا^(١). هذه الرواية الموروثة تطابق التقرير الذي اعده جونسون في ٥ يناير ١٨٦٧ جاء فيه: "إن الكويتيين غير مرتاحين، بل قلقين من نوايا العثمانيين للتدخل في إدارة شؤونهم الداخلية، وأن متسلم البصرة سليمان باشا طلب من الشيخ عبد الله الصباح أن يشرح ما ذكرته الصحف الأوروبية عن العرض المقدم لبريطانيا. وقد تم لقاء غير عادي، بيني (جونستون) وسالم البدر، وكيل آل الصباح في البصرة وعبد الله بن عيسى بن إبراهيم، أحد أعيان الكويت البارزين لمناقشة مستقبل الكويت. وقد وضعت ثلاثة تصورات: ١ - أن يسمح للعثمانيين السيطرة، على أن تعطل فعالية الاقتصاد الكويتي بالكامل، لتصبح البصرة هي المركز، فتكون الكويت آنذاك لا تُشكل فائدة للعثمانيين فيتكونها. ٢ - أن يسمح للعثمانيين الدخول، ونقل نشاط الكويت إلى عبادان. وبالتالي انتقال السكان تدريجياً، حتى تصبح البلاد خاوية. ٣ - مغادرة الكويت كلياً. اقترح جونسون أن يُدعى نامق باشا إلى البصرة لاستلام مهام إدارة الكويت. كان هذا العمل لجس نبض الحكومة البريطانية، ومدى تعاونها. وقد أرسل كمبول رسالة في ٢٣ يناير ١٨٦٧ إلى وزارة الخارجية في كلكتا بهذا الخصوص^(٢). وامام هذا الاصرار غض نامق باشا النظر عن خطته.

= الكويت حرة للتجارة. ويرفع العلم البريطاني. فأجبت به بأني لم أفكر في هذا الأمر، ولم يُطلب مني ذلك. علماً بأن إدارة الكويت هي الأكفئ والأغناء في الخليج. وهي ميناء مهم لتصدير الخيل، وموقع يمكن أن تختاره بواحرنا في يوم ما، عوضاً عن ميناء البصرة النهري " نيودلهي، مراسلان خارجية، أغسطس ١٨٦٦، رقم NEW DELHI NA1 FOREIGN CONSULTATION AUGUST 1866 NO: 55.

(١) الأرشيف العثماني، استطنبول، مجلس الوكلاء BB/36 M.V. بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ، مقابلة مع الراوية، محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله في الفنطاس بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ؛ الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية، مرجع سابق، ٨٧. كتب المعتمد السياسي البريطاني في تركيا العربية - بغداد، في نهاية نوفمبر ١٨٦٦ بأن شيخ الكويت تلقى مطالبات نامق باشا بفتح مركز كمر في الكويت.

(٢) NEW DELHI ANI FOREIGN POLITICAL (A) MARCH 1867, NO 30-31 وقد ذكر أبو حاكمة في تاريخ الكويت، ص ٢٢١ بالمعنى نفسه.

وهكذا استمرت الأوضاع على ما هي عليه حتى تعيين مدحت باشا والياً لبغداد ١٢٨٧ - ١٢٩٢هـ/ ١٨٦٩ - ١٨٧٤. وقد عمل مدحت باشا على تنظيم العلاقة بشكل يضمن سيادة العثمانيين على الكويت، وظهر ذلك سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠، حيث أصدر فرماناً يقضي بإعلان الكويت قضاءً عثمانياً. ونص فرمان على جعل الكويت قائمقامية تابعة للبصرة، بموجبه يحمل الشيخ عبد الله آل صباح لقب قائمقام، ويستقل بتنظيم شؤونه الداخلية دون تدخل عثماني. وتضمن فرمان أيضاً رفع العلم العثماني على السفن الكويتية، وإلغاء الأعلام الأجنبية مقابل الإعفاء من الضرائب، وإعفاء المقاطعات الزراعية لشيخ الكويت في ولاية البصرة من الضرائب، وصرف راتب سنوي له يتسلمه من خزينة البصرة^(١). وقد تركت أكثر الوظائف الرسمية كما كانت عليه، كالقضاء والافتاء، لكن باعتراف رسمي من قبل الجهات العثمانية^(٢). وبالأجمال مُنحت الكويت حكماً ذاتياً^(٣). وبطبيعة الحال، عارضت بريطانيا هذا الأمر في البداية، لرفضها وجود مثل تلك العلاقة في المنطقة، لكنها لم تجد في النهاية بُدأً من الاعتراف بالأمر الواقع، حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري/ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي^(٤).

أثر قرار السلطان العثماني عبد العزيز بإرسال حملة عسكرية، للسيطرة على الإحساء والقطيف ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١، فطلب مدحت باشا والي بغداد من شيخ الكويت الشيخ عبد الله ١٢٨٣ - ١٣٠٩هـ/ ١٨٦٦ - ١٨٩١ المشاركة في الحملة، فجهز الأخير قوة عسكرية للمشاركة في هذه الحملة^(٥). وبعد مرور

(١) حتاتة، مرجع سابق، ص ٢٣٩؛ الشمالان، من تاريخ الكويت مرجع سابق، ص ١٣٦؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٠٦؛ مصطفى النجار، التاريخ السياسي لعلاقة العراق بالخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، البصرة ١٩٧٤م ص ٦٧؛ المنصور، الكويت وعلاقتها، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٢) العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٣١؛ حتاتة، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٣) حتاتة، المرجع السابق، ص ٢٣٩؛ السبيعي، الأمن الداخلي، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ حتاتة، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٤) كورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ص ١٤٥؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ص ٣٠٦؛ منسي، عبد الله، المواجهة العثمانية البريطانية في الخليج العربي ١٨٦٩ - ١٩١٤م (د ن) (د ت) ١٩٩٤ ص ٣٩.

(٥) الأرشيف العثماني، استنبول، إرادة داخلية I.DAH، رقم ١٦٦٧، تاريخ ٣ محرم ١٢٨٨؛ السبيعي، الحملة العسكرية، مرجع سابق، ص ٣٨.

الحملة العثمانية بقيادة نافذ باشا^(١) بالكويت، انطلقت منها براً وبحراً إلى الإحساء^(٢)، وشاركت بقوتين برية وبحرية، وكان على رأس القوة البحرية الشيخ عبد الله، وعلى رأس القوة البرية الشيخ مبارك الصباح^(٣). وقدر هربرت Harbert^(٤) في العام ١٢٨٨هـ/ ٢٨ أبريل ١٨٧١ حجم المشاركة الكويتية في الحملة بثمانين سفينة.

جاء تقرير الكولونيل لويس بيلي إلى سكرتير الحكومة ببومبي (رقم ١٠٤/٤١٦ تاريخ ٢٢ أبريل ١٨٧١) كالاتي: تكونت لجنة بالبصرة لاستئجار سفن أهلية لنقل ٥٠٠ بغل إلى القطيف، من خليل أفندي وسالم بن بدر، وذلك ١٢٨٧ أبريل ١٨٧١. ووصلت الحملة العثمانية إلى الكويت في ربيع الأول ١٢٨٨هـ، واستقبلت استقبالاً حاراً، ومن ثم تحركت براً وبحراً، فوصلت طلائع الحملة البحرية، وهي أربع سفن كويتية، وثمان عثمانية، ورست في رأس تنورة، وكان من أوائل الواصلين من الكويتين هو حمد بن ضويان ومجموعته.

وبعد نجاح الحملة العثمانية على الإحساء كان للشيخ عبد الله بن صباح

(١) نافذ باشا: قائد الحملة العسكرية على الإحساء وعين متصرفاً على نجد (الإحساء) في ٢١ شوال ١٢٨٨/١٨٧٢هـ وبقي فيها أقل من سنة وعزل وعين في عام ١٣٠٥/١٨٨٧م على ولاية البصرة وكان مشيراً للجيش العثماني (سهيل صابان، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ص ٢٢٢).

(٢) الأرشيف العثماني، استنبول، إرادة داخلية I.DAH رقم ٩٦/٤٤ تاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ، كورشون، العثمانيون وآل سعود، مرجع سابق، ص ١٦٨؛ السبيعي، الحملة العسكرية...، مرجع سابق، ص ٨١.

(٣) الأرشيف العثماني استنبول، اوراق الباب العالي B.E.O رقم ٤٤/١٩٦، بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ؛ كورشون، المرجع نفسه ص ١٦٨؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٣؛ فيصل الكندري والحملة العثمانية على الإحساء عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ من خلال الوثائق العثمانية، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت ٢٠٠٣ ص ٥٢. "تواصلت استعدادات العثمانيين لتسيير الحملة العسكرية بدءاً بإرسال طاقم بحري من بغداد لاحتضار سفينة عسكرية، كما عهد مدحت باشا في ١٢٨٧هـ أبريل ١٨٧١ إلى لجنة مكونة من خليل أفندي، وسالم بن بدر القناعي باستئجار سفن أهلية لنقل حوالي ٥٠٠ بغل من البصرة إلى القطيف" (تقرير لويس بيلي إلى سكرتير الحكومة السياسي ببومبي، رقم ١٠٤/٤١٦ في ٢٢ أبريل ١٨٧١).

(٤) هربرت: العقيد س هربرت هو المعتمد السياسي البريطاني العام، في بغداد من ١٤ جمادى أول ١٢٨٥هـ إلى ١٢ ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ١ سبتمبر ١٨٦٨م إلى ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤م (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣٧٣٩/٧).

دور في إقناع شيخ قطر الشيخ محمد بن ثاني^(١) بالدخول تحت التبعية العثمانية، فوافق على ذلك بعد أن شجعه ابنه قاسم^(٢)، وقد كان محرصاً لوالده من أجل الاستقلال عن البحرين، وذلك بقبول الحماية العثمانية ورفع العلم العثماني^(٣)، وبوجود حامية عثمانية بأرض قطر اتخذت من قلعة آل مسلم^(٤) مركزاً لها سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م^(٥). وفي ٢٨ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م وبناءً على اقتراح مدحت باشا، صدرت إرادة سنية بتكريم الشيخ عبد الله آل صباح برتبة أصطبل عامره مدير لكي بايه سي^(٦)، كذلك مُنح أخواه محمداً ومباركاً آل صباح نيشاناً مجيدياً، مقابل ما قدموه من خدمات في الحملة على الإحساء^(٧).

(١) محمد آل ثاني من بني تميم استطاع أن يسيطر على السلطة في قطر بعد أن تمكن ومعه أهالي قطر من إخراج نائب آل خليفة من قطر وهزيمته في معركة الوكرة سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، وتدخلت بريطانيا لفض النزاع بين قطر والبحرين بأن تدفع الأولى جزية سنوية للبحرين ووقع الطرفان على هذه الاتفاقية سنة ١٢٨١هـ/ ١٦٨٤م (الكندري، مرجع سابق، ص ٧٢؛ سيف الشمالان، الغوص على اللؤلؤ في قطر، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية الدوحة مارس ١٩٧٦، ٥٥٧/٢، القشعبي، مرجع سابق، ص ٣٠٧).

(٢) قاسم "جاسم" آل ثاني: ١٢١٦ - ١٣٣١هـ/ ١٨٠٠ - ١٩١٣م عاش مائة وخمس عشرة سنة، وكان حكيماً وشجاعاً وكريماً، وهو مؤسس إمارة قطر، كان إذا سار في موكب يركب معه ستون فارساً من نريته، وكان من أكبر تجار اللؤلؤ في الخليج فقد كان يملك خمساً وعشرين سفينة للغوص. (انظر الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٣ و ١١٤). وألتجأ إليه الإمام عبد الرحمن الفيصل وعائلته، بعد خروجهم من الرياض، وقبل إقامتهم في الكويت.

(٣) السبيعي، الحملة العسكرية...، مرجع سابق، ص ٦٧ - ١٧١.

(٤) قلعة آل مسلم: آل مسلم من قبيلة بني خالد وكان آل مسلم متنفذين؛ في قطر وقاموا ببناء قلعة الدوحة التي كانت تعرف سابقاً بقلعة آل مسلم (لوريمر، دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق، ١٦٢٤/٤).

(٥) كور شون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص ٢٦؛ صلاح العقاد، حملة مدحت في شبه الجزيرة العربية سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨١٧م وصدائها في منطقة الخليج، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة ٢١ - ٢٨ مارس ١٩٧٦، ٩٣١/٢، المنصور، التطور السياسي، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ يذكر الكندري أن جاسماً آل ثاني استطاع أن يقنع والده بالموافقة على هذه التبعية من أجل الاستقلالية التامة عن البحرين (الكندري، مرجع سابق، ص ٧٢).

(٦) اصطبل عامره مدير لكي بايه سي: هي رتبة عسكرية وإدارية رفيعة تمنح لمن يقدم خدمات متميزة للدولة العثمانية (السبيعي، الحملة العسكرية، مرجع سابق، ص ١٩٥).

(٧) الأرشيف العثماني، استنبول، اوراق الباب العالي B.E.O، رقم ٤٤٢٣٠، بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ؛ السبيعي، الحملة العسكرية، مرجع سابق، ص ٨٣. مذكرة مدحت باشا إلى الصدر الأعظم عالي باشا ٤ جمادى أول ١٢٨٨هـ "تكريم شيخ الكويت وشقيقه محمد الصباح لما قاما به من =

بعد وفاة الشيخ عبد الله آل صباح تولى الحكم أخوه الشيخ محمد الصباح ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/١٨٩١ - ١٨٩٦، استمرت العلاقة الجيدة مع الدولة العثمانية، حيث منحت الشيخ محمد لقب قائمقام كسلفه^(١). ولم يتردد الشيخ محمد من المشاركة في الحملة العثمانية على قطر السنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢، وكانت بقيادة محمد حافظ باشا والي البصرة^(٢). كان هدف الحملة ردع الشيخ جاسم آل ثاني، فاشتركت الكويت بإرسال حملة برية بقيادة الشيخ مبارك الصباح بطلب من أخيه الشيخ محمد الصباح. قامت خطة الشيخ محمد الصباح على إبداء الطاعة للدولة العثمانية بتحريك القوة الكويتية، لكن ببطء بما يحول دون اشتراكها الفعلي في ملاقاتة القوة القطرية^(٣). عسكرت القوة في سلوى^(٤) إلى أن جاءت الأخبار بهزيمة القوات العثمانية، فعادت أدراجها إلى الكويت^(٥). ويبدو أن جذور العداء بين قطر والكويت تعود إلى اشتراك الكويت في هذه الحملة، على الرغم من أنها لم تسفر عن أي تصادم مباشر بين الطرفين.

وهكذا تتضح العلاقة الوثيقة مع الدولة العثمانية، وخاصة في عهد الشيخين عبد الله ومحمد الصباح، فعلى الرغم من قرب الكويت الجغرافي من

= جهود ووضعهما أنفسهما في خدمة الحملة العسكرية العثمانية بسفنهما، التي زادت عن مئة سفينة".

(١) الأرشيف العثماني: إرادة مادية I.M.A. ٢٤٠/٥ بتاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ؛ النجار، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٢) محمد حافظ باشا: عمل والياً على البصرة وكان على خلاف مع الشيخ جاسم آل ثاني وعمل على إقناع السلطان العثماني بالقضاء عليه وفعلاً أخذ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بأرائه، وقرر القضاء على الشيخ جاسم آل ثاني وقام بتكليف محمد حافظ باشا بقيادة الحملة على قطر، لكنه آقيل من منصبه لفشله في هذه المهمة، (صابان، مرجع سابق، ص ١٧٧).

(٣) المنصور، التطور السياسي، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ محمد عرابي نخلة، تاريخ الإحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣ ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص ٢٠٢.

(٤) سلوى: تقع شرق المملكة العربية السعودية وهي منفذ المملكة العربية السعودية لدولة قطر حالياً، حيث تبعد عن الهفوف مائة وخمسين كيلو متراً، وعن الدوحة مائة كيلو متر. (حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية والمنطقة الشرقية (البحرين قديماً)، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٠/١٩٨٠ ٢/٨٦٢.. مشاهدات الباحث).

(٥) خزعل، مرجع سابق، ١/١٥١؛ زكريا كورشون، العثمانيون في قطر، ترجمة محمد موسى القريني، مراجعة: عبد اللطيف الحميدان، غير منشور، ص ١٠٧.

العراق العثماني، اكتفت الدولة العثمانية بتبعية الكويت اسمياً ولم تعمل لوضع حاميات لها داخل الكويت، مثل ما فعلت بالإحساء وقطر على ساحل الخليج العربي. مما أعطى شيوخ الكويت شبه استقلال ذاتي في إدارة شؤونهم الداخلية، من دون تكليف الدولة العثمانية أعباء مالية. علماً أن هذه السياسة كانت متبعة منذ القدم مع المشيخات العربية والكردية، في إعطاء شيوخها الحرية في تدبير شؤونهم وفق أعرافهم، متحملين تكاليف الدفاع عن مناطقهم، بما يحصلون عليه من ضرائب داخلية لكنهم يعفون بالوقت نفسه من دفع الرسوم للدولة.

ولعل ذلك يعود إلى قناعة مدحت باشا الشخصية في مسألة الكويت، بوضعها تحت الحماية العثمانية على الطريقة البريطانية في عقد معاهدات الحماية مع مشايخ الخليج. حيث يذكر في مذكراته: "ومن عوائد الإنجليز التقرب من أمراء العرب واستمالتهم، وترك بلادهم على حالها، وحمايتهم باسم الإنسانية لحفظ وطنهم من الغارات وأتباع البلاد بعد تدريب أهلها على الخضوع للعلم الإنجليزي... جرى الإنجليز على هذا النحو في بلاد مسقط وعمان... وجزيرة البحرين، ووضعوا كل هذه البلاد تحت حمايتهم بهذه الطريقة... وكان مشايخ تلك القبائل يديرون بلادهم كما شاءوا وشاءت أهواؤهم، ولكن القول الفصل في الأمور الهامة فيها للإنجليز، ولا عجب من هذا وذلك أن القتل والإغارة والنهب والسلب وتطاحن القبائل انقطع ولم يبق للشقاق أثر" (١).

نفوذ آل صباح

لم تكن سلطة الحاكم في الكويت منذ نشأتها سلطة مطلقة، مثلما كانت سلطة شيوخ العرب في تلك الآونة من تاريخ شبه جزيرة العرب. كان شيخ الكويت يستشير قومه في كل ما يخص بلده، لا سيما أن الأمير اختير من لدن الأسر العتبية عن طريق التشاور بين أعيانها^(٢). كُلف بالنظر في شؤون المدينة الصغيرة وسكانها، وذلك لأن العتوب عموماً أتوا منذ نزولهم الكويت تجاراً

(١) حتاته، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ١٦؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٠؛ الشملان، تاريخ الغوص...، مرجع سابق، ١/٢٦٠؛ بيتز لينهاردت، سلطة الشيوخ في الخليج العربي، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة ١٩٨٠ ص ١٢.

يستقرون فترة، وبحارة يجوبون بسفنهم فترة أخرى في مناطق الخليج، ويرتاد أكثرهم بسفنهم سواحل الهند وشرق أفريقيا^(١).

وعلى العموم، كان الحكم شورياً قليلاً أو ديمقراطياً إن جاز التعبير في جانبه التنفيذي^(٢)، حيث كان شيخ الكويت، قبل عهد مبارك بن صباح ١٣١٣ - ١٣٣٤هـ/١٨٩٦ - ١٩١٦، لا يقدم على أمر مهم قبل أن يستشير أعيان الكويت، الذين يستشيرون الجماعات التابعة لهم، لأجل تكوين رأي موحد في كل ما يهم أمور مدينتهم^(٣). أكد هذا مدحت باشا في مذكراته مشيراً إلى أن النظام في الكويت أقرب إلى الجمهورية (REPUBLIC)، وكان يقصد فترة حكم عبد الله بن صباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩هـ/١٨٦٦ - ١٨٩١، وما قبله^(٤).

هذه الشورى - كما يبدو - لم يكتب لها الاستمرار، حيث بدأت تدب فيها عوامل الضعف في عهد الشيخ مبارك آل صباح، لاستيلائه على الحكم بطريقة مغايرة لما كان متعارفاً عليه منذ تأسيس الكويت. أخذت نواة السلطة المطلقة تنمو حتى أصبحت سمة سائدة في العقد الثاني من حكمه، فقبض على زمام السلطة بيد من حديد، حتى تراجعت الشورى من الحياة السياسية في الكويت^(٥). وأياً كان نوع الحكم في الكويت، أو مستوى سلطة الحاكم فيها، فإنه يبرز اسم آل الصباح مرتبطاً بتلك السلطة منذ اختيارهم لتمثيل الكويتيين، وتولي شؤون المدينة، وما يزال أفرادها يتحملون عبء مسئولية إدارة دفة الحكم وتوجيهها في أمارة الكويت إلى يومنا هذا.

ومن المعروف أن سلطة الحاكم تتمثل في إدارة الحكم محلياً بما يضمن

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ١٤؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٠؛ الفرخان مرجع سابق، ص ٤٥؛ حتاتة، مرجع سابق، ص ٢٣٩؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٠؛ العيدروس، تاريخ الكويت، مرجع ص ٩٠؛ لينهارت، مرجع سابق، ص ١٢.

(٣) القناعي، المصدر نفسه ص ١٦؛ الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، ٦٥٦/٢

(٤) حتاتة، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٥) القناعي، المصدر نفسه ص ١٦؛ الريحاني، المصدر السابق، ٦٥٦/٢ - ٦٥٧؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩١.

الحفاظ على النظام، والعمل على وحدة وتماسك الوطن وخدمة شعبه والدفاع عن بلاده، وخارجياً في بناء علاقات حسن الجوار متوازنة مع الكيانات المجاورة من ناحية، وإقامة العلاقات على النطاق الخارجي من ناحية أخرى، بما يحقق المصالح العليا للبلد ففي هذين الجانبين نلاحظ نشاط حكام الكويت والتزامهم بإتباع سياسة موحدة - تقريباً - سواء في علاقاتهم الداخلية أو علاقاتهم الخارجية^(١).

أما عن سياسة الكويت الداخلية، فنجدها تتمثل في مبدأ الأخذ بالشورى، التي استمرت منذ صباح الأول وسار عليها خلفه حتى الحاكم السابع، الشيخ مبارك الصباح فجعلها مطلقة، بعد أن كانت سلطة حاكم الكويت قبله محدودة النطاق، مما أفسح المجال لبعض الزعماء الكويتيين من غير آل الصباح لاكتساب صلاحيات تبرز من خلالها سلطتهم التي تفوق أحياناً سلطة الحاكم نفسه، وكان أغلب هؤلاء من التجار^(٢). قال مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد حول هذه النقطة: "إنه ليس له (أي الحاكم) الرفض ولا الخيار بعد أن يقر رأيهم على أمر. لأن السلطة الحقيقية لهم (أي التجار)، وإنما يعطى اسم الرئاسة عليهم تفضلاً، بل لقد يذهب الأمر إلى أبعد من هذا المدى وهو عجزه عن أخذ الحق من بعضهم"^(٣).

لم يكن في بداية حكم آل صباح دخلاً ثابتاً للخزينة بالكويت، فقد كان يعتمد على ما يقدمه التجار من مساعدات (رسوم عينية) غير إلزامية، فكان التجار يدفعون مبالغ سنوية طوعية كمخصصات للحاكم، ويقدمون للشيخ قرضاً عند الحاجة^(٤). مثلاً: في العام ١٢٠٤هـ / ١٧٩٠ فرضت رسوم جمركية

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٠؛ القناعي، مصدر سابق، ص ١٤؛ لينهاردت، مرجع سابق، ص ١١؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ١٤؛ الشمالان، المرجع السابق، ص ١٧.

(٣) من الأمثلة على ضعف السلطة أن رجل استدان سلعة وامتنع عن الوفاء بعد حلول الأجل، فاشتكى صاحب السلعة غريمه إلى الشيخ عبد الله آل صباح ١١٩٠ - ١٢٢٩هـ فصارحه الشيخ على عدم قدرته على إكراهه، وقال له الرأي أن تذهب إلى زوجة غريمك وتخبرها أنه علق طلاقها على عدم وفائه. (عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ٩٠ - ٩١)

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٥؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٧.

على البضائع الواردة بقيمة ١٪^(١). وارتفعت الرسوم الجمركية العام ١٢٤٦هـ/١٨٣١ إلى ٢٪ في عهد الشيخ جابر بن عبد الله الصباح ١٢٢٩ - ١٢٧٦هـ/١٨١٣ - ١٨٥٩^(٢). ووصلت في عهد أبنة صباح - ١٢٧٦ - ١٢٨٣هـ/١٨٥٩ - ١٨٦٦ - عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥ إلى ٣٪^(٣)، وفي عهد الشيخ مبارك ارتفعت الرسوم الجمركية إلى ٥ ٪ في بداية عهده ١٣١٣هـ/١٨٩٦^(٤). وإلى جانب هذه الرسوم المخفضة كانت هناك المساعدات السنوية، التي يقدمها التجار طواعيةً، والتي كانت تصل إلى ٢٠ ألف روبية سنوياً، كما ذكر لوريمر^(٥) لتسيير شؤون ومتطلبات الحكم.

إن ذلك الدخل وتلك المساعدات لم تكن تسد احتياجات ومتطلبات الحاكم، فيذكر القناعي " أن المالية لم تسد حاجات الأمراء الضرورية ولهذا يستقرضون من الأهالي... " ^(٦).

وقد حدث تغير في عهد الشيخ جابر بن عبد الله، بعد امتلاكه بساتين النخيل في البصرة، وكان أولها الواقع بمنطقة الفاو^(٧)، التي أهداها له الشيخ

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر نفسه ١٥٠٨/٣.

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥١٠/٣؛ الشمالان، المرجع نفسه ص ١١٧؛ الصباح، مرجع سابق، ص ٢٧٩؛ المنصور، الكويت وعلاقتها...، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٣) المنصور، المرجع نفسه ص ٦٦؛ الصباح، المرجع نفسه ص ٢٧٩

(٤) المنصور، المرجع نفسه ص ٦٦؛ الصباح، المرجع نفسه ص ٢٧٩

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥١٦/٣

(٦) القناعي، مصدر سابق، ص ٣٥

(٧) بساتين الفاو: تقع جنوب البصرة وهو آخر العمران من جهة شط العرب ويسكنها قبيلة الدواسر وسموها تيمناً بمدينة الفاو بوادي الدواسر وتنحصر الزراعة فيها على النخيل وبها في عهد مبارك حدود ١٠,٠٠٠ نخلة ويمتلك الصباح كل أراضي الفاو الزراعية. (إبراهيم فصيح الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، مكتبة مدبولي، القاهرة، " ط ٢ " ١٩٩٩، ص ١٨١، لوريمر دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق، ٦٩٢/٢ - ٦٩٨). جاء في مجلة "لغة العرب" لصاحبها الأب انستاس الكرملي (ص ١٩٧ أكتوبر ١٩٩١ الجزء الرابع): "خط في بال الدولة (العثمانية) بيع مقاطعة الدواسر في جوار البصرة إلى بيت الإبراهيم من أغنياء الهند. والظاهر أنها عدلت الآن عن نيتها لما رأت من وراء الأكمة ما رأت. وموقع الدواسر جليل الخطر، لأنه محاذ لجزيرة عبادان، وقريب من الكويت، ولأن المسافة بينهما قرابة ١٢ ساعة، ولا فاصل بينهما سوى خور عبادان". وهذا يدحض ما جاء على لسان البعض من أن الشيخ يوسف الإبراهيم كان من المقرنين للعثمانيين.

راشد السعدون^(١) ثم البساتين الواقعة بالصوفية التي أهداها له سليمان الزهير^(٢) وقد أدت هذه البساتين إلى تحسين دخل الأسرة الحاكمة. فأصبح الدخل يعتمد بجانب الرسوم على إنتاج بساتين النخيل في الفاو، والصوفية^(٣).

بدأ آل الصباح يعملون على تقوية نفوذهم، وتعزيز سلطتهم في الكويت عن طريق كسب بعض العائلات والشخصيات القوية في المنطقة، فقد تزوج الشيخ صباح بن جابر من ابنة الشيخ محمد الثاقب شيخ الزبير^(٤). وأول مصاهرة لآل الصباح مع عوائل كويتية كانت مع عائلة آل إبراهيم^(٥) والنصف^(٦). وكذلك صاهروا بعض القبائل ذات السطوة بالمنطقة مثل قبيلة العجمان^(٧). وهكذا عمل آل الصباح على تقوية نفوذهم بالمصاهرة مع العائلات الكويتية، ومع عوائل وقبائل من خارج الكويت.

(١) الشيخ راشد بن ثامر السعدون شيخ المنتفق: وقع في خلاف مع سلطات الدولة العثمانية بالعراق فلجأ إلى الكويت واستقبله الشيخ جابر استقبلاً كريماً فأهداه الفاو رداً لجميله معه. (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٠؛ الحيدري، مصدر سابق، ص ٨٧.

(٢) خزعل، مرجع سابق، ١/١٠٥، السعدون، أحداث في تاريخ الخليج، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٣) ستانلي هوب، الهارب إلى الله (قصة الحاج عبد الله وليا مسن) تقديم: رضوان مولوي، الدار المتحدة، بيروت، ١٩٧٤م، ص ١٤٤

(٤) محمد إبراهيم الثاقب: شيخ الزبير، تولى مشيختها بعد والده ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م لكنه دخل في صراع مع بعض عوائل الزبير، مما جعله غير مستقر بمشيخة الزبير حيث تولاه ثلاث مرات واستقر في الكويت فترة وقتل وهو شيخ للزبير ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م وزوج صباح ابنته نورة التي أنجبت أبناءه "محمد وجراح ومبارك" (الصانع، مرجع سابق، ١/٧٩ خزعل، مرجع سابق، ١/٩٥ - ٩٦؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص ٤٩

(٥) تزوج علي بن جابر آل صباح شيخة بنت علي بن محمد آل إبراهيم (مقابله مع - محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنتاس بدولة الكويت في ١٠/٦/١٤٢٣هـ، الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية مرجع سابق، ص ٨٢

(Rush Alan, Al Sabah History Genealogy Of Kuwait's Ruling Family 1752-1987, Ithaca Press, London - 1987, p246.

(٦) تزوج دعيج بن جابر آل صباح مريم بنت بدر النصف (آل إبراهيم المرجع السابق، ص ١٩)

(٧) تزوج مبارك آل صباح من ابنة سعيدان بن حثلين العجمي؛

AL Ghanim Salwa, The Reign of Mubarak Al Sabah Sheikh of Kuwait, 1896-1915, I.B.Tauris Publishers', London. New York.,p13

عهد محمد آل صباح^(١)

في أثناء البحث عن جذور الخلاف بين أبناء الشيخ صباح بن جابر، محمد ومبارك وجراح، لمنا اختلافاً واضحاً في الجوانب الشخصية والميول والاتجاهات لكل منهم، حيث مثلت دوافعاً لجذور الخلاف بينهم لا يمكن أن تؤول في نهايتها إلا للصراع حول السلطة. ومما ساعد على ظهور ملامح الخلاف الحقيقي تلك الصفات التي اتسم بها كل من الأخوة الأشقاء الثلاثة محمد ومبارك وجراح. وبداية سنقوم بعرض وتحليل الصفات الشخصية لكل طرف من أطراف هذا الخلاف، ليسهل علينا بعد الوقوف عند استعدادات كل طرف، وإمكانياته الذاتية في خوض غمار الصراع حول السلطة.

مثلَّ الشيخ محمد بن صباح ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/١٨٩٢ - ١٨٩٦، الذي ولد عام ١٨٤٠م وهو أكبر الأشقاء، محوراً رئيساً في هذا الخلاف، ففي عهده تأصلت جذوره. قال عنه القناعي: "لا أكون مبالغاً إذا قلت إن محمداً الصباح هو الرجل الوحيد في زمنه المتصف بالعفة والنزاهة"^(٢). وأثنى آخرون بالقول: كان رقيق الطباع عفيفاً، وقوراً ميالاً إلى الهدوء^(٣). أما ما وصفه بعض المؤرخين ممن لم يفرقوا بين الظن والشك واليقين ودون أن يحققوا في المقصود لكشف مطامير التاريخ: "كحاكم افتقر إلى مقومات القيادة والحكمة السياسية خلال فترة حكمه". هي خديعة اجترح سيئها نفر ممن كتب كلام غير مسؤول وهو ما سوف ندحضه ونميط اللثام عن دوافعه. وفي المأثور الشريف: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، وخير القول من يدفع بغي ويبدد جهلاً جاثماً". لكنه كان كثير الصمت قليل الكلام، متديناً يحب العلماء ومجالستهم، محباً للخير رقيق القلب سليم الصدر، محباً لقومه أشتهر بدمائة خلقه

(١) تولى الشيخ محمد بن الصباح الثاني مقاليد الحكم في الكويت العام ١٨٩٢، وكان لين الجانب، رقيق الطباع، أشرك في الحكم أخاه جراح. وكانت الكويت في عهده مزدهرة في ميدان السياسة والاقتصاد. لُقّب بأسد الجزيرة لقوة شخصيته، وحكمته السياسية، وأنه حافظ على الكويت من الأخطار المحلية والخارجية، التي كانت تهددها (كتاب تاريخ الكويت يوم بيوم ١٦٥٠ - ٢٠٠٦، ص ٢٥ اعداد د. صالح محمد العجيري، د. محمد محمد أحمد عيسوي، عبد العزيز بدر محمد بوهندي).

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ١٣٧؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣

ونزاهته^(١). غير ميال لكسب الشهرة، قنوعاً لا يطمح إلى تحقيق أكثر مما هو بين يديه^(٢). وكون صفة "الضعف في الإدارة والنقص في الخبرة في الحكم الخ... من التخريجات أموراً غير صحيحة كما نوهنا لها.

لكن، من المؤسف حقاً أن يكون ماكتبه ديكسون في "عرب الصحراء" والصادر ١٩٤٩، ثم لحقه بطبعات عدة: ١٩٥١، ١٩٥٩، ١٩٦٧، ١٩٧٢، ثم طبعة مزيدة ساهم فيها ابنته زهرة فريث وروبرت ويلسون، أحد موظفي الخارجية البريطانية، هو المرجع المرتكز عليه في معظم ما كُتب وما حدث في ليلة ١٧ مايو ١٨٩٦، وهو اغتيال حاكم الكويت السادس الشيخ محمد بن صباح بن جابر، وشقيقه الأصغر جراح بيد شقيقهما الأوسط مبارك. والذي اعتبره ديكسون عملاً وطنياً، وحسب رأيه ألا تنزلق الكويت إلى المجهول نتيجة ضعف الشيخ محمد (١٨٩٢ - ١٨٩٦)، حينما نعته باطلاً جارحاً بالقول: "خامل Lazy"، وبلا شخصية Spineless. ونعت شقيقه الشيخ جراح: بالعاجز، والكسول Slothful، والبائس Helpless. وبأنهما كانا تحت هيمنة العراقي اللا أخلاقي، حسب قوله، يوسف بن إبراهيم شيخ الدورة، وقال عنه: إنه عميل عثماني مأجور، طامح بحكم الكويت! (كذا).

ومن المعلوم أن ديكسون الذي كان يتمتع بوضع وظيفي فريد في النصف الأول من القرن العشرين. حيث كان معتمداً سياسياً في الكويت لبريطانيا (١٩٢٩ - ١٩٣٦)، ثم عاد معتمداً العام ١٩٤١، ثم ترك الخدمة، بعد فترة قصيرة جداً، لأسباب مازالت غامضة. وبعدها تبناه الشيخ أحمد الجابر، حاكم الكويت العاشر، فأصبح من المقربين لديه، ثم عمل في شركة نفط الكويت، متمتعاً بمزايا غير معهودة لا يحيط بها موظف بريطاني متقاعد، حتى مات

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٥؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ١٣٧؛ مقبل بن عبد العزيز الذكر، مخطوطة العقود الدرية في تاريخ نجد وآل سعود، مكتبة جامعة بغداد رقم ٥٧٠، ص ٩٩؛ الشملان، من تاريخ الكويت، المرجع السابق، ص ١٣٦؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٤٨؛ أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٢٦٣

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ الذكر، مصدر سابق، ص ٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١٥٣/١؛ راشد بن فاضل البنعلي، مجموعة الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل، تحقيق حسن آل ثاني، الدوحة، قطر ٢٠٠١م ص ١٤٥؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٩؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ p119، Rush, Al Sabah, op, cit,

١٩٥٩. فظلت أرملة بعدة تحت الرعاية نفسها حتى الغزو العراقي للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠، وموتها بعد ذلك بعد أن أخليت لبريطانيا.

لقد اندلق اللوم والالتهام والاساءة كما يصب الزيت على النار، والا فكيف يكون الحكم على المرحلة هذه بمثل تلك الأراجيف، وهي فترة قريبه عايشها الكثيرون ولم يصدر عن ثقاتهم ما يؤكد هذه النعوت، فكيف يحق لمن لم يكن قد عاشها إطلاقاً إصدار مثل هذه الافتراءات. لقد تولى الشيخ محمد الحكم بعد وفاة أخيه الشيخ عبد الله بن صباح في ٢٤ شوال ١٣٠٩هـ/ ٢٢ مايو ١٨٩٢، وقُتل في ٢٥ ذي القعدة ١٣١٣هـ/ ٨ مايو ١٨٩٦، أي أن فترة حكمه لم تكمل أعوام أربعة. على خلاف خمسة ممن سبقه من الحكام وكان مجموع مدة حكمهم ١٣٦ عاماً، بمعدل ٣٤ سنة لكل حاكم. فكيف يحق لديكسون أو غيره الحكم عليه، وتقييمه هذا التقييم المجحف، عن فترة حكم غاية في القصر وغير مؤهلة للتقييم، لقد جعلت الأمم المتقدمة حالياً فترات الحكم على أن لا تقل عن خمسة أعوام للحكم عليها، فما بالك عن زمن كانت وسيلة النقل فيه الإبل والسفن الشراعية، ببقعة صغيرة في ركن قصي من العالم تعيش البساطة بكل تجلياتها، ولا تقلق مضاجعها سوى الكوارث الطبيعية، بلدة حاملة لا تعرف العنف ولا تأويه، حيث، ومنذ تأسيسها، لا يدخلها حامل سلاح، ولم يحدث ما يُعكر صفوها قط إلا هذا الحدث الجلل. وينسب الى الكولونيل لويس بيلي، المقيم السياسي في بوشهر، والذي زار الكويت لمرتين: ١٨٦٣، ١٨٦٥: "وفي المساء يُقدم الشيخ العشاء لكل من يدخل مجلسه، والأمر الوحيد الممنوع هناك هو حمل السلاح، لذلك تُترك الأسلحة عند بوابة الكويت، ولا تتجاوزها إلى داخل المدينة".

وهنا لا بد لنا من وقفة رصد أمام تسلسل أحداث فترة حكم الشيخ محمد وما قبلها، هي شواهد تفند ما ذهب إليه رواة الكذب والافتراء:

– ساهم في إدارة الإمارة مع أخيه الأكبر الشيخ عبد الله بن صباح، وقضى على فتنة تسببها أحد التابعين للشيخ عبد الله، بعد أن تردد الأخير في حسمها، كما سنرى لاحقاً.

– ساهم في الحملة العسكرية إلى الإحساء، ومنح نيشان المجيدي مقابل خدماته في الحملة، أسوة بشقيقه مبارك، وذلك في ٢٨ جمادي أول ١٢٨٨هـ/ ١٠ يونيو ١٨٧١م (راجع الإرشيف العثماني، وثيقة رقم

- ١٠٤٤٢٣٠). "راجع السبيعي، الحملة العسكرية التركية على الاحساء والقطيف وقطر."
- توسط في إصلاح ذات البين العام ١٢٨٠هـ في خلاف نشب بين شيخ البحرين محمد آل خليفة وشقيقه علي، وقد نجح بالمهمة. راجع تاريخ الكويت للرشيدي.
- ساعد مادياً مواطنيه خارج الكويت، حينما تعرض التاجر الكويتي سالم بن بدر القناعي لأزمة مالية في البصرة في عهد الشيخ عبدالله الثاني. راجع من هنا بدأت الكويت، الحاتم.
- من الغريب أن من كتب عن هذه الحقبة لم يلاحظ أمراً هاماً هو أن الحكم منذ تأسيس الكويت كان وراثياً ينتقل من الاب إلى الابن. ولكن الحالة الفريدة في انتقال الحكم من أخ إلى أخيه هي حالة الشيخ محمد في عام ١٨٩٢م على الرغم من وجود أبناء بالغين للشيخ عبدالله بن صباح. وهذا يدل على اتفاق الجميع بأحقية الشيخ محمد لتولي الحكم. لتصبح سابقة تكررت عام ١٩١٧م بعد أكثر من عقدين بانتقال الحكم بوفاة الشيخ جابر ابن مبارك إلى أخيه الشيخ سالم بن مبارك.
- لم يحدث خلال توليه الحكم ما يثبت ضعفه، ولم تُثار شكوى من تصرفاته، حيث مارس الحكم مثل سابقه في المشاورة والشورى. وقد حزن الجميع عليه حينما قُتل، وهذا ما أجمع عليه المؤرخين من معاصريه مثل القناعي والرشيدي. وقبلهم الشاعر عبدالله الفرج الذي مدحه وعتب على أخيه الحاكم آنذاك الشيخ عبدالله بقصيدة طويhle منها:
- اقول ما ثاب المشفي سؤاله لا والذي نزل تبارك والانفال
عينت لولا من لقيت بجواله نخري محمد بوعلي زاكي الخال
- لم يُبعد شقيقه الشيخ مبارك إلى البادية، بل كانت إدارة البادية توافق ميول مبارك، مثلما إدارة الأمور المالية كانت توافق شقيقه الأصغر جراح.
- لم يذكر الشيخ مبارك في رسائله وأحاديثه لاحقاً أن شقيقه محمد الحاكم، آنذاك، كان ضعيفاً، أو أنه لا يصلح لإدارة شؤون البلاد، ولم نعثر في سعينا على أي وثيقة تثبت ما ذهب إليه ديكسون ومن تقفى خطاه.
- استقبل في بداية عهده الإمام عبد الرحمن الفيصل السعود وأبنائه وأسرتهم للإقامة في الكويت العام ١٨٩١، والتي اختارها الأخير بدلاً من بقية بلدان

الخليج الأخرى، وشخصية بوزن الامام عبدالرحمن لا تلجأ الى بلد متأزم، وهل يُستجار من الرمضاء بالنار؟

— لم تفرض في عهده الضرائب، ولا نشبت الحروب، أو مورس ظلم أو وجه عسراً في المعاش ولا ما عكر صفو الحياة، ليجلب النقمه. وحادثه إغتياله في فراشه لا تدل على عدم شعبية وسخط الناس عليه فلم يدر بخلده ما يجعله يحيط نفسه بحراسة فقد عدل ونام.

— أما صلته بالشيخ يوسف الإبراهيم فهي صلة نسب، وعلاقة راسخة، ولم تأت من فراغ، ولم يكن الشيخ يوسف طارئاً على الكويت بل كان من الأصدقاء فيها، وصاحب وجهة كبقية أعيان البلاد، ومكانته الأسرية محفوظة من عهد آبائه وأجداده. وحسب القناعي: "من أثرى البيوت في الكويت، وحصل له من العز والإقبال"، ولم يقل من الظلم والاستبداد. فلا الإمارة هاجسه، أو الحكم ملهمه، ولا الخيانة صفته أو ديدنه. وقد اعترف الشيخ مبارك نفسه بهذه الحقيقة في أحد رسائله عندما قال: "إننا حمولة واحدة. وأفضل أبوه وجده على جابر وصباح". إلا أنه، خلافاً للود الذي كان له مع الشيخين القتيلين، كانت له جفوة مع الشيخ مبارك، تحولت إلى فجوة، وقد حاول أن يكون جزءاً من الحل لا جزءاً من المشكلة، لذا ابتعد عن ذلك الجو المكفهر، الذي فيه الحقيقة مضللة والعقل معطل عن معرفة الحق. فلا صحه في كتب اللؤم والاثام والاساءة.

تلك كانت أبرز صفات الشيخ محمد الصباح وخصاله الذاتية، التي أثرت في فترة حكمه القصير.

أما شقيق محمد الشيخ جراح، الذي نعته باطلاً ديكسون بالعاجز والكسول، فقد عُرف عنه أنه صاحب دراية في شؤون الاقتصاد والمال، وعقليته في هذا المجال كانت متطورة قياساً بمستوى ذلك الزمان. فهو أول من نظم الإشراف على ميزانية الإمارة، وعمل على زيادة الدخل. ويعود له الفضل في الاهتمام بأموال آل الصباح في الفاو، حيث زاد الربيع زيادة مطردة. وشيد أسواق للحم، والسمك، وقد ساعدت إيجارات الدكاكين في تعزيز وتنويع مصادر الدخل (راجع تاريخ الكويت، ص ١٣٩). ومما يدل على بعد نظره أنه استقدم معلماً متخصصاً في الحساب التجاري إلى الكويت، لتعليم الشباب وإعدادهم في

هذا المجال، (راجع عبدالله النوري، تاريخ التعليم في الكويت). وحصيلة القول كان "الشيخ جراح رجلاً محباً للمال حريصاً على جمعه، وشديد الحذر من التفريط به، ولا يلهوه عن الانصراف إلى تنميته أي سبب مهما تعالي أو سما، ولا يحول عن هذا المبدأ بأي حال من الأحوال" (تاريخ الكويت السياسي، ص ١٥٣). وقد قال القناعي في الأشقاء الثلاث، في زمن الشيخ عبد الله: "محمد يباشر الأحكام للحضر ويشاركه مبارك في ذلك، ويختص بأغلب الأحكام في بدو الكويت. أما جراح فأغلب عمله في المالية، فهو وزيرها ومباشرته للأحكام قليلة. وقبل جراح لم يكن لبيت الإمارة مالية تُذكر. فالدخل ضعيف جداً، ولا يسد حاجة الأمراء بل ربما أحوج الأمر للاقتراض من الأهالي، ولكن جراحاً التفت إلى الفاو (بساتين نخيل) وعمره، وأخذ يؤدي الحاجة، ويزيد، وقد بنى عدد من الدكاكين سنة ١٢١٢، ومنها سوق اللحم والسّمك، فصار الدخل ينمو، ويُدخر الفاضل منه" (صفحات من تاريخ الكويت، ص ٢٤).

لقد ولد الشيخ جراح بن صباح عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٨، وعرف عنه شدة الذكاء والبساطة في المعيشة، والقدرة على التخطيط والتنظيم^(١). وأظهر ميلاً إلى إدارة الأموال، وحرصاً حريصاً شديداً على جمعها، وعدم التفريط فيها، فكان لا يشغله شاغل عن تنمية المال وإدارته مهما علا وسما^(٢). ولقدراته الاقتصادية والمالية أوكل له أخوه الشيخ عبد الله ١٢٨٣ - ١٣٠٩هـ/١٨٦٥ - ١٨٩٢ الشؤون المالية في الإمارة^(٣). وفي عهد خلفه الشيخ محمد ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/١٨٩٢ - ١٨٩٦ بقي في منصبه لإدراكه ميول أخيه، الذي أصبح واسع الخبرة شامل المعرفة بالإدارة المالية^(٤)، فتنوع معه الدخل لمالية العائلة الحاكمة، وذلك بتطور شؤون المالية معه^(٥). أحب جراح التعليم، وخصوصاً في ما يتعلق بإدارة

(١) جمال قاسم، مرجع سابق، ص ٣٠٩، المنصور، " الشيخ يوسف آل إبراهيم وعشر سنوات...، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٦٥٨/٢؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٣؛ المنصور، عبد العزيز، الكويت وعلاقتها، مرجع سابق، ص ٤١؛ السعدون، العلاقات... مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٤) القناعي، المصدر نفسه ص ٢٤؛ الشمالان، المرجع نفسه ص ١٣٩. Rush, Al-Sabah, Op, Cir, P119.

(٥) القناعي، المصدر نفسه ص ٢٣؛ الشمالان، المرجع نفسه ص ١٣٩.

الأموال^(١). ومع باعه المالي كان يفتقد للحنكة والقيادة السياسية والعسكرية، وكان مسالماً يميل إلى الدعة والسكون، ولم يكن لديه ميل للحروب وكسب الشهرة^(٢)، بقدر ما كان حريصاً على جمع المال إلى درجة التقتير^(٣).

عموماً، ان مثل هذه الاعمال والانجازات والصفات لا تدل على ان الشيخين الشقيقين محمد وجراح مثلما نعتهما ديكسون من الضعف والخمول والكسل! لكن، كما قال أمين الريحاني: "ومما يؤسف له في مثل هذا الحال ان لا يكون للمندوب السامي، ولا السلطان ترجمان يحسن الترجمة فأنجليزية الدكتور عبدالله (الدملوجي) مثل عربية الميجر ديكسون لا تصلح للأمم".
(تاريخ نجد الحديث، طبعه ٦، ١٩٨٨، ص ٣١١).

أما الشقيق الاوسط الشيخ مبارك فقد ولد عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤^(٤). ونشأ مع إخوانه، وتعلم تعليماً تقليدياً، ويذكر حافظ وهبة، الذي كان على مقربة من الناس الذين عاشوا تلك الفترة، بالقول: "ومع أن للعلم والعلماء منزلة في نفوس شيوخ العرب، وعامة العرب، فأن الشيوخ قلما يعنون بتعليم أبنائهم، وتثقيفهم، وقلما يعنون بغير الرماية الفروسية، والصيد والقنص، وبعضهم يرى طلب العلم عيباً. لأن ذلك قرين الجمود، وانتظار الصدقات. أما الإمارة فقريئة الحركة والنشاط والتفكير" (جزيرة العرب، ص ١٣١). وأردف وهبة قائلاً: "كان طويل القامة، أسمر البشرة، قوي الذاكرة، صلب الإرادة"^(٥). بينما وصفه دستاني

(١) استقدم جراح معلم مادة "الحساب" من منطقة الإحساء ليدرسها وينشرها بين التجار لتنظيم دفاتر حساباتهم (عبد الله النوري، قصة التعليم في الكويت في نصف قرن "ط ١" ذات السلاسل، الكويت، (د - ت)، ص ٥٥)

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥؛ السعدون، العلاقات... مرجع سابق، ص ٢٨؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٤٠؛ خرعل، مرجع سابق، ١٥٤/١

(٣) البنعلي، المصدر نفسه ص ١٤٥؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٦٥٨/٢؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٣٨.

(٤) خرعل، مرجع سابق، ١١/٢، سليمان حسن محمود، مرجع سابق، ص ١٦٨؛ المنصور، الكويت وعلاقاتها... مرجع سابق، ص ٤٧؛ وذكر عبدالله البسام أنه ولد سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٣٣م (عبدالله البسام، مصدر سابق، ص ٤١٣).

(٥) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٤٢٠هـ، م ٢٠٠٠، ص ٨٥.

ماليري Mallery وهو في العقد السابع من عمره قائلاً: "كان مبارك الصباح نحيفاً، وعيناه ثاقبتين تخترقان محدثية، أسمرًا، وكان وجهه قوياً يعكس قوة الإرادة والتصميم، كان وجهه وجه قائد بالسليقة"^(١). أما عن حبه للمجد والشهرة، وطموحه الزائد، وإقدامه الشجاع، فقد مثلت في مجملها صفاتٍ مشتركة بين أغلب مَنْ وصفوه.

قيل: كان الشيخ مبارك الصباح قوي الشكيمة حازماً جريئاً داهية، وكان جباراً عنيفاً مقداماً لا يهاب الموت في سبيل العلا محباً للشهرة والمجد^(٢). وإلى جانب ذلك ذو مطامع بعيدة يكل الطرف دون غايتها^(٣)، بخلاف أخويه اللذان كانا يضيقان بطموحه^(٤)، وكان كريماً لدرجة التفريط، مما أثار عليه أخويه ومنعاه عنه المال^(٥). يتمتع بالذكاء ومسايرة الناس واستمالتهم^(٦)، مع أنه كان قليل المخالطة^(٧)، وله دراية واسعة بالشؤون الدولية^(٨)، كان يلعب على كل حبل، ويبتسم لكل مقبل عليه، ويصارع دهاء هذا بدهاء ذاك^(٩) ويُلَوِّحُ أنه من أصحاب الشخصية المزدوجة^(١٠).

أما عن حياته الخاصة، فلم يكن منقطعاً عن الأُنس والطرب، وكان إذا

(١) ستانلي ج ماليري، الكويت قبل النفط " مذكرات ستانلي ج ماليري الطبيب في البحرين والكويت ١٩٠٧ - ١٩٤٧م، ترجمة وتقديم محمد غانم الرميجي، " ط ٢ " دار قرطاس للنشر، الكويت ١٩٩٧م، ص ٤٩.

(٢) الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٦٥٨/٢؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٤٢؛ فتوح الحترش، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠ - ١٩٢١م " ط ٢ "، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤م ص ١٥؛ السعدون، خالد، العلاقات... مرجع سابق، ص ٢؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٧؛ خرعل، مرجع سابق، ١/١٥٣.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ ماليري، مصدر سابق، ص ٤٩.

(٤) الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٤؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٦٥٨/٢.

(٥) حسن سليمان محمود، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٦) خرعل، مرجع سابق، ١/١٥٣؛ ماليري، المصدر نفسه ص ٤٩؛ الحترش، مرجع سابق، ص ١٥؛ الريحاني، تاريخ نجد، ص ١١٠.

(٧) ماليري، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٨) الحترش، المرجع نفسه ص ١٦.

(٩) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، " ط ٧ "، دار العلمين، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٢؛ الريحاني، تاريخ نجد، ص ١١٠.

(١٠) الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٧.

فرغ من أعماله نهائياً رَوَّحَ عن نفسه في قصوره ليلاً^(١)، واشتهر بلبس الثياب الحريرية، وتدخين التبغ، والانغماس في الترف والبذخ، يقدّم بعد حبه للمجد والشهرة نواعم العيش على كل شيء سواها^(٢). تلك كانت أبرز صفات الشيخ مبارك الصباح التي أوجزها الريحاني بالقول: "كان حاد المزاج، شديد البأس، كثير التقلب، فيه شيء من الأسد وأشياء من الحرباء، بدوي الطبع، حضري الذوق، تارة يحبه الخصم وطوراً يجامله، وكان كريماً جواداً، بل كان مسرفاً"^(٣).

كما لا يفوتنا التنويه عن عدم موضوعية مؤرخ آخر في كتابة تاريخ الكويت، ألا وهو عبد المسيح الأنطاكي. ونكتفي بما طرحه الشيخ يوسف القناعي في كتابه المقتطفات (الطبعة الثانية ١٩٩٨، ص ٣٥٤ - ٣٥٥) تحت عنوان "بيان حقيقة للتاريخ" يقول: "إن كتاب آيات الصباح في مدائح مبارك الصباح لعبد المسيح الأنطاكي، طبع سنة ١٢٢٩هـ، ولما وصلت النسخة إلى كمرك الكويت أطلعني المرحوم ناصر بن مبارك الصباح على نسخة منه، فقلت له: أنصح والدك في إخفاء هذا الكتاب. لأنه مهازل وأكاذيب أفترها الأنطاكي، ليس لها صحة بتاناً. وإذا انتشر هذا الكتاب فسيكون أضحوكة الزمان عليكم بين أهل الكويت وغيرها. فتكلم ناصر مع والده، فأمر بحبس الكتاب في كمرك الكويت، وعهدي به في صناديق مكدسة في الكمرك. ولا أعلم الآن عنه بشيء، ولعله أحرق أو أغرق".

قال الأنطاكي في مبارك الصباح: "ولد مبارك عام ١٢٦٠هـ، ولما بلغ الخامسة من عمره أحتضنه جده (حاكم الكويت الثالث ١٨١٤ - ١٨٥٩ جابر ابن عبد الله)، فجاء له بأستاذ من كبار العلماء، وعكف على تربيته وتهذيبه على آداب الدين الحنيف. ولم يبلغ الثامنة من عمره حتى حفظ القرآن على لوح صدره، وشرع يتفقه في الأحكام الشرعية. وعندما بلغ العاشرة كان لا يكتفي بتلاوة دروسه، وتلقي شروحات شيخه. بل كان يسأل عن كل شيء، مما أدهش ذلك الشيخ. وفي الرابعة عشر أنهى من دروسه بنجاح خارق، فتصدر

(١) خزعل، مرجع سابق، ١٥٣/٢

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١٠٩؛ ماليري، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٣) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، مصدر سابق، ص ١٠٩.

مجالس الحكم، وأظهر ميلاً شديداً إلى العدل ما عهده الناس في حاكم من عهد عمر (ابن الخطاب). وما ذكرته ما هو إلا ذرة من ساحل الرمل".

ولبيان زيف ما كتبه الأنطاكي من أن الشيخ مبارك تربي تحت رعاية جده الشيخ جابر بن عبد الله، أنه حينما زار المقيم البريطاني في الخليج لويس بيبي الكويت العام ١٨٦٥، في عهد حاكمها الشيخ صباح بن جابر بن عبد الله الصباح، نقل عن الأخير قوله في والده: "حينما بلغ والدي مئة وعشرين عاماً من عمره دعاني وقال: سوف أموت قريباً، وأنا لم أجمع ثروة، ولهذا لن أترك لك مالاً، ولكنني كونت العديد من الأصدقاء المخلصين فأحرص عليهم. وأعلم أنه في الوقت الذي سقطت خلاله دول أخرى من دول الخليج بسبب فقدان العدالة أو سوء الحكم، فإن حكومي استمر ودولتي تزايدت، فاستمسك بسياستي. وأعلم أنك وإن كنت محاطاً بصحراء وتواجه أعداءك، ومازالوا يتجولون في المنطقة فإنك تواصل الازدهار" (بحوث مختارة من تاريخ الكويت، مركز البحوث الدراسات الكويتية ٢٠٠٥، ص ٤٠). وهنا تأتي الحقائق الداحضة لما كتبه الأنطاكي: أولاً، كان سن الجد حين وفاته (١٨٥٩) مئة وعشرين عاماً (حسب رواية الشيخ صباح بن جابر الأنفة). وإذا كان الحفيد قد ولد عام ١٨٤٤ فإن عمره عند وفاة جده كان ١٥ عاماً فقط. وأن الجد حين ولادة الحفيد كان عمره ١٠٥ عام، فعندما بلغ الحفيد (الشيخ مبارك) إلى سن التربية والتعليم، أي خمسة أعوام، أصبح عمر الجد ١١٠ سنة. وحينما أصبح عمر الحفيد ١٢ عاماً، واختيار أحد العلماء لتعليمه، أصبح عمر الجد ١١٧ سنة. فهل يُعقل أن رجلاً بلغ هذا العمر قادر من رعاية وتربية أطفال؟ ومن المعروف بأن الشيخ جابر بن صباح (الحاكم الثالث) قد ترك الحكم لأبنة صباح في سنواته الأخيرة لكبر سنه وضعفه، والذي وضع جلياً عند لقائه المقيم البريطاني في الخليج هنيل وتوقيع معاهدة الالتزام بالهدنة البحرية نيابة عن أبيه في ٢٤ أبريل ١٨٤١ م.

اتضح من خلال دراستنا للصفات الشخصية للشيخ محمد، وأخويه الشيخين مبارك وجراح، طبيعة العلاقة القائمة بينهم على التفاوت في المبادئ، والتباين في الميول والطباع، مما أدى إلى التباين، ومن ثم التصادم في النهاية بينهم^(١). ومع أن الرواية المحلية لتاريخ الكويت لم تؤكد أن الشيخ محمد آل

(١) خزعل، مرجع سابق/١/١٣٥

صباح ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/ ١٨٩١ - ١٨٩٦م قد انفرد بالحكم دون أخويه الشيخين مبارك وجراح الصباح، فهي كثيراً ما أشارت إلى أن الشيخ محمداً قد أشرك جراحاً معه في تصريف أمور الحكم، وولى أخاه مباركاً شؤون حفظ الأمن في البداية^(١)، وكان الدور الذي كلف به الشيخ محمد أخاه مباركاً قُصد من ورائه الإقصاء من الحكم^(٢). لكن، أكدت المؤشرات التاريخية في عهد الشيخ عبد الله الصباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩هـ/ ١٨٦٥ - ١٨٩٢م أن توزيع السلطة على النحو الذي استعرضناه^(٣) لم يكن سبباً أصلاً في نزاع الأخوة حول السلطة، ناهيك أن يكون هو السبب المباشر في رأي هؤلاء الكتاب. وفي ما يلي نأتي الأعمال وأهم الأدوار التي مثلها كل من الأخوة الثلاثة: الشيخ محمد وجراح ومبارك الصباح، قبل عهد الشيخ محمد الصباح.

قام الشيخ محمد بعدة أعمال كلفه بها أخوه الشيخ عبد الله الصباح، ففي العام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، فقد بعث الشيخ عبد الله الصباح بأخيه الشيخ محمد في مهمة رسمية إلى البحرين، وأرسل معه رسالة إلى الشيخ علي بن خليفة^(٤) يحذره فيها من عاقبة إزاحة أخيه عن الحكم، وينصحه بتسليم مقاليد الحكم لأخيه^(٥). وهناك رواية تشير إلى زهاب الشيخ عبد الله الصباح بنفسه

(١) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٦؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٤٨؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٧؛ حسن سليمان محمود، مرجع سابق، ص ١٦٧؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥.

(٢) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٠٧؛ غيورغي بوند أريفسكي، الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ترجمة: ماهر سلامة، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٤م، ص ٩١؛ فريز، زهرة ديكسون، الكويت كانت منزلي، ترجمة فتوح الخترش، ذات السلاسل الكويت ص ٤١؛ المنصور، الكويت وعلاقتها بعربستان...، مرجع سابق، ص ٤١؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٠؛ السعدون، العلاقات، مرجع سابق، ص ٢٨.

Rush, Al Sabah, Op, Cit, P119; Al Ghanim OP, CIT, P10

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك (دراسة وثائقية مقارنة بالمؤرخين المحليين) ترجمة: فتوح الخترش، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٣١.

(٤) علي بن خليفة: استولى على الحكم في البحرين بعد هروب أخيه محمد منها لخوفه من البريطانيين وطالب محمد أخاه علياً بالحكم لكنه رفض مما أدى لقيام حرب بينهما قتل علي في هذه الحرب سنة ١٨٦٩م (الكندري مرجع سابق، ص ٨٦).

(٥) الحيدري، مصدر سابق، ص ١٨٩؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٥؛ الحاتم مرجع سابق، ص ٣١؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٣٥

للبحرين^(١) واصطحب معه أخاه الشيخ محمداً في هذه المهمة^(٢). وبهذا تكون مهمة الشيخ محمد الصباح مبعوث سلام بين الأخوين المتخاصمين في البحرين، أول وساطة خاصة يقوم بها أحد أفراد آل صباح.

وأشترك الشيخ محمد الصباح في حملة مدحت باشا للاستيلاء على الإحساء والقطيف، حيث سافر إليهما في أواخر العام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١، وكان وجوده هناك أمراً ضرورياً، حيث كانت مركزاً للإمدادات العسكرية وتموين الجند. أما الشيخ عبد الله، والشيخ مبارك فقد صحبا الحملة منذ انطلاقها في ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١^(٣). وساهم ثلاثة من آل صباح في إنجاح هذه الحملة^(٤).

ومن أهم الأعمال التي قام بها جراح بن صباح، في عهد الشيخ عبد الله ابن صباح، هي تنظيم مالية الإمارة، التي أحرز فيها نجاحاً ملموساً، وبذل في سبيل تنميتها وأعمارها جهداً مقدراً، فأثبت كفاءته في الإدارة المالية في وقت لم يكن للكويت مالية منظمة. ذلك لضعف الدخل الذي قد يضطر الشيوخ أحياناً إلى الاستدانة من الأهالي، لسد حاجتهم الضرورية^(٥). وما أن بدأ جراح في إصلاح بساتين النخيل بمنطقة الفاو والصوفية^(٦) في عهد الشيخين عبد الله ومحمد، حتى أصبحت تدر ريعاً جيداً^(٧). كذلك عمل على إيجاد موارد دخل جديدة للمالية، فقام ببناء عدد من الدكاكين في سوقي السمك واللحم وتأجيرها^(٨)، ووضع الخطط الاقتصادية لتشجيع التجارة،

(١) الحاتم مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٣٦؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٣٥؛ الحاتم مرجع سابق، ص ٣١؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٣) الأرشيف العثماني، استنبول، أوراق الباب العالي، رقم BEO ٤٤١٩٦ بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ، صلاح العقاد، مرجع سابق، ٢/ ٩٤٢؛ كورشون، العثمانيون وال سعود، مرجع سابق، ص ١٦٨؛ السبيعي، الحملة العسكرية، مرجع سابق، ص ٨١.

(٤) أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٢٦٢؛ السبيعي، المرجع نفسه ص ٨١؛ الأرشيف العثماني، استنبول، أوراق الباب العالي، رقم BEO، رقم ٤٤٢٣٠ بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ.

(٥) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣.

(٦) القناعي، المصدر نفسه، ص ٢٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٢؛ الحيدري، مصدر سابق، ص ١٨١.

(٧) القناعي، المصدر نفسه، ص ٢٣؛ العيدروس، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٨) القناعي، المصدر نفسه، ص ٢٣.

واعتنى عناية خاصة بالتجارة والتجار، حتى أخذت الكويت تنمو نمواً اقتصادياً زاهراً^(١).

عندئذ بدأت بوادر الخلاف تظهر لأمور يكفي التلويح بها ليصبح الشيطان حاضراً بين الشيخين جراح ومبارك، وذلك لحرص الأول وإسراف الثاني^(٢). إلا أن ملامح الخلاف بدأت تتكشف للعيان عقب وفاة الشيخ عبد الله الصباح العام ١٣٠٩هـ/١٨٩١^(٣). أي مع بدايات عهد الشيخ محمد الصباح، فأخذ الشيخ جراح يتقرب إلى أخيه الشيخ محمد، حتى نال ثقته وشاركه في حكمه مشاركة فعلية، حتى أصبح صاحب النفوذ الأكبر لدى شقيقه محمد^(٤) لتتبلور بذلك بوادر الخلاف التي نشأت في عهد الشيخ عبد الله، ثم لتستفحل وتبرز إلى العيان متمثلة في معارضات جراح الصباح لآراء وأعمال مبارك، يدعمه في ذلك نفوذ الشيخ يوسف، الذي اكتسبه عن طيب خاطر من شيخ الكويت محمد^(٥).

أما نصيب الشيخ جراح في الأعمال العسكرية، في عهد الشيخ عبد الله، فقد تمثل في تلقيه الأوامر بالاشتراك ضمن القوة، التي أرسلها الشيخ عبد الله لمنصرة الحاج جابر بن مرداو شيخ المحمرة، بعد أن ثارت عليه قبيلة النصّار. وكان ذلك العام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨^(٦)، وكان اختيار جراح لتولي هذه المهمة نتيجة إقامته فترات طويلة بالفاو، وبحكم معرفته للمنطقة^(٧).

شارك الشيخ محمد في تقديم الدعم، وتنظيم الإمدادات في حملة مدحت باشا، في عهد الشيخ عبد الله من ناحية، وكلف الشيخ جراح بالاشتراك مع القوات التي أرسلها الشيخ عبد الله لمنصرة الحاج جابر بن مرداو من ناحية

(١) القناعي، المصدر نفسه، ص ٢٣؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢) الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٦٥٨/٢.

(٣) البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٦؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٣٠٩/٢.

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ٩٩؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥؛ الريحاني، المصدر السابق، ٦٥٧/٢.

(٥) الذكر، مصدر سابق، ص ٩٩.

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٢؛ خزعل، مرجع سابق، ١٢٣/١.

(٧) خزعل، مرجع سابق، ١٥٣/١.

أخرى. إلا أن نصيب مبارك كان النصيب الأكبر في الأعمال القتالية، وخوض المعارك، فهو قائد الحملة البرية الكويتية التي انطلقت من الكويت مع حملة مدحت باشا ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١، وقاد جميع الحملات والمعارك في عهد الشيخ محمد الصباح^(١).

وعندما اشتد الصراع بين ابني الإمام فيصل بن تركي آل سعود، عبد الله وسعود، كانت نتيجة المعارك بينهما أن رحل الإمام عبد الله بن فيصل إلى الكويت، وأقام بها في ضيافة الشيخ عبد الله. مما أثار غضب الإمام سعود بن فيصل فقرر الهجوم على الكويت السنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣. ولما وصلت قواته إلى الوفرة^(٢) كان الكويتيون على أهبة الاستعداد لملاقاته بقيادة الشيخ مبارك، لذا تراجع الإمام سعود عن قرار الهجوم، عائداً إلى نجد^(٣).

توزعت إمارة الكويت، (عقب وفاة الشيخ صباح الثاني ابن جابر في عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦)^(٤)، في عهد الشيخ عبد الله، على الاخوان الأربعة. وهم: عبد الله، ومحمد، وجراح، ومبارك. تولى الشيخ عبد الله مركز الإمارة ووزع الوظائف على أشقائه الثلاثة الآخرين، فكان الشيخ محمد يباشر شؤون الحضر، والشيخ جراح يشرف على الشؤون المالية، بينما أختص الشيخ مبارك بشؤون البدو^(٥).

هذا وقد ربط صاحب مخطوطة "العقود الدرية" بين عهدي الشيخ عبد الله والشيخ محمد، في ما يخص طبيعة وميول مبارك، وموقف الشيخين عبد الله ومحمد منه، وحجم المسؤولية التي كانا يكلفانه بها في إسنادهما قيادة القوة الكويتية إليه وخوضه المعارك^(٦). وبحكم طبيعة هذه المسؤولية، كان

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر نفسه ص ١٣٢

(٢) الوفرة: منطقة حدودية بين الكويت والسعودية وأكثر سكانها من العوازم وتبعد عن الكويت العاصمة ٦٠ ميلاً (ديكسون مرجع سابق، ص ٦٨؛ نوريه الصالح، مرجع سابق، ص ٢٩)

(٣) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٣٦؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٨؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٤.

(٥) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ قاسم، جمال، مرجع سابق، ٢/ ٣٠٩؛ الذكر، المصدر نفسه ص ١٠٠؛ سلدانيا، تاريخ الكويت...، مرجع سابق، ص ٣١.

(٦) الذكر، المصدر نفسه ص ١٠٠.

الشيخ مبارك يقضي معظم أوقاته في الصحراء، مما جعله في حاجة دائمة إلى المال، فضلاً عن طبعه السخي، فقد أدرك أخوه الشيخ عبد الله طبيعة عمله وطبعه بسد حاجته بانتظام، وقد استمرت الأمور في مجراها الطبيعي حتى وفاة الشيخ عبد الله سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢.

لم يطرأ أي تغيير في السياسة المتبعة في عهد الشيخ محمد ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/١٨٩١ - ١٨٩٦، في ما يخص إدارة الحكم في الكويت، وتوزيع السلطة بين الأخوة. بل بقي كل منهم في منصبه، لا بل إن سلطات الشيخ مبارك في قيادة القوه العسكرية إزدادت من حيث أهميتها واستراتيجيتها، وهذا ما يدعونا لتأكيد أن سياسة الشيخ محمد ما كانت إلا استمراراً لسياسة الشيخ عبد الله في تولي الشيخ مبارك قيادة القوة العسكرية، حيث كلف الشيخ محمد أخاه مبارك بالتوجه إلى قطر على رأس قوة عسكرية السنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢، وذلك بطلب من السلطات العثمانية لردع الشيخ قاسم آل ثاني شيخ قطر^(١).

لقد رأى البعض بأن تكليف الشيخ محمد لأخيه مبارك، بتولي أمر القوة العسكرية، قصد منه إقصاء الأخير عن الحكم، أو رغبة في التخلص منه^(٢). ولا ندري، هل قصد الشيخ عبد الله حينما جعل قيادة القوه البرية في حملة مدحت باشا السنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١ لأخيه مبارك التخلص منه؟ أو أنه منحه السلطة المطلقة لثقلته به؟ وعلى أية حال، ليس لهذا التساؤل من إجابة لعدم وجود الدليل، فالسلطة كانت موزعة بين الأخوة الأربعة: عبد الله ومحمد وجراح ومبارك، وليس الثلاثة كما هو الحال في عهد الشيخ محمد هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الشيخ عبد الله بنظرته الثاقبة رأى في الشيخ مبارك صفات

(١) كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص ١٠٧؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٥١؛ المنصور، التطور السياسي، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ نخلة، مرجع سابق، ص ٢٠٢؛ السبيعي، الأمن...، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٢) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/١٠٩؛ السعدون، العلاقات... مرجع سابق، ص ٢٨؛ أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٣٠٧؛ غيورغي بوندا ريفسكي، الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ترجمة ماهر سلامة، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ١٩٩٤، ص ٩١؛ زهرة فريز ديكسون، مصدر سابق، ص ٤١؛ المنصور، الكويت وعلاقاتها...، مرجع سابق، ص ٥١؛

القائد، فأوكل إليه ما يناسب قدراته، كما هو الحال مع أخويه الشيخ محمد والشيخ جراح^(١).

ومن الأحداث المهمة في عهد الشيخ محمد الصباح، وأثبتت قدرة الشيخ مبارك، أن خيم ماجد الدويش^(٢) بالقرب من الكويت العام ١٣١٠هـ/١٨٩٢، بغرض الهجوم على قبيلتي عريب دار^(٣) والعوازم التابعتين للكويت، وقدم له الشيخ محمد واجب الضيافة، لعدم معرفته بنوايا الدويش، وظنه قد حلّ ضيفاً عليه. ولما نفذ الدويش هجومه المباغت وقام بنهب ممتلكات القبيلتين عريب دار والعوازم، أمر الشيخ محمد الصباح بتشكيل قوة يقودها الشيخ مبارك الصباح، فتم لها النصر واسترداد ما استولى عليه الدويش^(٤).

وعن الحديث حول المهام الحربية التي أداها الشيخ مبارك في عهد الشيخ محمد الصباح، استمر الأخير في إسناد قيادة القوة العسكرية إلى أخيه الشيخ مبارك، ففي أواخر سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣ حدث خلاف بين آل صميد^(٥) وابن سويط^(٦)، وعندما أفضى الخلاف إلى النزاع المسلح بينهما، طلب ابن سويط النجدة من الشيخ محمد، فجهز الأخير قوة أسند قيادتها إلى الشيخ مبارك، تعادلت بموجبها موازين القوى لصالح ابن سويط^(٧). وفي العام ١٣١١هـ/١٨٩٣ اعتدت جماعة السعيد^(٨) على أطراف الكويت، وعندما علم الشيخ محمد بخبر الاعتداء أمر أخاه مباركاً بملاحقتهم، فتمكن الأخير من

(١) الذكر، مصدر سابق، ص ٩٩.

(٢) ماجد الدويش: من رؤوساء وزعماء قبيلة مطير. خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٠.

(٣) عريب دار: من العشائر غير المنسوبة إلى جد معلوم ولا يعرف لها أصل ولم تتعرض لها كتب الأنساب فهي غامضة النسب وهذه العشيرة مستقره بأطراف الكويت (خزعل، مرجع سابق، ١/٣٥).

(٤) خزعل، مرجع سابق، ١/١٤٨، محمود، حسن، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٥) آل صميد: من قبيلة الظفير العريقة في الجزيرة العربية ويرجعون لبني لام من قبيلة طيء القحطانية وشيخ آل سميط أبو ذراع ويسكنون في شمال المملكة العربية السعودية والكويت وجنوبي العراق (عبد الله علي الظفيري، تنوير المستنير عن تاريخ الظفير، دراسة تفصيلية لقبيلة الظفير من عام ٦١٢هـ إلى ١٣٥٠م (ط ٢) الناشر المؤلف، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ص ١٢٩).

(٦) ابن سويط: زعيم وشيخ قبيلة الظفير، وهو من أشهر زعماء وشيوخ القبائل ويعرفون بأهل البويت (الظفيري، مرجع سابق، ص ٢٥).

(٧) خزعل، مرجع سابق، ١/١٥١؛ محمود، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٨) طائفة السعيد: من أكبر فخذ قبيلة الظفير وشيخهم ابن حلاف وموطن أغلب جماعة السعيد مدينة حفر الباطن والكويت. (الظفيري، مرجع سابق، ص ١٠٥).

هزيمتهم^(١). وهكذا تتلاحق انتصارات الشيخ مبارك عاماً بعد عام، وتزداد خبراته العسكرية، ويعظم دوره في حماية الأراضي الكويتية. ففي العام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤ اعتدت بنو هاجر^(٢) على بعض السفن الكويتية، ونهبوا ما كان فيها من أموال وممتلكات، فلما علم الشيخ محمد بذلك أعدَّ قوةً أسند قيادتها للشيخ مبارك، برفقة قوة من قبيلة العجمان^(٣) بقيادة زعيمها راكان بن حثلين^(٤)، فقاموا بمطاردة الغزاة حتى أدركوهم في منطقة تقع بين الإحساء والقطيف، فاننصروا عليهم، واستردوا كامل الممتلكات^(٥).

وفي العام نفسه، طلبت الدولة العثمانية من الشيخ محمد مطاردة الشيخ سليمان المنصور، شيخ المنتفق^(٦)، فأصدر أوامره للشيخ مبارك بالتوجه بجيشه لإتمام تلك المهمة، فامتثل الأخير لأمر أخيه، على الرغم من عدم اقتناعه بخوض معركة لا تحقق فائدة ترتجى للكويت. إلا أنه أنهى الأمر من دون مصادمة، حيث أرسل رسولاً إلى سليمان المنصور يطلب منه الابتعاد عن المنطقة فابتعد عنها^(٧). عموماً، إذا تتبعتنا المهام التي كُلف بها الشيخ مبارك، نجده قد نجح في خوضها منذ ريعان الشباب، وهي حسب تسلسلها الزمني كالآتي: ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١

(١) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥١.

(٢) بنو هاجر: قبيلة عربية قحطانية تستقر في شرقي الجزيرة العربية، وينقسم بنو هاجر إلى آل محمد " آل مخضبة " وآل حمراء " ومن شيوخهم آل شافي وآل عايد. (عبد الله البسام/ مصدر سابق، ص ٢٣٧).

(٣) العجمان: من قبيلة يام الكبيرة العدد استقرت شمال غرب الإحساء، وهم ذو عصبية وقوة ونخوة وشجاعة، ويتفرعون لقبائل عدة (سليمان صالح النخيل، تحفة الألباء في تاريخ نجد والإحساء، (ط٢) الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٩٥؛ محمد الالوسي، تاريخ نجد، تحقيق محمد الأثري، مكتبة مدبولي، القاهرة (د - ت) ص ٨٨.

(٤) راكان بن حثلين: زعيم قبيلة العجمان وأشهر فرسانها قاوم الحملة العثمانية ١٨٧١م على الإحساء وقبض عليه وأرسل إلى الأستانة وسجن هناك وبعد ذلك نفي إلى إقليم نيش وشارك في الجيش العثماني ضد الصرب والروس بمعارك عديدة وصدر قرار سلطاني بالغفو عنه وقام الأمير محمد بن رشيد بالتوسط لدى السلطان العثماني فأطلق سراحه سنة ١٨٧٧ واتجه إلى حائل ومنها اتجه إلى منطقة الإحساء، (سلطان بن حثلين، وذكريا كورشون: تاريخ قبيلة العجمان دراسة وثائقية، (ط٢) ذات السلاسل الكويت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ص ٧٤، ٧٠، ٦٦).

(٥) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥١؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٤؛ الرشيد، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٦) سليمان المنصور السعدون المنتفق: شيخ قبائل المنتفق دخل في صراع مع ولاية الدولة العثمانية في البصرة عام ١٣٢١هـ (محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية دار إحياء العلوم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ص ٤٢٢).

(٧) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥٢.

حملة مدحت باشا للاستيلاء على الإحساء، في عهد الشيخ عبد الله الصباح. ١٢٩٠هـ/١٨٧٣ إرسال قوه بقيادة مبارك لصد هجمة الإمام سعود الفيصل بأمر من الشيخ عبد الله الصباح. ١٣١٠هـ/١٨٩٣ الهجمة على ماجد الدويش، بأمر من الشيخ محمد الصباح. وفي العام نفسه سُيرت الحملة العثمانية على قطر بطلب الدولة العثمانية المساعدة من الشيخ محمد الصباح. وفي العام نفسه تمت المشاركة مع ابن سويط، بطلب الأخير المساعدة من الشيخ محمد لمهاجمة آل صميد. ١٣١١هـ/١٨٩٤ الهجمة على طائفة السعيد، بأمر من الشيخ محمد الصباح. وفي العام نفسه تمت الهجمة على بني هاجر، بأمر من الشيخ محمد الصباح، عندما طلبت الدولة العثمانية المساعدة من الشيخ محمد الصباح في مطاردة الشيخ سليمان المنصور شيخ المنتفق.

نفوذ التجار في الكويت^(١)

شجع موقع الكويت الجغرافي الكويتيين على الاشتغال بالأعمال التجارية المختلفة، المتمثلة في النقل البحري، واستخراج اللؤلؤ^(٢)، وصيد الأسماك. إضافة إلى الأنشطة الاقتصادية المصاحبة كصناعة السفن، ومستلزمات الشحن والتفريغ^(٣). فأهل الكويت تجار بطبعهم^(٤). لذا فقد كان لهم القدر المعلى في تجارة الخليج العربي^(٥). وقد أشاد وليام بالجريف W.Palgrave^(٦) بالكويت عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠ بالبحارة الكويتيين قائلاً: "بين كل التجار

(١) للاستزادة راجع مقال "النخبة التجارية ضمير الكويت التاريخي"، مجلة "الزمن" لصاحبها الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح (نجل أمير الكويت الحالي) العدد ٣٤ المؤرخ في ٢٩ مايو ١٩٩٩ ص ١٢ - ١٦.

(٢) كان موسم الغوص للبحث عن اللؤلؤ يحكم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكويت، ويبدأ موسمه من أول أبراج الجوزاء ٢٣ مايو، وينتهي بنهاية برج العذراء ٢٣ سبتمبر (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٧٣ (Al Ghanim, op, cit, p26).

(٣) الحاتم، مرجع سابق، ص ١٠٤؛ الشمالان، تاريخ الغوص، مرجع سابق، ١/٢٦١؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/٢٢٩.

(٤) ويلسون، مرجع سابق، ص ٤٠٦؛ العزاوي، المرجع نفسه ٧/٢٢٩؛ سيد نوفل، الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، "ط ٢"، دار المعرفة - القاهرة، ص ١٦٣.

(٥) حسن علي إبراهيم الراشد، الكويت دراسة سياسية، (ط ٣) مؤسسة دار العلوم - الكويت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص ١٠٩.

(٦) وليم بالجريف من الرحالة البريطانيين الذين جابوا وسط الجزيرة العربية وشرقها، فقام بزيارة لمناطقها استمرت مدة عام كامل. وإجادته للغة العربية ساعدته على نجاح رحلته التي وضعها في =

الذين يجوبون الخليج الفارسي - العربي - يأتي البحارة الكويتيون بالدرجة الأولى في القدرة على التحمل، وفي الكفاءة وفي الجدارة والثقة في صفاتهم" (١).

بيد أن نجاح التجارة في الكويت يكمن بأخذ العتوب برئاسة آل الصباح بأسبابها، منذ استيطانهم الكويت (٢). وكان للسياسة التي اتبعها حكامها في ما يتعلق بأنشطتها المتنوعة الأثر الكبير في نموها وتطورها، وقد تمثلت تلك السياسة في عدة أمور منها: تشجيع العمل التجاري من خلال وضع الرسوم المخفضة، وتطور أساليب العمل التجاري المتمثل في حرية التجارة (٣).

وتشجيعاً للتجارة أعفى الشيخ جابر بن عبد الله آل صباح، الحاكم الثالث ١٢٢٩ - ١٢٧٦هـ/ ١٨١٢ - ١٨٥٩، آل إبراهيم من الرسوم الجمركية، وعدم مساواتهم مع بقية التجار، والحكمة من ذلك إذا احتاجت الكويت إلى سند ودعم مادي فإن ما تملكه أسرة آل إبراهيم يكون تحت تصرف الكويت وشيخها (٤). وقد صدقت هذه الحكمة عندما قام الشيخ عبد الله بن محمد آل إبراهيم بجلب أكياس عملة معدنية من قران أبودية (٥)، وقام بثنيها لتستعمل بدلاً من الذخيرة، التي نفذت في إحدى حروب الدفاع عن الكويت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر/ القرن التاسع عشر الميلادي (٦).

يمثل العمل التجاري في الكويت النشاط الاقتصادي الرئيس، الذي يعد

= كتاب جمع مادته من خلال المشاهدة والسمع والملاحظة الشخصية (وليم بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ترجمة صبري محمد، المجلس الأعلى للثقافة، دمشق ٢٠٠١م (جزأين))

- (١) بالجريف، المرجع نفسه ٦٥/١
- (٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٦١.
- (٣) ميمونة الصباح، مرجع سابق، ٢٧٧/١.
- (٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٤؛ يحيى الربيعان، عندما تلتقي المعرفة بالحقيقة، جريدة الطليعة، الكويت، العدد ١٢٧٠، الأربعاء ٢٦ مارس ١٩٩٧م، ص ٧.
- (٥) قران أبو دبيلة: عملة فارسية من المعدن تساوي أربعة قروش أو "٤،٠ من الروبية" كانوا يضعونها بالدفق "البارود" بدل الذخيرة، وأحضرها عبد الله بن محمد آل إبراهيم بزبلان (مقابلة شخصية مع الراوية محمد الصالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس في تاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ؛ الربيعان، المرجع السابق، ص ٧؛ عبد الله السبيعي، اقتصاد الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ/ ١٨٧١ - ١٩١٣م (دراسة وثائقية) مطبعة الجمعة الالكترونية، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٨٠)
- (٦) مقابلة شخصية مع الراوية محمد الصالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس في تاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ الربيعان، المرجع نفسه ص ٧؛ الزعبي، عائلة آل إبراهيم، مرجع سابق، ص ٨٣.

مصدراً للغنى بالنسبة للكويتيين من جهة، ومورد دخل حيوي مهم للحكام من جهة أخرى^(١)، يوم كانت الكويت تفتقر لمقومات مصادر الثروات الطبيعية الأخرى، كالزراعة والصناعة وغيرهما^(٢). وقد بدأت تظهر الصناعات في الكويت منذ بداية القرن الثالث عشر الهجري/نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، نتيجة ممارسة الحياة التجارية والاختلاط بالثقافات الأخرى. ولعل أبرز تلك الصناعات كانت صناعة السفن الشراعية الكبيرة، التي ترتاد سواحل الهند وأفريقيا^(٣).

وملخص القول، أن التجارة في الكويت كانت تمثل عصب الحياة، وأساس التقدم والازدهار، والسبب الأقوى في استمرار آل الصباح في الحكم، حيث مثلت أنشطتها المتنوعة قوة اقتصادية تدعم وجود الكويت السياسي إقليمياً، وتعمل على توجيه دفة الحكم داخلياً. لذا أهتم فيها حكام الكويت جُلّ الاهتمام، وأولوها عظيم الرعاية^(٤). وعلى العموم، كان الحكم الشوري غير المطلق، إضافة للسياسة الاقتصادية المتمثلة في حرية التجارة وتشجيعها، من أهم العوامل التي أتاحت للتجار فرصة المشاركة في الحياة السياسية بصورة غير مباشرة أحياناً، بينما كانت تبدو السلطة الحقيقية في حوزتهم في معظم الأحيان^(٥)، كما سنرى لاحقاً.

إن لسلطة التجار في الكويت علاقة واضحة المعالم بجذور النزاع الذي كان قائماً بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم. لاسيما وأن أحد طرفي النزاع كان من أبرز تجار الكويت، وقد تمتع بسلطة واسعة في عهد الشيخ محمد^(٦). فعندما زار الكولونيل لويس بيبي Pelly^(٧) الكويت، السنة ١٢٨٢هـ/

(١) ميمونة الصباح، مرجع سابق، ٢٧٧/١.

(٢) الحيدري، مصدر سابق، ص ١٥٦؛ عبد العزيز لرشيد:، مصدر سابق، ص ٦١؛ ديكسون، -، مصدر سابق، ص ٤١؛ ويلسون، مصدر سابق، ص ٤٠٤؛ العزاوي، مرجع سابق، ٢٣١/٧.

(٣) الحاتم، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٤) ميمونة الصباح، المرجع السابق، ٢٧٧/١.

(٥) عبد العزيز الرشيد:، مصدر سابق، ص ٩٠.

(٦) الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٢.

(٧) لويس بيبي ولد سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م والتحق بالقوات المسلحة لحكومة الهند في بومبي اشترك في الحرب الفارسية ١٨٥٧م وكلف بالكثير من المهام السياسية، حيث عمل سكرتيراً في المفاوضات =

١٨٦٥، لم ينزل في ضيافة شيخ الكويت بل حلّ ضيفاً عند أحد التجار، وهو يوسف البدر^(١) وفي منزله بالكويت^(٢).

أما وقوف التجار صفاً واحداً، في وجه شيخ الكويت، فيبدو واضحاً في رفضهم لقرار دفع الضرائب على البضائع المارة بالجمرك، عندما حاول الشيخ صباح الثاني ١٢٧٦ - ١٢٨٣هـ/ ١٨٥٩ - ١٨٦٥ فرضها عليهم. وكان رفضهم لهذا القرار فيه من القوة ما دعا الشيخ المذكور النزول عند رأيهم^(٣)، حيث صارحوه بالقول: " لا نقبل أن تجعل على أموالنا ما لم يجعله أبوك ولا جدك من قبل، وكلنا تحت أمرك وطوع إشارتك، وأموالنا وقفٌ على ما ينتابك من التكاليف، وما تحتاج إليه "^(٤). نجد في في العبارة الأخيرة إشارة إلى سلطة التجار الاقتصادية، ومن ثمّ السياسية، فبينما قدموا خلالها أسباب الطاعة والولاء، وعرضوا أموالهم لدعم سلطة الحاكم، نجدهم قد رفضوا فرض النزر اليسير عليهم ضريبة إلزامية تقلل من شأنهم على الصعيدين الاقتصادي والسياسي^(٥). وكذلك رفضوا مشروع والي بغداد نامق باشا حول وضع الكويت بجعلها قائمقامية تابعةً للبصرة. وكان وراء موقفهم رفض دفع التكاليف العالية^(٦).

وعند قيام الشيخ مبارك ١٣١٣ - ١٣٣٤هـ/ ١٨٩٦ - ١٩١٥ برفع

= البريطانية بطهران، ثم عين مقيماً سياسياً بزنجان، ثم أصبح مقيماً سياسياً في بوشهر وبقي في منصبه حتى سنة ١٨٧٣م، وأصبح عام ١٨٨٣م عضواً في البرلمان البريطاني وتوفي سنة ١٨٩٥م وقام برحلته الشهيرة من الكويت لنجد في عهد الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ/ ١٥٦٥م (انظر، لويس بيبي، رحلة إلى الرياض، ترجمها وحققها وقدم لها عبد الرحمن الشيخ وعويضة الجهني، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض).

(١) يوسف بن عبد المحسن البدر: ولد في الجمعة عام ١٢١٧هـ ١٨٠٢ من أسرة كريمة، وعمل يوسف في تجارة الخيول العربية الأصيلة، فجنى من ورائها ثروة وصلت إلى ١٢٠ ألف ريال، وكانت له اليد البيضاء في سنة الهليق، فقد خصص داراً للضيافة وإطعام الناس طوال تلك الأزمات، وتوفي سنة ١٢٩٧هـ (القناعي، مصدر سابق، ص ٦٨، سلسلة محسنون من بلدي، إصدار بيت الزكاة، الكويت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م " قيد النشر " ١/ ١٦٧ وما بعدها).

(٢) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٣؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٢٩.

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٥.

(٥) حتاتة، مرجع سابق، ص ٢٣٨؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٣١.

(٦) الأرشيف العثماني، محاضر مجلس الوكلاء M.V رقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ حتاتة =

الرسوم الجمركية^(١)، قام ثلاثة من كبار التجار بالهجرة من الكويت: هلال المطيري^(٢)، وإبراهيم المصف^(٣)، وشملان ابن علي^(٤)، مما جعل الشيخ مبارك يحرص على إعادتهم إلى الكويت، ولما رفض هلال المطيري العودة نجد الشيخ يذهب بنفسه لإقناعه بالعودة، وملبياً له جميع شروطه^(٥).

وعلى الرغم من أن الكويت، حتى عهد الشيخ مبارك، كانت بلدة بسيطة صغيرة لا يوجد فيها منشآت أو قصور، إلا أن لمسات التجار واضحة على الأعمال الخيرية، ذلك لعدم قدرة حكام الكويت من القيام بأي أعباء بناء، وتطوير لبلدتهم، فالتجار هم الذين وفروا الأموال والمواد لبناء سور الكويت، وبنوا المساجد والمدارس الخاصة^(٦) وكان لهم الفضل في بناء أول مدرسة حكومية العام ١٣٢٩هـ/١٩١١، ولم يشارك في بنائها سوى التجار. ولم يكن لحاكم الكويت الشيخ مبارك أي مساهمة فيها^(٧)، وعلى الرغم من ذلك سميت تيمناً باسمه المدرسة المباركية^(٨). واتضح موقف التجار جلياً أثناء السنة التي

= ص ٢٣٨، العزاوي ١٢/٢٣١، مقابلة شخصية مع الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنطاس بدولة الكويت بتاريخ ٢/٥/١٤٢٣هـ.

- (١) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٥٢؛ الصباح، مرجع سابق، ص ٢٧٩.
- (٢) هلال المطيري: لم يكن له شأن في البداية ويعرف باسم "هليل" وعمل بالتجارة حتى أصبح أكبر تاجر لؤلؤ (طواش) في زمنه ليس في الكويت فحسب بل في الخليج كله، وبلغت ثروته ما يربو على سبعة ملايين روبية، وتبرع للمدرسة المباركية بمبلغ خمس آلاف درهم (القناعي، مصدر سابق، ص ٤٤ - ٦٧؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٨).
- (٣) إبراهيم بن مصف المصف: ولد عام ١٢٦٧هـ/١٨٤٩م بالكويت من أسرة ميسورة الحال عمل رباناً للسفن التجارية ثم تاجر في اللؤلؤ حتى أصبح من كبار تجار الكويت، ضرب أروع الأمثلة في صبره على قضاء الله وقدره بعد مقتل عدد كبير من أبنائه، وكان يستقبل المعزين بابتسامة تعبر عن ثقة مؤمن بربه، ويعرف عنه أنه أول من تبرع للمدرسة المباركية بمبلغ مائة روبية ثم زادها بخمسمائة روبية، وأسندت له مهمة الفصل في منازعات وقضايا التجار بالكويت، وتوفي سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م (القناعي، مصدر سابق، ص ٤٤؛ انظر محسنون من بلدي، مرجع سابق، ص ١٩ - ٢٢).
- (٤) شاملان بن علي: من عائلة القناعي، من أكبر تجار الكويت في عصر الشيخ مبارك وعمل في تجارة اللؤلؤ وشارك في بناء المدرسة المباركية بمبلغ خمس آلاف روبية (القناعي، مصدر سابق، ص ٤٤؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٦١).
- (٥) الشملان، المرجع السابق، ص ١٥٣.
- (٦) الحاتم، مرجع سابق، ص ١٤.
- (٧) القناعي، مصدر سابق، ص ٣٦ - ٤٤.
- (٨) المدرسة المباركية: سميت بهذا الاسم تيمناً بالشيخ مبارك حاكم الكويت بنيت سنة ١٣٢٩هـ/ =

عرفت بالهيلق^(١)، فهب أمثال يوسف البدر ويوسف الصبيح ، وبيت آل إبراهيم وغيرهم من تجار الكويت^(٢)، لتفريخ كرب المعوزين والمحتاجين بما يبذلونه لهم من المال والطعام. قال الأخرس^(٣):

إن الكويت حماها الله قد بلغت

باليوسفين مكان السبعة الشهب

ويوسف البدر في سعد وفي شرف

بدر الأماجد لم يغرب ولم يغب

فخر الأكارم والأماجد قاطبة

وأقة الفضة البيضاء والذهب

من كل ما بسطت في الجود راحته

صوب المكارم من أيديه في صب^(٤)

كما أثبت التجار مكانتهم، وصدق وعدهم، إثر عجز مالية الإمارة في عهد الشيخ عبد الله بن صباح (١٨٦٦ - ١٨٩٢). وتحديداً العام ١٨٧٧ لتجهيز الفيلق السادس، ومركزه بغداد، الذي أُرسِل إلى جبهة الحرب ضد روسيا، حينها فرضت الدولة العثمانية أتاوة قدرها تسعة آلاف ليرة ذهبية^(٥)، وقيل

= ١٩١١م وبدأ العمل فيها في محرم سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م وعين يوسف بن عيسى القناعي أول مدير لها وعمل بها مدة ثلاث سنوات وعزل وعين يوسف المحمود بدلاً منه (انظر، القناعي، مصدر سابق، ص ٤٣ وما بعدها).

(١) الهيلق: كلمة مشتقة من هلاك وينطقها العامة بالقاف وهي أزمة حلت بالمنطقة بسبب الجفاف والقحط أهلك معه الزرع والضرع وانتشرت مجاعة في المنطقة بشكل عام فأصاب جنوب العراق والكويت ونجداً والإحساء وبلاد فارس استمرت ثلاث سنوات من عام ١٢٨٥ إلى ١٢٨٨هـ. (القناعي مصدر سابق، ص ٦٣؛ سلسلة محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/ ١٦٤ و ١٦٥).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٥؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٦٣.

(٣) عبد الغفار الأخرس: من أشهر شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر الهجري، وكتب قصائد عديدة من ضمنها قصيدة في نامق باشا والي بغداد، يثني عليه ويطلبه بإصلاح البصرة. وله ديوان شعر، توفي يوم عرفة سنة ١٣٠٤هـ باستنبول (العزاوي، مرجع سابق، ١٣٩/٧ و ٢٥/٨).

(٤) القناعي، المصدر السابق، ص ٦٨؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٥؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/ ١٦٥.

(٥) يحيى الربيعان، عندما تلتقي المعرفة بالحقيقة، المرجع السابق، ص ٧، والليرة: عمله عثمانية ذهبية تساوي ١٤ روبية هندية (يعقوب: آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص ٢٥).

أربعة آلاف ليرة^(١)، تقاسمها الشيخين: علي بن محمد آل إبراهيم^(٢)، ويوسف البدر. ويذكر القناعي أن الامكانات المادية للحكام كانت متواضعة بعكس الثراء الذي أصابه بعض التجار.

ونروي على هذا المنوال ما ذكره عبدالله النوري في كتابه "الأمثال الدارجة في الكويت" (ص ١٠٤) أن أحد الشعراء، وهو عبد الغفار الأخرس (السابق الذكر) زار الكويت في عهد عبد الله الصباح الثاني ١٨٦٦ - ١٨٩٢، والذي كان يشبه المنصور العباسي فلا وجود على شاعر لأنه كان في حالة دفاع عن البلد، ويرى في إعطاء الشاعر وضع الشيء في غير محله، ولما يأس الشاعر منه قال له: "أنت كالجوزة"، لا تؤكل حتى تكسر. ومنها جاء المثل الشعبي: "الجوزة لما تنكسر ما ينوكل لبها".

لا تعني لدى البعض تلك الأحداث المتفرقة في عهود مختلفة لحكام الكويت آل الصباح، سواء التي أوردناها أو التي لم نوردناها لإبراز علاقة التجار بالسلطة، أحد جذور الخلاف، بقدر ما عنت ما للتجار من سلطة حقيقية في الحياة الاقتصادية خصوصاً، ومن ثم الحياة السياسية عموماً، حيث بدت في عهد الشيخ محمد الصباح بأوضح صورها.

(١) نسب قيس البدر الرواية إلى الشيخ يوسف الإبراهيم، والحقيقة هي للشيخ علي الإبراهيم، مرجع سابق، ص ١٧؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص ١٨؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١٦٩/١.

(٢) علي بن محمد آل إبراهيم: من أعيان الكويت، وله نشاط تجاري واجتماعي، وله مشاركة في بيت تجاري أنشئ في الهند ويعتبر من أقدم وأكبر البيوتات التجارية فيها، تولى ابنه محمد وعبد العزيز إدارتها، وبعد وفاتهام تولاها أبناؤهم جاسم بن محمد وعبد الرحمن بن عبد العزيز، وكما شارك مع ابن أخيه عبد الله بن عيسى آل إبراهيم "والد يوسف" في شراء معظم بساتين النخيل العائدة للعائلة في ولاية البصرة العثمانية في بداية القرن التاسع عشر، ويعتبر علي بن محمد أول كويتي طبع كتاباً على نفقته في المطبعة الأميرية ببولاق بالقاهرة عام ١٨٧١م وعنوانه "نيل المآرب" وتوفى ٢٩ جمادى آخر ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م في أملاكه بالدورة جنوب البصرة، ورثاه شعراء كثيرون منهم الشاعر عبد الله الفرج بقصيدة طويلة ومنها قوله:

صبراً على هذا المصاب لو أنه يبكي لحر مصابه الجلمود
خطب ولكن لم يسمع فيه الورى إلا التجلد والعزا المحمود

(الحاتم، مرجع سابق، ص ٦٢؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/٢٥؛ هذه المعلومات زودني بها الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم وزودني بنسخة من كتاب نيل المآرب، الكويت، في تاريخ ١٦/٣/٢٠٠٥م).

ومن المواقف التي تدل على اتحاد التجار والأعيان في الكويت، في تلك الفترة، استيائهم وغضبهم الشديد إثر اعتداء أحد عبيد آل صباح، واسمه عنبر، الذي قام بتحصيل الرسوم الجمركية^(١) من عبد الله العنجري^(٢) بالضرب، بعد ملاسنة كلامية دارت بينهما. ذلك عندما طلب العنجري من عنبر الإسراع في تحصيل الرسوم الجمركية على إحدى القوافل المتجهة إلى نجد، وفيها الكثير من أموال الكويتيين^(٣).

لم يكن غضب التجار واستيائهم على هذا الاعتداء عشوائياً. بل انتدبوا من بينهم ثلاثين شخصاً^(٤) لعرض مطلبهم لدى الشيخ صباح (الثاني) بن جابر آل صباح ١٢٧٦ - ١٢٨٣ هـ / ١٨٥٩ - ١٨٦٥، ويتلخص في نفي عنبر من الكويت. إلا أنَّ الشيخ صباح رفض مطلبهم، ووعدهم بنقله من وظيفته^(٥). ثم قال إرضاءً لهم: لكم عليّ أن أفصله من عمله وأضربه وأسجنه. فقالوا: لا يرضينا إلا نفيه، وإذا لم تستجب لطلبنا فسوف نغادر الكويت غير آسفين^(٦).

لم يتنازل التجار عن مطلبهم، مقابل تصميم الشيخ صباح على موقفه، فهمَّ التجار في تنفيذ قرار الهجرة، وعندما أحس الشيخ محمد بن صباح، الذي حضر تلك الجلسة، صدق عزمهم، وشروعهم في الهجرة، فقام بفض الخلاف بين الطرفين برصاصة أسكتت صوت عنبر إلى الأبد، وكان ذلك السنة ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣^(٧). نخلص من هذا الموقف إلى أهمية التجار في نظر الشيخ محمد الصباح ١٣٠٩ - ١٣١٣ هـ / ١٨٩١ - ١٨٩٦، حيث تتضح نظرته إلى دورهم في بناء الكويت، ودعمهم سلطة الحاكم، ولا يمكن فصل سياسة الإمارة عن اقتصادها: آل صباح القوة السياسية والتجار القوة الاقتصادية.

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٢) عبد الله العنجري: وهو من عائلة العنجري التي تعود لقبيلة تميم وتنطق باللهجة الكويتية "العنجري" وموطنهم الأصلي ثرماء بنجد وهاجر قسم من العناقرة إلى الكويت واستقروا بها، ويعتبر عبد الله العنجري أحد وجهاء الكويت وتجارها (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٧؛ هذه المعلومات زودني بها الراوية محمد بن صالح ال إبراهيم، الفنطاس الكويت ١١/٦/١٤٢٣ هـ).

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٤) خزعل، مرجع سابق، ١/١٢٨.

(٥) خزعل، مرجع سابق، ١/١٢٨.

(٦) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ٢٧.

(٧) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٧؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٢٩.

الشيخ يوسف آل إبراهيم

أسهب مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد في كتابه "تاريخ الكويت" في الحديث عن يوسف آل إبراهيم، وصوره أحد الأبطال القلائل الذين دخلوا التاريخ بجلائل أعمالهم. قال فيه: "مثل الشيخ يوسف آل إبراهيم روايات لا تقل في غرابتها عن كثير من الروايات التي تذكرنا بأولئك الأبطال، الذين يقومون بجلائل الأعمال والناس في غفلة عما يعملون"^(١). لقد أبدع الشيخ يوسف آل إبراهيم في دهائه، حتى دخل سجل التاريخ من أوسع الأبواب، شأنه شأن: حافظ نجيب المصري^(٢)، وبطل المقامات الحريرية أبو زيد السروجي^(٣). إلا أن شهرته لم تصل مداها الذي تستحقه اسماً لامعاً في عالم الدهاء، كما هو الحال مع غيره من النابغين في شتى المجالات، الذين لم ينصفهم التاريخ، فانغمروا لإغفال المؤرخين أعمالهم، وخاصة في عالمنا الشرقي^(٤).

تلك العبارات، والكلمات التي صاغها عبد العزيز الرشيد حول دهاء الشيخ يوسف آل إبراهيم كانت دافعاً في تحمل مشاق البحث، وجمع المعلومات الموثقة عن هذه شخصية متميزة، خطت بأعمالها صفحة مهمة من تاريخ الكويت، امتدت منذ أن كانت أمور الكويت في يده تقريباً في عهد الشيخ محمد الصباح، وعشر من السنين بعدها، قضاها في حرب بلا هوادة ساعياً خلالها لإزاحة الشيخ مبارك الصباح عن كرسي الحكم في الكويت.

هو الشيخ يوسف بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن إبراهيم بن ريمان ابن إبراهيم بن خنيفر العنقري من بني سعد بن زيد مناة من بني تميم^(٥) ولد

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٢) حافظ نجيب المصري: أحد دهاة العرب في العصر الحديث، حارب الاستعمار الإنجليزي في مصر، توفى في ٢ نوفمبر ١٩٤٦م (الشيخ ممدوح، اعترافات حافظ نجيب، مغامرات جريئة مدهشة وقعت في نصف قرن، (ط١) دار الحسام، بيروت ٢٠٠٣م ص ٢٥)

(٣) أبو زيد السروجي: من أهل البصرة وكان شيخاً شحاداً أديباً بليغاً فصيحاً وهو بطل المقامات الحريرية لأبي القاسم الحريري والتي تبلغ خمسين مقامة. (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، (ط١) دار العرب الإسلامي بيروت ١٩٩٣م ٢٢٠٣/٥).

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٩.

(٥) إبراهيم بن صالح ابن عيسى؛ بعض الحوادث الواقعة في نجد مصدر سابق ص ٢١٥؛ عبد الله البسام، مصدر سابق، ص ٣٩٧؛ كحالة، مرجع سابق، ١/٢٦٦.

في الكويت العام ١٢٦١هـ/١٨٤٥^(١)، وكان جده الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم^(٢) هاجر في حدود العام ١١٢٠هـ/١٧٠٨ إلى الكويت في بداية تأسيسها. وأسرته إحدى الأسر المؤسسة التي وضعت لبنات الكويت الحالية^(٣)، وهي من البيوتات الرفيعة بالكويت وأثرها، وحصل ليوسف من العز والإقبال ما لم يحصله أحد من قبله منذ تأسست الكويت^(٤)

سبقت الإشارة إلى دور التجار عموماً في بناء الكويت اقتصادياً وسياسياً، أما الحديث عن أسرة آل إبراهيم فأنها لم تكن من الأسر الغنية فحسب، بل من الأسر التي سيطرت على تجارة الكويت^(٥)، وامتلكت أسطولاً كبيراً من المراكب الشراعية التجارية، وبساتين واسعة من النخيل في ولاية البصرة العثمانية^(٦). وتعتبر من أقدم وأكبر العائلات الكويتية التي انتقلت إلى الهند، وعملت في مجال التجارة، وخصوصاً تجارة اللؤلؤ في القرن الثالث عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، فأصبحت ممسكة بزمام التجارة بالكويت، مما جعلها صاحبة كلمة مسموعة عند حاكم البلاد، ومن ثم حتمية الزعامة للشيخ يوسف آل إبراهيم، الذي كان من أغنى أفراد تلك العائلة^(٧). ويملك نصيباً كبيراً من بساتين النخيل ورثها عن والده واشترك فيها مع أبناء جده لوالدته (أخواله) في البصرة، التي كانت تدر عليه أموالاً

(١) نجدة فتحى صفوت، الشيخ يوسف آل إبراهيم من أبرز رجالات الكويت، مجله ثقافة، الدوحة ٥، السبت ٢٥/١/١٩٩٧م، العدد ٦٦٣٣ ص١٦.

(٢) ابن عيسى، المصدر سابق، ص ٢٣٢؛ عبدالله البسام، تحفة المشتاق، مصدر سابق، ص ٣٩٧؛ المزيني، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) سرجي كوتلوف، تكون حركة التحرر الوطني في المشرق العربي منتصف القرن التاسع عشر إلى ١٩٠٨م، ترجمة سعيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨١م ص ١٧٥؛ صفوت، مرجع سابق، ص ١٦.

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٩، صفوت، مرجع سابق، ص ١٦؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٧٧؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٤؛ Rush, Al Sabah, op, cit, p246

(٥) كوتلوف: مرجع سابق، ص ١٥٧؛ يحيى الربيعان، عندما تلتقي، مرجع سابق، ص ٧؛ فادية الزعبي، الشيخ جاسم آل إبراهيم ودعم حركات التحرر والتنمية العربية، الرأي العام الكويتية، الخميس ٢٨، سبتمبر، العدد، ١٢١٥٢، ص ١٤

(٦) لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ٣/١٥٢٥؛ كوتلوف، مرجع سابق، ص ١٥٧؛ ستانلي هوت، مرجع سابق ص ١٣٤؛ قاسم، مرجع سابق، ٢/٣٨٠؛ عبد العزيز المنصور، التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ - ١٩١٦م (ط١) المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧٥م، ص ١٦٣؛ Rush, Al Sabah..., op, cit, p120

(٧) القناعي، مصدر سابق، عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٤؛ الفرخان، مرجع سابق، =

ضخمة^(١)، بالإضافة لكونه من أكابر تجار الكويت آنذاك^(٢)، وخاصة تجارة اللؤلؤ^(٣)، فهو مشهور بثرائه، ويتقديم حمايته الكريمة للمحتاجين^(٤).

هذا من ناحية أما إذا انتقلنا للحديث حول دهائه ونفوذه، الذي بدأ منذ عهد الشيخ عبد الله الصباح^(٥)، ١٢٨٣ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٦٦ - ١٨٩١، فمن المؤرخين من جمع بينه وبين غناه الواسع. مثل المؤرخ الكويتي راشد الفرحان الذي قال: "كان آل إبراهيم في زمن الشيخ يوسف أثرى بيت في الكويت، وقد حصل ليوستف بن إبراهيم من العز والسؤدد والاحترام عند حكام الكويت في وقته، ما لم ينله أحد من قبله منذ تأسيس الكويت، حيث كان وجيهاً للبلاد وزعيماً مسموع الكلمة مهاباً مطاعاً..."^(٦) ومن المؤرخين من جعل السيطرة الفعلية لحكم الكويت - في عهد الشيخ محمد الصباح تحت تصرفه^(٧). وقيل إنه يدير ويشار في شؤون البلاد، وأوجز لنا الحاتم كل ذلك بالقول: "هو حاكم الكويت الخفي، وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة، والخصم العنيد للشيخ مبارك ومرعبه. هذا واقع الحال بالنسبة للشيخ يوسف آل إبراهيم دون أي مبالغة أو تهويل..."^(٨).

- = ص ٧٧؛ المنصور، عبدالعزيز، الشيخ يوسف آل إبراهيم عشر سنوات من عمر الكويت، مجلة البيان، الإمارات العربية المتحدة، السبت ١٩٩٦/٧/١ العدد ٣٢٥٣ ص ٣٧.
- (١) ستانلي هوت، مرجع سابق ص ١٣٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ١٥٢٥/٣؛ كوتلوف، مرجع سابق، ص ١٥٧؛ قاسم، مرجع سابق، ص ٢/٣٨٠؛ المنصور، عبد العزيز، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص ١٦٣؛
- (٢) ستانلي هوت، مرجع سابق ص ١٣٤؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٠٧؛ السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١ - ١٩٠٨م، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م ص ١٤٠؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٧٧؛ القناعي، مرجع سابق، ص ٢٩؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٤؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٦.
- (٣) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٦؛ صلاح الدين المختار، مرجع سابق، ص ٢٠؛ العبد المحسن، مرجع سابق ٢/٣٠٥؛ سليمان بن صالح الدخيل، القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (دت)، ص ١٥٢.
- (٤) ستانلي، مرجع سابق ص ١٣٤؛ خالد محمود السعدون، أحداث في تاريخ الخليج العربي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠١، م ص ١٢٥
- (٥) الفرحان، مرجع سابق، ص ٧٧.
- (٦) الفرحان، المرجع نفسه ص ٧٧.
- (٧) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٤٠؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٢.
- (٨) الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٢.

نال الشيخ يوسف قسطاً من التعليم على الطريقة التقليدية آنذاك، على أيدي رجال العلم والدين المشهورين آنذاك ومنهم بن جसार في المدرسة الخاصة بعائلة آل إبراهيم في حي الوسط (بهيته) التي كان يدرس فيها أبناء الأسرة والأقارب^(١) وأصدقاء الأسرة من داخل الكويت وخارجها^(٢)، فكان مؤهلاً ليشغل مركزاً مرموقاً على الصعيد الاجتماعي، وإضافة إلى إجادته للغة الإنجليزية، وبعض اللغات الهندية، كان واسع الخبرة والمعرفة، ويحسن تنظيم أعماله والتخطيط لها، بما يملك من المال والدهاء. وبهذا تبوأ مكانة راقية على الصعيد الاقتصادي والسياسي^(٣).

ولم تنحصر سلطة الشيخ يوسف آل إبراهيم في قوة المال والنفوذ. وحسب، في مرحلة النزاع بينه وبين الشيخ مبارك الصباح - عندما فجر الأخير الموقف بقتل شقيقه (محمد وجراح الصباح) بل ألقى بكل ثقله في عين العاصفة - فاشتعلت حرب الصراع على السلطة في أوسع نطاق وبكل اتجاه. وفي هذه المرحلة جاء وصف الريحاني للشيخ يوسف بما يناسب طبيعة تلك المرحلة الحرجة. قال: "كان يوسف آل إبراهيم بنفسه ثورة، ودولة، وحرباً على الشيخ مبارك، استمرت عشر سنين، فوقف ثروته، ووقته، وحياته للأخذ بالثأر. أجل، قد كان هو البازل للمال، وهو القائد للرجال، وهو رسول قضيته إلى الدولة العثمانية العلية، وإلى أمراء العرب..."^(٤). وقد أكد عبد العزيز الرشيد مقومات قدرة الشيخ يوسف، التي حسب لها الشيخ مبارك الصباح ألف

(١) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/١١٩. ذكر الذكر أنه قدم إلى الكويت من عنيزة للدراسة في مدرسة خاصة بمجلس آل إبراهيم وعمره أربعة عشر عاماً وصادف طلبة علم في المدرسة ومنهم حمد عبد الله الخنيني من أهالي القصيم كان يدرس معه هناك (انظر الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٠ - ١٠١). كان يُدرس فيها الجسار، وجملة من درس فيها المبعوث الأول إلى مصر ماجد بن سلطان بن فهد، واحمد السنان وآخرون.

(٢) ذكر الذكر أنه قدم إلى الكويت من عنيزة للدراسة في مدرسة خاصة بمجلس آل إبراهيم وعمره أربعة عشر عاماً وصادف طلبة علم في المدرسة ومنهم حمد عبد الله الخنيني من أهالي القصيم كان يدرس معه هناك (انظر الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٠ - ١٠١).

(٣) ستانلي هوت، مرجع سابق ص ١٢٤. صفوت، مرجع سابق، ص ١٦؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١١؛ يحي الربيعان، عطاء الرواد بين المحذور والميسور، جريدة الطليعة، الكويت، الأربعاء ٥ مارس ١٩٩٧م، العدد ١٢٦٧، ص ٧.

(٤) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، مصدر سابق، ص ٦٦٠٣.

حساب، فبالإضافة إلى ما يملك يوسف من ثروة مادية. كان يتمتع بالشجاعة والإقدام، والتصميم في يده ورقة الثأر لأبناء القتيلين الشيخين محمد وجراح الصباح، وفي دمه صلة القرابة التي تربطه بالأبناء^(١)، فهو يعتبر خال لهم^(٢). وتلوح في ذكرياته أواصر الصداقة الحميمة، التي كانت تجمعها بالشيخ محمد الصباح قبل وبعد تولي الأخير الحكم^(٣).

لقد أثر الشيخ يوسف آل إبراهيم أثناء زعامته للكويت بصورة غير معلنة على حكام البلدان، الذين بنى معهم علاقات متينة في: الهند، والدولة العثمانية، ونجد، وقطر، وقبائل جزيرة العرب، وغيرهم، حتى اشتهر أمره، وذاع صيته في بلاد الخليج العربي شهرة الملوك والأمراء^(٤). ومن مظاهر صلات الشيخ يوسف آل إبراهيم بآل سعود، مع الإمام عبد الرحمن وابنه الأمير عبد العزيز، موحد المملكة العربية السعودية، أثناء إقامتهما بالكويت منذ عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢^(٥) أنه قدم ما يلزم لتجهيز مستلزمات زواج الأمير عبد العزيز، وذلك فور علمه بالأمر بعد عودته إلى الكويت، التي كان غائبا عنها خلال تلك الفترة. وقد تم ذلك مع أن الإمام عبد الرحمن قد حلّ ضيفا على شيخ الكويت محمد الصباح، إلا أن إعانة الزواج كانت هدية الشيخ يوسف له ولنجله^(٦).

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٢) علي بن محمد آل إبراهيم: له ابنتان: مريم، وشيخة، حيث تزوجت الأولى من عبد الله بن عيسى بن محمد آل إبراهيم، فأنجبت يوسف، أما شيخة فتزوجت من علي بن جابر بن عبد الله الصباح، وأنجبت منيرة زوجة جراح الصباح، وهيا زوجة محمد الصباح (مقابلة مع الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بدولة الكويت في ١٠/٦/١٤٢٣هـ، الزعيبي فادية: عائلة آل إبراهيم الكويتية مرجع سابق، ص ٨٢، Rush, Al Sabah, op, cit, p246.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨؛ الفرخان مرجع سابق، ص ٧٧.

(٤) الفرخان مرجع سابق، ص ٧٧؛ المنصور، الشيخ يوسف آل إبراهيم وعشر سنوات مرجع سابق، ص ١٦،

Jacob Goldberg, The Foreign Policy of Saudi Arabia, The Formative Years, 1902 - 1918, Harvard University, Press Cambridge, Massachusetts and London England, 1986, p10.

(٥) علي أبا حسين، برقية شرفية نادرة، مرجع سابق، ص ٦؛ ابن عيسى، عقد الدرر، مصدر سابق، ص ١١٤؛ الناصر، مصدر سابق، ص ٤٢

(٦) فؤاد حمزة:، قلب جزيرة العرب، (ط ٢)، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ، ص ١١؛ الربيعان، حينما تلتقي، مرجع سابق، ص ٧؛ عبد الله المحارب، الملك عبد العزيز وعشر سنوات في الكويت مقتطفات من منهج شبابه وقصة زواجه، جريدة الشرق الأوسط، لندن، الخميس ١٨/٢/ ١٩٩٩م، ص ١٥.

كما ساعد الشيخ يوسف آل إبراهيم الكثيرين ومنهم الحاج وليمسون^(١) الذي استقل الباخرة بانكورا هارباً من بومبي لاعتناقه الدين الاسلامي، مما أدى الى ملاحقة السلطات البريطانية له^(٢) في منتصف العام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣^(٣)، وتعرف على الشيخ خلال تلك الرحلة حتى أصبح من مرتادي مجلسه. وقصة ذلك أنه لما وصلت الباخرة المذكورة ميناء بوشهر^(٤) كانت قد سبقتها برقية مرسلة من قبل السلطات البريطانية في الهند تطلب إرساله مخفورا إلى بومباي، وبسبب القرار الذي اتخذه وليمسون وعزم على تنفيذه، وهو الهروب إلى أي بلد إسلامي يكون فيه بمأمن من قبضة البريطانيين، بعد أن أصبح مطلوباً لدى حكومة الهند، واختار أن تكون وجهته العراق، حيث الدولة العثمانية المسلمة. وعندما علم وليمسون بمضمون البرقية التي مفادها عدم سماح ربان الباخرة له من مغادرتها في أي ميناء ترسو فيه، وإعادته على ظهرها مخفوراً، طلب وليمسون من الشيخ يوسف آل إبراهيم مساعدته، فقام بتسهيل إدخاله إلى الكويت أثناء رسو الباخرة، واستضافته مانحاً إياه حمايته^(٥). وعندما طلب وليمسون مغادرة الكويت والرحيل إلى البصرة، أمّن له الشيخ يوسف ما أراد من لوازم الرحلة، وزوده بتوصية إلى فهد البسام عميد الاسرة هناك^(٦)، ممن تربطه به صداقة حميمة^(٧).

(١) وليام ريتشارد وليمسون، بريطاني الجنسية، ولد في مدينة برستيل البريطانية، وانتقل إلى بلاد عدة ومر بالهند وأسلم على يد مسلمين هنود، بعدها قرر التوجه إلى البلاد العربية لتعلم اللغة العربية، وتعاليم الدين الإسلامي، وعرف بالحاج عبد الله فاضل وليمسون، ويلقبونه بالمسلماني (أنظر ستانلي هوت، مرجع سابق ص ١٣ - ؛ يعقوب آل إبراهيم، هذه القصة الكاملة للحاج وليمسون، المجلة العربية، الرياض، ربيع الآخر ١٤٢١هـ يوليو ٢٠٠١ العدد ٢٧٩، ص ٣٤؛ أحمد المبارك: وصاحبني إلى العراق إنجليزي أعلن إسلامه، المجلة العربية الرياض شوال ١٤٢٠هـ ص ٢٧).

(٢) بانكورا: سفينة تعود ملكيتها إلى الشركة البريطانية الهندية للملاحة، صنعت عام ١٨٨٠م، وقد عملت على خطوط الشرق الأقصى، ثم الخليج العربي؛ لنقل الجنود بين إفريقيا والهند، وتم الاستغناء عن خدماتها عام ١٩٠٦م. (يعقوب آل إبراهيم، شركة المراكب العربية، من الشراع إلى البخار، الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت (د ت)، ص ٥٤، ٥٥)

(٣) ستانلي هوت، مرجع سابق ص ١٣٠؛ آل إبراهيم، يعقوب، المرجع نفسه ص ٥٤

(٤) بوشهر: الميناء البحري الرئيس في إيران، والمدينة الرئيسية على الجانب الشرقي من الخليج العربي. (لوريمر، دليل الخليج القسم الجغرافي، مصدر سابق، ١/٤١٨).

(٥) ستانلي هوت، مرجع سابق ص ١٣٢؛ آل إبراهيم، يعقوب: المراكب العربية، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٦) عائلته تجارية ترجع أصولها لبلدة عنيزة في نجد وانتقلت للبصرة وبعض أفراد العائلة انتقل للهند للمتاجرة، (يعقوب آل إبراهيم، هذه القصة الكاملة، مرجع سابق، ص ٣٥)

(٧) ستانلي هوت، مرجع سابق ص ١٣٠؛ المقصود هو فهد البسام وكيل إمارة حائل في البصرة (يعقوب آل إبراهيم، هذه القصة الكاملة، مرجع سابق، ص ٣٥).

يكفي هذا العرض السريع لمعرفة ملامح ومقومات شخصية وقدرة الشيخ يوسف آل إبراهيم، إذ كان قوة اقتصادية، وقوة عسكرية وقوة لوجستية في تجنيد الرجال، ولشن الحملات وقيادتها بنفسه، وقوة سياسية في مطالبته بدم الشيخين محمد وجراح الصباح، واستعادة حقوق أبنائهما، وفوق كل ذلك يجب ألا نغفل أهميته في تسيير أمور الكويت والتي كانت بين يديه تقريباً، وسلطة الحكم قريبة منه صاغية له. إضافة إلى ما له من علاقات في الداخل والخارج أقلقت الشيخ مبارك الصباح، وكدرت صفو مباحته، وأنقصت من نشوة استيلائه على السلطة لعقد من الزمان تقريباً.

ربما كان تقارب سني العمر واختلاف المشرب بين الشيخين، الصباح وآل إبراهيم، عاملاً مهماً في استمرار الخلاف بينهما، حتى تحول إلى صراع دام حوالي عقد من الزمان، فالشيخ مبارك يكبر الشيخ يوسف آل إبراهيم بعام واحد تقريباً، فقد ولد الأول عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤^(١)، والثاني بعد عام واحد ١٢٦١هـ / ١٨٤٥^(٢). كما نال كلاهما قسطاً من التعليم الديني، ولعل يوسف كان أكثر اهتماماً بالدراسة لوجود مدرسة خاصة، هي مدرسة آل إبراهيم، التي توافد إليها طلبة العلم من داخل الكويت وخارجها^(٣).

وتمتع كل منهما بدهاء ومكر، قد يتفوق فيه أحدهما على الآخر بالتبادل في بعض المواقف. إلا أن الشيخ يوسف آل إبراهيم، إضافة إلى غناه الواسع، كان واسع السلطان، مستحوذاً على ناصيتي الاقتصاد والسياسة في عهد الشيخ محمد الصباح، مما حال دون وصول المال إلى يد الشيخ مبارك الصباح. إلا أن الأخير اكتسب خبرة عسكرية كانت بدايتها برغبته بأمور الحرب وشؤون الفروسية، كما أشرنا سابقاً، وتدربه في مجالس الحكم والقضاء في سني عمره المبكرة. وإن وصل الشيخ يوسف آل إبراهيم بنفوذه الاقتصادي إلى تولي المهام السياسية، فالشيخ مبارك الصباح عمد إلى ما يملك من قوة عسكرية للوصول إلى رأس السلطة. وإلى جانب ذلك تمتع كل منهما

(١) خزعل، مرجع سابق، ١١/٢؛ محمود، مرجع سابق، ص ١٦٨. لحافظ وهبة رأي آخر، راجع جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٣١.

(٢) صفوت، مرجع سابق، ص ١٦.

(٣) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/١١٩.

بخبيرات واسعة اكتسبها من احتكاكها بالعالم الخارجي عبر رحلاتهما
وأسفارهما، واختلاطهما بأهل السياسة وأهل الحل والعقد^(١).

(١) الفرخان، مرجع سابق، ص ٧٠؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ الريحاني، تاريخ نجد، ص ١٢٠؛ المنصور، الكويت وعلاقتها؛ ص ٥٠؛ ينوا ميشان، عبد العزيز آل سعود.. سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفتاح ياسين، دار الكتاب العربي، بيروت (د - ت) ص ٧٥.

الفصل الثاني

استيلاء مبارك على السلطة وتزعم الشيخ يوسف آل إبراهيم المعارضة

- ١ - الخلاف بين مبارك وإخوته
- ٢ - ردود الفعل المباشرة على الحدث.
- ٣ - بروز دور الشيخ يوسف آل إبراهيم وتبنيه المعارضة.
- ٤ - التوجه نحو العثمانيين.
- ٥ - النزاع على الأملاك.
- ٦ - محاولات الشيخ مبارك الصلح مع خصومه

الفصل الثاني

سلطة مبارك آل صباح ومهاوضة يوسف آل إبراهيم

الخلاف بين مبارك وأخوته

مثلما اختلفت الآراء حول جذور الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، اختلفت أيضاً حول أسباب تطور هذا الخلاف بينهما إلى صراع، وما أسباب الصراع إلا امتداد لجذور الخلاف التي ناقشناها آنفاً. ونجد الصراع بين الأخوة الاشقاء، الشيخ محمد وجراح ومبارك، سبباً مهماً في الخلاف ثم الصراع الدامي بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، كما سنرى.

نحن الان في عام ١٣١٣هـ ١٨٩٦م وفي مارس تحديداً والذي لم يكن شهراً عادياً. ففي إيران إغتيال ناصر شاه إيران وفي أوروبا إكتشف دواء الاسبرين. أما الاحداث في الكويت فالتاريخ لم يترك لنا كوة نستطلع منها، فليس معروفاً على وجه الدقة، ما الذي حمل الشيخ مبارك على قتل أخويه ليلة ٢٥ من ذي القعدة ١٣١٣هـ/مايو ١٨٩٦^(١) فالأسباب ما تزال مجهولة. سوى ما لمحت به بعض التفسيرات التي لاقت رواجاً بين المؤرخين البريطانيين والعرب، ألا وهو أن الشيخ محمد الصباح لم يكن حاكماً قوياً، إضافة إلى قبوله لقب قائمقام الذي منحت له الدولة العثمانية من قبل^(٢). ومن ثمّ سلمّ مقاليد السلطة للشيخ يوسف آل إبراهيم، إذ كان الأخير موالياً للدولة العثمانية، وعازماً على إتباع سياستها في حكم الكويت^(٣). وإن كان الشيخ يوسف آل

(١) القناعي، مصدر سابق ص٢٧؛ الذكير، مصدر سابق ص١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٥؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/٣٠٥؛ عبدالله البسام، مصدر سابق ص٣٠٥؛ Fredrick Anscombe, The Ottoman Gulf and the Creation of Kuwait, Saudi Arabia and Qatar, 1817-1914, p133

(٢) حسن آل إبراهيم، مرجع سابق، ص ٤٤؛ ديكسون، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ زهرة فريز ديكسون، مصدر سابق، ص ٤٣؛ الموصللي، مرجع سابق، ص ١٣٦؛ جمال قاسم، مرجع سابق ٢/٣١٠، Fredrick Anscombe, op, cit, p133

(٣) ديكسون، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ زهرة فريز ديكسون، مصدر سابق، ص ٤٣؛ العبد المحسن، =

إبراهيم له صلة قرابة بالشيخ محمد فلا يحق له تولي الحكم المتوارث في أسرة آل الصباح. فمن هذا المنطلق لم يقبل الشيخ مبارك تدهور الأوضاع السياسية، على هذا النحو، في الكويت، فاضطر للجوء إلى استخدام العنف^(١).

يبدو هذا التفسير غير مقبول، لأنه جعل العامل السياسي هو السبب المباشر للصدام المحتوم ما بين سلطة آل صباح وسلطة الدولة العثمانية. وهذا لم يحدث ونفته الأحداث القادمة. فبعد عملية القتل نجد الشيخ مبارك، خلال الشهور الأولى قد استخدم جميع الوسائل من أجل التقرب والتعاون مع العثمانيين^(٢). ومن التفسيرات الأخرى في دوافع الشيخ مبارك لقتل أخويه، ما كتبه الكابتن وايت Captain Whyte المعتمد السياسي البريطاني في البصرة من أن الشيخ مبارك عمد إلى الاستيلاء على السلطة والأموال، اللتين كانتا بيد الشيخ محمد الصباح^(٣).

لكن، عبد العزيز الرشيد، الذي استشهد بقول السيد خلف النقيب^(٤) وكان الأخير أحد الوسطاء في هذا الصراع، ذهب إلى أن كلاً من الشيخ محمد والشيخ جراح والشيخ يوسف آل إبراهيم قد بخلوا بالمال، عندما كان الشيخ مبارك في حاجة ماسة إليه^(٥). وهذا ما أكده معاصرو الرشيد مثل عيسى القناعي ومقبل الذكرير^(٦). بينما أشار آخرون، مثل ارمسترنج وبنوا ميشان، في

= مرجع سابق ١/٣٠٥؛ بوندأريفسكي؛ مرجع سابق ص ٩١؛ أبو حاكمه، مرجع سابق ص ٣٠٨، قاسم، جمال مرجع سابق ٢/٣١٠.

(١) Fredrick Anscombe, op, cit, p133

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٥١؛ الذكرير، مصدر سابق ص ١٠١؛ أبو حاكمه، مرجع سابق/٣١٠؛

(٣) Fredrick Anscombe, op, cit, p133.

(٤) خلف النقيب: من أهل العلم والفضل ومن علماء الكويت ومصلحها يرجع نسبه إلى أسرة النقيب في البصرة وهو من رجال الكويت الذي عملوا من أجل توحيد الصف الكويتي، وكان (ديوانية) خلف النقيب في الحي القبلي لمدينة الكويت منبراً من منابر العلم وكان يرتاده كل علماء الكويت والوافدين عليها، ومن أشهر مرتادي مجلسه الشيخ مبارك والأمير عبد العزيز آل سعود - أثناء إقامته بالكويت، وحافظ وهبة وغيرهم من آل صباح وعلماء الكويت. توفي سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م. (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٠؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٢٦)

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٠

(٦) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٥؛ الذكرير مصدر سابق ص ١٠٠

تفسيرهما لأسباب الخلاف بأنه كان نتيجة لسيطرة الشيخين محمد وجراح الصباح على الموارد المالية، وحرمان مبارك منها. علاوة على تعرضه للإهانة من قبلهما، مما دعاه إلى مغادرة الكويت والاستقرار بالهند لسنوات عدة، خسر خلالها جميع أمواله هناك، مما اضطره لبيع حلي والدته ليسد الديون التي تراكمت عليه، فعاد إلى الكويت معدماً لا يملك شيئاً^(١).

غير أن، ومن تتبع لأعمال مبارك في فترة حكم الشيخ محمد ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/١٨٩٢ - ١٨٩٦، نجده كان مكلفاً بأعمال عسكرية قام بها خلال السنوات ١٣١٠هـ/١٨٩٢، و١٣١١هـ/١٨٩٣، و١٣١٢هـ/١٨٩٤. وبما أن عملية القتل قد تمت السنة ١٣١٣هـ/١٨٩٦ فمن المحتمل أن خروجه للهند كان في أواخر السنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤، وقدمه كان في منتصف العام ١٣١٣هـ/١٨٩٥^(٢). وإن توجهه إلى الهند، حسب ينوا ميشان وارمسترونج، كان نتيجة للضغوط التي مارسها أخواه، الشيخ محمد وجراح، ضده بسبب الاختلافات المادية وحرمانه من حقوقه، وعدم إعطائه سلطة قيادية، بعد أن أصبح للشيخ جراح والشيخ يوسف آل إبراهيم النفوذ الأكبر على الشيخ محمد، مما دعاه - أي مبارك - إلى الابتعاد عن أجواء المشاحنات والخلافات، التي بدأت تتزايد وتيرتها وتتطور أحداثها^(٣).

ومن المحتمل أن يكون سفره إلى الهند بداعي التجارة كسائر تجار مناطق الخليج العربي والبحر الأحمر، المرتبطة تجارتهم بالدرجة الأولى بتلك البلاد. ولعل الحظ لم يحالف الشيخ فخر جميع أمواله، وعاد أدراجه إلى الكويت لا يملك شيئاً^(٤). ومن المحتمل أيضاً، أن يكون سفره بغرض معرفة النشاط التجاري العام في الهند وأهميته، وحجم التجارة الكويتية وأهميتها بشكل عام، وتجارة آل صباح وآل إبراهيم هناك بشكل خاص. فتجارة آل إبراهيم كان مقرها بومباي، التي قصدها مبارك عند ذهابه إلى الهند، ولقوة العلاقة بين آل

(١) هـ. س. أرمسترنج، عبد العزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية، ترجمة وتقديم يوسف عوض،

مطابع الأهرام، مصر، (د ت)، ص ٥٠؛ ينوا ميشان، مرجع سابق ص ٧٠

(٢) انظر جدول الحملات التي كلف بها الشيخ مبارك ص ٤٤

(٣) ينوا ميشان، مرجع سابق ص ٧٠؛ أرمسترنج، مرجع سابق ص ٥٠

(٤) أرمسترنج، مرجع سابق ص ٥٠.

صباح وآل إبراهيم، فإنه من المرجح إن زهابه إلى عائلة آل إبراهيم هناك، ليتمكن من التعرف على تجارتهم عن قرب هناك، وكذلك معرفة حصة وثروة آل صباح الموجودة كأمانة لدى آل إبراهيم في بومباي، في عهد الشيخ محمد آل صباح^(١) ولكننا لم نجد دلائل تثبت ذلك.

قدم بونداريفسكي إحصاءً لثروة آل صباح في بومباي، من خلال وثائق وتقارير القناصل الروس في اسطنبول وبغداد والبصرة، وكانت موجودة في أحد بنوك بومباي باسم الشيخ محمد وولديه^(٢)، وليس باسم آل صباح كما هو متعارف عليه، وتصل إلى ١٢ مليون روبية^(٣). إن زهابه إلى هناك يعني وضع تصور كامل لمطالبته أخوته بجميع مستحقاته من ثروة وأملاك آل صباح الموجودة داخل الكويت، أو بأملاكهم الواقعة بولاية البصرة العثمانية، والتي يعرفها بحكم تردده عليها^(٤). أكد ذلك قول الشيخ مبارك لخلف النقيب، بعد إطلاعها على الورقة التي كتبها الشيخ محمد بحساب مبارك وحقوقه المالية،

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٤؛ رسالة من الشيخ مبارك بن صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم يبين فيها الشيخ مبارك جميع الأموال التي كانت أمانة عند آل إبراهيم في عهد الشيخ محمد آل صباح بتاريخ ٣ محرم ١٣٢٥ هـ (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وقد حصل الباحث على نسخة منها).

(٢) لم يحدد لنا بونداريفسكي من هم ولدا الشيخ محمد بن صباح مع العلم أن عددهم خمسة وهم علي (ولد ١٨٦٠)، "الأخ غير الشقيق"، وصباح (ولد ١٨٧٥)، وسعود (ولد ١٨٧٧)، وخالد (ولد ١٨٨٣)، وعذبي (ولد ١٨٨٥) (بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٩٦). أما الشيخ جراح فله ولد وحيد، وهو حمود (ولد ١٨٨٣).

(٣) بونداريفسكي، مرجع سابق ص ٩٦، كان هذا المبلغ الكبير قد جاء في تقرير روسي أعتمد عليه بونداريفسكي كمرجع له، لكن هذا المبلغ كبير ولا يمت للواقع بصله، فالمؤرخ القناعي المعاصر والمدرك لواقع حال آل صباح في تلك الفترة يقول "إن أدنى تاجر من أهل الكويت هذه الأيام يملك أكثر مما يملك الأمراء في ذلك الوقت، والدليل على ذلك أن مباركاً قتل أخويه وتولى على المالية ولم يجد فيها سوى ٧٠٠ ريال في الخزينة و ٧٣٥٠٠ روبية أمانة في بيت آل إبراهيم في بمبيي" وما يؤكد مقولة القناعي هو المبلغ الذي دفعه آل إبراهيم لمبارك الصباح والذي كان أمانة عندهم ويصل إلى "٧٦٨٥٥ روبية". القناعي، مصدر سابق ص ٢٤؛ رسالة من الشيخ مبارك بن صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم يبين فيها الشيخ مبارك جميع الأموال التي كانت أمانة عند آل إبراهيم في عهد الشيخ محمد آل صباح بتاريخ ٩ محرم ١٣٢٥ هـ (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وقد حصل الباحث على نسخة منها)؛ وثيقة باسم عبدالرزاق الخالد الخضير باستلامه من الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم مبلغ وقدره "٧٦٨٥٥" روبية بتاريخ ١١/ ذي الحجة/ ١٣٢٥ هـ. (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وقد حصل الباحث على نسخة منها)

(٤) الحاتم، مرجع سابق ص ٢٥٩.

بعد احتدام الخلاف بينهما: "إن بلع الأمواس أهون من بلع هذا الحساب" (١). ومن المحتمل أيضاً أن زهابه كان لأغراض سياسية بحثة للاطلاع على القوة البريطانية المسيطرة والمستعمرة للهند، والتي استطاعت فرض سيطرتها على أكثر القوى في الخليج العربي (٢). ولعل نظرة مبارك المستقبلية جعلته يحاول معرفة النظرة البريطانية حول مستقبل الكويت السياسي، والسياسة البريطانية في الخليج العربي بشكل عام، وأهمية ومكانة موظفيها هناك، وهذا ما ستوضحه الأحداث خلال فترة النزاع بين مبارك آل صباح والشيخ يوسف آل إبراهيم، أثناء لجوئهما لبريطانيا (٣). ولعله أيضاً أراد أن يُعرف بنفسه لدى السلطات البريطانية في الهند خلال وجوده هناك.

ومن جانب آخر، أشارت أصابع الإتهام إلى أن المصلحة البريطانية كانت تهدف إلى إزاحة الشيخ محمد الصباح، محرصةً الشيخ مبارك لقتل أخويه، وقام بذلك التحريض مقيماً السياسي في الخليج (١٨٩٧/١٨٩٤) الكولونيل جي.أي.ويلسون LT.COL.J.A.Wilson. وذلك لرفض محمد الصباح، شيخ الكويت، للعروض البريطانية لإقامة علاقات تحالف معه، وجاء رفضه بتوصية من الشيخ يوسف آل إبراهيم في العام ١٣١٣هـ/١٨٩٦ (٤).

لابد من وقفه عند هذه النقطة، التي دائماً ما كانت تثار حول موقف الشيخ محمد الصباح برفض أي علاقة مع بريطانيا، وبتوصية من الشيخ يوسف آل إبراهيم. إن المتتبع لسيرة الشيخ يوسف آل إبراهيم يجده ينتسب إلى أكبر الأسر التجارية في الكويت، وتجارته مرتبطة بالهند، فهي من أوائل العائلات الكويتية التي استقرت بالهند، وعملت في مجال التجارة هناك، في بداية القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، أي أبان حكم الشيخ جابر

(١) الذكر، مصدر سابق ص ١٠٢

(٢) كيلى، مرجع سابق ص ٢٩، السعدون، العلاقات، مرجع سابق ص ٢٢؛ جمال قاسم، مرجع سابق ٣٠٦/٢؛ منسي، مرجع سابق ص ٢٣؛ فرج الله، مرجع سابق ص ٤٦.

(٣) الذكر، مصدر سابق ص ١٠١؛ الريحاني، ملوك، مصدر سابق ٢/٦٥٩؛ سلدانيا، الكويت السياسي، مصدر سابق ص ٤٢

(٤) لوريمر، دليل التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٢٨؛ السعدون، العلاقات... مرجع سابق ص ٢٩؛ النويصر، مرجع سابق، ص ١٥؛ خزعل مرجع سابق ١/١٥٢؛

ابن عبد الله^(١). ومارست هناك نشاطاً تجارياً مرموقاً، خاصة في حقل تجارة اللؤلؤ، حتى أُطلق على الشيخين عبد الرحمن^(٢) وجاسم أو قاسم^(٣) آل إبراهيم لقب ملوك اللؤلؤ^(٤). بل يعتبر الشيخ يوسف آل إبراهيم من أكبر تجار عصره وتربطه بالهند علاقات تجارية كبيرة، وكان دائم السفر إليها، يجيد اللغة الهندية والإنجليزية بحكم متطلبات عمله ومصالحه التجارية. مما وطد علاقة جيدة مع البريطانيين^(٥) هناك. والدليل، أن أول باخرة أجنبية وصلت الكويت كان على متنها الشيخ يوسف آل إبراهيم، واسمها بنانغ العام ١٢٨٥ / ١٨٦٧^(٦) والتي كانت قاصدة البصرة ولكن الشيخ يوسف أقنع القبطان بتغيير خط سيره متوقفاً في الكويت لمدة يوم كامل، وفي الوقت نفسه، كان امتلاك المقاطعات والأراضي الزراعية في العراق العثماني لا تقارن من حيث الأهمية مع نشاطه التجاري المرتبط بالهند^(٧)، وكانت بريطانيا هي القوة المستعمرة للهند والمسيطرة على الطرق التجارية في الخليج العربي. فهل من

(١) بدر خالد البدر، رحله مع قافلة الحياة، الناشر المؤلف، الكويت ١٤٠٨ / ١٩٨٧، ١ / ١٢١؛ يحيى الربيعان، عندما تلتقي المعرفة بالحقيقة، جريدة الطليعة، الكويت، الأربعاء ٢٦، مارس ١٩٩٧م، العدد ١٢٧٠ ص ٧؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق ١ / ١٢٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبد العزيز آل إبراهيم "أبو عوف": من التجار الكويتيين المستقرين في الهند وكان له تجارة كبيرة وخاصة في مجال اللؤلؤ، وقام بأعمال خيرية كثيرة أشهرها بمساهمته في بناء المدرسة المباركية وقد أعلن إفلاسه في نهاية سنة ١٣٣١هـ. (محسنون من بلدي مرجع سابق ١ / ١٣١؛ يعقوب آل إبراهيم، نفائس الخبايا من تاريخ الكويت، جريده القبس، الكويت الأربعاء ٢٨ / ٦ / ٢٠٠٠م العدد ٩٧٠٦ ص ٣٣.

(٣) قاسم (جاسم) بن محمد آل إبراهيم: ولد سنة ١٢٦٨ في منطقة بهيته في الكويت وانتقل إلى بومباي واستقر بها وكان من أكبر التجار في بومباي وكان أول من أسس شركة مساهمه عربية في الهند وعرف بأعماله الخيرية التي خدمت الإسلام والمسلمين في بلاد العرب وتوفى في الهند وعمره ٨٧ عاماً سنة ١٣٥٧هـ (محسنون من بلدي، مرجع سابق ١ / ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢؛ الزعبي، الشيخ جاسم آل إبراهيم ودعم، مرجع سابق، ص ١٤). راجع نبذة عنه في هامش زيارته للكويت العام ١٩١٤ ص ٢٠٣.

(٤) ضاري الرشيد، نبذة تاريخية عن نجد، كتبها وديع البستاني، دار اليمامة الرياض، ١٩٦٦م، ص ٢٧.

(٥) نجده صفوت، مرجع سابق، ص ١٦.

(٦) نجده صفوت، مرجع سابق، ص ١٦.

(٧) أولشر، مع النجمة والهلال، ترجمة عبد الله الصانع (د - ت)، الكويت، ١٩٥٨م، ص ٢٣؛ يعقوب آل إبراهيم، المراكب... مرجع سابق ص ٦٧؛ الحاتم مرجع سابق ص ١٢٠ لكن الحاتم لم يحدد الاسم الذي على متن السفينة واكتفى بقوله "على متنها تاجر كويتي".

المعقول أن يقف الشيخ يوسف آل إبراهيم ضد مصالح بريطانيا في الخليج، وهو الرجل الاقتصادي المرتبط ارتباطاً كبيراً بالهند. حتى وصفه السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته بأنه يميل إلى الإنجليز^(١)؛ فمن خلال ما نُكّر لا يمكن الميل إلى الرأي القائل برفض الشيخ محمد الصباح للطلب الإنجليزي أنه كان بتوصية، أو ضغط، من الشيخ يوسف آل إبراهيم. فالشيخ محمد عرفت عنه صفة التدين والنزاهة والمحافظة على مسيرة أسلافه، لذا اعتقد أن رفضه جاء نتيجة طبيعية لصفاته هذه، وهي السير على نهج من سبقه من آل صباح بالتبعية والولاء للسلطنة العثمانية لأسباب أكثرها دينية.

على أية حال، سنواصل تتبع أسباب الصراع الذي كثرت حوله الأقاويل، واختلفت حوله التكهنات، سواء من قبل المؤرخين العرب أو البريطانيين أو غيرهم، فممنهم من قال: إن الشيخ محمد الصباح لم يكن محبوباً بل كان مكروهاً من جانب القبائل^(٢). ولم يكن على وفق مع سائر أشقائه، ما عدا شقيقه جراح^(٣)، فكانت النتيجة تدبير مؤامرة اغتيال الشقيقين من قبل الأشقاء الآخرين في ١٣١٣/١٨٩٦^(٤)، فتقدم الشيخ مبارك لشغل المركز الشاغر، ولم يكن لهذا الحادث في الكويت إلا صدى ضئيل. لكن، ثمة تقرير سياسي حول ماجرى، ربطه بمؤامرة بريطانية^(٥).

كما أننا لا نتفق مع تبسيط ردة الفعل لما حدث من مقتل الشيخ محمد الصباح، "فقد كان لهذه الحادثة رنة أسي وحزن عميق في الكويت"^(٦). وحسب عبد العزيز الرشيد "ما كاد ينتشر الخبر في أرجائها، حتى ضجت من

(١) عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١ - ١٩٠٨م، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ص ١٤٠.

(٢) سلدانيا، تاريخ الكويت...، مصدر سابق ص ٢٩؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٢٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق ص ٩٧.

(٣) سلدانيا، المصدر السابق، ص ٢٩ (نكر سلدانيا أن الأخ جابر ولعله خطأ مطبعي) والحقيقة أن محمد ليس له أشقاء سوى "مبارك وجراح" وأمهم لولوة بنت محمد الثاقب أما بقية أخوته من الأب فهم عبد الله الأكبر ثم جابر وعزبي وأحمد وحمود". (الرشيد، عبد العزيز، مصدر سابق ص ١٣٢.

(٤) سلدانيا، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٥) سلدانيا، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٦) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٤١.

أقصاها إلى أقصاها، وارتفع العويل من صغيرها وكبيرها لهذا الحدث الجلل، والمصيبة التي لم يحدث لها نظير من قبل في الكويت^(١). ولكن بعض المؤرخين البريطانيين من يسعى لإلصاق تهمة المؤامرة بالدولة العثمانية، من خلال الإيحاء بأن الدولة العثمانية قد مكنت الشيخ يوسف آل إبراهيم من السيطرة على زمام الأمور، ضمن مخطط إزاحة آل الصباح عن الحكم^(٢). وكأنهم بذلك ينفون فكرة المؤامرة البريطانية المشار إليها سابقاً دون التصريح.

لا يختلف هذا الأسلوب عما فعله الشيخ مبارك، إذ سعى إلى إلصاق تهمة القتل بخصمه، الشيخ يوسف آل إبراهيم، بوثيقة قدمها إلى الدولة العثمانية تحمل توقيع شهادة جمع من أعيان الكويت^(٣). ومن التفسيرات المشوهة، حول حادثة القتل، ما قاله غولديبرج Jacob Goldberg: "كانت نقطة التحول في تاريخ الكويت قد حدثت في مايو العام ١٨٩٦، عندما قُتل الحاكم وأخوه من قبل أخيهما "غير الشقيق" الشيخ مبارك، الذي نصب نفسه، في ما بعد، شيخاً على الكويت، فهرب العراقي - كذا - الشيخ يوسف آل إبراهيم، الذي كان أحد عناصر الانقلاب إلى البصرة"^(٤). أما عن أسباب الخلاف فيرى غولديبرج أنه كان عائلياً، بقدر ما كان حركة مناوئة للعثمانيين، وقد جعل تلك المناوأة بعيدة عن مصالح بريطانيا، فينسبها إلى الشيخ مبارك. قال: "كان مبارك دائم الغضب بسبب ضياع استقلالية الكويت، وكان دائم التحذير من تعاضل النفوذ العثماني"^(٥).

وهنا لم يوضح غولديبرج قوله: "كان دائم التحذير..."، إلى مَنْ كان يوجه مبارك تحذيره هذا! وما مظاهرتزايد النفوذ العثماني؟ إننا لا نسعى لإلصاق تهمة المؤامرة ببريطانيا، إذ لا نملك الدليل، ولكن التفسيرات الواهية لغولديبرج قد تفرض الميل إلى ذلك الاتجاه. قال: "كان تخلي أخيه عن الحكم الفعلي، وتسليمه زمام الأمور للأجنبي" الشيخ يوسف آل إبراهيم"، وطمع الأخير في إزاحة آل الصباح، كان ذلك كله بمثابة التحدي الأصعب أمام الشيخ

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٥.

(٢) Jacob Goldberg, Op, Cit, P23.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٥١؛ الذكر، مصدر سابق ص ١٠٢.

(٤) Jacob Goldberg, Op, Cit, P23

(٥) Jacob Goldberg, Op, Cit, P23

مبارك" (١). والواقع، أن الشيخ مبارك هو الشقيق الأوسط لمحمد وجراح، وأمهم لولوة بنت محمد الثاقب، ويطلق عليها أم محمد فهو شقيق الشيخ محمد وليس أخوه.

ثم إن الشيخ يوسف آل إبراهيم لم يكن عراقياً، مثلما ذكر غولديبرج وليته إطلع على ما كتبه مواطنه مايكل كوك Michael Cook الأستاذ في جامعة برنستون في بحثه الموسوم "توسع الدولة السعودية الأولى" حالة الوشم. في كتاب العالم الإسلامي The Islamic World من ص ٦٦١ الى ص ٦٩٩ ففيه سرد واف، إضافة إلى أن النسبة البلدانية لم تكن متداولة في تلك الفترة، حيث يتداخل الناس بدون عوائق. كان الشيخ يوسف من عائلة آل إبراهيم، التي قدمت جهداً كبيراً في وضع لبنات الكويت الأولى، مع بقية العتوب، بعد قدومهم من نجد في بداية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

وهل هناك دليل أدق عن ما قاله الشيخ مبارك فيه، كما جاء في رسالته إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم المؤرخة في ١٠ شوال ١٣٢٥هـ: "إذا يصير طاري يوسف في محضر رجال أكابر، أقول لهم مساويه معي يفسدها محسنات أبوه، ومحسنات علي وأبو علي محمد مع جابر وصباح، ولكن يا أخي جرى المقدر، وأنتم منا، ولا لنا منكم براءة" (٢). ومن التفسيرات الغريبة والمشوهة أيضاً، ما ذكره ماشكوف، القائم بأعمال القنصل الروسي في بغداد، من أن عملية القتل كانت نتيجة الاتصالات القائمة بين الإنجليز، والشيخ محمد والشيخ يوسف آل إبراهيم، مما جعل كبار آل صباح وأعيان الكويت يعقدون اجتماعاً سرياً في ١٦ مايو ١٨٩٦ - قبل عملية القتل بيوم واحد - قرروا من خلال الاجتماع الإطاحة بالشيخ محمد (٣) ولم يعرف آنذاك بكتلة لها هذا الاتجاه إطلاقاً.

ومن التفسيرات المتضاربة حول هذه الحادثة - حادثة القتل - ومناقضة للرواية الروسية، ما حرره مستر ستافريدس Mr.Stravrides مستشار السفارة

(١) Jacob Goldberg, Op. Cit, P 23.

(٢) رسالة من الشيخ مبارك آل صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ١ شوال ١٣٢٥هـ، (مكتبة يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم الخاصة، لندن)

(٣) أرشيف السياسة الخارجية الروسية "الأرشيف السياسي" الملف رقم ٣٤٩ ورقة ٦١ (نقلًا من كتاب بونداريفسكي ص ٩٧).

البريطانية باسطنبول، في مذكرته المؤرخة في ٣٠ يونيو ١٨٩٦ جاء فيها: "تم مؤخراً اغتيال الشقيقين الشيخين، محمد وجراح، ووصلت إلى الباب العالي أنباء تفيد بأن الشيخ مبارك وبعد شهر من إقامته في بوشهر، استبقاه خلاله الكولونيل ويلسون المقيم السياسي في الخليج، فقتل شقيقه لدى عودته، لأنهما اعترضتا على التحالف مع الأمير محمد بن رشيد شيخ شمر صاحب السلطان على نجد، ومع جاسم آل ثاني شيخ القبائل المقيمة حول قطر"^(١).

وقد وفر الكولونيل ويلسون علينا مناقشة أغلب ما جاء في مذكرة مستر ستافريدس، حيث جاء تقريره المؤرخ في ٣ أكتوبر ١٨٩٦ نقضاً لأغلب ما جاء فيها، خاصة حول علاقته بمبارك، وإقامته معه في بوشهر، أو عن التحالف المقترح الذي أشار إليه مستر ستافريدس في مذكرته الأنفة الذكر. ففي هذا الصدد نذكر بعض ما حملة تقرير الكولونيل ويلسون: "القصة كما جمعها مستر ستافريدس، وفي ما يتعلق بهذه المعتمدية ليست صحيحة، وبدون أي أساس على الإطلاق. بل إنها كذلك مرجحة على نحو مضحك، ومليئة بالتناقضات..."^(٢) إلى قول: "وليست هناك أية معلومات من أي نوع في هذه المعتمدية عن التحالف المقترح بين شيخ الكويت وابن رشيد وجاسم آل ثاني"^(٣).

كذلك جاء تفسير محمد حسن الحجى "أبن كاتب الأمير عبدالعزيز بن رشيد"^(٤) مناقضاً أيضاً لتفسير مستر ستافريدس، بأنه بعد لجوء آل سعود إلى الكويت بدأوا يوغرون صدر مبارك ليتوسع على حساب إمارة آل رشيد بنجد، وعمل مبارك على إقناع أخويه اللذين رفضا طلبه لعدم قدرتهما وضعف إمكانيتهما وقلة طموحهما، فنتيجة لرفضهما ذلك قرر اغتيالهما^(٥). أما

(١) مستر ويلسون المقيم السياسي في بوشهر بالخليج العربي، وقنصل صاحبة الجلالة - ملكة بريطانيا - (سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت مصدر سابق ص ٣١)

(٢) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٣٢.

(٣) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق ص ٣٢.

(٤) حسن محمد الحجى، كاتب الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد الخاص وقتل مع الأمير عبد العزيز في موقعة روضة مهنا (مقابلة مع الأستاذ عبد الرحمن الصالح الجار الله، في مكتبة الصالح بحائل بتاريخ ٢٩/٢/٢٠٠٤).

(٥) الحجى: حسن، صدى الحرب (فظفر الأمير بن رشيد بالنجاح على الخائن للدين والدولة مبارك بن صباح)، مطبعة اللواء، القاهرة، ١٣٢٠هـ ص ص ٣ و ٤.

الكوماندر بيكر Baker قائد السفينة البريطانية سفنكس Sphinx، الذي زار الكويت في شهر يوليو، فقد أبى إلا أن يدلوه بدلوه في هذا الأمر، فيؤكد تقريره اغتصاب الشيخ مبارك للسلطة، لكنه يعتقد أن ذلك جرى بموافقة الأهالي^(١). ومن جانبه قدم الكابتن وايت، المعتمد السياسي البريطاني في البصرة، فور وصوله اسطنبول مذكرة إلى اللورد فيليب كوري Philip Currie^(٢) السفير البريطاني في الآستانة، كانت عبارة عن تحليل ونقد لمذكرة ستافريدس التي تقدم ذكرها ويهمنها منها الآتي:

يصف مستر ستافريدس، مستشار السفارة البريطانية باسطنبول، الكويت بأنها مستقلة تمام الاستقلال. لكن، يبدو أن قبول الشيخ محمد الصباح لتعيينه قائمقاماً، من قبل السلطان العثماني، يحول دون إمكانية اعتراف أي دولة أجنبية باستقلاله في ظل الوضع الراهن^(٣). وكأن مستر ستافريدس أراد القول: بإمكانية استقلال الكويت تحت ظل العلم البريطاني أو الحماية البريطانية. فبريطانيا لا يمكن أن تعترف بدولة ما لم تقم باحتلالها. ويصف وايت المعتمد البريطاني في البصرة الأنباء التي استقاها مستر ستافريدس، من مصادر الباب العالي، بأنها غير دقيقة على الإطلاق، في ما يخص أسباب اغتيال الشيخ مبارك لأخويه. قال: إن الغرض الوحيد للشيخ مبارك من قتل شقيقه، لا يعدو اغتصاب المشيخة، وتملكه للثروة التي يقال إنها كبيرة جداً، والتي جمعها الشيخ محمد الصباح^(٤). كذلك ينفي وايت في تقريره التحالف الذي أشار إليه مستر ستافريدس بقوله: "لم أسمع عنه شيئاً"^(٥).

ففي ظل تتبع لتكهنات الروايات المختلفة، سواء من المؤرخين الكويتيين، أو العرب، أو البريطانيين، أو غيرهم نجد لا مانع من عرض الرواية التالية،

(١) سلدانيا، مصدر سابق ص ٣٢؛ الخترش، مرجع سابق ص ٢٦.

(٢) اللورد فيليب كوري سفير بريطانيا في الآستانة وكانت مدة سفارته من ١ يناير ١٨٩٤م إلى ٣٠ يونيو ١٨٩٨م (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣٩٢٤/٧؛ الخترش، مرجع سابق ص ٣٢)

(٣) سلدانيا، مصدر سابق، ص ٣٩

(٤) سلدانيا، المصدر نفسه ص ٤٠.

(٥) سلدانيا، المصدر نفسه ص ٤٠.

وتفسيرها لأسباب الصراع. قال صلاح الدين المختار: كان الشيخ مبارك يتمتع بمواهب جمّة، منها حسن معشره، ومراعاته لأفراد شعبه على اختلاف ميوله ونزعاته ودرجاته. مما جعل أبناء الكويت يفكرون بانتزاع الحكم من الشيخ محمد وتقديمه هبة هيئة لينة إلى أخيه الشيخ مبارك، وكان الشيخ مبارك يشعر تماماً بما يخالج أفئدة الشعب الكويتي، فاستغل الظروف المواتية^(١).

سبق أن قللنا من أهمية قول مَنْ ذهب إلى أن انتزاع السلطة، على النحو الذي تم به، كان بموافقة الأهالي. إن كان مثل هذا التفسير مقبولاً فماذا يمنع قبولنا لمبدأ التفكير الجماعي، الذي جعل الكويتيين يفكرون في انتزاع الحكم، وتقديمه هبة، بينما قال الآخر: كان المركز شاغراً. إن شعور الشيخ مبارك بما كان يخالج أفئدة الشعب الكويتي، ربما حركه شيطان أكبر، فوسوس إليه بقتل أخويه. إننا أمام جريمة من أكبر الكبائر، والكل يعلم بعاقبتها، فهذا أمر لا يجوز تجاوزه، وإن تغافله البعض، سواء مَنْ حمّل الشعب الكويتي وزر الجريمة حين وافق عليها، أو التفكير بالشهادة زوراً على الشيخ يوسف آل إبراهيم بأنه القاتل. لقد صمم الشيخ مبارك على التضحية بأخويه على مذبح الغضب والانتقام، وتقدم لقتل أخويه مدفوعاً بيد الحق، الذي غيب عقله، وقد سهل عليه ذلك شغفه بالحكم واستماتته في سبيله^(٢).

وخلاف ما تقدم، إن دواعي الشقاق وأسباب الخلاف، التي أدت إلى الصراع بين مبارك وأخويه الشيخ محمد وجراح، تعود أساساً إلى التفاوت في المبادئ والتباين في الميول، والاختلاف في الطبائع والأخلاق. مما جعل هوة الخلاف بينهم تزداد اتساعاً^(٣). لقد طمع كل من جراح ومبارك في الشيخ محمد، فتقرب الشيخ جراح من الأخير حتى أصبح شريكه الفعلي بالحكم. لذا اشتدت المنافسة بين الشيخ مبارك وأخويه الحاكمين، وكان لها أسباب أخرى غير السبب السياسي.

كان الشيخ مبارك أبعدهم طموحاً، وأشدّهم بأساً، وأحدّهم طبعاً. وكان الشيخ جراح صاحب النفوذ الأكبر في السلطة إلى جانب الشيخ يوسف آل

(١) المختار، مرجع سابق ص ١٩/١.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٤.

(٣) خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٣.

إبراهيم، وجراح يحب المال بقدر ما يحب الشيخ مبارك المجد والشهرة^(١)، بخلاف أخويه اللذين كانا يضيقان بطموحه، فضيقا عليه في النفقة، ليحرماه من الاشتراك في تدبير الأمور^(٢). كان النفوذ الأكبر في شؤون البادية للشيخ مبارك، فنزع إلى الحروب، لهذا كانت حاجته إلى المال دائمة، وكان أخواه يسيئان معاملته في هذا الجانب، فيمسكان عنه ما تقتضيه نفقاته، حتى الخصوصية منها أحيانا^(٣)، فصبر على ذلك سنياً، ولكن لم يدم صبره إلى الأبد.

فيروى أن الشيخ مبارك اشترى أثناء مطاردة لبني هاجر إبلاً للمعركة، فحوّل البائع على الشيخ محمد الصباح. لكن الأخير امتنع عن سداد المبلغ، فلما بلغ ذلك الشيخ مبارك كظم غيظه. ثم حول البائع إلى ناصر البدر، فأبدى الأخير تعاونه، وحاول إصلاح ما أفسده الشيخ محمد، فطلب منه أن يكون السداد باسمه أمام الناس، لئلا يكثر منهم القيل والقال بعد أن شاع بين الناس الخلاف بين الأخوة، فسدد ناصر البدر المبلغ، واقتنع الشيخ محمد بتمثيل دور المسدد أمام الجميع^(٤).

وكي لا تكون روايات التاريخ كالأحاجي والقصص، علينا العودة إلى أحداث آخر هجمة قادها الشيخ مبارك في عهد الشيخ محمد الصباح، وهي مهاجمة أو مطاردة بني هاجر. كان بنو هاجر هم المعتدين على السفن التجارية، فنهبوا الأموال والممتلكات، وأما من أعد الجيش، وأصدر الأوامر، وأسند القيادة إلى الشيخ مبارك، فهو الشيخ محمد. وقد اشتركت إلى جانب القوة الكويتية، قوة من قبيلة العجمان يقودها زعيمهم راكان بن حثلين. ويصعب تصديق الروایتين في الوقت نفسه. وإذا كان الشيخ محمد هو الذي أعد القوة، وهو الذي أمر الشيخ مبارك بمطاردة بني هاجر، فلربما كانت هذه القصة، شراء الإبل ورفض السداد من قبل الشيخ محمد، حدثت في غارة من

(١) الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٨؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٦

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٣٨؛ الذكير، مصدر سابق، ص ٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١٥٣/١؛ ارسترنج، مرجع سابق ص ٥٠؛ ديكسون، مصدر سابق، ص ٦٥؛

(٣) Rush. Al-Sabah, Op, Cit, p119

(٤) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٣٩؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١١٤.

غارات الشيخ مبارك، التي قرر القيام بها بنفسه ولمصلحته الشخصية، ولم يذكرها المؤرخون. كانت المعارك التي خاضها الشيخ مبارك، وتولى قيادتها، بأمر من شيخ الكويت في عهد الشيخ عبد الله أو عهد الشيخ محمد الصباح، سواء تلك التي كانت تخص شؤون الكويت الداخلية، أو تلك التي شاركت فيها الكويت لدعم ومساعدة القوى المختلفة.

وإذا سلمنا بصحة الرواية الأخرى، ففيها نجد العذر لمن ادعى أن أهل الكويت كانوا يفكرون بانتزاع الحكم من الشيخ محمد الصباح، وتقديمه هبة هينة لينة إلى الشيخ مبارك، ففي الرواية الأخيرة دلالة على تراخي الشيخ محمد الصباح في حماية الكويت، وتجاهل منه صريح لاسترداد أموال الكويتيين، التي سلبها بنو هاجر. وهي أيضاً تحمل الدلالة على أن الشيخ مبارك كان يجهز القوات بنفسه، ويقودها بقرار منه مجاهداً في سبيل استرداد أموال الشعب الكويتي.

لكن، هذه الهجمة أو المطاردة تحديداً لم تحتل زمناً كالذي يستغرق في عملية اختيار الإبل. ثم تحويل البائع، ثم رفض السداد، ثم تحويل آخر للبائع.. الخ. إن هذه الهجمة التي كانت مطاردة رُدت بها الأموال والممتلكات كاملة، تدل على أن القوة كانت جاهزة، فأصدر الشيخ محمد الصباح أمره بالمطاردة، مسنداً قيادتها للشيخ مبارك، بمشاركة قوة مساندة من قبيلة العجمان. وهنا يحق لنا إعادة تساؤلنا السابق: لماذا لم يتمتع الشيخ مبارك من قيادة القوة طالما امتنع الشيخ محمد من تسديد قيمة تجهيز القوة بالإبل؟! لقد مرت بنا في روايات أخرى: إن القصد من تكليف مبارك بقيادة الحملات، كي يسقط قتيلاً، وهذا ما كان يأمله أخويه الشيخان. لكن، لا توجد أي دلالات تشير إلى إعداد قائد بديل، يكون قادراً على حماية الكويت من مثل تلك الهجمات والغارات المتكررة، مثلاً: تعيين مَنْ يثقون به مرافقاً للشيخ مبارك، حتى يحل محله حال قتله المؤمل من قبل أخويه.

أما مَنْ ذهب إلى أن المال هو السبب الرئيس، فلا أظن أن أحداً أشار إلى أن الشيخ مبارك قد أحب المال بدرجة أكثر من حب الشيخين محمد وجراح له. فحب جمع المال لدى الأخيرين لم يدفعهما لقتل أخيهما مبارك، ولربما لو قتلاه لبررنا ذلك بدافع المال، طالما كانا على رأس السلطة. وبالمثل كان حب مبارك

للسلطة أكبر من حبه للمال، فلو مُنح المال لظل طلبه للسلطة قائماً. والدليل على ذلك ما اتصف به من الإسراف والتبذير، فإن كان المال يعني له شيئاً، لجمعه ونماه كما فعل أخواه. ولكنه كان على يقين بأن السلطة سوف تجلب له المال، وليس العكس. لذا نجده قد انهمك في حملاته، وبنى علاقاته، ودبر في صمت، ونفذ في جنح الليل بما يشبع طموحاته. أجل، لقد كان المال أحد العوامل التي أثارت غضب الشيخ مبارك، وتحليلنا السابق لهذا العامل، سواء في جذور الخلاف، أو أسباب الصراع، لا يعني التقليل من شأنه. إلا أننا لا نقدمه سبباً مباشراً في الصراع، مما قد يفهم منه أن الصراع كان حول الثروة.

غير أن هذا العامل قد ظهرت أهميته، وأخذ يتعاظم تأثيره عندما تدخل الشيخ يوسف آل إبراهيم، كطرفٍ ثالثٍ في الخلاف الأول بين الشيخ مبارك وأخويه الشيخ محمد وجراح، وطرفٍ رئيسٍ في الصراع بينه وبين الشيخ مبارك، الشيخ الجديد للكويت، فعمق بتدخله هذا جذور الخلاف بينه وبين الشيخ مبارك، حسبما أفادت الرواية التالية: طلب الشيخ مبارك من أخويه الاعتراف له بقسطه من الأملاك، فامتنعوا عن إجابته، ولم يصغيا لطلبه، حتى كاد الأمر يفضي إلى ما لاحمد عقباه. إلا أن سالم البدر^(١)، وثلة من أعيان الكويت توصلوا لإقناع الأخوين بالنزول إلى طلب مبارك. وأن يكتبوا ثلاث أوراقٍ إحداها خاصة بإحصاء بعدة الحرب من أسلحة وذخيرة، واثنان فيهما الاعتراف له بما أراد، وأن تبقى إحداهما عنده والثانية بأيديهما^(٢).

توصل الجميع إلى حل هذا الخلاف بهذا الاتفاق، الذي كتب أوراقه الشيخ يوسف آل إبراهيم بخطه طائعاً مختاراً، وبهذا رجعت المياه إلى مجاريها، وصفا الإخاء. ويمكن القول بأن الخلاف المالي بين الأشقاء قد حسم وانتهت

(١) سالم البدر: من عائلة القناعي وهو من الثقات وعمل في البداية (نوخذة) ثم ترك هذه المهنة واستوطن البصرة من أكبر تجار الكويت وكانت له مقاطعات زراعية كبيرة في البصرة وساهم في حملة مدحت باشا على الإحساء ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م وكان له من أعمال الخير الكثير من بناء مساجد وإطعام المحتاجين ومساعدة المعوزين، ويعتبر من أعيان البصرة وسراتها، وتوفي في البصرة سنة ١٣١٢هـ (الحيدري، مصدر سابق ص ١٦٤؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٠؛ السبيعي، الحملة العسكرية... مرجع سابق ص ٥٥؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٨٢).

(٢) الذكير، مصدر سابق ص ٩٩؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٠؛ القناعي، مصدر سابق ص ٢٥.

مبرراته^(١)، ليبدأ الخلاف بوجهه الجديد بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، وذلك عندما احتاج الشيخ مبارك بعد فترة من الاتفاق السابق إلى شيء من المال، لقضاء ديونه بعد تراكمها. إلا أن طلبه قوبل في هذه المرة بالرفض والإعراض والصدود من قبل أخويه، فثارت العاصفة بعد سكونها، لتهد جانب الولاء، وتعكر صفو الإخاء^(٢)، فسارع أعيان الكويت ثانية لإقناع الشيخ محمد بضرورة مرور هذه العاصفة بسلام. وبدوره ما خيب لهم رجاء، وأمر في الحال فهد الخالد الخضير^(٣) بقضاء ديون الشيخ مبارك، التي بلغت ستة آلاف وستين ريالاً^(٤).

لقد كان الشيخ محمد الصباح، طيب القلب، سليم الطوية، وكان مثلما كان عليه حكام الكويت الذين سبقوه يستشير ويتناقش، ويقتنع برأي العقلاء من الأعيان. لم يرفض رأياً في فترة حكمه ملوحاً بالسلطة المطلقة. وبهذا أوشكت الأمور أن تنتهي بسلام، لولا الدور الذي مثله الشيخ يوسف آل إبراهيم، مما أحكم عقدة البغضاء، وشيد أركان العداء. إذ منع فهد الخالد من إعطاء الشيخ مبارك شيئاً، وبعث بعبد العزيز السميطة^(٥) إلى الشيخ مبارك طالباً منه تسليم الورقة التي بقيت بيده من الاتفاق السابق^(٦).

أحس الشيخ مبارك بالمكيدة، فامتنع من تسليم الورقة التي تحفظ حقوقه، فقد كان الأمر كما ظن، حيث صارح الشيخ يوسف آل إبراهيم السيد خلف النقيب بمصير تلك الورقة، التي هي حجة مطالبة الشيخ بحقوقه مرة

(١) الذكر، المصدر نفسه ص ٩٩؛ الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٠.

(٢) الذكر، المصدر نفسه ص ٩٩؛ الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٠.

(٣) فهد الخالد الخضير آل خالد: يرجع نسب أسرته للعتوب وهو من بيت عز وجاه وعلم وأدب فكان من كبار تجار الكويت وأعيانها (الذكر، مصدر سابق ص ٩٨؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق ١/٢٣).

(٤) الذكر، المصدر نفسه ص ٩٩؛ الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٠.

(٥) عبد العزيز السميطة: وهو من عائلة السميطة والتي يرجع أصلها إلى بلدة حرمة في سدير بمنطقة نجد وهاجرت في القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي إلى الزبير، وبعد استقرارهم بالزبير دخلوا في نزاعات مع بعض عوائل الزبير نتج عنه في النهاية خروج أكثر آل سميطة منها واستقروا بالكويت، فأصبح من تجار الكويت وأعيانها ووقف إلى جانب مبارك أثناء صراعه مع الشيخ يوسف آل إبراهيم وكان من رواد مجلس خلف النقيب بالكويت (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٠؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٢٦؛ خزعل، مرجع سابق ١/٨٨).

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٠؛ الذكر، مرجع سابق ص ٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٥.

أخرى^(١). فلما بلغ الأخير ما أكد ظنونه حول تلك المكيدة، وعلم بمدى مراوغة الشيخ يوسف آل إبراهيم له، أخذ غيظه يتعاظم، فأنهال بالشتائم على الشيخ يوسف آل إبراهيم^(٢)، ومع ذلك لم ييأس من إمكانية الحل السلمي، فطلب من أعيان الكويت التدخل أيضاً لتقديم النصح لأخيه الشيخ محمد الصباح، فلبوا طلبه، وأجابوا رجاءه، على الرغم من علمهم السابق، بأن الحل أولاً وأخيراً بيد الشيخ يوسف آل إبراهيم^(٣).

وهنا تبرز أمام الشيخ مبارك الحقيقة بصورتها الكاملة، بأن الشيخ محمد الصباح لا يملك حق التصرف في المال، فما بالك بالسلطة! كما نما لعلمه أن الشيخ يوسف آل إبراهيم لا يمكن أن يكون طرفاً في حل هذا الخلاف، طالما أنه كان سبباً فيه. لذا انتدب السيد خلف النقيب، وعبد العزيز الزين^(٤)، وفهد الخالد، وعبد العزيز السميطة، وفهد الدويرج^(٥) إلى أخيه الشيخ محمد، يرجونه تصفية الحساب الذي بينهما، فلبوا طلبه^(٦)، وتوجهوا إلى دار أخيه فأكد لهم الشيخ محمد الحقيقة التي جاءت على لسانه واضحة صريحة، وأحالهم إلى المختص بالأمر الشيخ يوسف آل إبراهيم، حيث يكون هناك الملتقى. إلا أن هذا اللقاء لم يسفر عن شيء، بسبب المراوغات التي أبداها الشيخ يوسف آل إبراهيم، كما لم تنتج المشاورات التي تلتها عن حل يرضي الشيخ مبارك^(٧).

وحول أسباب حادثة اغتيال الشيخ مبارك لأخويه الشيخين محمد وجراح الصباح، التي اتفق عليها أغلب مؤرخي الكويت، نجد أن الشيخ يوسف آل إبراهيم كان ضمن العوامل أو الأسباب الثلاثة التالية، التي قال بها كل من: عبد العزيز الرشيد، وخزعل، والشملان، وغيرهم، وهي بإيجاز على النحو التالي:

- (١) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٤٠؛ الذكر، المصدر نفسه ص ٩٩.
- (٢) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤١؛ الذكر، المصدر نفسه ص ٩٩.
- (٣) الذكر، مرجع سابق ص ٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٥.
- (٤) عبد العزيز الزين: من تجار الكويت وأعيانها وكان صديقاً مقرباً إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٠؛ معلومات زودني بها بخط يده الأستاذ يعقوب آل إبراهيم في منزله بالكويت بتاريخ ١٧/٣/٢٠٠٥م).
- (٥) فهد الدويرج: من أعيان الكويت وكان مقرباً لدى الشيخ مبارك (الرشيد: عبد العزيز، مصدر سابق ص ١٤٠).
- (٦) الذكر، مصدر سابق ص ٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٥.
- (٧) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤١؛ الذكر، مرجع سابق ص ٩٩.

أولاً: أن الشيخ مبارك كان ذا نفس عالية طموحة، فدفعه ذلك إلى تقديم مشاريع توسعية لا حد لها، وكان ميالاً إلى الحروب، باذلاً كل ما يملكه من مال وقوة في سبيل تحقيق مطامحه. بينما كان أخواه الشيخان محمد وجراح يميلان إلى الدعة والسكون، لذا كانا لا يشجعان إندفاعه الطموح، ويحدان من سلطته ويضيقان عليه^(١).

ثانياً: إن القول "بأن الشيخ محمد قد سلم مقاليد الحكم والسلطة لصاحب الكلمة العليا الشيخ يوسف، فلمعت شخصيته حتى طغت على كافة شخصيات آل الصباح، الذين لم تكن تسمع لهم كلمة دون موافقة الشيخ يوسف. فعمل الشيخان محمد وجراح على إبعاد الشيخ مبارك، ومضايقته من ناحية، كما كان الشيخ يوسف لم يخفي مضادته بعد أن صارت السلطة الحقيقية في قبضته"^(٢). هو قول يعتريه الكثير من المبالغة، فأذا كانت أمور المدينة والحضر بيد الشيخ محمد وأمور البادية والعسكر من اختصاص الشيخ مبارك أما الامور المالية فهي للشيخ جراح فماذا يبقى للشيخ يوسف لتكون: "بيده مقاليد الحكم والسلطة"؟. كما أن من سوقوا هذا الادعاء والحكم بالمطلق لم يأتوا بأي دليلا أو اثبات.

ثالثاً: الحصار المالي الذي فرضه عليه أخواه بمعاونة الشيخ يوسف أحيانا، كما سبقت الإشارة، في خطوة للحد من توسيع نفوذه، برفضهما حواراته التي كان يحتاجها لتزويد هجماته التوسعية بالمؤن، إضافة إلى منعهما عنه المال حتى في مصاريفه المعيشية وحوائج بيته. ثم التدخل المباشر من قبل الشيخ يوسف آل إبراهيم في منع وصول المال اللازم لقضاء ديونه^(٣).

إذا أمعنا النظر في هذه العوامل والأسباب التي قال بها أغلب مؤرخي

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ خزعل، المصدر نفسه، ١/١٥٤؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٤٠؛ الحجري، المصدر نفسه ص ٤ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق ٦٥٨/٢؛ الحجري، مصدر سابق ص ٤؛ وهبه، مصدر سابق ص ٨٥ الشرياصي، مرجع سابق ص ١٤؛ البنعلي، مصدر سابق ص ١٤٥؛ Rush. Al-Sabah, Op, Cit, P119

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٤؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٣) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٣٩؛ خزعل، المرجع نفسه، ١/١٥٤؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، المرجع نفسه، ص ١٣٩

الكويت، نجدها قد استندت إلى دلائل تاريخية تؤخذ بنظر الاعتبار، يمكن الاعتماد عليها في شرح أسباب الصراع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، وتؤكد بأنه لا وجود لأطراف أخرى، كالدولة العثمانية أو بريطانيا، أي دور في عملية الاغتيال. أشارت تلك الأسباب إلى طبيعة شخصية الشيخ مبارك الطموحة، فهي عامل من عوامل سعيه للاستيلاء على السلطة، إضافة إلى عامل الضغط المالي الذي مارسه ضده أخواه، وعدم اهتمام من الشيخ يوسف آل إبراهيم، الذي كانت بيده مقاليد الأمور. ويصح القول: إن جذور الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، وتطوراتها في المراحل المختلفة، كانت نتيجة الصراع حول السلطة بشقيها السياسي والمالي. فبينما كان الشيخ يوسف صاحب السلطة الحقيقية في عهد الشيخ محمد الصباح، بما يملك من نفوذ اقتصادي، ودهاء سياسي، كان الشيخ مبارك حامل لواء القوة، وهي السلطة العسكرية. بل صاحب الخبرة فيها، بما يملك من جرأة، ويتمتع بطموح، ولم تضع عملية استيلائه على السلطة حداً للصراع بينهما، كما سنرى لاحقاً.

استيلاء مبارك على السلطة

وصل الشيخ مبارك الصباح إلى سدة الحكم على دماء شقيقه الشيخين محمد وجراح، وتنصيب نفسه شيخاً على الكويت، بعد اغتيالهما مباشرة، وتسلم زمام السلطة فيها^(١)، وذلك في يوم الجمعة ٢٥ من ذي القعدة عام ١٣١٣هـ الموافق ٨ مايو ١٨٩٦^(٢). تمت عملية القتل كما رواها القناعي على لسان الشيخ جابر بن مبارك الصباح، أحد منفذيه والمشاركين فيها^(٣) بالقول: " رأيت مبادئ الحركة عند خدم الوالد تلك الليلة (ليلة ٢٥ ذي القعدة)، ولكني

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٧؛ عبدالله البسام، مصدر سابق، ص ٣٠٨؛ العبد المحسن، مصدر سابق، ١/٣٠٥.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٥؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ ابن عيسى، عقد الدرر، مصدر سابق، ص ١١٥؛ عبدالله البسام، مصدر سابق، ص ٢٨٠؛ بن ناصر، مصدر سابق، ورقة ٤٦٤؛ الريحاني، ملوك العرب...، مصدر سابق ٢/٦٥٨؛ وهبة، مصدر سابق، ص ٨٥.

(٣) جابر بن مبارك الصباح: الحاكم الثامن للكويت " ١٣٣٤هـ - ١٣٣٥هـ " تولى الحكم بعد والده مبارك الصباح وأول عمل قام به هو أنها ضريبة الثلث عن الكويتيين التي تؤخذ على العقار والبيوت (الشملان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص ١٨١).

لم أجزم بأن المراد هو القتل، فبت في بيتي. ولما مضى أغلب الليل خرجت إلى محل الوالد فإذا هو وسالم^(١) وجميع الخدم على أهبة الهجوم، فأمرت خادمي أن يأتي بسلاحي من البيت. ولما طلع الفجر خرج صباح بن محمد^(٢) للمسجد، وصار البيت مفتوحاً فحينئذ دخلنا البيت والكل نيام، فأمرني الوالد أن أتوجه لجراح وتوجه الوالد إلى جهة محمد، ووقف سالم بالباب كي لا يدخل علينا أحد. ولما صعدت على سطح البيت وتوجهت إلى عمي جراح رأيت باباً صغيراً مغلقاً بين سطحين، فحركته فانفتح ودخلت عليه، فإذا هو قاعد على سريره وزوجته بقربه، فصوبت عليه البندقية فلم تصدق (أي لم تطلق النار) فتأخرت إلى الخلف، وأمرت الفداوية^(٣) فصوبوا بنادقهم وهو يقول: عمك، عمك (أي أتق الله في عمك) " (٤) انتهى.

أما قتل محمد، فحسب رواية الرشيد، تم بدخول مبارك عليه وهو نائم، ولما أيقظه وشعر بنيته استغاث به، وذكره بماله من الحق والحرمة فما وجد ذلك الصوت المحزن ولا ذلك الاستعطاف الحار سبيلاً إلى قلب مبارك، الذي امتلاً حقدًا وغضباً^(٥). ويتضح من خلال عملية القتل هذه طبيعة وأحوال إمارة الكويت، حيث كان الحاكم ينام في بيته من دون حراسة، وبالبساطة التي

(١) سالم بن مبارك: أكبر أبناء مبارك وهو صهر عمه جراح (القتيل) حيث تزوج مريم بنت جراح قبل الحادثة بعام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م " وهي أم عبد الله السالم الحاكم الحادي عشر للكويت " وهو الحاكم التاسع " ١٣٣٥ - ١٣٣٩ " تولى الحكم بعد وفات أخيه جابر فكان عفيفاً تقياً محارباً للفسق والفجور أثناء حكمه وقام بتخفيض الرسوم الجمركية (الشملان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص ١٨٣).

(٢) صباح بن محمد: الابن الأكبر للشيخ محمد وكان رجلاً متديناً محباً لعمل الخير محافظاً على صلاة الجماعة في المسجد فلا يتركها طوال العام لأي سبب كان ويذكر وليمسون أن صباحاً يخرج قبيل صلاة الفجر ويترك الباب الصغير (الخوخة) مفتوحاً ولا يعود من المسجد لا بعد شروق الشمس، فاختار هذا الوقت لتنفيذ مخططه. (ستانلي هوب، مرجع سابق ص ١٤٥؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٤).

(٣) يتضح أن جابر بن مبارك كان متوتراً حينما حاول تصويب بندقيته، ولم يفلح فعاجله عمه بالقبض عليه، ساعدته زوجته، وكادا يتغلبا عليه لولا مبادرة خادم اسمه متعب الشلاش، الذي صوب بندقيته فأرداه قتيلاً، وهو من العجمان. وكان المذكور ممن اعتمد عليهم الشيخ مبارك لنقل رسائله المهمة (راجع القاسمي، بيان الكويت، ص ١١٩).

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص - ص ٢٦ - ٢٧.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٥

كان يعيشها، والثقة المتبادلة بين الحاكم وشعبه، يسقط مبدأ التحسب للغدر أو المفاجآت.

انفرد في صبيحة ذلك اليوم الشيخ مبارك الصباح بالحكم، فضجت الكويت وارتفع العويل من أقصاها إلى أقصاها^(١) لحادثة لم يشهد تاريخ الإمارة مثيلاً لها، حيث أول مرة يتم الوصول إلى سدة الحكم عن طريق سفك الدماء، وقد وصف مؤرخ الكويت القناعي، وهو من المعاصرين للحدث، ردة فعل أهل الكويت بقوله: "قُتل الأخوان بذلك اليوم النحاس، الذي لم تشهد الكويت منذ تأسست مثله. فلا ترى إلا عيناً دامعة، وقلوباً خاشعة"^(٢) ومما يزيد المأساة عمقاً أن القتيلين أشقاء القاتل وأعمام المشتركين، إضافة إلى أن سالم بن مبارك متزوج حديثاً من ابنة عمه القتيل جراح قبل عام من هذه المأساة"^(٣).

لكل ما تقدم على الباحث عن الحقيقة أن يحذر مما كتبه ديكسون حول حوادث ١٨٩٦، ففيها ما فيها من مغالطات. ولنأخذ عينه من ذلك على سبيل المثل لا الحصر.

قال ديسكون: إن مبارك "نادى الخدم المتجمهرين في الشرفة، وأمر سعود ابن محمد، فقال له: يا بُني أذهب وأغسل أبوك وعمك وإدفنهما، فإن الله كتب موتهم ليلة البارحة، وقدر أن أحكم مكانهما وشكراً لله. ولما وجد مبارك أن الفتى سعود قد أصابه الذهول لسماع الخبر نظر إليه مبارك برهة وسقطت من عينيه دموعان كبيرتان على خديه، وسمعت منه همهمة: إخوتي، إخوتي" (عرب الصحراء، ص ٦٥).

ولنا تدحيض فيما ورد بالاتي: إن الحادث وقع في بيت يتألف من دور واحد، ويقع في سكة ضيقة، بفريج الشيوخ، في بهيته، وهو البيت الذي سكنه المغدوران، وأمامه ديوانية الشيخ جابر بن عبد الله، وربما جرى الحوار فيها، وهي من طابق واحد أرضي لا غير، ولا مقصورة فيه، والمقصورة كما يعرفها

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٥.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٣) الشمالان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص ١٨٣. مريم بنت جراح والدة الشيخ عبد الله السالم الصباح، مواليد ١٨٩٥.

الجميع هي الشرفة، التي تطل على فضاء مفتوح. ولجهل ديكسون بالموقع جعل اعتقاله أن الحادث وقع في قصر السيف، والذي تحف طابقه الأعلى المقصورات من كل جوانبه، فهو مبني من طابقتين، ويطل على فضاء من جميع جوانبه، والبحر من شماله، غير أن ما يفند رواية ديسكون أن قصر السيف شُيد العام ١٩٠٧ أي بعد ١١ سنة من حادث قتل الشيخين كما اعتقد خطأً بأن البيت المطل على البحر، أنه بيت الشيخ مبارك والحقيقة أنه بيت الشيخ يوسف الإبراهيم، والذي سكنه الشيخ مبارك لاحقاً بعد واقعة الصريف ١٩٠١م.

أما الشيخ سعود فأن رواية شاهد العيان عبد الله وليمسون (المعروف بالمسلماني) في كتاب "المغامر العربي" لمؤلفه ستانتن هوب، وترجمه رضوان مولوي تحت عنوان "الهارب إلى الله": أن سعود بن محمد حينما تلقى نبأ مقتل والده وعمه أسرع إلى أسطبل آل إبراهيم قرب درواسة العبد الرزاق، وسط الكويت، وامتطى فرساً واتجه إلى قصر الشيخ يوسف الإبراهيم في الصبية، وكانت المسافة تقارب مئة كيلومتر، وقد نفق الفرس تحته، وهذا يعني أن الشيخ سعود لم يلتق بعمه بعد مقتل والده إلا بعد سنوات. وقد أورد المؤرخ عبد العزيز الرشيد من أن مبارك قام بدفن المقتولين، ثم دعا وجهاء البلد وأشرفها (تاريخ الكويت، ص ٢٤٤). ولا نعتقد تطلع ديكسون بحكم الشرع: في أن الشهيد والمقتول ظلماً، فهو لا يُغسل، ويجب بقاء دمه عليه، ويدفن بثيابه التي قتل فيها. هذا ماجاء في الفقه في حكم القتل. وهو ما اتفقت عليه المذاهب الإسلامية كافة.

ردود الفعل المباشرة

لا يوجد فاصل زمني بين حادثة القتل وتولي السُّلطة من قِبَل الحاكم الجديد، الشيخ مبارك الصباح، سوى ما تبقى من ساعات تفصل بين ليلة وفجر يومها التالي، وكان إيذاناً ببداية عهد جديد، ورسم حُطى الكويت على الخارطة السياسية في المنطقة. فإذا اعتبر البعض أن حادثة القتل شأن داخلي في الكويت، فإن ردود الفعل لاستيلاء الشيخ مبارك على السُّلطة قد تنوّعت، ويمكن تقسيمها إلى ردود فعلٍ داخلية، وأخرى خارجية. لقد ضجت الكويت

لهذه الحادثة، التي ربما كانت مألوفةً في مناطق الجزيرة العربية، أما بالنسبة للكويت فغير مسبوقة لكون أهل الكويت يميلون إلى الاستكانة، ويستهنون العنف بأشكاله^(١)، حيث أوجدت عملية الاغتيال خصوماً كثيرين لمبارك في الداخل والخارج كراهةً لما قام به^(٢).

كما أنّ ردة فعل الكثيرين من أهل الكويت المعاصرين لهذا الحدث سواء امتعاضهم لعملية القتل، على النحو الذي جرى، أو إبداء التعاطف مع قضية أبناء القتيلين فذلك أمر طبيعي، ولا يجوز بحال من الأحوال قبول مذهب مَنْ يحاول إقناعنا بأنّ عملية القتل أمرٌ عادي ومقبول في مجتمعاتنا^(٣). وقد فندنا من قبل على قول من ذهب إلى أن هذا الحدث تم بموافقة أهل الكويت، وعلى النقيض جاءت مخطوطة الذكر: إن أهل الكويت أنفسهم كانوا يميلون إلى الأولاد - أبناء الشيخين محمد وجراح - ويتمنون نجاح قضيتهم^(٤). ويتعذر بمكان ثبوت هذا الميل وذاك التمني من قبل أهل الكويت عامةً، لنجاح قضية أبناء الشيخين، ولذلك تكون عملية التعميم هذه مرفوضة. إنّ المقبول في هذا الأمر هو أنّ لكل طرف من أطراف هذه القضية أنصاره ومؤيديه والمتعاطفين معه، والمعارضين له، ويجب ألا ننسى من هم في الحياض من البسطاء والعامّة، الذين لا ناقة لهم ولا جمل في هذا الأمر خاصة، وفي معظم الأمور عامة.

وكما أسلفنا وفور وقوع الاغتيال تمكن سعود بن الشيخ محمد الصباح^(٥) من الهرب، قاصداً قصر الشيخ يوسف آل إبراهيم في الصبيّة. ويذكر الحاج عبد الله المسلماني وليمسون Willimson، الذي كان ضيفاً في

(١) Whigham, Op, Cit, p96

(٢) الذكر مصدر سابق، ص ١٠٢؛ Whigham, Op, Cit, P104

(٣) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ٦١؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٣٠.

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٢.

(٥) سعود بن محمد آل صباح: الابن الثاني للشيخ محمد الصباح ولد بالكويت سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م وكان أكثر أبناء الشيخ محمد معاداة لعمه مبارك وكان ذا همة ونشاط وحيوية وارتبط بيوسف طوال فترة الصراع ضد عمه مباركاً، وكان أول الخارجين من أخوته بعد الاغتيال، زوجه مبارك لاحقاً اثنتين من بناته، وعاش معظم حياته لحين وفاته فقد عاش معظم حياته لحين وفاته سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٣م بأملاكه في كوت الزين جنوبي البصرة (يعقوب آل إبراهيم، التبئين، مرجع سابق ص ١٤، ١٥).

تلك الفترة عند الشيخ يوسف آل إبراهيم في الصَّبِيَّة: "لقد وصلت أخبار الاغتيال إلى مقر الشيخ يوسف آل إبراهيم في الصَّبِيَّة، وقد جاء بها سعود ابن أحد القتيلين، والذي أمطى حصان نفق من أثر التعب عند وصوله لنا من الكويت..."^(١). بينما لم يتمكن بقية أبناء الشيوخين محمد وجراح من الفرار^(٢).

وبعد دفن القتيلين، عمد الشيخ مبارك إلى السيطرة على الوضع الداخلي مباشرة، حيث اجتمع مع وجهاء الكويت وأشرفها، فمسح دموعه^(٣) ثم باغتهم بكلمته الموجزة قائلاً: "قُضِيَ الأَمْرُ، ولا مَرَدٌ لما قضاه الله، والآن فما رأيكم^(٤)؟ وماذا أنتم عازمون عليه؟ فما كانوا يملكون سوى مبايعته^(٥)، فعاهدهم على إقامة العدل والسعي في الإصلاح وأن لا يقطع أمراً بدون مشورتهم"^(٦). وتمت المبايعة دون إرادة مختارة فاستلام الحكم جاء عنوة فافتقد الشرعية السياسية وقتها وحول مسار الحكم نحوه ومن ثم ذريته لكن، لم يهنأ الشيخ مبارك بهذه المبايعة، فلا يزال هناك ما يعكر صفوها، مما هو مائل أمام ناظره من جهة أبناء أخويه القتيلين، الشيوخين محمد وجراح، ومن جهة الشيخ يوسف آل إبراهيم^(٧). هذا بالإضافة إلى ما أفرزته عملية الاغتيال من ردود فعل مختلفة، أفرزت خصوماً من الكويتيين، وذلك بغضاً لفعلة وتعاظفاً مع أبناء القتيلين^(٨).

(١) ستانتن هوب، مرجع سابق، ص - ص ١٤٦ - ١٤٧. كانت المسافة من اصطبل الإبراهيم قرب درواسة العبد الرزاق إلى قصر الصَّبِيَّة براً حولي مئة كيلو متر.

(٢) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٩؛ الفرخان مرجع سابق ص ٢٩، أبناء الشيخ محمد من زوجته هيا بنت علي بن جابر وهم (صباح وسعود وعذبي وخالد، ولهم أخ من الأب اسمه علي أما جراح فابنه حمود من زوجته منيرة بنت علي بن جابر (مقابله مع السيد محمد صالح آل إبراهيم بمنزله في الفنطاس بدولة الكويت في تاريخ ١١/٦/١٤٢٣ هـ - (Rush Al-Sabah, Op, Cit, P246).

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٤) كانت مقولة الشيخ مبارك بالحرف الواحد: "يسراي قصت يمناي وصار ألي صار وشل الراي".

(٥) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١، عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٦) عبد العزيز الرشيد: مصدر سابق ص ١٤٨.

(٧) الذكر، المصدر نفسه، ص ١٠٢؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٥.

(٨) الذكر، المصدر نفسه، ص ١٠٢؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

عندها، أدرك الشيخ مبارك صعوبة القبض على الشيخ يوسف آل إبراهيم، وهو بالصَّبِيَّة، فبادر إلى طمأنة خصمه على حياته وماله ومركزه^(١)، عبر سيل من الرسائل المعسولة، وأرسل له رسلاً من أجل استقدامه، وتقديم جميع الضمانات على سلامته^(٢). وبالمقابل، لم تكن ردة فعل الشيخ يوسف آل إبراهيم سوى مقابلة دهاء الشيخ مبارك بدهاء أدهى، فتظاهر يوسف بعدم الاهتمام وأنه سيعود إلى الكويت قريباً^(٣). وقد كان على يقين بأن نقمة الشيخ مبارك عليه لم تكن لتقل عن نقمته على أخويه، الشيخين محمد وجراح، وأن القتل مبيت ما أن تطأ قدماه مدينة الكويت^(٤). فقد مثل الشيخ يوسف آل إبراهيم قاعدة مثلث القوى، التي حاصرت الشيخ مبارك قبل استيلائه على كرسي الحكم، فطالما بقيت هذه القاعدة قوية تكون عمليه إعادة بناء هيكل القوى الثلاثية من جديد أمراً ممكناً، من الناحيتين النظرية والعملية، ذلك لوجود أبناء الشيخين محمد وجراح.

لذا صاحبت عملية الاستيلاء على السلطة محاولات متكررة، قام بها الشيخ مبارك، لكسب ثقة أبناء أخويه القنيلين، وجهوده المتواصلة في مواساتهم، وإظهار عطفه ومودته نحوهم، بُغية إزالة ثورة الغضب، ومسح موجة الحزن عن صدورهم^(٥) لضمان عدم مطالبتهم بالتأثر. وقد حاول الشيخ مبارك أن يحصل على وكالة عامة من أبناء أخويه، بذريعة المحافظة على حقوقهم، مستخدماً في ذلك أسلوب الملاطفة. لكنه لم ينجح في تحقيق غرضه^(٦)، فأجّل الأمر مفضلاً عدم اللجوء إلى إتباع سياسة الإجبار، وبعد

(١) الذكير، المصدر نفسه، ص ١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٤٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١٤/٢.

(٢) الذكير، المصدر نفسه ص؛ ١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٩؛ ستانلي هوب، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٣) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١٤/٢؛ مقابله مع الأستاذ عبد الرزاق بن إبراهيم بن صالح آل إبراهيم في منتجعه على ساحل العقيلة بالكويت في ١٦/٣/٢٠٠٥م.

(٤) الذكير، المصدر نفسه ص ١٠١؛ الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٩؛ خزعل، مرجع سابق ١٤/٢.

(٥) خزعل، المرجع نفسه ١٥/٢.

(٦) الذكير، مصدر سابق ص ١٠١؛ خزعل، مرجع سابق ١٥/٢.

أيام حاول ثانيةً، إلا أنه لم يجد الوقت مناسباً أيضاً، لعدم صفاء نفوس الأبناء بالدرجة التي تسمح له بمفاتحتهم في مثل هذه الأمور^(١).

تحكم الشيخ مبارك في شأن أبناء أخويه بإبقائهم تحت الإقامة الجبرية، وتحت سيطرته كرهائن يحدُّ بهم من التحركات المتوقعة من قِبَل الشيخ يوسف^(٢). ومع هذا فقد نجح أبناء الشيخين محمد وجراح في تنفيذ خطة الهرب من الكويت بمساعدة حمد بن عبدالمحسن الغرير، أحد كتاب الشيخ محمد وجراح، ومن المقربين من الشيخ يوسف آل إبراهيم، ووصلوا بأمان إلى حمى الشيخ يوسف في الصبية^(٣).

لقد رجحت قضية الشيخ يوسف ضد الشيخ مبارك، بوصول أولاد الشيخ محمد الصباح: صباح وخالد وعذبي وعلي أحاهم غير الشقيق، حمود بن جراح الصباح، وقد غادروا الصَّبِيَّةَ ومن ثم إلى البصرة^(٤) والزبير^(٥)، فشكل بذلك أكثر الأخطار أثراً على حكم الشيخ مبارك.

وقبل ذلك وعقب حوالي أسبوعين من حادثه القتل، أي في ليلة عيد الأضحى من سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٦، قرر قسم من عائلة آل إبراهيم ترك الكويت، فخرجوا على دفعات من بيوتهم في بهيئة، وركبوا البحر واتجهوا إلى الدورة^(٦)، ومعهم

(١) الذكر، المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٢) الذكر، المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٣) الذكر، المصدر نفسه، ص ١٠١؛ خزعل، المرجع نفسه، ١٥/٢؛ معلومات زودني بها الأستاذ يعقوب آل إبراهيم بدولة الكويت في تاريخ ١٧/٣/٢٠٠٥م

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٩، معلومات زودني بها الأستاذ يعقوب بن آل إبراهيم بدولة الكويت في تاريخ ١٧/٣/٢٠٠٥م.

(٥) الزبير: تقع غرب البصرة على أطراف البادية وتبعد عن سفوان "٤٥" كيلومتراً وعن مدينة الكويت "١٣٠" كيلومتراً وسميت بهذا الاسم لوجود ضريح الصحابي الجليل الزبير بن العوام فيها، وهي محطة لاجتماع القوافل المتجهة من البصرة إلى الشام، وهي من أقرب المدن البرية إلى الكويت، وسكانها من أهل نجد هاجروا إليها في عهد الدولة السعودية الأولى ومن العوائل المشهورة في الزبير "البسام والمنديل والمشري والزهير والوطبان والغملاس والصالح والحמידان والذكير والبراهيم والبشر. أُلخ" وأهلها كلهم من أهل السنة والجماعة (الحيدري، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ انظر عبد الرزاق الصانع، ، وعبد العزيز العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ - ١٣٤٢هـ، "ط" مطابع المهوي، الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١/٤٥ وما بعدها؛ خزعل، مرجع سابق، ١/٨٣ - ٨٤ - ٨٥).

(٦) الدورة "دورة بن إبراهيم": تقع شمال بلدة الفاو جنوب منطقة الدواسر عند مصب شط العرب من =

عائلاتهم، والتي يبلغ عددها عشر عوائل^(١)، وعائلتا الشيخ محمد وجراح، اللتان كانتا موجودتين في منزل أمهم شيخة بنت علي آل إبراهيم^(٢)، وابنتيها هيا زوجة الشيخ محمد، ولولوة زوجة الشيخ جابر بن فاضل. وكان يصحبهم ابن أخيها^(٣) مشاري بن أحمد آل إبراهيم^(٤). فقام الشيخ يوسف بشراء ثلاثة بيوت في الزبير^(٥)، لاسكان العائلات، حتى تم بناء مساكن لهم في الدورة،

= الجهة الغربية وهو مكان التفاف دورة ومجرى الشط فأطلق عليها (الدورة) ويزرع فيها النخيل والأرز والعبب والجوافة والبرتقال ويوجد فيها أملاك كبيرة لعائلة آل إبراهيم، وقد قام بشرائها علي بن محمد آل إبراهيم، وعبد الله بن عيسى آل إبراهيم " " والد يوسف " وأصلح آل إبراهيم أرضها المهملة وزرعوا النخيل والأرز فأصبحت من الأملاك القيمة وعرفت بجودة وكثافة إنتاج تمرورها وعددها - ١٢٠٠٠ نخلة فاشتهرت وحملت اسم صاحبها فأطلق عليها " دورة بن إبراهيم كما اشتهرت بصناعة الطابوق الأحمر لكنها توقفت بعد حملة يوسف آل إبراهيم البحرية الأولى ضد الشيخ مبارك عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م نتيجة لنفقات النقل إلى البصرة، وعدد ساكنيها - ١٥٠٠ - من العتوب وقبيلة عيدان وفيها ١٢ قرية (نوريمر دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق ١/١٤٧ - ١٤٨؛ الفرخان، مرجع سابق ص٧٨؛ انظر يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص ١٥ - ١٦ - ١٧).

(١) مقابلة مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنتاس بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ.

(٢) شيخة بنت علي بن محمد آل إبراهيم: زوجة علي بن جابر عبد الله الصباح وهي أم هيا زوجة الشيخ محمد الصباح ومنيرة زوجة جراح الصباح وهي جدة أبناء الشيخ محمد وجراح آل صباح وكانت مستقرة مع بناتها في بيوت آل إبراهيم في بهيته، بعد وفاة زوجها علي بن جابر ١٢٧٦هـ ١٨٦١. وكانت عائلتا الشيخين محمد وجراح تقضيان عندها أكثر الأوقات، وبعد عملية الاغتيل انتقلت هيا ومنيرة وأبناءهن إلى بيت أمهن شيخة وخرجتا مع بقية عائلات آل إبراهيم (الزعبى، عائلة آل إبراهيم الكويتية...، مرجع سابق ص٨٢؛ مقابلة مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنتاس بدولة الكويت بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ؛ Rush, Al-Sabah, Op, Cit, P206

(٣) الذكر، مصدر سابق ص١٠١. ومن تدوينات عبد الله العبد الإله القناعي مايلى: لكن عائلة عبد اللطيف وإبراهيم بن عبد الوهاب آل إبراهيم وبقية العائلة والخدم في بيت العود الكبير غادروا في ٢٢ ربيع الثاني ١٣١٤هـ ١/٢٤ أكتوبر ١٨٩٦ أي بعد أربعة أشهر من خروج بعض أفراد العائلة، وكان سفرهم على متن سفينة " بجلة " العائدة إلى شيخ خزعل، جرت صناعتها في الكويت، وكانت أول سفرة لها. ومن المرويات: " أن الشيخ مبارك لدى سماعه عزم أبناء الشيخ عبد الوهاب الإبراهيم مغادرة الكويت ذهب إلى ديوان آل إبراهيم طالباً منهم البقاء، ومحاولاً أثناءهم. وكان جواب عبد اللطيف: إن السيل يتبع مجراه، والديرة آلي ما فيها يوسف صعب البقاء فيها " .

(٤) مشاري بن أحمد بن علي آل إبراهيم: ابن خال الشيخ يوسف آل إبراهيم وهو المسئول عن عائلات آل إبراهيم أثناء تواجدهم في الزبير وكان معه أثناء خروجه حمد الخيني وتزوج من عائلة الصالح بالزبير (الذكر مصدر سابق ص١٠١؛ الصانع، مرجع سابق ١/٥٦؛ مقابلة مع السيد عبد الرزاق بن إبراهيم بن صالح آل إبراهيم في منتجع على ساحل العقيلة بدولة الكويت في تاريخ ١٦/٣/٢٠٠٥م)

(٥) اشترى يوسف ثلاث بيوت في حي الرشيدية بالزبير وأصبحت فيما بعد بيوت لآل صباح حتى عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م (مقابلة مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنتاس بدولة الكويت =

وانتقلوا لها عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧^(١). ذلك لأن الدورة كانت لا تصلح دار سُكنى نتيجة الفيضانات التي ضربت ولاية البصرة، خلال سنة ١٣١٣هـ، واستمرت سبعة أشهر، وغمرت كل بساتين النخيل، واتلفت ما كان مغروساً منذ عشر سنين^(٢). ومما يُذكر من فداحة الخطب أن أهل الكويت لم يحتفلوا بعيد الأضحى تلك السنة، الذي صادف كذلك يوم الدشة (مغادرة السفن للغوص). فلم يخرجوا كالعادة سنوياً، وربما كانت تلك أول سنة لم يخرج فيها الكويتيون للغوص.

تمخض موقف بعض أهالي الكويت، ومن هؤلاء الشيخ مبارك بن عذبي الصباح عن أمر جديد^(٣) فبعد أن علم بالاعتقال، وهو مقيم في بادية الكويت بمهمة، قرر الوقوف ضد الشيخ مبارك^(٤)، والتحق بصديقه الشيخ يوسف آل إبراهيم في موقفه ضد الشيخ مبارك الصباح^(٥). ويذكر الذكر أن الشيخ محمد الصباح كان قد أرسل يطلب عودة مبارك العذبي إلى الكويت قبل حادثة الاعتقال، فلما علم الشيخ مبارك بذلك أسرع بالاستعداد والتأهب لاعتقال أخويه قبل عودة مبارك العذبي من الصحراء^(٦). وجاء توقيت عملية الاعتقال أيضاً نتيجة عدم تواجد الشيخ يوسف آل إبراهيم ومبارك العذبي، إذ حالما علم

= بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ؛ معلومات زودني بها كتابياً السيد يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم، بتاريخ ٥/٥/٢٠٠٥م؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(١) وتنقل آل إبراهيم بعد خروجهم من الزبير في مناطق عدة، فاستقروا في قطر مدة ثم انتقلوا إلى جزيرة موسى في الخليج العربي ثم اتجهوا إلى مكة المكرمة فترة عادوا بعدها إلى الدورة. (الزعبي، فاديه، عائلة آل إبراهيم الكويتية مرجع سابق ص ٨٢؛ مقابله مع السيد محمد صالح آل إبراهيم في منزله بالفنتاس بدولة الكويت في يوم ١٠/٦/١٤٢٣هـ)؛ ويذكر ولیمسون ان خروج عائلات الشيخين محمد وجراح وعائلات آل إبراهيم إجبارياً وبأمر من مبارك (ستانلي، هوت، مرجع سابق ص ١٤٧)

(٢) عبدالله البسام، مصدر سابق ص ٣٨٠.

(٣) مبارك بن عذبي بن مبارك بن جابر بن عبد الله بن صباح ولد عام ١٨٤٥م وعرف عنه الشجاعة والإقدام ولم يكن على وثام مع مبارك الصباح وتزوج من سبيكة بنت صباح (أخت مبارك)، وبعدها منيرة بنت علي بن جابر أرملة الشيخ جراح بن صباح (يعقوب آل إبراهيم، التبيين مرجع سابق، ص ٥٥).

(٤) البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق ص ٥٤.

(٥) القناعي، مصدر سابق ص ٣٠؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق ص ٥٥.

(٦) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٠.

الشيخ مبارك باستدعاء الشيخ لمبارك العذبي للكويت عجل الأمر، وحسم الموقف. فوصله مع رجاله ورجال يوسف سوف يحبط مخطط الشيخ مبارك آل صباح. وقد أثبت جابر بن مبارك ذلك بالقول: "رأيت بداية الحركة عند خدم الوالد تلك الليلة، ولكني لم أجزم بأن المراد هو القتل...". وفي الوقت نفسه هرب بعد حادثة القتل بعض أهالي الكويت، الذين كانوا على صلة بالشيخ محمد الصباح، أمثال حمد العبد المحسن الغرير^(١) الذي ساعد في هروب أبناء القتيلين كما سنرى^(٢)، والسيد عبد الوهاب الطباطبائي^(٣)، والعلامة محمد بن رابع^(٤)، وماجد بن سلطان بن فهد، كما التحق بهم عدد من أبناء العوائل الكويتية، ممن تربطهم علاقة ومصالح بعد فترة بالشيخ يوسف آل إبراهيم، وشاركوا في هجماته على الكويت^(٥)، كما سنرى لاحقاً.

(١) حمد بن عبد المحسن الغرير: أصله من الإحساء وانتقل إلى الكويت وعمل بها وكانت وظيفته "سر كاتب" قائم مقام الكويت في عهد الشيخ محمد الصباح، (سلطان بن محمد القاسمي: بيان الكويت "سيرة حياة الشيخ مبارك بن صباح"، (دن)، الشارقة، ٢٠٠٤ ص ٣٢).

(٢) سلطان القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٣) عبد الوهاب بن عبد الله الطباطبائي "الطباطبائي": من أهل الفضل والعلم والنشاط والهمة والإباء فكان أديباً فاضلاً وعمل في مجال التدريس وبعد انتقاله للبصرة أصدر جريدة البصرة وأصبح مديراً لناحية الزبير أيام الحكم الوطني العراقي (الرشيد: عبد العزيز، مصدر سابق ص ١٤٦، الصانع، مرجع سابق، ١/ ٢٢٤).

(٤) وأسمه محمد بن محمد بن محمد هكذا والرابح لقب ويسمى محمد بن الرابح الشنقيطي، ولد في مكة المكرمة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م وينسب أحفاده أصله للأدارسة الأشراف وبعد خروجه من الكويت توجه للزبير، وعرف عنه أنه رجل دين، ومن العلماء المعروفين في زمنه، وعين إماماً وخطيباً ومدرساً لجامع مزعل باشا الصانع بالزبير بعد إلحاح وإصرار من أعيان الزبير على توليه ذلك الأمر. ومن أبرز تلاميذه في الزبير عذبي بن مبارك آل صباح، وله مؤلفات عدة بعضها أُنلفها هو بنفسه ومن أبرز ما أُنلفه محمد بن الرابح كتابه عن الوقائع التي حدثت بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، وتوفى بالزبير عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م. (الصانع، مرجع سابق ٣/ ١٢٣ - ١٢٤؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٦).

(٥) من هؤلاء أحمد الغانم وخليفة المسلم القناعي وماجد السلطان ومنصور بن عيسى واحمد العبد المحسن وعلي بن خميس وحسين بن عيسى القناعي، وأحمد بن محمد العسوس، وبعض أفراد عوائل الغرير والخشني. والقطامي وأبو عركي وآخرين قد غادروها والتحقوا بالشيخ يوسف آل إبراهيم (الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ٣٠٠؛ الصانع، مرجع سابق ١/ ٢٢٥؛ القاسمي مرجع سابق ص ٣٢ - ٣٤١ - ٣٤٢؛ معلومات استنقيتها كتابياً من السيد يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ٥/٥/٢٠٠٥). وهنا يقصد بزوجة العذبي هي سبيكة بنت صباح بن جابر بن عبد الله بن صباح، أخت مبارك وزوجة مبارك العذبي بن مبارك بن جابر بن عبد الله بن صباح. أما زوجة محمد، هيا بنت علي بن جابر بن عبد الله بن =

كانت خطة الشيخ مبارك مباغطة الشيخ يوسف آل إبراهيم وهو في الصبئية، والذي لم يبد أي ردة فعل تجاه مبارك حتى ينجلي الأمر. ولما علم بما يُدبر له، قرر المغادرة ومن معه إلى الدورة^(١). وبإيجاز يمكن الإشارة إلى ردود الفعل الداخلية لاستيلاء الشيخ مبارك على الحكم في محورين رئيسيين: الأول توالي ضربات الشيخ مبارك، وسرعة تحركه في سبيل إحكام الأمور دون إضاعة الوقت في انتظار أو استقبال ردود فعل الآخرين. وبهذا يواجه معارضيه بمشكلات جديدة تلهيهم عن تنظيم ردود أفعالهم المتأخرة، حول القضية الرئيسية، قتلُ أتبعه دفن، واجتماعُ أعقبته مبايعة، وملاطفةٌ لنيل وكالة عامة، ومساومةٌ للخلاص من خصم عنيد، ومحاولة قبض على خصمه قبل أن يخرج عن منطقة سيطرته.

أما المحور الثاني فيدور حول ردود فعل المعارضين، ونجاتهم من تلقي المزيد من تلك الضربات، وذلك بعملية هروب كبرى، بدأت منذ اللحظات الأولى لعملية القتل بهروب سعود بن الشيخ محمد إلى الصبئية. ثم خروج عائلة آل إبراهيم وعائلتي الشيخ محمد وجراح إلى الدورة. ثم هروب أبناء الشيخين محمد وجراح^(٢) بمرافقة حمد العبدالمحسن الغرير واتجاه الشيخ مبارك العذبي إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم بالصبئية، ومنها الخروج مع الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى الدورة، ومغادرة عدد من العوائل الكويتية تضامناً.

ولخشية من ضياع الوقت عجل الشيخ يوسف في تجهيز حملة من أتباعه ومن أهل الزبير. حيث يذكر عبد الله بن إبراهيم الغملاس في تدويناته: "قام الشيخ يوسف برشوة الوالي في سجن عبدالله بن إبراهيم الراشد لأنه لم يتعاون معه في إرسال جيش إلى الكويت من الزبير. وكان المتضامنون مع

= صباح، فلم تكن آنذاك في الكويت، فقد غادرتها مع والدتها في ١٠ ذي الحجة ١٢١٣هـ والمقصودة هنا هي شقيقتها منيرة زوجة جراح، التي بقيت في الكويت.

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٩. ويذكر المؤرخ عبد الله بن إبراهيم الغملاس في حوادث السنة ١٢١٤هـ: "وفيها في ربيع الأول حط عبد من عبيد محمد الصباح سماً في دلة القهوة وفر من الجهراء. ففطن القهوةجي حين ذاقها وغشى عليه. أخبر مبارك فلحقوا العبد وأتو به، وأقر أن ذلك من أكر أختنك زوجة العذبي وزوجة محمد الصباح، فأمر بقتل العبد ولا نعلم ما فعل بالنساء" (تاريخ الزبير والبصرة، تحقيق عماد عبد اليلام رؤوف، ص ٨٨).

(٢) تمت تدابير خطة الهروب من قبل حمد بن عبد المحسن الغرير، الكاتب الأول للشيخ محمد بن صباح حاكم الكويت السادس. أما مغادرة السيد عبد الوهاب الطبطباي والشيخ محمد بن رابع وماجد بن سلطان بن فهد ورجال علم آخرون فقد زامنت تلك الفترة، وليس مع أبناء الشيخين محمد وجراح.

الشيخ يوسف شخصيات زبيرية، منهم: إبراهيم الزهير، وإبراهيم المنديل، وأهل حَرَمِه، فكتبوا مضبطة إلى السلطان عبد الحميد ضد الشيخ مبارك في ٢٢ صفر ١٣١٥ " (تاريخ الزبير والبصرة والكويت، الصفحة ٨١) تحقيق د. عماد عبد السلام رؤوف، عمان: دار الخزامى (٢٠٠٦). كذلك راجع القاسمي في (بيان الكويت، الصفحة: ٥٩ - ٦٠).

هذا، وجاءت ردة الفعل الخارجي، ضد عملية اغتيال الشيخين محمد وجراح، واستيلاء مبارك على السلطة، مواكبة للتطورات الجديدة التي شهدتها المنطقة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري/نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، والمتمثلة في مرحلة التنافس الأوربي على المنطقة العربية خاصة، على نحو لم يسبق له مثيل^(١). فقد قامت الدول الغربية بتطبيق سياسة تسويق لمنتجاتها الصناعية^(٢). مما أدى إلى دخولها منافسة في ما بينها، للبحث عن أسواق جديدة لتصريف الفائض من إنتاجها^(٣)، وحصولها على المواد الخام بأسعار رخيصة لصناعاتها^(٤)، وبحثها عن مواقع جديدة لاستثمار رؤوس أموالها الضخمة خارج بلدانها^(٥). فدخلت هذه الدول الصناعية تنافساً مضطرباً للسيطرة على المستعمرات^(٦). فكانت منطقة الشرق الأوسط مجالاً

(١) حدث هذا التنافس نتيجةً للثورة الصناعية التي عمت أكثر أجزاء القارة الأوربية فأدت لزيادة في الإنتاج المحلي ورؤوس الأموال وعدد السكان لتلك الدول الصناعية، وبدأت هذه الثورة في بريطانيا عام ١٧٥٠م ومنها انتقلت في القرن التاسع عشر الميلادي إلى الدول الأوربية حتى ظهرت بأوروبا بما يعرف بالدول الصناعية كبريطانيا وألمانيا وفرنسا وروسيا وغيرها، ومن أوروبا صدرت هذه الثورة إلى بلدان أخرى كاليابان والولايات المتحدة الأمريكية (فرج الله: سمعان، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين (ط٢)، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٠م ص١٣؛ أحمد خليل مرجع سابق ص٢٧٥؛ الدوسري: نادية وليد، محاولات التدخل الروسي في الخليج من ١٢٩٧ - ١٣٢٥هـ، إصدارات داره الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٢هـ ص٢١؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٢٣؛ الخترش مرجع سابق ص٣٩).

(٢) فرج الله، المرجع السابق، ص١٢؛ السعدون، المرجع نفسه، ص٢٣؛ الخترش، المرجع نفسه، ص٣٩.

(٣) السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٢٣؛ فرج الله، مرجع سابق، ص١٥.

(٤) السعدون، المرجع نفسه، ص٢٣؛ فرج الله، مرجع سابق، ص١٥.

(٥) فرج الله. المرجع السابق، ص١٥؛ الدوسري، مرجع سابق، ص٢٢؛ السعدون مرجع سابق، ص٢٣؛ رياض الأسدي، النشاط الألماني في الخليج العربي ١٩٠٠ - ١٩١٤، مراكز دراسات الخليج العربي، البصرة، دت ص٢١٩.

(٦) فرج الله، المرجع نفسه، ص١٥؛ الأسدي، المرجع نفسه، ص٢١٩؛ السعدون، المرجع نفسه، ص٢٣.

خصباً للتنازع والصراع للسيطرة على المنطقة. مما أدى لتفاقم أزمة دولية حولها^(١).

وقبل الدخول في تفاصيل أكثر لردود الفعل الخارجية، لا بد من الإلمام بأوضاع الدول التي اتخذت من الكويت مسرحاً للتنافس في ما بينها، وكان لذلك أثر ملموس على مجريات الصراع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم. كانت اسطنبول تواجه ضغوطاً شديدة، نتيجةً لتقدم الأساطيل البريطانية في البحر الأبيض المتوسط جنوب مضيق الدردنيل^(٢)، وتواجه في الوقت نفسه محاولات الروس من أجل السيطرة على مضيق البسفور^(٣)، وظهور الحركات القومية المطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية كثورات الأرمن في السنة نفسها ١٣١٣هـ/١٨٩٦^(٤).

وبطبيعة الحال، حرصت الدول الاستعمارية، بين الحين والآخر، على تغذية هذه الثورات بهدف استغلالها لصالحها وامتصاص خيرات الدولة العثمانية، بحصول هذه الدول على المواد الأولية اللازمة لصناعتها بأسعار رخيصة، وتوفير أسواق جديدة لتصريف فائض إنتاجها، فكانت الدولة العثمانية بحق تمثل حقلاً خصباً لأطماع تلك الدول^(٥) وبأختصار، كان وضع الدولة العثمانية، في بداية القرن الرابع عشر الهجري/ ونهاية القرن التاسع عشر الميلادي، تفكك من الداخل وضعف اقتصادي وعسكري وركود فكري وسياسي، حتى إنها سميت بالرجل المريض، الذي يتربص به الطامعون لسلبه قدر المستطاع^(٦).

(١) فرج الله، مرجع سابق، ص ٥٨؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٢٣ Jacob Goldberg, op, cit, p33

(٢) بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ٩٧؛ حسون، مرجع سابق ص ٢٣٢؛ مضيق الدردنيل يصل بين بحر مرمرة وبحر إيجه

(٣) بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ٩٧؛ حسون، مرجع سابق ص ٢٣٢؛ مضيق البسفور يصل بين بحر مرمرة والبحر الأسود

(٤) الأسدي، مرجع سابق ص ٢١٩؛ الخترش، مرجع سابق ص ٣٩؛ فرج الله، مرجع نفسه ٥٨/٢.

(٥) الأسدي، مرجع سابق، ص ٢١٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٩؛ فرج الله، مرجع نفسه، ٥٨/٢.

(٦) فرج الله، مرجع سابق ٥٩/٢؛ عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية - دولة مفترى عليها، القاهرة ١٩٨١ / ١ - ٤٩٠ - ٤٩١؛ حسون، مرجع سابق ص ١٣٥ - ١٤٦؛ حسن الضيقة الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي بيروت ١٩٧٧ ص ٩٩؛ محمد رجائي ريان، الاقطاعات العسكرية في العصرين المملوكي والعثماني مجلة الدارة العدد ٨ السنة ١٤ العام ١٤١٨ هـ ص ٣٤ - ٣٥.

فأصبحت أملاك الدولة العثمانية ومناطق نفوذها هدفاً للقوى الأوروبية، والكويت كانت إحدى هذه الميادين المتصارع عليها. وان كانت السيادة العثمانية اسمية لفترة زمنية، امتدت منذ عهد الشيخ عبد الله الصباح " ١٢٨٣هـ / ١٨٧٠، وحتى بدايات عهد الشيخ مبارك الصباح ١٣١٣هـ / ١٨٩٦^(١).

لقد أصبحت الكويت نتيجة لتلك الاحداث شأنًا للتنافس، بين مجموعة من القوى الأوروبية الاستعمارية، وأبرزها بريطانيا، التي كانت بحق محور السياسة العالمية والقطب الأكبر والامبراطورية الاعظم ذات السيطرة على خطوط الملاحة في كل البحار ساعدها امتلاكها أكبر أسطول بحري عسكري في العالم مما مكنها من بسط نفوذها على الكثير من المستعمرات^(٢). وقد نهجت بريطانيا بدايةً على حماية الدولة العثمانية، والمحافظة على تكاملها السياسي^(٣)، ولكنها شرعت في تغيير سياستها بعد مؤتمر برلين ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨^(٤). عندما تحالفت ألمانيا مع الدولة العثمانية فأصبحت أراضي الأخيرة هدفاً تسعى بريطانيا للسيطرة على أكبر حصة منها^(٥).

وكان أهم المناطق، التي ركزت عليها بريطانيا، هي منطقة الخليج العربي، التي ترتبط معها بالكثير من المصالح التجارية، بالإضافة إلى أن منطقة الخليج تسهل النفوذ إلى لأسواق الفارسية والعثمانية لتسويق منتجاتها^(٦). وإلى جانب ذلك سعت بريطانيا بكل الطرق للقضاء على تجارة السلاح والرقيق المنتشرة في مناطق عدة، منها منطقة الخليج، خشية من استخدامه ضد مصالحها في الهند وافغانستان^(٧). فقامت بربط مشيخات الخليج العربي بسلسلة معاهدات

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٢٧؛ جمال قاسم مرجع سابق ٢/ ٣١١.

(٢) فرج الله، مرجع سابق ص ٤٥.

(٣) بندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٨؛ حسون مرجع سابق ص ٢٣٨؛ Al Ghanim, op, cit, p41

(٤) مؤتمر برلين: عقد في برلين عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م وحضرته الدول الكبرى بعد إيقاف الحرب الروسية العثمانية وخسرت الدولة العثمانية كثيراً من أراضيها بعد توقيعها على هذه المعاهدة. فخرج أكثر القسم الأوربي عن سيطرتها. (حسون، مرجع سابق ص ٢٣٥).

(٥) حسون، مرجع سابق، ٢٣٨ Al Ghanim, op, cit, p41

(٦) حسون، مرجع سابق، ٢٣٨.

(٧) جمال قاسم، مرجع سابق ٢ - ٢٣٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٤؛ ويلسون مرجع سابق، ص -

Al Ghanim, op, cit, p41

ص ٣١٧-٣٤٧

عرفت بـ "المعاهدات المانعة"^(١)، مكنتها منفردة السيطرة على شؤونه خصوصاً في مناطق الجنوبية خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي^(٢) عموماً إلى أن أطل منافسون جدد سعوا لإيجاد موطأ قدم لهم في أرض الخليج العربي، فدخلوا مع بريطانيا في تنافس للسيطرة على منطقة الخليج وخاصة الكويت^(٣).

أما بالنسبة لألمانيا فقد تهيأت - بعد تحقيق وحدتها العام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م - ، للدخول في ميدان المنافسة الاستعمارية كدولة قوية وحديثة في عهد ملكها غليوم الثاني^(٤). وقررت البحث عن مناطق نفوذ جديدة خارج حدودها، فأصبح الخليج العربي ضمن استراتيجياتها في الاندفاع نحو الشرق^(٥). بدأ نفوذ ألمانيا تجارياً في الخليج على يد رجل الأعمال الألماني فونكهوس^(٦) Wonchäus، العام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢. بعدها بذلت كل ما في وسعها للحصول على موضع قدم لها في الخليج، وخصوصاً الكويت. فقامت بفتح أول قنصلية لها في بو شهر العام ١٣١٤هـ/١٨٩٧^(٧)، وعين روبرت هوك Robert Houck نائب قنصل هناك^(٨).

كان هدف النشاط الألماني يكمن في زعزعة الوجود البريطاني، تمهيداً لتحقيق الهدف الأسمى وهو الوصول إلى الهند^(٩)، بالاعتماد على علاقاتها

- (١) إبراهيم أحمد، مرجع سابق ص ٣٢٢، السعدون، العلاقات...مرجع سابق ص ٢٢.
- (٢) السعدون، العلاقات...، المرجع السابق ص ٢٢؛ إبراهيم أحمد، مرجع سابق، ص ٣٢٢
- (٣) الأسدي، المرجع نفسه، ص ٢١٩.
- (٤) الأسدي، مرجع سابق، ص ٢٢٢.
- (٥) الأسدي، مرجع سابق، ص ٢٢٢.
- (٦) روبرت فونكهوس: تاجر ألماني أسس شركته أطلق عليها اسمه على ميناء لنجه ونشاطها تجارة اللؤلؤ والسلاح والتي كانت رائجة آنذاك. (الأسدي، مرجع سابق، ص ٢٢٣).
- (٧) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٨؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٢٣؛ بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨م، ٢/١٦٥؛ الأسدي، المرجع السابق، ٢٢٣.
- (٨) روبرت هوك: هو طبيب ألماني عين نائب القنصل في بو شهر من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٨٩٩. (الأسدي، مرجع سابق ص ٢٢٣)
- (٩) الأسدي، مرجع سابق، ص ٢٢٣، الخصوصي، مرجع سابق، ٢/١٦٥

الوثيقة مع الدولة العثمانية^(١). وقد رأت ألمانيا الكويت موقعاً مناسباً لإنشاء محطة فحم^(٢)، ونهاية لخط السكك الحديدية الممتدة من برلين ماراً باسطنبول والأناضول والعراق منتهاياً بأرض الكويت. وأكد الرحالة الإنجليزي كنت وليمز ذلك بقوله: "كانت ألمانيا في ذلك الحين تحلم بمد السكة الحديدية من الآستانة إلى الخليج، مارة بالأناضول وبغداد والبصرة، وأن المهنيين والسياسة الألمان كانوا يودون أن تكون الكويت نهاية الخط الحديدي"^(٣)

وأما روسيا فكانت ضمن هذه الدول المنافسة، التي تعتبر من أكبر الدول الأوروبية مساحة وسكاناً^(٤)، والطامحة بالوصول إلى المياه الدافئة، وبلاد الهند^(٥). فأخذت تتوسع تدريجياً في آسيا الوسطى، وبلاد فارس، وأراضي الدولة العثمانية، ودخلت في منافسة مع بريطانيا للحصول على امتيازات للسكك الحديدية في بلاد فارس^(٦). كذلك بدأت ضمن سعيها للوصول إلى الخليج العربي، تخطط لبدء نشاطاً توسعياً فيه وخصوصاً الكويت، ليكون منفذاً شمالياً لها، وباباً يسهل لها الولوج إلى الهند^(٧). ومن مظاهر محاولاتها إنشاء محطة وقود لتزويد سفنها بمياه الخليج العربي في الكويت. وكذلك بناء خط سكك حديد تمتد من القوقاز إلى البحر المتوسط ماراً بالكويت^(٨)، وهو

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق يلديز الخاصة Y.RES. رقم ٤٠٢/٨٨، تاريخ ١٣١٦هـ؛ ارمستروا، مرجع سابق، ص ٥٢؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١/٥٥١؛ فرج الله، مرجع سابق، ص ١٣٩؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/١٦٨؛ فسيليف، مرجع سابق ١/٢٤٥؛ إبراهيم أحمد، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

(٢) فرج الله، مرجع سابق، ص ٥٢

(٣) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ١/٧١).

(٤) فرج الله، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٥) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٢٢، السعودون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٢٣

Al Ghanim op, cit, p68; Jacob Goldberg, op, cit, p35

(٦) السعودون، العلاقات...، المرجع السابق، ص ٢٣، الخصوصي، مرجع سابق ٢/١٥٢؛

Al Ghanim, op, cit, p68

(٧) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٢٢؛ السعودون العلاقات...، مرجع سابق، ص ٢٣

Al Ghanim, op, cit, p68; Jacob Goldberg, op, cit, p35

(٨) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر السابق ٣/١٥٣٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١١١؛ ي ريزفان، سفن روسية بالخليج العربي، ١٨٩٩/١٩٠٣م، وضع مقدمته ف - فاؤ مكين، ترجمة سليم دوما، دار التقديم، الاتحاد السوفيتي، ١٩٩٠م، ص ٦؛ أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة =

مشروع الكونت فلاديمير كابنست^(١) Kapnist للسك الحديدية، فاختيارها الكويت جاء لموقعها الإستراتيجي ولصلاحيه مينائها^(٢).

وكنتيجة لتفاصيل النزاع الدولي المحموم على الخليج أن اتهمت اسطنبول المقيم السياسي البريطاني في بوشهر بتدبير مؤامرة استيلاء الشيخ مبارك على السلطة في الكويت ، ذلك ما علمته وزارة الخارجية في لندن من مذكرة مستر ستافريدس المؤرخة في ٣٠ يونيو ١٨٩٦. وتأتي أهمية هذا التقرير كونه التقرير الذي لفت أنظار الحكومة البريطانية إلى ما حدث في الكويت^(٣). ويبدو أن الحكومة البريطانية ظلت تراقب، وترصد تحركات القوى الخارجية المتنافسة على المغانم في المنطقة كافة^(٤). لهذا لم تعر هذا الاتهام أي اهتمام يذكر^(٥). كانت تلك هي أبرز ردود الفعل البريطانية تجاه تولي الشيخ مبارك السلطة في الكويت.

كان الموقف الألماني من حادثة اغتيال الشيخين، محمد وجراح، مماثلاً للموقف البريطاني، حيث لم تعر ألمانيا أي اهتمام لعملية الاغتيال^(٦). وفضلت روسيا الحياد، على الرغم من اهتمام قناصلها في البصرة وبغداد واسطنبول بحادث الاغتيال واستيلاء مبارك على السلطة، وفسرت أسباب القتل بأنها جاءت نتيجة لمغازلة الشيخ محمد الصباح والشيخ يوسف آل إبراهيم - على وجه الخصوص - لبريطانيا. وعلى العموم، أنها لمحت إلى دور بريطاني وراء عملية الاغتيال^(٧). كذلك حافظ الروس على حالة الترقب ورصد تحركات القوى

"ط٢"، المؤسسة العربية جدة، ٨٦/١؛ المختار المرجع السابق ٢/٢٣؛ الخصوصي، المرجع السابق ١٥٥/٢ ويليسون، مرجع سابق ص ٤٠٤.

(١) فلاديمير كابنست: أحد النبلاء الروس ورجل أعمال وله نفوذ في البلاط القيصري وهو ابن أخ السفير الروسي في فينا (الإبراهيم، حسن مرجع سابق ص ٥٩).

(٢) لوريمر، المصدر السابق ٣/١٥٢٣؛ ريزفان، مصدر سابق ص ٦؛ عطار المرجع السابق، ٨٦/١؛ المختار، المرجع السابق، ٢/٢٣؛ الخصوصي، المرجع السابق، ١٥٥/٢؛ ويليسون، مرجع سابق، ص ٤٠٤؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٣٢

(٣) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة؛ ، مصدر سابق، ٧١/١

Whig ham Op, Cit, P99

(٤) سلدانيا، مصدر سابق ص ٣٢،

(٥) الزركلي، مصدر سابق، ٧١/١

(٦) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٩٧

(٧) بوندار يفسكي المرجع نفسه ص ٩٦ - ٩٧ - ٩٨.

الخارجية كبريطانيا وألمانيا والدولة العثمانية حول مسألة الكويت، وذلك من خلال التقارير التي كان يقدمها قناصلهم في البصرة وبغداد واسطنبول^(١).

كذلك لم يختلف رد فعل الدول العثمانية كثيراً عن ردود فعل الحكومات البريطانية والروسية والألمانية، حيث لم تتضح الرؤية في اسطنبول عمّا حدث في الكويت لفترة من الزمن. وعلى الرغم من غموض وملابسات الحادث إلا أن الدولة العثمانية شككت في البداية أن لبريطانيا يداً في عملية الاغتيال، ولم تعط هذا الأمر أي اهتمام. لكن ذلك الوضع قد تغير كثيراً، بعد استيلاء الشيخ مبارك على السلطة، وعلى الرغم من ذلك فضلت إتباع سياسة الحياد في هذه الفترة الحرجة بين عامي ١٣١٣ - ١٣١٤هـ/١٨٩٦ - ١٨٩٧^(٢) ذلك لأن استيلاء الشيخ مبارك على السلطة قد تزامن مع الظروف الصعبة التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية معولة على عدم فتح جبهة جديدة.

إنّ الدليل على غموض الوضع في الكويت، بالنسبة إلى الدولة العثمانية، يتلخص بحالة تباين المواقف، وتضارب الآراء في كل من ولايتي البصرة وبغداد، فبينما وقف حمدي باشا والي البصرة^(٣) إلى جانب الشيخ يوسف آل إبراهيم، وسعى لنصرة قضية أبناء الشيخين محمد وجراح^(٤)، تمكن رجب باشا مشير الفيلق السادس ببغداد^(٥) من إقناع ولاة الأمر في اسطنبول بعدم

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلدز متنوع. Y.MTV، رقم ١٩٩/٣٧، تاريخ رجب ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلدز متنوع. Y.MTV، رقم ٢١٤/٥٦، تاريخ رجب ١٣١٤هـ؛ الزركلي المرجع نفسه ٧٢/١، الصباح مرجع سابق ص ٢٢٨.

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١/٥٠١؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق ص ٣١؛ Fredrick Anscombe op, cit, p135

(٣) حمدي باشا: تولى ولاية البصرة معظم الفترة الممتدة من سنة ١٨٩٤م إلى سنة ١٩٠٠م كان رجلاً عملياً نزيهاً وحاول جاهداً من أجل القضاء على الفساد الإداري بالدولة العثمانية، وكان مؤيداً ليوسف ومعادياً لمبارك طوال فترة ولايته، (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٢٢١٣/٤).

(٤) الذكر، مصدر سابق ص ١٠١؛ الفرخان، مرجع سابق ص ٧٩؛ المنصور، الكويت وعلاقتها، مرجع سابق ص ٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٧. خزعل، مرجع سابق، ٢/١٦؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٤/٢٢١٢

(٥) رجب باشا: كان من مرافقي السلطان قدم إلى بغداد ضابطاً ثم صار مشيراً للفيلق السادس في بغداد في شوال ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م والمشيورية أعلى القطاعات العسكرية العثمانية. وعين وكيلاً للوالي حسن باشا وعطا الله باشا واستمر حتى تم نقله لقيادة فرقة طرابلس في ١٧ صفر ١٣١٦هـ/١٨٩٨م (العزاوي، مرجع سابق ٨/١٣١).

التدخل في الشأن الكويتي^(١). أما نتائج هذه الجولة في العراق العثماني بين طرفي النزاع، وغيرها من الجولات، ذات الصفة الدبلوماسية، فقد أرجأنا مناقشتها إلى المبحث ما بعد القادم من هذا الفصل.

بعد التعرف على ردود الفعل الدولية تجاه اغتيال الشيخين واستيلاء الشيخ مبارك على السلطة، والتي تمثلت بحياد عثماني وروسي وألماني وترقب بريطاني، نأتي على ردود الفعل للقوى الإقليمية. وأولها كان رد فعل إمارة الرشيد، التي كانت تهتم بشؤون الكويت وأحداثها. بادر آل الرشيد إلى الاستنكار والاحتجاج عبر خطاب شديد اللهجة وحاد التأييد من قبل الأمير محمد بن عبد الله الرشيد، حاكم إمارة نجد، إلى الشيخ مبارك بعد عملية الاغتيال والاستيلاء مباشرة^(٢). كذلك استنكر شيخ قطر الشيخ جاسم آل ثاني عملية اغتيال والاستيلاء على السلطة^(٣). واستنكرتها أيضاً إمارة المحمرة، حيث أوجس حاكمها الشيخ مزعل المرادو خيفة من أن يقوم أخوه - الشيخ خزعل وهو صديق مبارك، بالفعل نفسه^(٤).

لقد أوجدت العلاقات التاريخية، قبل استيلاء الشيخ مبارك على الحكم، أثراً مهماً في توجيه ردود الفعل الخارجية الأكثر تأثيراً على الساحة الكويتية، مما وسَّع دائرة الصراع بين الطرفين لتشمل أنصار كل منهما في المناطق المجاورة للكويت. كذلك برزت أطماع القوى الأخرى لتحقيق أهدافها، ورعاية مصالحها في الموقع الإستراتيجي للكويت. ومن أهم العلاقات التي تبلورت في دائرة الأحداث اللاحقة، على خلفية ردود الفعل الخارجية، تلك الحالة من الود التي كانت قائمة بين الشيخ يوسف آل إبراهيم وحمدي باشا والي البصرة^(٥)، وروابط الصداقة بين الشيخ مبارك ورجب باشا مشير الفيلق السادس في

(١) الذكر، مصدر سابق ص ١٠١؛ الفرخان، مرجع سابق ص ٧٩؛ المنصور، الكويت وعلاقتها، مرجع

سابق ص ٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ١٧/٢.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٩.

(٣) المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٤) الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٧١.

(٥) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ خزعل، مرجع سابق، ١٦/٢.

الجانب الآخر^(١). ومن ناحية أخرى تولدُ العداء بين الشيخ مبارك وشيخ قطر جاسم آل ثاني، بسبب تولي الأول قيادة القوة الكويتية البرية، التي استعانت بها الدولة العثمانية في قمع التمرد القطري في مارس السنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢^(٢) وعلى النقيض من ذلك، نجد التعاون قائماً بين الشيخ يوسف آل إبراهيم والشيخ جاسم آل ثاني، نتيجة للخدمات والمعونات التي قدّمها الأول للثاني أثناء نزاعه مع شيخ أبو ظبي^(٣) السنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨^(٤).

وفي خضم هذه المتغيرات، التي سبقت تولي الشيخ مبارك السُلطة، كان الأمير محمد بن رشيد في حالة توتر وترقب مع حكام الكويت، بسبب اتخاذ أمراء البيت السعودي من الكويت مقراً ومنطلقاً لهم. بينما كان هناك حالة من الولاء والاعتراف بالتبعية للباب العالي، تظهر في نصرة الأمير محمد بن رشيد للعثمانيين على آل سعود السنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٨٨^(٥). وبطبيعة الحال كان لهذه العلاقات أثرها في النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف في جميع المراحل، كما سنرى.

تبني الشيخ آل إبراهيم المعارضة

سبقت الإشارة إلى أن الشيخ يوسف آل إبراهيم لم يمارس أي ردة فعل مباشرة أثناء وجوده في قصره بالصبيّة، على الرغم من أنه كان الأكثر تأثراً بما حدث، بل على العكس تظاهر بقبول مقترحات الشيخ مبارك، والرضا بالعروض التي قدمها إليه عبر المراسلات المتبادلة بينهما، وحركة الوفود المستمرة بينهما^(٦). وفي هذه المرحلة، التي يبدو الودُّ ظاهرها والبغض باطنها،

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥١؛ خزعل، مرجع سابق، ١٧/٢؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١.

(٢) كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص ١٠٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢٥/٢؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ السبيعي، الأمن، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٣) شيخ أبو ظبي: هو الشيخ زايد بن خليفة (المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص ١٩٦).

(٤) المنصور، التطور السياسي...، المرجع السابق، ص ١٦٣؛ السبيعي، المرجع السابق ص ٢٠٠؛ يحيى الربيعان، مرجع سابق، ص ٧؛ نخله، مرجع سابق، ص ٢٠٩؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٢٨٦.

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١/١٤٠.

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٩.

أُبْرَزَ خلالها كلٌّ من طرف ما له وما عليه، فبينما كان مبارك يخطط لإيقاع يوسف في شبابه، كان يوسف يفكر في تنفيذ خطة للتراجع في الوقت المناسب إلى موقع يضمن له الحركة والتصرف حيث أملاكه في الدورة.

وحصل أن وفد عليه أعيان الكويت بالصَّبِيَّة لِيسترضوه، ويطلبوا منه العودة إلى الكويت، وتقديم التأكيدات الموثقة، بأنه آمن على نفسه وماله. إلا أن واقع الحال كان هدف الوفد هو الكشف عن ردة فعله، ومعرفة وجهة نظره وخبائاه. وكالعادة أظهر الشيخ يوسف للوفد قبول طلب الشيخ مبارك بدعوته إلى الكويت، وسيلبها حال انجاز بعض شؤونه الخاصة^(١)، وقد حاول صالح آل إبراهيم^(٢) إقناع الشيخ يوسف بالعودة الفعلية إلى الكويت، وأن عملية القتل شأن عائلي تخص أفراد عائلة آل صباح. إلا أن الشيخ يوسف كان يدرك تماماً ما كان يخطط له الشيخ مبارك، فهو لا يأمن شر من قتل أشقاءه.

ويعلم الشيخ يوسف أن خصمه سيرميه بتهمة تدبير قتل الشيخين محمد وجراح، وهذا ما أفصحت عنه الأحداث اللاحقة^(٣) وبتهمة أقل خطورة، هي استحواذ أموال آل الصباح^(٤). وهنا يكون الشيخ مبارك قد برأ ساحته من قتل أخوية وليس هناك شحة في شهود الزور، وليس أسهل من أخذ الاعترافات تحت القوة^(٥). وكتحصيل حاصل، ستصادر أموال الشيخ يوسف بعد قتله بتهمة زائفة. وبعد اليأس من عودة الشيخ يوسف طواعية، بدأ الشيخ مبارك

- (١) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٩؛ الفرغان، مرجع سابق، ص ٧٨.
- (٢) صالح بن صالح آل إبراهيم: (١٢٧٠هـ - ١٣٥٤هـ) ولد في حي آل إبراهيم ببهيته تولى إدارة أملاك آل إبراهيم عام ١٣٠٠هـ، عرف عنه الحزم والعدل، وقد قدم مساعدات كبيرة لحكام الكويت في معركة الجهراء وبناء سور الكويت وتبرع بسيارات للحكومة في عهد الشيخ سالم الصباح وله الأيادي البيضاء في مساعدة المتضررين في سنة "الهدامة" ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م وقام ببناء مسجد الدورة جنوب البصرة سنة ١٣١٤هـ وتوفي سنة ١٣٥٤هـ وله أربعة أبناء " حمد - وإبراهيم - وعبد اللطيف - ومحمد (انظر محسنون من بلدي، ١/٧٥ - ٥٨ - ٥٩؛ مقابلة مع الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم، وحفيده الأستاذ عبدالرزاق بن إبراهيم بن صالح آل إبراهيم بالفنطاس بتاريخ ١٥/٣/١٤٢٣هـ).
- (٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٤؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٧/٢.
- (٤) القناعي، مصدر سابق ص ٢٧؛ النجار، مرجع سابق ص ٧٠؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٩٦.
- (٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٤.

يعد العدة للهجوم على الصبيّة، للقبض عليه^(١). لكن عيون الشيخ يوسف، المبتوثة في الكويت، جاءت له بمخطط مبارك، فقرر الخروج على وجه السرعة من الصبيّة، ومعه رجاله وأبناء الشيوخين محمد وجراح، ميمماً شطر ولاية البصرة^(٢).

ظل الشيخ يوسف محافظاً على سكونه أثناء وجوده في الصبيّة، ريثما يتمكن أبناء الشيوخين محمد وجراح من الإفلات من قبضة الشيخ مبارك. وتم هذا بالفعل. وباجتماع الشّمل بدأ بتحريك قضية أخذ الثأر التي تبناها من الشيخ مبارك، مما أزعج الأخير وأقلق راحته. وكانت بداية حقبة متأزمة، ويمكن تسميتها بمرحلة المواجهة السياسية، ثم تلتها المواجهة المسلحة، التي زعزت أمان الشيخ مبارك، وهزت موقعه، فكانت حرباً لا هوادة فيها، استمرت فصولها عقداً من الزمان .

قبل الخوض في مجريات الصراع لابد من تحري الأسباب التي دفعت الشيخ يوسف آل إبراهيم تبني قضية الثأر، وتزعم المعارضة، والصراع ضد الشيخ مبارك، ومنها:

– الوفاء والدفاع عن الشرعية، وان لا يذهب دم شيخ الكويت رخيصاً، واسترجاع حقوق أبناء المغدورين، اللذين تربطهما به صلة القرابة، والتي بسببها التجأ أبناء الشيوخين محمد وجراح إلى حمى الشيخ يوسف ومطالبتهم منه الأخذ بالثأر وإعادة ما سلب.

– كانت العلاقة المتوترة بين الشيوخين، يوسف ومبارك، من العوامل التي أدت إلى اغتيال الأخوين، وأن الاغتيال سيطاله متى ما استطاع الشيخ مبارك الوصول إليه، وأكد ذلك مقولته لصالح آل إبراهيم عندما طلب منه العودة للكويت، وأن المسألة بين أبناء آل صباح، وذكر يوسف بأنه هو المقصود بالقتل أيضاً.

– القدرة المالية والعلاقات الودية التي تربطه مع الامراء والحكام في المنطقة

(١) نكر عبد العزيز الرشيد أن رجلاً من أهل الكويت يدعى "ابن دويهيس" جاء وانذر الشيخ يوسف آل إبراهيم بهجوم الشيخ مبارك، وفي نفس الوقت جاءت رسائل من بعض أهالي الكويت تخبر بما يخطط له مبارك (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٩).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٩.

هذه القدرات التي يملكها الشيخ يوسف شجعته على اتخاذ هذا الموقف من الشيخ مبارك.

– كان البعد الإنساني أحد العوامل لتوليه قضية الثأر والمعارضة، فقد كان يطالب بحق مشروع تم التطاول عليه بحق القوة وليس بقوة الحق. وهذا مبدأ مرفوض يتنافى مع معتقده وتعاليم دينه، ولا يتواءم مع أخلاقية المجتمع الكويتي، الذي كان يميل نحو الاستكانة والهدوء، والرافض لمبدأ العنف بأشكاله. فأخذت الشيخ يوسف آل إبراهيم الغيرة والنخوة ليقف في وجه هذا العنف، حتى ترك كل شيء، وبذل ثروته في تحقيق الحق وإعادته لأصحابه الشرعيين^(١).

– أدرك الشيخ يوسف خسارته الكبرى لمركزه السياسي، ومكانته المرموقة بعد استيلاء الشيخ مبارك على السلطة. ومثلما تقدم كان أحد القوى التي حاصرت الشيخ مبارك قبل استيلائه على كرسى الحكم. وقد ذكر بعض المؤرخين من أن تولي الشيخ يوسف آل إبراهيم المعارضة كان نتيجةً لطموحه في الاستيلاء على الحكم، والقضاء على سلطة آل صباح بالكويت^(٢). هو رأي كسيح لا يستند على دليل فالشرعية بنظره تعود الى ابناء المغورين.

– يبرز هذا الموقف وجود رأي آخر في الكويت لا يستكين اذا ما حدثت الظروف بل يقف مدافعاً عن حقه في اختيار من يحكمه، وهو بذور التعددية كما تعرف الان.

التوجه نحو العثمانيين

اتجه طرفي النزاع، خلال هذه المرحلة، إلى كسب الود العثماني، باستخدام الوسائل والطرق المشروعة وغير المشروعة كافة. بدأ الشيخ يوسف آل إبراهيم إثارة القضية بصيغتها القانونية لدى والي البصرة حمدي باشا، حيث قام أبناء الشيخين محمد وجراح بتوجيه منه برفع دعوى إلى حمدي باشا، يطالبون فيها بتحقيق العدل في قضيتهم^(٣). جاء فيها: أنّ الشيخ مبارك اغتصب إمارة

(١) الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٢؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢) العبد المحسن، مرجع سابق ١/ ٣٠٥؛ ديكسون، مصدر سابق، ص ١٣٦؛ أبو حاكمة، مصدر سابق،

ص ٣٠٨؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٠؛ الشمالان من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٧١.

(٣) الذكير، المصدر نفسه ص ١٠١؛ خزعل، المرجع نفسه، ١٦/٢.

الكويت، بعد أن قتل أخويه الشيخ جراح الشيخ محمد، وأن الأخير كان يحكمها بموجب فرمان همايوني. وقيامه بهذا العمل إهانة لسلطة الدولة التي يتبعها، وأنَّ قصده من ذلك العمل هو خلع السيادة العثمانية عن الكويت، ومن ثم تسليمها إلى دول أجنبية^(١).

بدأ حمدي باشا تحركاته فوراً في دراسة أركان القضية، فهو، كما يعرف عنه، كان إذا فكر في أمر أقدم عليه دون تأجيل^(٢)، فكلّف على الفور الشيخ عبد الله بن إبراهيم الراشد^(٣) شيخ الزبير بأن يقوم بعمل سري داخل الكويت، لاستحصال شهادة من أهل الكويت مفادها: أنَّ الشيخ مبارك هو الذي قتل أخويه محمد وجراح^(٤). أراد حمدي باشا أن يحصل بهذه الشهادة على دليل قانوني، يرفقه مع أوراق الدعوى ضد الشيخ مبارك إلى الباب العالي، ويتبنى، وفق الدعوى، الشيخ يوسف قضية أبناء الشيخين محمد وجراح، كي يحصل على إذن رسمي يخوّل له قيادة فرقة من الجيش لتجبر الشيخ مبارك على التخلي عن السلطة، التي انتزعها بالقوة^(٥).

كادت تلك التحركات التي رسم خطتها الشيخ يوسف، وسعى لتحقيقها حمدي باشا والي البصرة، أن تنجح لولا يقظة الشيخ مبارك، ومقابلة دهاء خصمه بدهاء أعظم. بادر إلى الاتصال، العام ١٣١٤هـ/١٨٩٦، بالسلطة العثمانية الأعلى في العراق، وهو المشير رجب باشا قائد الفيلق السادس ببغداد^(٦)، والشيخ أبي الهدى الصيادي شيخ الإسلام المقرب جداً من

(١) خزعل، المرجع نفسه، ١٦/٢.

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٢٢١٢/٤.

(٣) عبد الله بن إبراهيم الراشد: يرجع نسبه إلى عشيرة الحسنه من قبيلة عنزة العريقة، ويرجع منبت أسرته إلى بلدة حريملاء بنجد وهاجروا منها مع من هاجر من أهالي تلك المنطقة واستقروا بالزبير عام ١١٩٦هـ، وحكم الشيخ عبد الله الراشد مشيخة الزبير - بالتعاون مع الشيخ إبراهيم عبد اللطيف الزهير بين عامي ١٢٩١ - ١٣٠٤هـ وبعدها تفرد بمشيخة الزبير حتى عام ١٣١٤هـ وشهدت فترة مشيخته عهد استقرار وازدهار لمنطقة الزبير وجاء بعده خالد باشا العون ونهج نهجه في موقفه من الصراع الدائر بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم. (انظر الصانع، مرجع سابق، ٨١/١ - ١٠١ - ١٠٢)

(٤) خزعل، مرجع سابق، ١٦/٢.

(٥) خزعل، المرجع نفسه، ١٦/٢، الفرخان، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٦) الزكير، مصدر سابق، ص ١٠١؛ خزعل، المرجع نفسه، ١٦/٢؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ١٥٢٦/٣؛ النجار، مرجع سابق ص ٧١

السلطان عبد الحميد^(١)، للحصول على اعتراف السلطان العثماني به حاكماً على الكويت^(٢). وقام، لتفعيل الأمر، بتقديم الهدايا لرجب باشا^(٣)، وفعلاً قام مشير بغداد رجب باشا بتوضيح وضع الكويت إلى السلطان العثماني، فبين أن ما حدث في الكويت ما هو إلا من الحوادث العادية التي تجري في البادية، واقترح عدم التدخل في شأن الكويت^(٤). وتمكن الشيخ مبارك في الوقت نفسه الاتصال بموظفي الدولة العثمانية باسطنبول، ومنهم شيخ الإسلام المذكور أعلاه، من خلال نقيب البصرة^(٥)، وأغدق عليهم الهدايا^(٦). ثم قام بإرسال الشكاوى والتظلم إلى السلطان عبد الحميد الثاني ضد حمدي باشا، وتصرفاته السيئة معه، ومحاولته القضاء عليه من دون وجه حق. ولم يكتف بذلك بل أخذ يطلب من أهالي الكويت إرسال برقيات إلى السلطان، تتضمن الشكاوى ضد حمدي باشا^(٧). في الوقت نفسه طلب من رجالات الدولة كرجب باشا وأبي الهدى الصيادي ونقيب البصرة أن يناصروه ضد حمدي باشا^(٨).

(١) الشيخ أبو الهدى: هو الشيخ محمد أبو الهدى السيد حسن الوادي بن خير الله الصيادي الرفاعي نقيب أشرف حلب، ولد سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م وقربه السلطان عبد الحميد الثاني وقلده منصب شيخ الإسلام في اسطنبول وألحقه في رتبة قضاء العسكر وهي أعلى سلطه قضائية في الدولة العثمانية (حسين هادي الشلالة، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث (ط ١) الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٤م ص ١٠٣، آل إبراهيم، يعقوب، التبيين، مرجع سابق ص ٣٢).

(٢) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٠٨، لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ١٥٢٦/٣ Fredrick Anscombe, Op, Cit, P136

(٣) الفرخان، مرجع سابق ص ٧٩، أبو حاكمه، مرجع سابق ص، ٣٠٨، المنصور، الكويت وعلاقتها، مرجع سابق ص ٥٣.

(٤) الذكر، المصدر نفسه ص ١٠١، الفرخان، المرجع نفسه ص، ٧٩، المنصور، المرجع نفسه ص ٥٣.

(٥) نقيب البصرة: كانت أسرة النقيب سنوية يرجع نسبهم إلى السيد احمد الرفاعي "يجتمعون فيه مع أبي الهدى الصيادي" الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب والنقيب في اللغة نقيب القوم، وكان للنقيب في العصر العثماني ادواراً ومهاماً مختلفة ومنها دور الوسيط بين الولاة والسكان المحليين من عامة الناس، وكانوا موالين للسلطان العثماني ولهم حضور عنده. (إبراهيم احمد، مرجع سابق ص ٧١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٢٠٢/٦؛ الشلالة، مرجع سابق ص ٧٣).

(٦) بونداريفسكي، مرجع سابق ص ٣٦٠

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية I.DAH، رقم ٤٦/١٣١٤، بتاريخ ١٩ محرم و ١١ و ٢٦ صفر ١٣١٤هـ.

(٨) الأرشيف العثماني اسطنبول، أوراق الباب العالي B.E.O، رقم ١٧٤٧٩٣، تاريخ ٢٧ صفر ١٣٢٢هـ: =

وخلال هذه الجولة حرص الشيخ مبارك على كسب الموقف العثماني، وذلك لأمر عدة، لعل أهمها إضفاء الصبغة الشرعية على حكمه بتأييد السلطان العثماني له، نتيجة لتبعية الكويت للدولة العثمانية^(١). وكان وجود أملاك آل صباح الزراعية، في ولاية البصرة، من أهم العوامل التي جعلت الشيخ مبارك يحرص على كسب الموقف العثماني، ليضمن سلامة الأملاك التي تعتبر الدخل الأول لأسرة آل صباح^(٢). وخلاصة القول، أنه تمكن في هذه الجولة من النزاع تجنب مؤامرات موظفي الدولة العثمانية في العراق واسطنبول^(٣)، ومنع خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم من الحصول على الدعم العثماني^(٤). ولعل للقرب بين الكويت وولاية البصرة دور في توجيهه هذا، حتى يتسنى له الحصول على حليف قوي في إدارة النزاع.

وبالمحصلة، تغلب الشيخ مبارك على خصمه في هذه الجولة، ويُعزى نجاحه فيها إلى عدّة أسباب:

– اتصّاله المباشر بالسلطة العليا في العراق العثماني^(٥)، مما عزّز موقفه في مراجعة المراكز الكبرى، حيث تجاوز والي البصرة حمدي باشا، وكان المشير رجب باشا طريقه إلى ولاية الأمر في اسطنبول^(٦) وذلك ما وقع فيه خصمه الشيخ يوسف من خطأ إجرائي، حيث جعل والي البصرة قبلته في المراجعات. يؤكّد ذلك تلك البرقية السّرية التي بعث بها حمدي باشا إلى

= النجار، مرجع سابق، ص ٧٥؛ الصباح، مرجع سابق ١/٢٢١؛ جمال قاسم، مرجع سابق ٢/٣١٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٥؛ Al Ghanim, op, cit, P 54

(١) النجار، مرجع سابق، ص ٧٥؛ الصباح، مرجع سابق، ١/٢٢١؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣١٣.

(٢) السعدون أحداث...، مرجع سابق ص ١٢٠؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٩؛ جمال؛ قاسم مرجع سابق ٢/٣١٣

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول إرادة داخلية I.DAH، رقم ٤٦/١٣١٤، تاريخ ٢٦ صفر ١٣١٤، أبو حاكمه مرجع سابق ص ٣٠٩

(٤) القاسمي مرجع سابق ص ٤١، خزعل مرجع سابق ٢/١٨؛ Al Ghanim, op, cit, P38

(٥) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٥١؛ أبو حاكمه، مرجع سابق ص ٣٠٨؛ الشلالة، مرجع سابق، ص ٧٧

(٦) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٥١.

رئاسة الديوان السلطاني، فنجدُه قد أفصح فيها بأنَّ الولاية - ولاية البصرة - ليست صاحبة صلاحية في هذا الأمر^(١).

- العلاقة الوطيدة التي كانت تربط الشيخ مبارك بالمشير رجب باشا، وهي في أساسها صداقة قديمة^(٢)، منشأها تلك الخدمات التي قدمها الشيخ حينما انضمت القوات الكويتية تحت قيادة المشير في مهمة تأديب القبائل العراقية الجنوبية، وذلك جنباً إلى جنب مع الجيش العثماني^(٣).

- الأموال الطائلة التي أنفقها الشيخ مبارك، على بعض رجال الدولة العثمانية، في بغداد واسطنبول، خلال النصف الأول من السنة ١٣١٤هـ/النصف الأخير من عام ١٨٩٦^(٤)، ونجحت نجاحاً باهراً برسم صورة لدى السلطان عبد الحميد الثاني حول الشيخ يوسف آل إبراهيم، فكتب عنه في مذكراته: بأن الشيخ يوسف آل إبراهيم يثير القلاقل في المنطقة^(٥).

تلك كانت خلاصة مجريات النزاع الأولى في العراق العثماني، بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، ومن بعدها تحول إلى المجال القانوني والدبلوماسي، ثم النزاع المسلح. ذلك بعد توسع دائرته، إلى تدخل الأطراف الإقليمية والدولية ذات العلاقة كافة. أبرزَ خلاله الشيخ يوسف صلابة أمام كل فشل يلحق به، فيعيد الكرة متخذاً محوراً جديداً، ومستخدماً كل ما يملك من مال وقوة ودهاء، واستمر الحال رُهاء عَقْدٍ من الزمان تقريباً من دون كلل وملل أو يأس.

ومن أهم العوامل التي ساعدت على حسم النزاع لصالح الشيخ مبارك: اهتمام الدولة العثمانية بمقترحات المشير رجب باشا، قائد الفيلق السادس ببغداد، واستحسن رأيه حول عدم التدخل في الشأن الكويتي، باعتبار أن قضية القتل شأن داخلي، وأن الأمر طبيعي في المجتمعات العربية ذات الطبيعة

(١) عبد العزيز الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع. Y.MTV، رقم ٢٨/١٤٤، بتاريخ ٥ صفر ١٣١٤هـ.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٠.

(٣) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٠؛ أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٣٠٨؛ النجار، مرجع سابق، ص ٧٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٤) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٥٠؛ أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٣٠٨؛ النجار، مرجع سابق، ص ٧٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٥) السلطان عبد الحميد، مصدر سابق، ص ١٤٠.

القبليّة^(١). كف حمدي باشا، والي البصرة، وبأمر من الدولة العثمانية، عما عزم عليه من تحركات استنصار لقضية أبناء الشيوخين محمد وجراح التي يتبنى خطها الشيخ يوسف آل إبراهيم^(٢). ثم تعيين عارف باشا^(٣) والياً للبصرة، ومحسن باشا^(٤) قائداً لقوة البصرة العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧، وعزل حمدي باشا^(٥). وتعيين الشيخ مبارك قائمقام على الكويت^(٦). وذلك بعد مباحثات مكثفة، وتقارير متبادلة، بين رجال الدولة العثمانية أكدت أن المصلحة تقتضي ذلك^(٧).

ومقابل ذلك، فشل الشيخ يوسف آل إبراهيم، وأبناء الشيوخين القتيلين مع المشير رجب باشا، حيث تأخروا في عرض قضيتهم عليه، فقد سافر سعود بن الشيخ محمد آل صباح لهذه المهمة، وعلى الرغم من مقابلته للمشير عدة مرات أخيراً، وذلك حينما حل ضيفاً على الشيخ حمد بن محمد العسافي^(٨) زهاء ستة

- (١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع. Y.MTV، ١٦٣/١٤٢ بتاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٥٠؛ خزعل، المرجع السابق، ١٧/٢.
- (٢) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٥٠؛ خزعل، المرجع نفسه، ١٧/٢.
- (٣) عارف باشا: تولى ولاية البصرة ١٨٩٦م وعمل على حل مشكلة آل صباح وعمل محسن باشا على التحريض ضده حتى تم عزله (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٤/٢٢١٣).
- (٤) محسن باشا: تولى منصب الولاية بين ١٨٩٧ - ١٩٠١م وكان ذا عقلية مستنيرة وتولى منصب رئيس الأركان للفيلق السابع لليمن (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٤/٢٢١٣؛ صابان، مرجع سابق، ص ١٧٤).
- (٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع. Y.MTV رقم ٤٨/١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ.
- (٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية. I.DAH، رقم ٤٦/١٣١٤، بتاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع. Y.MTV، رقم ٨٣/١٩٧، تاريخ ٨ شعبان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية. I.DAH، رقم ٤٦/١٣١٤، تاريخ ١٩ محرم ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية. I.DAH، رقم ٤٦/١٣١٤، تاريخ ٢٦ صفر ١٣١٤هـ.
- (٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع. Y.MTV رقم ٤٨/١٧٠، تاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع رقم ٤/١٧٠، تاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع. Y.MTV رقم ١٦٣/١٤٢ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ.
- (٨) الشيخ حمد بن محمد العسافي: يرجع أصله إلى بني تميم، والده محمد العسافي وكانت تربطه علاقة تجارية باسرة آل إبراهيم حيث كان وكيلاً لآل إبراهيم في بغداد، وتوفى سنة ١٣١٠هـ وترك من الأبناء حمد وصالح وورثا عن والدهما التجارة وقاما بتقسيم الإرث بينهما وقبل وفاة الشيخ حمد بخمس سنوات ترك التجارة وانتقل إلى الزبير واختار العزلة عن الناس وحرص على تعليم أولاده وتوفى عام ١٣٢٧هـ. (العزاوي، مرجع سابق، ٨/٢٥٩). كانت إقامة الشيخ سعود بن محمد الصباح في بغداد خلال ذي القعدة ١٣١٤هـ، بعد سنة من مقتل والده وعمه.

أشهر، إلا أنه عاد بخفي حنين^(١)، وذلك لمطالمة المشير. وسبب ذلك يعود إلى العلاقة الحميمة مع عدوهم الشيخ مبارك، وكذلك لالتجائهم في أول الأمر إلى حمدي باشا والي البصرة، فهو يرى أنه من حقه في مثل هذه القضية أن يكون المرجع الوحيد في العراق للبت في مثل هذا الأمر^(٢).

النزاع على الأملاك

تعتبر أملاك آل صباح، وخصوصاً البساتين الزراعية الواقعة في ولاية البصرة، من أبرز قضايا النزاع بين الطرفين. وكانت تلك الأملاك مصدر الدخل الأكبر لخزينة آل صباح^(٣). وإلى جانب أهميتها الاقتصادية، كان يتم تجنيد العاملين فيها في الحملات العسكرية^(٤). وبعد هروب أبناء الشيخين، محمد وجراح الصباح، إلى حمى الشيخ يوسف آل إبراهيم في الصَّبِيَّة، كما ذكرنا، توجهوا إلى البصرة، لكسب الموقف العثماني، مثلما كان يفعل الشيخ مبارك، ومن جملة المسائل التي أثرت مع السلطات العثمانية قضية الأملاك.

قدم الشيخ يوسف باسم الأبناء الشيخين عريضة إلى حمدي باشا والي البصرة، يطالب فيها بالحقوق المادية، والمتمثلة بإرثهم من حصة والديهم القتيلين، في أملاك آل صباح داخل الكويت: أموال، وعقارات، وثروة حيوانية، وحلي، ومستندات، ورقاب^(٥). كذلك أثارت الشكوى الحقوق بأملك آل صباح الزراعية بولاية البصرة، والمتمثلة بالبساتين الزراعية بالفاو، والصوفية، وكوت

(١) خزعل، مرجع سابق، ١٨/٢.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٥١

(٣) كانت عائدات تلك البساتين عالية جداً واعتمد عليها آل صباح دخلاً ومصدراً رئيساً لهم فقد كان ريعها السنوي كما ذكر مالكوم ميد - المقيم البريطاني في أبو شهر - في حدود ٦,٠٠٠ جنيه إسترليني، وأما يعقوب بن يوسف آل إبراهيم فقد ذكر بأن ريعها السنوي في حدود ٢٨٥,٠٠٠ قرش عام ١٣٢٣/١٩٠٥م، (القاسمي مرجع سابق ١٠٢؛ يعقوب آل إبراهيم، التبئين...، مرجع سابق، ص ٤٩).

(٤) السعدون، أحداث...، مرجع سابق، ص - ص ١٠٢ - ١٠٣

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع. Y.MTV. رقم ٨٣/١٩٧ تاريخ ٨/شعبان/١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متفرق المعروضات والإخباريات. Y.PRK. AZI. رقم ٣٧/٣٠، بتاريخ ٢٧/صفر/١٣١٦هـ؛ لوريمر دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٣/١٥٥٧؛ السعدون أحداث... مرجع سابق ص ١٠٠.

الزین والعجیروایة^(١) وکرد لان^(٢) والفرحانية^(٣) والتي استولى على قسم كبير منها الشيخ مبارك من دون وجه حق. وقد أبرز الشيخ يوسف والأبناء ما يثبت تلك الحقوق بمستندات. كان بعضها يتضمن اعترافاً صريحاً من قبل الشيخ مبارك^(٤). وطالب بأن لا يقبض الشيخ مبارك شيئاً من ريع تلك البساتين حتى تبت السلطات العثمانية بالقضية^(٥)، أو أن يصدر حكماً من محكمة البصرة.

حينها طلب حمدي باشا، والي البصرة، من الشيخ مبارك إعادة الأموال، طبقاً لتلك المستندات المقدمة من خصومه^(٦). استنكر الشيخ مبارك هذه الدعوى، وبين أن تلك المستندات مزورة، وبالوقت نفسه لم ينكر أن لهم حقوقاً لديه، لكنها ليست كما قدروها بل هي شيء قليل لا يستحق الذكر. وقدم لحمدي باشا قائمة بمستحققاتهم المالية، مشترطاً تسليمها بصك جديد يسقط فيه الأبناء جميع حقوقهم، التي يدعونها^(٧). وعدم عودتهم الى الكويت بعدها حاول الشيخ مبارك كسب موقف والي البصرة إلى جانبه، في هذه القضية بالذات، وعرض عليه الرشاوى والهدايا، لكن الأخير رفض ما عُرض عليه من إجراءات^(٨).

(١) العجیروایة: جزيرة تقع على الضفة اليمنى لشط العرب، جنوب البصرة وتعرف أيضا بجزيرة الكرتين وهي عبارة عن مائه وعشرين جريب اشترها الشيخ مبارك وسجلها باسم أبنته شريفه زوجة سعود بن محمد آل صباح. (لوريمر دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ١/٦٨؛ آل إبراهيم: يعقوب، التبيين...، مرجع سابق، ص٤٨؛ السعدون أحداث...، مرجع سابق، ص١٠٠)

(٢) كرد لان: تقع جهة شرقي شط العرب وفيها بساتين كثيرة وهي كلمة تركية تعني الأرض المرتفعة وأصبحت من أملاك آل صباح في عهد الشيخ عبد الله بن صباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩ هـ (الحيدري، مصدر سابق ص١٧٢؛ آل إبراهيم: يعقوب، التبيين...، مرجع سابق، ص٤٨)

(٣) الفرحانية: تقع جنوب البصرة امتلكها آل صباح عام ١٢٨٧ / ١٨٧٠م في عهد عبد الله آل صباح (آل إبراهيم، المرجع السابق، ص٤٨)

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MT، رقم ١٩٧/٨٣، تاريخ ٨ شعبان ١٣١٨ هـ؛ لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٥٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٨؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٣٩؛ السعدون، أحداث...، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز متفرق المعروضات والإخباريات. Y.PRK. AZJ. رقم ٣٧/٣٠، بتاريخ ٢٧/صفر/١٣١٦ هـ.

(٦) خزعل، مرجع سابق، ٢/١٨؛

(٧) خزعل، مرجع سابق، ٢/١٨؛

Al Ghanim, op, cit, p34

(٨) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٩؛

رفض الشيخ يوسف وأبناء الشيخين ما عرضه الشيخ مبارك، واستمروا بدفع قضيتهم، وقدموا شكوى جديدة ضده^(١) لاقت تأييداً من والي البصرة، فقرر إنهاء القضية بتشكيل محكمة في البصرة، لإصدار حكم عاجل فيها^(٢). وقد اختار أبناء القتيلين: صباح بن الشيخ محمد وكيلاً شرعياً لدى محكمة البصرة في قضية الأملاك^(٣). فقررت لجنة المحكمة ضبط جميع أملاك آل صباح الزراعية، وحجزها حتى يتم البت في القضية نهائياً^(٤). وبطبيعة الحال، رفض الشيخ مبارك قرار محكمة البصرة، وقام برفع شكوى تظلم إلى السلطات العثمانية ضد قرارات حمدي باشا، والشكوى منه لدى العثمانيين، عبر رسائل موقعة باسمه وأسماء أهالي الكويت^(٥)، واتهمه بالفساد، وأنه تلقى رشاوى من خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم^(٦).

وفي الوقت نفسه عمل أصدقاء الشيخ مبارك لنصرته، وهم: السيد رجب النقيب وابنه طالب النقيب، وموظفو الدولة العثمانية، من أمثال رجب باشا قائد الفيلق السادس في بغداد، وأبي الهدى الصيادي، ومحسن باشا وغيرهم. وقد سعوا لأخذ شكاوي الشيخ مبارك بعين الاعتبار، وعملوا على تقوية موقفه. وقد نجحوا بالفعل في إلغاء جميع الترتيبات التي عزم حمدي باشا على تنفيذها حول قضية التنازع على الأملاك المتنازع عليها. وبالنتيجة نجحت المساعي مع

- (١) خزعل، مرجع سابق، ١٨/٢.
- (٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع رقم ١٩٧/٨٣ تاريخ ١١ شعبان ١٣١٧هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٦
Al Ghanim, op, cit, p34
- (٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV، رقم ١٩٧/٨٣ تاريخ ٨ شعبان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متفرق المعروضات والإخباريات. Y.PRK. AZJ. رقم ٣٧/٣٠، بتاريخ ٢٧/صفر/١٣١٦هـ
- (٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV، رقم ١٩٧/٨٣ تاريخ ١١ شعبان ١٣١٧هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٦
Al Ghanim, op, cit, p34
- (٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية DH.ID رقم ١٣١٤/٤٦ تاريخ ٢٦ صفر ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٩٧/٨٣ بتاريخ ٨ شعبان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية DH.ID رقم ١٣١٤/٤٦ تاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية I.DAH رقم ١٣١٤/٤٦ تاريخ ١١ صفر ١٣١٤هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٤ - ٣٥
Al Ghanim, op, cit, op,P36
- (٦) القاسمي، المرجع نفسه، ص ٣٤.

السلطان عبد الحميد الثاني، واصدر قراراً بعزل حمدي باشا عن ولاية البصرة^(١). ومن جديد تمكن الشيخ مبارك من وضع يده على الأملاك^(٢)، ونجح في تعطيل البت في القضية^(٣). وبهدف حمايتها أناب عنه السيد طالب النقيب عليها، مقابل راتب شهري قدره سبعون ليرة عثمانية^(٤). وجعلها تحت إدارة عبد العزيز السالم البدر خلال تلك الفترة الحرجة^(٥). وقد تقدم الشيخ يوسف بشكوى للسلطات العثمانية يطالب فيها باسترداد حقوقه وأمواله، التي اغتصبها مبارك منه في الكويت، ورفع شكاوي التظلم ضده وأنه - أي الشيخ مبارك - يريد القضاء عليه^(٦).

ومعلوم، أن الشيخ مبارك قام بالسيطرة على ممتلكات آل إبراهيم داخل الكويت، من تجارة، وعقارات، وأراضٍ، وثروة حيوانية، وقام بتحويل جميع مستحقات الشيخ يوسف المالية عند أهالي الكويت لحسابه^(٧)، بحجة أنه سيطر على أموال آل صباح في بومباي^(٨). بل طالب الشيخ مبارك خصمه بإعادة الأموال الخاصة بالإمارة، والموجودة بحسابه في بومباي، وتصل إلى

- (١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٤/٢٢١٣؛ القاسمي، المرجع نفسه، ص ٣٥.
- (٢) Bidwell Robin, THE AFFAIRS OF country-region KUWAIT 1896-1905, VOL 1, PART II, printed in Great Britain by Stephen Austin and sons Limited, Hertford, p39
- (٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV. رقم ٥٥/٢٠٤ تاريخ ١١ ربيع الأول ١٣١٨هـ؛ Al Ghanim, op, cit, p35
- (٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK، رقم ١٩٤٠ تاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ القاسمي، مرجع سابق ص ٣٤
- (٥) النجار، مرجع سابق، ص ١٦٣؛ الثنيان: محمد، عبد العزيز بن رشيد والحماية البريطانية، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ١٤٢٠/١٩٩٩، ص ٤٥
- (٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨ النجار، المرجع نفسه، ص ١٦٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٩؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ١٩٩؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٤٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٣٤٥.
- (٧) الأرشيف العثماني اسطنبول مضابط مجلس الوكلاء. M.V. رقم ٥/٩٨ تاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ الذكر مصدر سابق ص ١٠٦؛ القناعي مصدر سابق ص ٢٨؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٢٤٨ Bidwell, AK.VOL2 PART1, p39
- (٨) الذكر، مصدر سابق ص ١٠٦؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٢٤٨؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، مضابط مجلس الوكلاء رقم ٥/٩٨ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ Bidwell, AK.VOL2 PART1.p34
- (٩) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٨؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٢٤٨ Bidwell, AK.VOL2 PART1, p39

٧٦٨٥٠ روبية^(١). وهكذا استمر النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف لكسب قضية الأملاك، وخصوصاً البساتين الزراعية بولاية البصرة. ولنا أن نتساءل: إذا منح الشيخ مبارك أبناء أخويه، الشيخين محمد وجراح، حقوقهم المالية كاملة فهل يعني ذلك نهاية النزاع، الذي دام عقداً من الزمان؟ وبعبارة أخرى هل كان جوهر النزاع حول المال أم حول السلطة؟ ستأتي الإجابة في المباحث التالية.

محاولات الصلح

حرص الشيخ مبارك، منذ استيلائه على السلطة، على عدم توسيع دائرة النزاع مع خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم، ذلك لإدراكه بأن يده لن تطول خصمه، ولن تصل إليه وهو في الصبئية^(٢)، لذا مال إلى مراوغته وخداعه ومحاولة استدراجه إلى الكويت، كما ذكرنا آنفاً. وباجتماع خصومه في الصبئية، وخروجهم إلى ولاية البصرة، أدرك تأزم الوضع وتوسع دائرته، فاستمرت محاولاته في الاستمالة والصلح، فأوعز إلى بعض أعيان الكويت بمراسلة الشيخ يوسف يرجوه فيها الكف عن التحرش بالكويت، ويطلب منه الصلح^(٣). فأظهر لهم الشيخ يوسف عن نيته السلمية ناحية الكويت، وأنه ليزعجه جداً كل ما يقلق راحة الكويت وأهلها^(٤).

استبشر الشيخ مبارك بهذا الرد، فعمل على استدراج خصمه، من جديد، إلى الكويت فجهز وفداً يضم كبار الأعيان، وكان على رأس الوفد أخوه حمود ابن صباح، فاتجه الوفد إلى الدورة، معقل الشيخ يوسف، وبعد إلحاح الوفد

(١) سند بتوقيع الشيخ مبارك بقيمة الأموال التي كانت عند آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ٣ محرم ١٣٢٥هـ، (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة في لندن، وقد زود الباحث بنسخه من هذه الوثيقة)؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٤؛ وذكر بوندار يفسكي أن المبلغ كان (١٢٠٠٠٠٠٠ روبية)) ولكن هذا الرقم كبير جداً وبعيد عن واقع حالة آل صباح الاقتصادية في تلك الفترة والتي تكلمنا عنها خلال الفصل الأول من هذه الدراسة (بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٩٦).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٩؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ خزعل، مرجع سابق، ١٤/٢.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥١؛ الذكر، المصدر نفسه، ص ١٠٢؛ خزعل، المرجع نفسه، ٢١/٢؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥١؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٢.

رفض الشيخ مطلبهم بالعودة للكويت^(١)، وبين لهم ما يثبت تواطئهم ضده، وأخرج لهم الرسائل التي تحمل أسماءهم وشهادتهم على قيام الشيخ يوسف بقتل الشيخين محمد وجراح. وبهذا أخفقت محاولات الشيخ مبارك^(٢). حملت الرسائل، التي كشفها الشيخ يوسف للوفد، شهادات جمع من أعيان الكويت ضده، أكرهوا على توقيعها^(٣)، ولم يمتنع منهم إلا من رحم الله. وهم: الشيخ محمد الفارس^(٤)، والسيد سليمان بن السيد علي^(٥)، والشيخ عبد الله الرشيد^(٦)، والشيخ جبر الغانم^(٧)، والشيخ أحمد الفارسي^(٨).

سعى الشيخ مبارك من جديد، على الرغم من فشل أول محاولة للصلح مع الشيخ يوسف، محاولاً إقناع عائلة خصمه آل إبراهيم، كي تتوسط لإنهاء هذا النزاع، وتحاول إقناعه بإيقاف أعماله العدائية ضده، فأرسل وفداً ممثلاً بعبد العزيز السميطة إلى بومباي، ليطلب من الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم^(٩) أحد كبار الأسرة لهذا الغرض. لكن، سفارة السميطة فشلت بإقناع

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥١؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٢؛ خزعل، مرجع سابق، ٢١/٢؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥١؛ الذكر، المصدر نفسه ص ١٠٢؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٧٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢١/٢.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٥٢

(٤) الشيخ محمد الفارس: عرف عنه التقوى والنزاهة والورع، قام بتعليم الصبيان ثم أشغل بالتجارة فكان قُدوة للتجار في المعاملة، توفي عام ١٣٢٦هـ. (القناعي، مصدر سابق، ص ٥٣)

(٥) السيد سليمان ابن السيد علي: من علماء الكويت وسراتها وتغرب في طلب العلم فاتجه إلى الإحساء وتعلم على يد علمائها ثم عاد إلى الكويت وحصل عليه إقبال من طلبة العلم لكن المنية أخذته وعاجلته وهو في مقتبل العمر. (القناعي، مصدر سابق، ص ٥٣)

(٦) الشيخ عبدالله الرشيد: من أعيان الكويت وعلمائها (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٢)

(٧) الشيخ جبر الغانم: من عائلة الغانم وأصله من الإحساء وعرف بشغفه بالعلم وعمل في مجال التجارة (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٥٢)

(٨) الشيخ احمد الفارسي: من علماء الكويت وسراتها تغرب في طلب العلم فسافر إلى مصر ومسقط وكوهج وتغرب لمدة سبع سنوات. عاد بعدها إلى الكويت وحصل له من الإقبال ما لم ينله احد قبله من طلبة العلم (القناعي، مصدر سابق، ص ٤٨) وذكر الراوية محمد بن صالح ال إبراهيم انه من ضمن الشخصيات التي لم توقع لكن المؤرخ عبد العزيز الرشيد لم يذكره لخلاف شخصي بينهما (معلومات زودني بها الراوية محمد بن صالح ال إبراهيم بمنزله بالفنطاس بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣)

(٩) الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم: هو خال الشيخ يوسف آل إبراهيم من كبار تجار الكويت وكان مقر تجارته واستقراره في بومباي، ويعتبر من أكبر تجار العرب في الهند وتوفي في مدينة =

الشيخ عبد العزيز، الذي أعتذر، واعتبر الأمر شأنًا خاصاً بالشيخ يوسف^(١). ورغم الفشل إلا أن الشيخ مبارك لم ييأس، فطلب من الشيخ مزعل بن جابر ابن مرداو شيخ المحمرة (عربستان) الوساطة من جديد، وسعى الشيخ مزعل للمصالحة بين الطرفين، لكن المساعي توقفت السنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧ باغتيال الشيخ المذكور^(٢).

بعدها طلب الشيخ مبارك من شخصيات عربية مقربة من الشيخ يوسف، وتربطهم به علاقات ودية واحترام، مثل مقبل بن عبد الرحمن الذكر^(٣)، والإمام عبد الرحمن الفيصل، والكاتب والمؤرخ سليمان الدخيل^(٤)، ومحمد بن عبد الوهاب الدارين، وغيرهم^(٥). سعت تلك الشخصيات، وخصوصاً الذكر، في تقريب وجهات النظر، ووضع حداً للنزاع^(٦) لكن الشيخ يوسف رفض طلب الصلح برسالته إلى مقبل الذكر في تاريخ ٢٥ رمضان من سنة ١٣١٤هـ. جاء فيها: "يا أخي، الصلح ما أحد يعافه، من الأول وهو خير، ولكن الصلح مع من يقع! هذا فاجر، ولا نأمن منه ومن غوايله، وهو ما يقف على كلامه ولو أعطاه أخلفه. والحقيقة أن هذه المصيبة ابتلينا بها ونحن ما لنا إلا الصبر، وعمل

= سورت بالهند يوم الخميس ١٨ ربيع الآخر من سنة ١٣٢٨هـ، ويعتبر عبد العزيز هذا أول من صلى عليه صلاة الغائب في الكويت (عبد الله البسام، مصدر سابق ص ٤٠٩؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٦).

(١) الذكر، مصدر سابق ص ١٠٢؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٢؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢١؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢) الذكر، المصدر السابق، ص ١٠٢؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٥٢؛ الفرخان، المرجع السابق، ص ٨٠؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/٢١؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٤٨.

(٣) مقبل عبد الرحمن الذكر: أصله من عنيزة هاجر إلى البحرين وعمل بالتجارة وخاصة تجارة اللؤلؤ، وكان من المقربين للشيخ يوسف آل إبراهيم وتربطهما صداقة قديمة وعلاقة تجارية وكان يوسف يتخذ من بيت مقبل الذكر مقراً له عند قدومه للبحرين، (الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٤).

(٤) سليمان الدخيل: يرجع أصله لقبيلة الدواسر من مواليد بريده سنة ١٢٧٠هـ وترعرع بها وانتقل إلى البصرة ببغداد، واستقر عند عمه جار الله الدخيل وشجعه على الدراسة ومارس التجارة وسافر للهند للتجارة والتعلم، وانتقل للمدينة المنورة لتلقي العلوم فعاد بعدها لبغداد ومارس الصحافة فأنشأ مجلة الحياة وجريدة الرياض وعمل في الوظائف الحكومية بالعراق الجديد وله مؤلفات عديدة أهمها القول السديد بإمارة آل رشيد، وقد مات معدماً فقيراً سنة ١٢٦٤هـ في بغداد ونشرت نعيه جميع الصحف العراقية ورثاه عدد من الكتاب والشعراء وعاد أبنائه لبريده من بعده (انظر القشعمي، مرجع سابق، ص ١٥ وما بعدها)

(٥) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٥.

(٦) الذكر، المصدر نفسه، ص - ص ١٠٥ - ١٠٥.

الطريق الذي لنا منه راحة لنا وله. يا اخي، الصلح نحن من أول مومنين فيه، ولكن أجزم أنه يصير علينا أكبر وبال، لأنه يمسكنا ولا نمسكه، وأنتم آخر الأمر ما تقدرتون تعملون شيء معه، ولكن بقاء الأمور منا ومنهم على الحذر أوفق ومنتظر الفرج من الله...^(١). وللإطلاع على المزيد من نصوص المراسلات تُراجع مخطوطة الذكر.

وأكثر من هذا، طلب الشيخ مبارك من بريطانيا أن تتوسط في الصلح، عن طريق شيخ البحرين الشيخ عيسى بن خليفة، الذي سعى في محاولات للإصلاح لكنها باءت بالفشل أيضاً^(٢). استمرت محاولات مقبل الذكر وشخصيات أخرى للإصلاح ذات البين حتى نهاية العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧، فحينها توقفت مساعي الصلح بطلب من الشيخ مبارك نفسه، حال سماعه نبأ وفاة الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد نهاية العام ١٣١٥/١٨٩٧^(٣). وقصة ذلك، أن الشيخ مبارك كان متخوفاً من آل رشيد، بتبني قضية الشيخ يوسف ضده، واستقباله في إمارة حائل. ويدرك الشيخ مبارك بأنه ليس بمقدوره مواجهة خصمه بدعم وتأييد مباشر من قبل الأمير آل رشيد^(٤). لذا نجده، بعد إدراكه بتغير موازين النزاع لصالحه، يرفض أية مساع للصلح، بل أظهر أنه ليس بحاجة لصلح، وقام برمي اللائمة على الشيخ يوسف، وبأنه قادر على مواجهته فأدرك مقبل الذكر، وممن معه من المصلحين، بأنه لا فائدة من المساعي^(٥).

(١) الذكر، مصدر سابق، ص ١١٠

(٢) سلطنة التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٤٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١١٠؛
Al Ghanim, op, cit, p 51

(٣) الذكر، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٥) الذكر، مصدر سابق، ص ١١٠.

الفصل الثالث

نشاط الطرفين في فترة التسابق الدولي على الكويت

- ١ - نشاط الشيخ يوسف آل إبراهيم خلال عام ١٣١٥ / ١٨٩٧ م.
- ٢ - حملة الشيخ يوسف آل إبراهيم البحرية ضد مبارك.
- ٣ - الموقف العثماني من الحملة.
- ٤ - الموقف البريطاني من الحملة.
- ٥ - خطة الهجوم من قبل الشيخ يوسف وشيخ قطر ضد مبارك.
- ٦ - التنافس الدولي على الكويت ومعاهدة الحماية.
- ٧ - موقف الدول الكبرى من معاهدة الحماية البريطانية على الكويت

الفصل الثالث

سياسة الطرفين في فترة التسابق الدولي على الكويت

الشيخ يوسف آل إبراهيم

توالت ردود فعل الشيخ يوسف بقوة أزعجت خصمه، وأقلقت راحته، في أولى مراحل المواجهة بينهما، وهي مرحلة النزاع السياسي، مثلما سبق التعريف بها، تلتها مرحلة النزاع المسلح وخلالها تزعزع وضع الشيخ مبارك، وهز أساس حكمه. كانت حرباً بلا هوادة استمرت عقداً من الزمان. وركز طرفي النزاع على كسب موقف أهالي الكويت، وكان لكل طرف أنصاره ومؤيدوه والمتعاطفون معه والمعارضون له منذ البداية.

انضمت مجموعة من أهالي الكويت إلى الشيخ يوسف تأييداً له ضد الشيخ مبارك، وهم من شتى فئات المجتمع، من علماء وطلبة علم وسياسيين وتجار^(١)، رفضاً لفعل الشيخ مبارك وتعاطفاً مع أبناء القتيلين سواء كان ذلك بحكم القرابة أو المصاهرة أو التبعية والعمل^(٢). وقد أسهم هؤلاء إسهاماً فاعلاً وإيجابياً خلال فترة الصراع، كل على حسب قدراته وإمكاناته، ومنهم من أسهم مادياً كعائلة آل إبراهيم، التي وقفت وراء حقوق أبناء القتيلين مؤيدةً وداعمةً لهم طوال فترة النزاع.

وكما سبق أن بينا هجرة العائلة من الكويت بعد خروج الشيخ يوسف، فقام الشيخ صالح بن صالح آل إبراهيم بإدارة الاملاك بالدورة والإشراف عليها^(٣). أما الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم فهو المشرف على الأعمال

(١) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٢؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٢

(٢) الذكر، المصدر نفسه، ص ١٠٢؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص ٣٠؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٧٨؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٢.

(٣) محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/٥٨؛ مقابلة مع الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزلة بالفنطاس بتاريخ ٢٥/٣/٤٢٣هـ.

والتجارة بالهند^(١). وكانت موارد الشيخ يوسف المالية هي الوحيدة، التي أمدت مساعي حربه ضد الشيخ مبارك، إضافة لإسهام عائلة آل إبراهيم^(٢). وتمثلت المواجهة البشرية بأبناء القتيلين محمد وجراح^(٣)، كما ساهم عدد من آل الصباح، وكان في مقدمتهم الشيخ مبارك العذبي الصباح، الذي عرف بشجاعته ومهارته العسكرية، فكان الساعد الأيمن ليوسف طوال فترة النزاع، كما شارك عدد لا يستهان به من الكويتيين عسكرياً^(٤).

وهناك مَنْ ساهم في مجالات أخرى من إدارة النزاع: الدعائي والإعلامي، والدبلوماسي. وأسهم بالتحريض ضد الشيخ مبارك لدى السلطات العثمانية، مثل: ماجد بن سلطان بن فهد، وحمد العبد المحسن الغرير، والسيد عبد الوهاب الطباطبائي وغيرهم^(٥). وكان الأخير "يرفع الشكاة باسم أهل الزبير إلى حكومة الترك"^(٦)، و"أسهم بعضهم بمراسلة الصحف والمجلات لتحريض السلطات العثمانية والقوى العربية"^(٧). ومن أهمهم: ماجد بن سلطان بن فهد، الذي درس في مصر (قبيل ١٨٧٠) أبان حكم الخديوي إسماعيل. وكانت له علاقة مع عدد من الصحفيين المصريين، حيث قدم فعلاً إلى الكويت أحدهم،

(١) القاسمي، مرجع سابق ص ٣٣٩. غير صحيح كانت الأعمال شراكة بين علي بن محمد آل إبراهيم وابن أخيه عبد الله بن عيسى آل إبراهيم وأبنائهم.

Rush, A.de L, Records Of Kuwait Internal Affaires 1899-1921(Selected And Edited Volume 1, ARCHIVE EDITION 1989).P1173

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الذكر، مصدر سابق، ص ٩٩؛ يعقوب آل إبراهيم المرجع السابق، ص ٢٢؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣١٠

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٥٣؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص ٢٢

(٤) الشملان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص ٣٠٠؛ الفرحان مرجع سابق ص ٧٩

(٥) ومن هؤلاء منصور بن عيسى وعلي بن خميس وأبناء الشيخ محمد صباح خالد وسعود وحمود بن جراح (القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٤١ - ٣٤٢).

(٦) الصانع، مرجع سابق، ١/ ٢٢٥؛ وذكر الأستاذ يعقوب آل إبراهيم أن السيد عبد الوهاب الطباطبائي هو من كان يكتب المقالات ويراسل الجرائد والمجلات للشيخ يوسف آل إبراهيم، ولقد كان معروفاً بقدراته الكتابية لذا كلفه يوسف بهذه المهمة (مقابلة مع الأستاذ يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم بدولة الكويت بتاريخ ١٥/٣/٢٠٠٥).

(٧) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٣٠؛ الرشيد: عبد العزيز، مصدر سابق ص ١٤٨؛ أنظر مقال "شكوى إلى أمير المؤمنين" مجلة اللواء، الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠٠م، السنة الأولى، العدد الخامس، ص ٣١٧ وما بعدها؛ Al Ghanim. o p. cit.p53

وهو الصحافي بيومي إبراهيم، الذي كتب تحت اسم السائح المصري في مقالات عدة، في جريدة "الأهرام"، امتدت بين شهري سبتمبر وأكتوبر ١٩٠١. كذلك نشرت جريدة "المؤيد" قبلها مقالات تضمنت حوادث الكويت. كما استعان الشيخ يوسف بوكلاء محليين بالبصرة وبغداد واسطنبول وبومبي، من أمثال المحامي ألياس راسم الأوقاتي، وسليمان القرطاس، وحمد العسافي. وفوض منصور بن خميس الخشتي^(١) أن يتحدث باسمه لدى مندوبي القوى الإقليمية والدولية، بما فيها التفاوض مع السلطات البريطانية^(٢).

أما مؤيدي الشيخ يوسف، داخل الكويت، فقاموا بأدوار مختلفة لدعمه في هذا النزاع، كنقل الأخبار والتجسس، وبث الدعاية لصالحه، وحثه بالمراسلات الكتابية لمهاجمة الشيخ مبارك، وأنهم سيقفون إلى جانبه^(٣). وأكثر من هذا هناك مَنْ قام بتنفيذ مهمات خاصة بأوامر مباشرة من قبل الشيخ يوسف مثل أحمد بن محمد العسوسي.

وبالمقابل كان للشيخ مبارك مؤيدون ومؤازرون، فقد بايعه قسم من أهالي الكويت، ورضخ له عدد من الأعيان، منذ استيلاءه على السلطة، بعد اغتياله لشقيقه الشيخين محمد وجراح. بايعه بعضهم عن قناعة ورضا تامين، بينما بايعه البعض الآخر على مضض وإكراه^(٤). وقدمت فئة من تجار الكويت الدعم المادي^(٥). كذلك تولى إدارة أملاك آل الصباح من النخيل في الفاو أخوه جابر بن صباح. ومن المؤيدين مَنْ أسهم في المجال الإعلامي والدعائي والدبلوماسي، ومثل الشيخ مبارك لدى القوى الإقليمية والدولية وكلاء محليون، وساهم آل نقيب بالبصرة من خلال أبو هدى الصيادي باسطنبول لما له من حظوة لدى السلطان عبد الحميد الثاني. ومن وكلائه: مصطفى خيرى بالبصرة، وفهمي

(١) منصور بن خميس الخشتي: من عائلة الخشتي الكويتية، ويعتبر منصور من أهدرجال الشيخ يوسف المقربين جداً حيث كان يعتبر سكرتيره الخاص.

(٢) Bidwell, A.K. Vol 2, Part 1, p39

(٣) القناعي، المصدر سابق، ص ٣٠؛ الحاتم، المرجع السابق، ص ٢٥٢؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٤) الذكير، المصدر السابق ص ١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٥) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٥١؛ الذكير، المصدر السابق، ص ١٠٢؛ خزعل، مرجع سابق،

أفندي المحامي (ماروك الأرمني). أما عبد العزيز السالم البدر وكيه في البصرة، فله علاقات مع كبار موظفي الولاية من العثمانيين وغيرهم^(١). في هذا الصدد، حملت الوثائق العثمانية أسماء كويتية مؤيدة للشيخ مبارك ومحرضة ضد خصمه الشيخ يوسف^(٢). لما وجده الشيخ مبارك تدراكاً ما لخصمه من تعاطف وتأييد في الكويت وخارجها، جزعاً وغضباً للطريقة التي اعتلى بها كرسي الحكم^(٣)، فعمل على بناء جسور للتقارب مع أهل الكويت وخصوصاً الأعيان، محاولاً مداراتهم متخذاً من سياسة أسلافه، القائمة على العدل والمساواة وتطبيق الشورى في شؤون حكمه، منهاجاً له طوال فترة العشر السنوات الأولى من النزاع، فكسب بذلك أغلب الأهالي، وخصوصاً التجار والأعيان إلى جانبه، فحقق نجاحاً في هذا الأمر. واثبات لنهج التودد حتى أنه: "ضرب أخاه جابراً لتعديه على أحد أهالي الكويت"^(٤).

في هذه المرحلة، من مراحل النزاع، لم يفوت الشيخ يوسف آل إبراهيم فرصة لتجريد الشيخ مبارك من أي نوع من أنواع الحماية، فكان يعمل بسرية تامة لهذا الأمر، لا يعرف أقرب الناس من حوله بما يفكر أو يخطط. فمن خصاله ما قال فيه الذكر: "إنه أقدر خلق الله على التكتم، فكان الغموض يحيط به وبأعماله..."^(٥). معتمداً على سرعة الحركة مسخراً وسائل النقل السريعة

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV. رقم ١٧٠/٤ تاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز الهامبوني Y.PKR.BSK. رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV. رقم ١٦٩/٥٩ تاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣١٥هـ؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية DH.ID رقم ١٣١٤/٤٦، تاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ وتاريخ ١١ صفر ١٣١٤هـ و٢٦ صفر ١٣١٤هـ؛ القناعي، مصدر سابق ص ٣٠؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٨؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ٢٤٢.

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٥) الذكر، مصدر سابق، ص ١٢٦؛ ومن الروايات المشهورة عن تحركات يوسف السرية أنه يترك عباءته (بشته) بالدايوانية (المجلس) ويدخل منزله ويخرج من باب آخر ومعه عدد قليل من رجاله، فقد كان يعتمد على مجموعة صغيرة من رجاله ومنهم منصور الخشني، وحارسه الشخصي فلاح الهاجري، ومماليكه بسر وسيف وسعد الله. وكان يلبس ملابس بالية وقديمة للتخفي ويتجه من موقع لآخر بدون أن يحس أحد بذهابه إلا بعد عدة أيام. ومن وسائل النقل عنده إذا خرج مثلاً من منطقة إلى منطقة أخرى يخرج بواسطة قارب صغير (المشحوف) ليصل إلى المكان الذي يريده بدون علم أحد. أو =

التي استخدمها في تنقلاته. حيث قام بشراء مركب بخاري جديد^(١) تسهيل تلك المهام في عام ١٣١٤هـ/١٨٩٧^(٢).

ومثلما علمنا، أن طرفي النزاع توجهها، في مرحلة النزاع السياسي، لكسب الموقف العثماني، وأنها انتهت لصالح الشيخ مبارك، لذا قوي مركزه في حكم الكويت، لتبدأ بعدها المرحلة الثانية، مرحلة النزاع المسلح، بالاستعدادات العسكرية. وحينها بدأ الشيخ يوسف يعد العدة لمهاجمة الكويت، وانتزاعها من الشيخ مبارك، معتمداً على جهوده وعلاقاته وثروته لتوفير الأسلحة والعتاد، والرجال، ووسائل النقل، ومستلزمات المعركة الأخرى^(٣). وفي الوقت نفسه نشط التجسس على خصمه، لمعرفة تحركاته من خلال عيونه داخل الكويت^(٤).

أقلقت هذه التطورات الحثيثة، التي انتهجها الشيخ يوسف، خصمه الشيخ مبارك كثيراً فأضحت شغله الشاغل، فكانت يقظة الأخير ومراقبته الدقيقة لتحركات الشيخ يوسف ضده، عوناً لاحتباط تلك المحاولات خصوصاً قبل توقيع معاهدة الحماية ١٨٩٩. وقد حرص على الأخذ بالحذر والحيطة تحسباً لأي تصرف قد يقوم به خصمه ضده وركز على الجانب الأمني لضمان سلامته من أي عمل مفاجئ قد يقدم عليه، فاحاط نفسه بحماية غير

= يلبس ملابس تركية للتمويه. (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٩؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٣٠؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٦٤؛ مقابلة مع الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنطاس بتاريخ ١١/٣/١٤٢٣هـ؛ وتؤكد لي صحة تلك الروايات في مقابلة الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم والأستاذ عبد الرازق ابن إبراهيم في دولة الكويت بتاريخ ١١/٥/٢٠٠٥م وذكرنا أنها من الروايات المشهورة والمعروفة عند كبار السن من عائلة آل إبراهيم).

(١) قام يوسف بشراء المركب البخاري من الهند بواسطة ابن خاله عبد العزيز بن علي آل إبراهيم ويعتبر هذا النوع من المراكب أول مركب بخاري يقتنيه كويتي واستخدمه مدة سنتين ثم أهدها لصديقه حمدي باشا على مواقفه الجيدة معه (انظر يعقوب آل إبراهيم، من المراكب العربية ص ٦٤ - ٦٥ - ٦٦؛ النوري، خالدون في تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٦٧).

(٢) يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص ٦٦؛ النوري، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "M.T.V." رقم ١٨/ في صفر ١٣١٥هـ ١٧١٩؛ معلومات زودني بها الأستاذ يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم في مدينة الكويت بتاريخ ١٦/٣/٢٠٠٥م؛ أبو حاكمه مرجع سابق ص ٢١٠؛ الأرشيف العثماني اسطنبول إرادة خصوصية "I.HUS" رقم ٢٧٥٦ تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ.

(٤) عبد العزيز الرشيد مصدر سابق؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٤٧٥؛ النوري، خالدون...، مرجع سابق، ص ٢٧

مسبوقة أخذاً بتغيير مكان مبيته، وعدم البقاء في مكان واحد معروف، حذراً من أي عملية اغتيال^(١)، وحرص على السرية والتمويه خلال تحركاته، الداخلية أو الخارجية^(٢).

حملة يوسف آل إبراهيم البحرية

بعد فشل الشيخ يوسف آل إبراهيم في الحصول على دعم عثماني لقضيته ضد الشيخ مبارك، قرر مهاجمة الكويت^(٣)، والقضاء على الشيخ مبارك، معتمداً، كالعادة، على إمكاناته الشخصية^(٤). فبدأ بالتخطيط والإعداد، وقرر تجهيز حملة عسكرية لتحقيق ذلك الهدف. وكانت البداية بتوفير الأسلحة، حيث طلب من خاله الشيخ عبدالعزيز بن علي آل إبراهيم في بومباي تجهيزه ببنادق من نوع مارتيني - هنري^(٥)، فتم شحنها على ظهر سفينتين إلى الدورة، مقر الشيخ يوسف آنذاك، وقد أحيطت هذه العملية بسرية تامة^(٦).

غير أن الشيخ مبارك اكتشف أمر شحنه البنادق، على الرغم من السرية التي أحيطت بها، وقد طلب من صديقه وحليفه شيخ المحمرة، الشيخ خزعل ابن مرداو، بمنع وصولها إلى الدورة، وقام الأخير باعتراض هاتين السفينتين أثناء عبورهما شط العرب، لكنه فشل في الاستيلاء عليهما، فوصلتا بسلام إلى

(١) بوندار يفسكي؛ مرجع سابق ص ٤٧٥؛ أبو حاكمه مرجع سابق ص ٣٠٩. Whigham, op, cit, p97, Al Ghanim, op, cit, p57

(٢) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٤٧٥؛ النوري، المرجع السابق، ص ٢٧؛ Al Ghanim, op, cit, p57; Whigham, op, cit, p97

(٣) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٣ Al Ghanim, op, cit, p53

(٤) الريحاني ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/ ٢٦٠؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٣ Al Ghanim, op, cit, p53, Fredrick Anscombe op, cit, p150

(٥) المارتيني: يطلق عليها العامة (ماطلي) بندقية استعملها الجيش البريطاني عام ١٨٧١م تنسب إلى فردريك دي مارتيني (١٨٣٢ - ١٨٩٧م) وهو من أصل هنغاري هاجر إلى سويسرا ثم باعها إلى هنري الاسكتلندي كان يستخدمها سكان جزيرة العرب والخليج والعراق سلاحاً لهم وأشار إليها الشعراء في قصائدهم المختلفة، وقد أشار إليها الشيخ قاسم آل ثاني في إحدى قصائده ملكها وعزت واستقرت وسادها بالماطلي والسيف لا بالرسائل (البنعلي، مصدر سابق ص ١٢٣؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق ص ٦٠).

(٦) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.M.T.V." رقم ١٦٣/١٤٢ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ.

الدورة، وبذلك تهيأ الشيخ يوسف لمهاجمة الكويت^(١). وإلى جانب ذلك، قدم الشيخ مبارك الشكاوى لدى السلطات العثمانية ضد خصمه متهماً إياه بتهريب الأسلحة، ومحاولة زعزعة الأمن ونشر الفوضى بين العشائر في المنطقة. وبينَ بأن هدف يوسف هو القضاء عليه، وهو الموالي للسلطان العثماني. كذلك وضح في شكواه أن بريطانيا تدعم خصمه، والأخير عدو الدولة العلية والإسلام^(٢).

سبقت هذه الحملة احتياطات دقيقة دلت على مهارة الشيخ يوسف وحزمه^(٣)، فبدهائه المعهود قام بعدة عمليات تمويهية، حيث سافر من الدورة إلى الهنديان^(٤)، وبندر معشور^(٥) في ٣ محرم ١٣١٥هـ ٢١ يونيو ١٨٩٧^(٦). وخلال هذه الجولة قام بتجنيد قواته وسلحهم بالبنادق المارتيني، والمدافع الإيرانية الصغيرة^(٧)، وقد ذكر عبد الله الحاتم أن الحملة كلفت الشيخ يوسف ثلاثين ألف ليرة ذهباً^(٨). وفي تلك الأثناء كان يبرق البرقيات، التي توهم متتبعي تحركاته من خلال أنباء برقياته، أنه قد سافر إلى الهند هرباً من ظلم الشيخ

- (١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "M.T.V. 0Y"، رقم ١٧١٩/١٨ في صفر ١٣١٥هـ؛ معلومات زودني بها الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم في مدينة الكويت بتاريخ ١٦/٣/٢٠٠٥م؛ أبو حكمة، مرجع سابق ص ٣١٠؛ الأرشيف العثماني اسطنبول إرادة خصوصية "I.HUS" رقم ٢٧٥٦ تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ
- (٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع M.T.V. Y. رقم ١٦٣/١٤٢ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز متنوع Y.M.T.V. رقم ٧٠/٧٢٠، تاريخ ١٧/مارس ١٣١٣ رومي؛ الرشيد عبد العزيز المصدر السابق ص ١٥٦
- (٣) الذكر مصدر سابق ص ١٠٣؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٨٠؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٣؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٢؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٥٥.
- (٤) الهنديان: تقع في أقصى الطرف الشرقي من عربستان الجنوبية ويحدها الخليج العربي من الجنوب وهي عبارة عن شريط أرضي مرتفع قليلاً يسير متوازياً لنهر هنديان في حوالي منتصف المسافة بينها وبين بندر معشور وأشهر القبائل التي تسكن المنطقة هي "القنواتي والشريفات ولكي وكعب" (انظر لوريمر، دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق ١٣/٢ وما بعدها).
- (٥) بندر معشور: منطقة إدارية في عربستان تقع على رابية، وسكانها أغلبهم من العرب ويتكلم أكثر سكان المنطقة العربية ولباسهم عربي (لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق ٤/١٤٧٧)
- (٦) خزعل، مرجع سابق ٢/٢٢؛ الذكر، مصدر سابق ص ١٠٢.
- (٧) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٤.
- (٨) الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٣.

مبارك الصباح^(١)، ومن الهند سافر إلى بورسعيد^(٢)، ومنها إلى مرسيليا^(٣)، فوثقوا بتلك الأنباء وصدقوا ما كان يرد فيها من أنباء^(٤).

وفي ١٢ محرم ١٣١٥هـ^(٥)، ٣٠ يونيو ١٨٩٧^(٦) قاد الشيخ حملته الأولى لمهاجمة الكويت، عندما أقلع من الهنديان بسفن اختلف الرواة في عددها، إلا أنه على الأرجح كانت حوالي أربع عشرة سفينة شراعية^(٧)، محملة بسبعمئة من الرجال المدججين بالسلاح^(٨)، يرافقهم أبناء الشيخين محمد وجراح^(٩) وعدد

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول مضابط مجلس الوكلاء M.V. رقم ٩٨/٥ تاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ الرشيد المصدر السابق ص ١٥٥؛ الذكر المصدر السابق ص ١٠٣؛ الشمالان المرجع السابق ص ٢٩٩؛ خزعل المرجع السابق ٢/٢٢؛ الفرخان، المرجع السابق، ص ٨٠؛ الحاتم، المرجع السابق، ص ٢٠٣.

(٢) بورسعيد: مدينة تقع شمال شرقي جمهورية مصر العربية، عند النهاية الشمالية لمجرى قناة السويس، وتم بناؤها عام ١٨٧٩م وتعتبر ميناء مصر الشمالي على قناة السويس وسميت باسم الخديوي سعيد الذي حكم مصر خلال الفترة الممتدة من ١٨٥٤ - ١٨٦٣م (الموسوعة العربية العالمية الناشر الموسوعة الرياض ١٤١٦/١٩٩٦/٥ ٢٣٨ - ٢٣٩).

(٣) مرسيليا: مدينة تقع جنوب شرقي فرنسا وتعتبر ميناء فرنسا الرئيسي وأقدم مدنها (الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ١٧/٣١٣).

(٤) الذكر مصدر سابق ص ١٠٢؛ خزعل مرجع سابق ٢/٢٢؛ الشمالان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص ٢٩٨.

(٥) الذكر، المصدر السابق، ص ١٠٣؛ الشمالان، المرجع السابق، ص ٢٩٧؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٨١.

(٦) لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٥؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣١٠. Jacob Goldberg, op, cit, p15, Fredrick Anscombe,, op, cit, p149

(٧) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٢؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ٢٩٨؛ البسام؛ مصدر سابق ص ٢٦٧؛ الفرخان مرجع سابق ص ٨٠؛ وقال القناعي أنها "ثلاث عشرة سفينة" القناعي مصدر سابق ص ٢٩، وذكر القاسمي بأنها عشرون سفينة معتمداً على الوثائق العثمانية، القاسمي مرجع سابق ص ٥٢؛ وذكر بونداريفسكي بأنها إحدى عشرة سفينة، بونداريفسكي مرجع سابق ص ١٠٤. ونكرت سلوى الغانم بأنها عشرون سفينة.

Al Ghanim, op, cit, p53

(٨) الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٢؛ عبدالله البسام، مصدر سابق ص ٢٦٧؛ وذكر الحاتم أن عدد الحملة يتراوح ما بين "١٥٠٠ - ١٨٠٠ رجل" (الحاتم، مرجع سابق، ص ١٥٥)؛ أما سلوى الغانم Al Ghanim فنكرت أن العدد بحدود ٤٠٠ رجل (Al Ghanim, op, cit, p53)؛ أما القاسمي وبنداريفسكي فقد ذكرا أن العدد يصل إلى ١٢٠٠ رجل (القاسمي، مرجع سابق ص ٥٢؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٤).

(٩) خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٢.

من رجال الكويت المعروفين، منهم الشيخ مبارك العذبي الصباح، وحسين بن عيسى^(١)، والحاج أحمد الغانم^(٢)، والحاج خليفة مسلم^(٣). وكانت الحملة قائمة على عنصر المفاجأة والمباغثة، وهدفها القبض على الشيخ مبارك وولديه جابر وسالم^(٤). وذكرت سلوى الغانم أن الحملة كانت معتمدة بالدرجة الأولى على إثارة ثورة داخلية، بين المؤيدين لأبناء الشيوخين محمد وجراح آل صباح^(٥). إلا أن غولديبيرج، قلل من شأن هذه الحملة، حين وصفها بأنها كانت حملة استخبارية وحسب، ولم يتطرق لتفاصيل تجهيزها وسيرها. قائلًا: ((في ٣٠ يونيو عام ١٨٩٧ قاد الشيخ يوسف آل إبراهيم حملة استخبارية أبحرت من البصرة إلى الكويت، لكن أنصار مبارك تمكنوا من ردها على أعقابها...))^(٦). وخلافًا لغولديبيرج عد مؤرخون آخرون غرضها هو القبض على الشيخ مبارك، ثم لإرغامه على التنازل عن الحكم لصباح بن محمد الابن الأكبر للشيخ محمد ابن صباح^(٧).

توجهت الحملة إلى الكويت بحرًا^(٨). أما عن تحرك هذه الحملة وانطلاقها

(١) حسين بن عيسى: يرجع أصله إلى عائلة القناعي التي ترجع للعتوب من أوائل العائلات التي استقرت الكويت وشارك في هذه الحملة وهو صغير في السن وتوفي في يناير ١٩٥٧م. (الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٣٠٠).

(٢) أحمد الغانم: أحد أعيان الكويت عمل في مجال التجارة وهو من المقربين للشيخ يوسف آل إبراهيم (يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق ص ٢٠).

(٣) خليفة مسلم يعود أصله إلى عائلة القناعي عمل في مجال التجارة (يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص ٢٠).

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٩؛ الحاتم، المرجع السابق، ص ٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢٣/٢؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٨١؛ بوند اريفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٤؛ الشملان، المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٥) Al Ghanim, op, cit, p53

(٦) Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٧) القناعي، المصدر السابق ص ٢٩؛ بوند اريفسكي، مرجع سابق ص ١٠٤؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٥٣؛ الشملان، المرجع السابق؛ الفرخان، المرجع السابق ص ٨١؛ خزعل، المرجع السابق، ٢٢/٢.

(٨) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.M.T.V. رقم ١٤٢/١٦٣ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات. Y.A.RES. رقم ١٠٤/٣٠، تاريخ ١٢ صفر ١٣١٥هـ؛ الذكر، مصدر سابق ص ١٢٦؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٤؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٩؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص ٢٦٧؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٥٢ - ٥٣؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

من البصرة، فهو أمر انفراد به غولديبرج، وعدها آخرون أنها إيرانية من حيث التجهيز ونقطة الانطلاق^(١). لكن، لوريمر ذكر أن منطقة الهنديان في هذه الفترة كانت تابعة لإمارة المحمرة^(٢)، وهي إمارة عربية. وعليه فنقطة الانطلاق كانت عربية، وليست إيرانية مثلما أورد بعض المؤرخين.

فمثلاً يذكر بونداريفسكي أنه جمع " ١٢٠٠ بلوشي"^(٣) وسلحهم بالبنادق^(٤). في حين قال الشمالان: إن عدد أفراد الحملة ٧٠٠ رجل من صملة أهل الكويت. واعتمد في روايته على أحد المشاركين في تلك الحملة، وهو حسين ابن عيسى القناعي. ولم يتطرق الشمالان لأي مشاركة أو ذكر لقبائل البلوش في تلك الحملة^(٥). وأشار المؤرخ حسين خزعل إلى كثرة الكويتيين فيها. ولم يأت كذلك على وجود أو مشاركة قبائل البلوش داخل صفوف الحملة^(٦). ومن خلال تتبع للقبائل، التي تسكن في الهنديان، لم نجد ذكراً لقبائل البلوش في ذلك الإقليم^(٧)، وأن كان لهم وجود في عربستان^(٨).

وفي روايات أخرى تراوح عدد الحملة ما بين ٧٠٠ إلى ١٢٠٠ مقاتل، وأن هذا العدد، الذي لا يبدو كبيراً، جعل الشيخ يوسف يقوم بتجنيد قبيلة البلوش،

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع رقم ١٦٣/١٤٢ بتاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ خزعل مرجع سابق ٢٢/٢، عبد العزيز الرشيد مصدر سابق ص ١٥٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق ص ١٠٤، ٢٢١؛ الذكير، مصدر سابق ص ١٢٦؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٥٢؛ Fredrick Anscombe, op, cit, p149

(٢) لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٩١٨/٢.

(٣) البلوش: هم قبائل إيرانية تنسب إلى إقليم بلوشستان وانتقل عدد منهم إلى إقليم مكران الإيراني، وهاجر قسم كبير إلى منطقة الخليج العربي وخاصة سواحل عمان حيث وصل عددهم في بداية القرن التاسع عشر الميلادي إلى ثلاثين ألف بلوشي ويوجد قليل منهم في عربستان الجنوبية وموالين لشيخ المحمرة. (انظر لوريمر، المصدر نفسه، ٣٢٥/١ - ٣٢٦)

(٤) بونداريفسكي، المرجع السابق، ص - ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٥) الشمالان، مرجع لسابق، ص ٣٠٠.

(٦) خزعل، مرجع سابق، ٢٣/٢.

(٧) نكر لوريمر عدد سكان إقليم الهنديان بحوالي ١٤٠٠٠ نسمة مقسمين إلى قبائل عدة وهم [آبار، وعوشار، وبهركون، وباختياري، ودلمي، غالبي، وكركري، وحيد ري، وجعفرى، وكعب، ولكي، ولوري، ونظارات، وقنواتي] وهي أكبر القبائل في الهنديان " وشرقيات] (انظر لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٩١٥/٢ وما بعدها).

(٨) انظر لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٣٢٥/١.

لكن، كيف يتم ذلك وهي قبيلة موالية للشيخ خزعل حليف خصمه الشيخ مبارك! عموماً، الرواية الراجحة أن أغلب رجال الحملة كانوا من الكويتيين، حسب ما ذكر خزعل سابقاً، وبالإضافة إلى ذلك فإن لدى الشيخ يوسف أعداد بشرية من سكان الدورة والقطعة، حيث أملاكه في ولاية البصرة. التي ذكر لوريمر أن عدد ساكنيهما في حدود "٢٨٠٠ نسمة"^(١). ومن المألوف في تلك الفترة تجنيد فلاحي البساتين كمقاتلين أيام الحروب، كما حصل أيضاً عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م^(٢). ويستبعد أن يكون الشيخ يوسف قد استعان بتجنيد البلوش، وهم من أتباع حليف خصمه الشيخ مبارك، ولا يضمن ولاههم.. ولا حاجة له بهم أصلاً.

بعد إبحار الحملة من الهنديان، صادفتها سفينة صغيرة، تعود لشخص من أهل الكويت يدعى علي أبو كحيل^(٣)، وبعد القبض عليه والتحقيق معه قال: إن وجهته البحرين، فقرر الشيخ يوسف إخلاء سبيله. وأخذت منه العهود والمواثيق على كتم سر أمر الحملة، وأن لا يتجه إلى الكويت. لكن صاحب السفينة يمّم وجهه نحو الكويت، التي كانت غافلة عما أعد لها من أمر، فكشف أمر الحملة للشيخ مبارك الصباح ليفوز بمكافأة على ذلك^(٤).

وعند ظهور طلائع أسطول الحملة في الجهة المسماة (بنيد القار)^(٥)، في صبيحة ١٥ محرم السنة ١٣١٥هـ/٣ يوليو ١٨٩٧^(٦)، وجد المهاجمون

(١) لوريمر، المصدر نفسه، ١/١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) السعدون أحداث...، مرجع سابق، ص ١٠٢ - ١٠٣. كان معظم فلاحي آل إبراهيم من العشائر العربية، مثل المطور بن ربيعة، الذين هاجروا إلى الدورة من الإحساء والبحرين، بالإضافة إلى الدواسر والبلغانية والسبعان - العيدان.. إلخ.

(٣) علي أبو كحيل الدوسري نزح أجداده من البحرين واستقروا بالكويت ولد سنة ١٢٦٠هـ وعمل مع أبيه في البحر وكافأه الشيخ مبارك لموقفه ذلك بإعطائه سفينة كبيرة اسمها "الميمون" وتوفي سنة ١٣٥٠هـ (النوري، خالدون...، مرجع سابق، ص ٢٥).

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٤؛ الذكر، مصدر سابق ص ١٢٦؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩٨؛ خزعل، مرجع سابق، ص ٢/٢٢.

(٥) بنيد القار: تصغير بندر وسميت بنيد القار نسبة إلى القار الذي يصل إليه من جزيرة (قاروة) ويقع الآن أمام مبنى تليفزيون الكويت (الشمالان، تاريخ الغوص، مرجع سابق، ص ١/٢٤؛ مشاهدات الباحث)،

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٦؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٣؛ خزعل، مرجع سابق، ص ٢٣/٢؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩٩.

القوات الكويتية على أهبة الاستعداد لملاقاتهم^(١). عندئذٍ اتخذ الشيخ يوسف آل إبراهيم قرار الانسحاب، وذلك بعد مشاورات جرت مع مساعديه، أبدى فيها الشيخ مبارك العذبي الصباح رأيه بالمضي قدماً في خطة الهجوم مهما كلف الأمر، معللاً موقفه هذا بوقوف أغلب الكويتيين إلى جانبهم في هذا النزاع، وفقاً لمئات الرسائل التي وردت إليهم، وكلها نقمة على الشيخ مبارك^(٢). عندها أجابه الشيخ يوسف بقوله: إننا لم نقصد أهل الكويت، ومرادنا ثلاثة لا غير! ويعني بالثلاثة الشيخ مبارك، وولديه جابراً وسالمًا. فتم بذلك تنفيذ قرار الانسحاب^(٣). وقد أثنى الشمالان على شهامة الشيخ يوسف لاتخاذ هذا القرار.

وعلى الرغم من الانسحاب، وبالتالي الفشل، إلا أن المؤرخ عبد العزيز الرشيد اعتبر الحملة من مهارات الشيخ يوسف، حيث تقدمتها احتياطات كثيرة، وتحركات تمويلية، في إشاعة سفره إلى الهند وقارة أوروبا، حتى صدقها الشيخ مبارك وانطلقت الخدعة عليه، عندما أيقن بسفر خصمه وابتعاده، وبذلك أمن شره بانصرافه لتسيير شؤونه الخاصة، حتى أصابه. حصل هذا مع ما عُرف عنه من النباهة والدهاء والمكايدة - وقد تغلب على كثير من خصومه بتلك الصفات - ومثلما تقدم، لم يكتشف أمر هذه الحملة إلا بالصدفة وضربة الحظ، فاستيقظ من غفلته، وأنهى عنصر المفاجأة الذي نهجه الشيخ يوسف خلال خطة الهجوم على الكويت^(٤).

في الواقع، أن فشل حملة الشيخ يوسف البحرية عائد بالدرجة الأولى إلى تصرفه الغريب، وهو إطلاق سراح صاحب السفينة علي أبو كحيل، لحسن الظن به. بينما الحزم هو سوء الظن بالأبعاد في مثل تلك المواقف^(٥)! فالبحتري

(١) الرشيد، المصدر السابق ص ١٥٥؛ الذكر، المصدر السابق، ص ١٠٢؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ٢٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٣.

(٢) الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٢؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٦؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٣؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٨٠؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٣؛ خزعل، مرجع سابق ٢/٢٢؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩٩.

(٤) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٣٠٠؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٣٠؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٨١.

يقول: "أما العادة فقد أروك أنفسهم.. فأقصد بسوء ظنونك الإخوان". وربما يغيب عن بال الكثيرين أن تصرف الشيخ يوسف هذا ماهو إلا رسالة إلى الكويتيين بأنه لا يريد بهم سوءاً، وإنما قضيته مع مغتصب الحكم. فهو القائل: "أننا لا نقصد أهل الكويت وإنما مرادنا ثلاثة...". ولم يدر أن مهاجمته للكويت تحتاج لعملية جراحية معقدة، فهو يريد الانتصار وهزيمة الشيخ مبارك دون الاحتكاك والاصطدام المباشر مع أهالي الكويت. ولعله لا يريد التصادم مع الأهالي حتى لا يفقد المؤيدين والمناصرين لقضيته، ف خسارتهم تعني ارتفاع نسبة عدد مؤيدي عدوه وغريمه الشيخ مبارك.

كذلك ساعدت على فشل الحملة عوامل الطقس، خلال الأيام الثلاثة لسيرها، حينما تغير هبوب الرياح من شمالية موالية إلى جنوبية معاكسة، وهي ما يطلق عليها ريح "الكوس" الجنوبي (والكوس لغةً هو هياج البحر، وهي مفردة أعجمية تكلمت بها العرب؛ وتهب الكوس عادة خفيفةً في الصباح، ثم تشتد آخر النهار، بعكس ريح الشمال التي تهب قويةً في الصباح وتخف آخر النهار، ومن الأمثال الكويتية: "الكوس أوله سير به وتاليه بندر به". والسبب أن الرياح الجنوبية محملة بالرطوبة، وتُسبب ثقلاً للشراع، وكثرة الرطوبة فيها لا تساعد على سير السفن. ولذا يفضل البحث عن مكان للرسو توقيماً من هذه الرياح وهذا الأمر لم يكن بالحسبان عندما أطلق سراح صاحب السفينة الصغيرة، والذي لم تؤثر حالة الطقس على سفينته، بنفس تأثيرها على سفن الحملة الكبيرة، فوصل الكويت قبل وصول الحملة بيوم واحد، مما منح الشيخ مبارك الفرصة الكافية لاتخاذ احتياطاته لمواجهة هذه الحملة^(١).

الموقف العثماني من الحملة

عقب هذه الحملة، قام الشيخ مبارك بتقديم الشكاوى للسلطات العثمانية في ولاية البصرة، عن طريق واليها عارف باشا المرفقة بالهدايا، ليضمن التجاوب مع قضيته^(٢). وقد نجح بالفعل في ضمان الموقف لصالحه. فاعتبر الباشا هذه الحملة

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ الذكر، مصدر سابق، ١٠١؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٣٠٠.

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y-MTV رقم ١٧٠/٤ تاريخ ٢ رجب ١٢١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y-MTV رقم ١٦٩/٥٩ تاريخ ١٧ جمادي الآخرة =

خطراً على المنطقة، وقام بإرسال التقارير والرسائل إلى السلطات في اسطنبول، يحذرهما من مغبة الخطورة وتعقد الأوضاع في المنطقة، وتدهور الحالة الأمنية فيها، متهماً الشيخ يوسف بالتمرد والعصيان على السلطة العثمانية.

ومما أثاره عارف باشا أيضاً أن وراء هذه الحملة قوى معادية للدولة، تشجع القرصنة البحرية، وقيام الشيخ يوسف بتجنيد المرتزقة من البلاد المعادية للدولة، واصفاً المهاجمين بألفاظ نابيه. ومحذراً من استمرار النزاع، بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، لأنه سيفتح الباب أمام القوى الأوروبية الطامعة والمنافسة في المنطقة خصوصاً بريطانيا التي اتهمها في تقاريره بأنها تعمل للاستفادة من هذا النزاع لتحقيق أطماعها في المنطقة عامة، والكويت خاصة. وبناءً لما تقدم، اتخذت السلطة في ولاية البصرة موقفاً معادياً لهذه الحملة في البداية^(١)، ومؤيداً للشيخ مبارك. لكن، هذا الموقف سرعان ما تغير بعد تحرك الشيخ يوسف بتقديمه مبلغاً كبيراً لعارف باشا. الذي تراجع عن موقفه السابق، فتغير موقف الولاية لصالح الشيخ يوسف^(٢).

غير أن ولاية بغداد ظلت على موقفها المعارض للحملة، وقام المشير رجب باشا، قائد الفيلق السادس المرابط ببغداد، بتعزيز موقف صديقه الشيخ مبارك، بعد اغراقه بالأموال والهدايا، التي لم يتوان الشيخ مبارك في بذلها لمن وقف إلى جانبه^(٣). باعتبار الحملة تهديداً للاستقرار ومصدراً للأخطار، وبوابة للطامعين

= ١٣١٥هـ: الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات Y.A.RES رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٢ صفر ١٣١٥هـ: الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ: بوندار يفسكي، المرجع السابق، ص ١٠٤؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٥١ - ٥٢؛ Al Ghanim, op, cit, p54

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ: الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر ١٣١٥هـ: بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٤ Al Ghanim, op, cit, p 54

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٧٠/٤ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ: الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ: الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات Y.A.RES رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٣ جمادي الأول ١٣١٧هـ: لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، المصدر السابق، ١٥٢٧/٣؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ: الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر =

من الدول الكبرى وخاصة بريطانيا للولوج منها^(١). وقد أيد موقف المشير هذا عدد من رجالات الدولة العثمانية، وبعض الشخصيات من ذوي النفوذ لدى الباب العالي، ومنهم، حسب ما ذكرنا سابقاً: الفريق محسن باشا قائد الجيش في البصرة، والشيخ أبو الهدى الصيادي "شيخ الإسلام في اسطنبول"، والسيد رجب نقيب الإشراف بالبصرة، وابنه طالب، وغيرهم من أعيان البصرة. وقد حذر هؤلاء من خطورة الموقف، ورأوا ضرورة معاقبة منفذي الهجوم على الكويت، وبإنهاء المشكلة بتعيين الشيخ مبارك قائماً عليها^(٢). وإلى جانب ذلك قاموا بشن حملة ضد والي البصرة عارف باشا، لأزاحته، والتشكيك بنزاهته وأمانته، واستغلاله لمنصبه لتحقيق مصالحه الشخصية، وحصوله على الرشاوى من الشيخ يوسف^(٣).

وعلى النقيض من ذلك كانت مجموعة من رجالات الدولة العثمانية، وأصحاب النفوذ لدى السلطان العثماني لم تخف موقفها المتضامن مع الشيخ يوسف، مثل تحسين باشا كاتب المابين الهمايوني^(٤)، وأبرز المعارضين

= ١٣١٥هـ؛ الذكر، مصدر سابق، ص ٧٢؛ أبو حكمة، مرجع سابق ص ٣٠٨؛ النجار، مرجع سابق ص ٧٢؛ القاسمي، مرجع سابق ص ٥٢؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٠٥؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٥٠؛ خزل، مرجع سابق، ٣١/٢؛ Fredrick Anscombe., op, cit, p142

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٦٣/١٤٢ بتاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٥١؛ الذكر، المصدر السابق، ص ١٠١؛ لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٦..

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى المابين "Y.PKBSK" رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر السابق، ٣/١٥٢٧؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y-MTV" رقم ١٧٠/٤ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى المابين "Y.PKBSK" رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.ARES" رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٣ جمادي الأول ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" تاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، المصدر السابق، ٣/١٥٢٧؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥

(٤) تحسين باشا باشكاتب المابين الهمايوني: رئيس الديوان السلطاني وقد ازدادت أهمية هذا الديوان =

للشيخ مبارك، والمتعاطفين مع خصومه^(١). وبطبيعة الحال، حاول مؤيدو الشيخ يوسف تعزيز موقفه عند السلطان عبد الحميد الثاني والتقليل من شأن هذه الحملة، وأنكروا علاقة الشيخ يوسف بالحملة، وعدم وجود دليل صريح على ثبات تورطه فيها، ووضحوا أنها من دسائس الشيخ مبارك لتشويه صورة خصمه، وتحريف القضية عن دافعها الحقيقي، وهي اغتيال مبارك لشقيقه محمد وجراح، واغتصابه السلطة واستيلائه على أموال أبناء القتيلين بدون حق شرعي^(٢). وركز هؤلاء على رفض الشيخ مبارك المجيء إلى ولاية البصرة، وتستره بحجج واهية، كما طالبوا بتسيير قوة عسكرية تسيطر على الكويت، وتخضعها للحكم العثماني المباشر^(٣).

لم يتوقف الشيخ مبارك عند رفع قضيته لولاية العراق، بل قام برفع الشكاوى للسلطان عبد الحميد الثاني واتهم عدوه الشيخ يوسف فيها بالسعي لنشر الفوضى والفساد في المنطقة، وجر الأجانب وخاصة بريطانيا للمنطقة بتودده لهم. وحاول توظيف وجود عائلة آل إبراهيم بالهند لصالحه وربطها بالقضية. موضحاً برسائله إلى نوي الأمر أن ارتباط الشيخ يوسف بالإنجليز كان عن طريق أفراد من عائلة آل إبراهيم الموجودين في بومباي، والذين لهم

= وأصبح المرجع الأول بعد تعطيل الدستور من قبل السلطان عبد الحميد الثاني وكان السلطان عبد الحميد يقضي جل وقته في هذا الديوان. وقد تدرج تحسين باشا في مناصب الدولة وكان رئيس لكتاب القصر في فترة هذا الصراع (السعدون، العلاقات بين نجد...، مرجع سابق، ص ٣١؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٥٩).

(١) الأرشيف العثماني يلدز متفرق الكتابة الأولى المباين Y.PRK.BSK " رقم ١٩٣٠ بتاريخ ٢٢ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني يلدز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ٤٥٧١ بتاريخ ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني يلدز متفرق الكتابة الأولى المباين Y.PRK.BSK " رقم ٤٧٨٣ بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٣١٥هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٥٩؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٢٦/٣.

(٢) الأرشيف العثماني يلدز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ١٩٣٠ بتاريخ ٢٢ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني يلدز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ٤٥٧١ بتاريخ ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول محاضر مجلس الوكلاء M.V رقم ٩٨/٧ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلدز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلدز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ١٩٣٠ بتاريخ ٢٢ صفر ١٣١٥

علاقات قوية. ربطت بين الشيخ يوسف والإنجليز، الذين شجعوه للهجوم على الكويت، ودعموه من أجل أن يستولي عليها ويسهل لهم بذلك السيطرة عليها^(١).

كذلك لم يركن الشيخ يوسف إلى الدعة، بل قابل مراسلات الشيخ مبارك، مع العثمانيين، بمثلها إلى السلطان عبد الحميد، ناكراً أي علاقة له بالحملة على الكويت، وأن الشيخ مبارك يسعى لإلصاق التهمة به بهدف تشويه الصورة وتغيير الحقيقة. وطالب مناصرة قضية أبناء القتيلين محمد وجراح^(٢)، بإقصاء مبارك، وتعيين أحد أبناء القتيلين شيخاً للكويت. ومن جانبهم أكد أبناء القتيلين براءة الشيخ يوسف من تجهيز الحملة، وأن هذه التهمة من تدبير مبارك، بهدف الإيقاع بالشيخ يوسف لدى السلطات العثمانية^(٣).

وعلى الرغم من انقسام موظفي ورجالات الدولة العثمانية وولاتها، في كل من البصرة وبغداد واسطنبول، إزاء النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، إلا أن موقف الباب العالي، من هذه الحملة، ظل واضحاً وحازماً منذ البداية، فسير سفينة حربية إلى جهة شط العرب لتعقب أثر الحملة، ومحاولة القبض على أفرادها^(٤). فمال إلى رأي مؤيدي الشيخ مبارك محملاً الشيخ يوسف المسؤولية، معتبراً وجوده في المنطقة يشكل خطراً على وضعها الأمني، وأنه عميل للإنجليز الداعمين لحملة على الكويت^(٥).

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٧٠ / ٧٢٠ بتاريخ ١٧ مارس ١٣١٣ رومي؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٤٨ / ٧١٩ بتاريخ ١٤ أغسطس ١٨٩٦م؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ٣٠ / ١٠٤ بتاريخ ١٥ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول إرادة خصوصية "I.HUS" رقم ٢٧٥٦ تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٣٠٠: P173، Rush, Records..., Op, Cit,

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز أوراق متفرقة "Y.PRK.AZJ" رقم ٣٠ / ٣٧ بتاريخ ٢٧ صفر ١٣١٦هـ.

(٣) الأرشيف العثماني يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" "Y.PRK.BSK" رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ..

(٤) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز همايوني "Y.PRK.BSK" رقم ١٩٣٠ تاريخ ٢٢ صفر ١٣١٥هـ؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٠٥؛

Al Ghanim, pop, cit, p54, Fredrick Anscombe,, op, cit, p52

(٥) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع ((Y.PRK.BSK)) رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ: =

لذا صدر قرار بأبعاده عن ولاية البصرة أو القبض عليه، والحجز على جميع ممتلكاته بولاية البصرة، وأوكلت تنفيذ هذه المهمة إلى والي البصرة عارف باشا^(١)، الذي لم يعر هذا الأمر أي اهتمام، فتعاس وماتل في تنفيذه، وفاءً لما ارتبط به مع الشيخ يوسف^(٢). وقد أدرك الأخير صعوبة موقفه، بعد أن نجاح خصمه ومؤيديه، من رجالات الدولة العثمانية، في ممارسة الضغوط عليه وتآليب الموقف الرسمي ضده، فقرر مغادرة البصرة، متجهاً إلى البحرين في أواخر محرم من سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧.

الموقف البريطاني من الحملة

اعتبرت بريطانيا شؤون شمال الخليج العربي، المنطقة الممتدة من البصرة إلى القطيف، شأنًا عثمانياً، معترفة بسيادة العثمانيين على هذه المنطقة رسمياً العام ١٣١٠هـ/١٨٩٣^(٣). وأن أثرها، في شمال الخليج، لا يتعدى كونها مراقباً محايداً للأحداث والتطورات، بهدف المحافظة على سلامة مياهها^(٤). وقد لخص اللورد سالسبوري وزير خارجية بريطانيا، آنذاك، موقف بلاده بالتصريح الآتي: ((إنه ما لم يتدخل الشيوخ المرتبطون بالمعاهدة، أو في حالة وقوع أي حادث قرصنة يمس رعايا بريطانيا فالأمر لا تأثير له علينا^(٥))).

وما يرتبط مع الموقف البريطاني أن الطراد البريطاني، ((سفنكس))، اكتشف

= الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٦٣/١٤٢ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ السلطان عبد الحميد، مصدر سابق ص ٤٠.

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز همايوني "Y.PRK.BSK" رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ؛ بوندار يفسكي مرجع سابق ص ١٠٥؛

Fredrick Anscombe., op, cit, p149, Al Ghanim, op, cit, p54

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٧٠/٤ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ١٠ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر ١٣١٥هـ بوندار يفسكي مرجع سابق ص ١٠٤.

(٣) ويلسون مصدر سابق ص ٤٠٤؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت...، مصدر سابق، ص ٥٥؛ قاسم جمال مرجع سابق ٢/٣١٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٠٨.

Al Ghanim, op, cit, p54, Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٤) ويلسون مرجع سابق ص ٤٠٤، سلدانيا، المصدر السابق، ص ٥٥ قاسم مرجع سابق ٢/٣١٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٨. Al Ghanim, op, cit, p54, Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٥) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت...، مصدر سابق، ص ٥٥.

أمر الحملة أثناء توجيهها إلى الكويت، إلا أنه لم يعترضها كقوة عسكرية تمخر مياه الخليج، واكتفى بمراقبة تطور الأوضاع، وما ستسفر عنه الأحداث^(١). وقد أثار هذا الموقف الغريب الشكوك، ووضع عدة تساؤلات، وفي مقدمتها: هل كان الطراد في ذلك الوقت بمحض المصادفة، أم أن الأمر كان مرتباً مسبقاً من أجل مراقبة سير الحملة. مع العلم أن أمر الحملة على الكويت تم في غاية السرية والكتمان، فلم يعرف أمرها قاص ولا دان، ولم يكتشف الشيخ مبارك أمرها إلا بما أخبره عنها أحد أصحاب السفن، وبعد اقترابها من ساحل الكويت.

والتساؤل الآخر هو التناقض الغريب في السياسة البريطانية، وخصوصاً في شمال الخليج، فمن جهة تدعي الحفاظ على استقرار المنطقة وحماية مياهها من القرصنة البحرية^(٢)، ومن جهة أخرى أغفالتها أمر تلك الحملة الخطيرة؛ وهي في العرف البريطاني شكلاً من أشكال القرصنة. علماً أن نجاحها سيغير الوضع القائم الراهن آنذاك في الكويت! وربما يعطي أمر الطراد ((سفنكس)) الحق، نوعاً ما، للعديد من رجالات الدولة العثمانية في اتهامهم بريطانيا بالوقوف وراء هذه الحملة، ودعمها وتشجيعها للشيخ يوسف آل إبراهيم، وأنها تعمل على الاستفادة من هذا الصراع لتحقيق مصالحها الاستعمارية^(٣). وقد سبق أن أكد الشيخ مبارك ذلك في رسائله إلى الدولة العثمانية^(٤).

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٢ صفر ١٢١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٧٠/٤ بتاريخ ٢ رجب ١٢١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ٧ رجب ١٢١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر ١٢١٥هـ؛ سلدانيا التاريخ السياسي للكويت...، مرجع سابق ص ٥٥؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ الشمالان، من تاريخ الكويت...، مرجع سابق، ص ٣٠٠.

(٢) ويلسون، مصدر سابق ص ٤٠٤؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٠٨؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٣؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ص ٣١٤؛ Al Ghanim, op, cit, p54

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ١٧٠/٤ بتاريخ ٢ رجب ١٢١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٢١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.MTV" رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٢ صفر ١٢١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ٧ رجب ١٢١٥هـ؛ بوندار يفسكي، مرجع السابق ص ١٠٤؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٥١ - ٥٢؛ Al Ghanim, op, cit, p54

(٤) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٧٢٠/٧٠ بتاريخ ١٧ مارس ١٣١٣ رومي؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٧١٩/٤٨ بتاريخ ١٤ =

وقال المؤرخ عبد العزيز الرشيد مؤكداً الدعم البريطاني للحملة: ((فمن المستبعد أن تسمح الحكومة البريطانية لأسطول حربي يمخر في الخليج العربي، الذي ترى فيه حق حفظه من النهب والسلب، وحق نشر الأمن، غير أن يكون بينها وبين صاحبه - أي يوسف - تواطؤ، ومن غير أن يكون لها فيه يد عاملة وأصعب محرقة...))^(١). واستدل بكلامه على أن الطراد البريطاني تجاهل الحملة عند توجيهها إلى جهة الكويت، وكذلك اغفل عنها بعد عودتها. وخلاف ذلك، نفى الشمالان صلة لبريطانيا بالأمر، بالاستناد إلى رواية أحد المشتركين في الحملة، وهو حسين بن عيسى القناعي. قال: لم يكن لبريطانيا يد في تلك الحملة، وأن الشيخ يوسف كان يتحاشى التواطؤ معها، وأن الطراد لم يكن يعلم بهم إلا بعد ما أشرفوا على الكويت^(٢). ولم تتطرق أكثر المصادر والمراجع الأجنبية والعربية التي اطلعنا عليها لأي دور بريطاني في هذه الحملة.

وبنجاح الشيخ مبارك، قرر الشيخ يوسف، في آخر شهر محرم ١٣١٥هـ ١٨٩٧، مغادرة ولاية البصرة فاتجه إلى البحرين. ولكن الشيخ مبارك لم يكتف ببعد خصمه بل، مثلما تقدم، قرر الانتقام من عارف باشا والي البصرة، الذي وقف في نهاية الأمر ضده، متخذاً نفس الطريقة التي مارسها عند عزل حمدي باشا عن ولاية البصرة، فقد كثف برقيات الشكاوى والتظلم ضد عارف باشا، وتحرك أعوان الشيخ مبارك لتأليب الموقف الرسمي ضده، وبفضل نفوذ أعوانه تم عزل عارف باشا عن ولاية البصرة، وحينها تم تعيين محمد أنيس باشا^(٣) والياً عليها العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧^(٤).

= أغسطس ١٨٩٦ V.LD؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٥ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول أرادة خصوصية. I.HUS. رقم ٢٧٥٦ تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ؛ الرشيد مصدر سابق ص ١٥٥؛ الذكر، مصدر سابق ص ١٠١؛ الشمالان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص ٣٠٠؛ القاسمي، مرجع سابق ص ٤٠؛ Rush, Records..., Op, Cit, P173

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ وقد تأثر بعض المؤرخين بتحليل وتوقعات الرشيد حول هذه القضية أمثال جمال قاسم (قاسم، مرجع سابق، ٢/٣٢٢)

(٢) الشمالان، المرجع السابق، ص ٣٠٠.

(٣) محمد أنيس باشا: تولى ولاية البصرة بعد عارف باشا، وعرف بضعف الشخصية وبقي في منصبه حوالي عامين.

(٤) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ٤٨/١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ =

ولما خلا الجو، قام الشيخ مبارك بتدمير قصر الشيخ يوسف بالصبيّة، كردة فعل لمهاجمته الكويت^(١)، وهذه عادة ما يفعله المنتصرون. ولعل بعمله هذا، كان يهدف حرمان خصمه الاستفادة من الصبيّة كمركز ونقطة انطلاق يهاجمه منها مستقبلاً. كما قبض على بعض أعوان الشيخ يوسف داخل الكويت، وزج بهم في السجن، وصادر أموالاً منهم وصلت قيمتها حدود "١٢٠٠ قران"^(٢).

خطة هجوم مع قطر

لم يستسلم الشيخ يوسف، بعد خروجه من البصرة إلى البحرين، إنما عمد إلى تغيير سياسته السابقة، وقرر استخدام استراتيجية جديدة في صراعه مع الشيخ مبارك، معتمداً على البحث عن حليف يسانده في حربه، الذي سيعتمد الهجمات البرية بالدرجة الأولى^(٣). وبعد مكوث ثلاثة أيام فقط ضيفاً على صديقه مقبل عبد الرحمن الذكير^(٤)، توجه في ٢٩ محرم ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ إلى قطر، يرافقه خالد بن الشيخ محمد الصباح^(٥). وجاء اختيار الشيخ يوسف للشيخ جاسم آل ثاني حليفاً لعدة عوامل، حتمت تعاونهما ضد الشيخ مبارك، ومنها:

– علاقة العداء بين الشيخ جاسم والشيخ مبارك، التي تعود إلى اشتراك الشيخ مبارك الصباح في قيادة القوة الكويتية أثناء الحملة العثمانية على قطر بقيادة محمد حافظ باشا والي البصرة، وذلك السنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢. وبالرغم من أن القوة الكويتية لم تقا، حيث عسكرت في سلوى لمنع

= الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ١٧٠/٤ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين. Y.PRK.BSK. رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ.

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول محاضر مجلس الوكلاء. M.V. رقم ١٠٣/٣٥ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٦.

(٢) الذكر، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٣) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٤؛ السبيعي، الأمن...، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٤؛ الدخيل، القول السيد...، مصدر سابق ص ١٥٠.

(٥) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ١٧٠/٤ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٥؛ السبيعي، المرجع السابق، ص ٢٠٠.

الإمدادات، وعادت عندما وصلها خبر هزيمة الحملة العثمانية^(١) إلا أن الشيخ مبارك كان يظمر عداً خاصاً للشيخ جاسم، بدليل إرساله رسالة إلى الأمير محمد بن رشيد يبشره فيها بما حل بشيخ قطر في حادثة الزبارة، التي ضربها البريطانيون فأحرقوها وأغرقوا سفنها سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢^(٢). وبعد تولي الشيخ مبارك الحكم قام بهجوم على قبيلة بني هاجر القابعة تحت حماية الشيخ جاسم آل ثاني، وكسب غنائم كثيرة، فقام الأخير برفع الشكاوى ضد الشيخ مبارك متهماً إياه بأن أكثر الغنائم التي أخذها من بني هاجر ترجع ملكيتها له^(٣). ولم يكن بينهما حب مفقود، بل من يقرأ البيت الذي قاله في قصيدة مشهورة عن تلك الحادثة لا يحتاج إلى برهان:

تعاطوا علينا من الكويت والحسا دجاج ينقرنا بلا منقار

— سبق أن أمد الشيخ يوسف آل إبراهيم الشيخ جاسم آل ثاني بمساعدات كبيرة، كان أهمها وقوفه إلى جانبه أثناء نزاعه مع شيخ أبو ظبي العام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨^(٤).

— كان للمصالح المشتركة أثر في التقارب بينهما، إذ ربطتهما روابط تجارية كبيرة، فالشيخ جاسم آل ثاني يعتبر من أكبر تجار اللؤلؤ في الخليج، حيث امتلك خمساً وعشرين سفينة للغوص عن اللؤلؤ، في حين كانت عائلة الشيخ يوسف أكبر محتكري ومسوقي للؤلؤ في الخليج^(٥). وقد أخذ الشيخ جاسم هذه التجارة عن والده، الذي جمع ثروة طائلة منها. وقد ذكر الشيخ محمد آل ثاني ذلك لوليم بالجريف، أثناء زيارته لقطر، تعلقه باللؤلؤ، بالقول

(١) رسالة من الشيخ جاسم آل ثاني إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١ صفر ١٣٢٣هـ (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وزود الباحث بنسخة منها)؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٠٦؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٧؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص ١٠٧؛ نخلة، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٢) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٧؛ السبيعي، الأمن...، مرجع سابق ص ٢٠٠؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق ص ١٦٢.

(٣) جى.اى سلدانيا، الشئون القطرية من سنة ١٨٧٣ إلى ١٩٠٤م، تعريب أحمد العناني، مطابع علي بن علي، الدوحة ١٩٨٩م، ص ١٩٧؛ لوريمر، دليل الخليج لتاريخي، مصدر سابق ١٥٢٧/٣.

(٤) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٢٨٦؛ نخلة، مرجع سابق ص ٢٠٩؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق ص ١٦٣.

(٥) سيف الشمالان، الغوص على اللؤلؤ في قطر، مؤتمر الدراسات الخليج الدوحة مارس ١٩٧٦م، ٢/٥٥٧؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ١١٦؛ بالجريف، مصدر سابق ٢/٢٧٠؛ القشعبي، مرجع سابق ص ٣٠٥.

- ((نحن جميعاً من أعلننا إلى أسفلنا عبيد لسيد واحد هو اللؤلؤ))^(١). وقد كان لؤلؤ قطر ومعظمه للشيخ جاسم يباع بالهند عن طريق آل إبراهيم^(٢).
- كان هدف الشيخ يوسف القضاء على الشيخ مبارك، والوقت نفسه وجدها الشيخ جاسم فرصة لتحقيق طموحه في السيطرة على مناطق جديدة في الجزيرة العربية وخاصة الأحساء^(٣).
- كان لروابط الصداقة بين الشيخين دافعاً في توجه الشيخ يوسف إلى قطر دون غيرها^(٤). كذلك لا تغفل الصلة القبلية بين الطرفين، فكلاهما من تميم. وعلى العموم، كان الشيخ جاسم ممتعضاً لأمر إغتيال الشيخين محمد وجراح، فلم يجد الشيخ يوسف صعوبة في إقناعه بقضيته. وبهذا تبنى قضية الأخذ بالتأثر من الشيخ مبارك^(٥). وفي رسالة له الى الشيخ يوسف يستشف القارئ منها مدى تعاطفه فيقول فيها: "مقامك مع عيال محمد الصباح فهناك فيه من شيمة العرب وعلمك فيه غانم" وفي صيف ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م أتم الشيخ يوسف مفاوضاته في قطر، التي أسفرت عن تعاونهما للعمل معاً ضد الشيخ مبارك^(٦). حيث اتفقا على خطة تنفذ براً وبحراً، يتم بموجبها إشراك أمير حائل محمد بن رشيد، الذي تربطه بالشيخ جاسم علاقة وثيقة مبنية على الصداقة والتعاون بينهما. مظاهرها التعاون في إعداد حملة عسكرية مشتركة لمهاجمة نواحي عمان السنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨^(٧).

- (١) بالجرير مصدر سابق ٢/ ٢٧٠.
- (٢) الذكرير مصدر سابق ص ١٠٤؛ مقابلة مع السيد يعقوب ابن الشيخ يوسف آل إبراهيم في منطقة القادسية بدولة الكويت في ١٦/٣/٢٠٠٥م.
- (٣) السبيعي، الأمن...، مرجع سابق، ص ٢٠٠؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق ص ١٩٦؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق ص ٢١٣.
- (٤) السبيعي، الأمن...، المرجع السابق، ص ٢٠٠.
- (٥) الأرشيف العثماني اسطنبول الإيرادات مجلس مخصوص I.HUS. 2756 بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق ص ١٩٧؛ سلانانيا، الشؤون القطرية، مصدر سابق، ص ١٩٨.
- (٦) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MYV، رقم ١٩٤٠، بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MYV، رقم ١٦٩/٥٩، تاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣١٥هـ؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٥؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ٢٩١؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٥؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص ١٦٣؛ الدخيل، القول السديد...، مصدر سابق، ص ١٥١.
- (٧) سلانانيا، الشؤون القطرية، مصدر سابق ص ١٥٧؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص ٢١٣.

إلى جانب ذلك كان الأمير محمد بن رشيد في حالة غضب لتصرف الشيخ مبارك أزاء أشقائه.^(١) كما تثبتته رسالته للشيخ يوسف بعد حادث القتل مباشرةً يقول فيها:

"منظر ثورتك مع أولاد محمد هذا هو الحق، مخلص انشالله دين ودنيا وعلم طيب. مانخبر واحد من العرب من أهل نجد الا يثني عليك ويدعي لك فظنهم بالله ثم فيك طيب"

وكذلك اتهمه الشيخ مبارك بتدبير عملية سلب قافلة لتجار تابعين لإمارة الرشيد وقتل مرافقيها^(٢). بالإضافة الهاجس الاستراتيجي حيث أن الامير كان يسعى جاهداً من أجل الحصول على منفذ بحري، ولم يكن أمامه سوى الكويت، وهو ما يناسب أهدافه السياسية والاقتصادية^(٣).

جمعت هذه الخطة بين مصالح قوى ثلاث: الشيخ يوسف آل إبراهيم، والشيخ جاسم آل ثاني، والأمير محمد بن رشيد، من حيث العداء للشيخ مبارك من ناحية، والمطامع في الكويت من ناحية أخرى. فعملت على قطع طرق الإمداد والدعم، الذي قد يلجأ إليه الشيخ مبارك، وذلك بإبعاد بعض القبائل كالعجمان، والمرة والمطير عن التدخل في هذا النزاع المسلح^(٤). لكنها قررت الوقوف إلى جانب الشيخ مبارك في هذه الأحداث^(٥). ومن جهتها أكدت قبيلة العجمان، على لسان شيخها فلاح بن حثلين^(٦)، لمتصرف الأحساء سعيد

(١) المنصور، مرجع سابق، ص ١٦٣؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق ص ٥٧؛ موزل، مصدر سابق ص ٥٧٢، الفرخان، مرجع سابق ص ٨٢.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٩.

(٣) موزل مصدر سابق ص ٥٧٢؛ جبار عبید، التاريخ السياسي لإمارة حائل، تقديم عبدالله المنيف، الدار العربية للموسوعات الرياض، ١٤٢٤/٢٠٠٣ ص ١٠٥؛ الدخيل، القول السديد...، مصدر سابق ص ١٥١؛ لوريمر، المصدر السابق ٣/١٥٢٧.

(٤) المنصور، مرجع سابق، ص ١٦٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٥) الذكير مصدر سابق ص - ص ١٠٤ - ١٠٧؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق ص ١٩٨ الريحاني تاريخ نجد مصدر سابق ص ١١٨؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ Al Ghanim, op, cit, p63

(٦) فلاح بن حثلين: شيخ قبيلة العجمان وكان له مخصص مالي من الدولة العثمانية واستمر هذا المخصص حتى وفاته سنة ١٢١٨ هـ وانتقل إلى ابنه خالد بعد وفاته. (ابن حثلين، مرجع سابق، ص ٧٥، صابان، مرجع سابق، ص ١٥٧).

باشا^(١)، بأنها على استعداد للوقوف ضد هذه الحملة في حالة سيرها نحو الكويت^(٢)، وأمام كل هذا فقد حافظ الشيخ يوسف على سرية هذا المخطط^(٣).

قام الشيخ يوسف بتجهيز مبدئي للحملة بالتعاون مع الشيخ جاسم، حيث تكفل بشراء أربعمئة بعير بقيمة إجمالية تصل حدود أربعة آلاف ليرة عثمانية^(٤) جعلها تحت تصرفه^(٥) بأسلحتها. كان التحالف الثلاثي، لتصحيح الامور في طريقه إلى حيز التنفيذ العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧، لولا وقوف الدولة العثمانية بحزم في وجه الشيخ جاسم آل ثاني، لمنع هذا الهجوم تبعته وفاة الأمير محمد بن رشيد ١٣١٥هـ/١٨٩٧^(٦)، فغلب الحظ واستحال الامر وهناك من المؤرخين والباحثين مَنْ يعزوا بأن الأمير محمد بن رشيد كان رافضاً لفكرة المشاركة في هذا الهجوم^(٧).

لقد اصبح من المؤكد أن سبب اتخاذ الدولة العثمانية لهذا الموقف، هو المصالح الشخصية، والعلاقات الخاصة التي لعبت دوراً بارزاً في منع هذه الحملة، إضافة لذلك استمالت الشيخ مبارك بعض كبار رجال الدولة، ومنهما ما كتبه إلى متصرف الإحساء سعيد باشا شارحاً له نوايا الشيخ جاسم آل

(١) سعيد باشا: تم تعيينه على متصرفية الإحساء في المرة الأولى عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م وفي المرة الثانية في ٢٠ ربيع الثاني ١٣١٤هـ/٣٠ أغسطس ١٨٩٦م، وعمل قبل ذلك متصرفاً في كربلاء. (العزاوي، مرجع سابق، ٧٧/٨ - ١٢٦).

(٢) كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص ١٩٨ Al Ghanim, op, cit, p63

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٢٧/٣؛ الدخيل، المصدر السابق، ص ١٥١.

(٤) يذكر الزكي أن سعر الجمل في تلك الفترة يصل إلى عشر ليرات عثمانية (الزكي، مصدر سابق، ص ١١١).

(٥) كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٦) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رقم ١٩١٥ تاريخ ١٢ رجب ١٣١٥هـ؛ حسني مصدر سابق ص ١٤٢؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٩؛ علي الصالح، رسالة عن تاريخ حائل، مجلة العرب، ملحق الجزء السادس، السنة الثالثة، ذي الحجة ١٣٨٨هـ/ آذار (مارس ١٩٦٩م، ص ٣٠؛ ابن ناصر، مصدر سابق، ص ٤٨؛

(٧) الزكي، مصدر سابق، ص ١٠٤؛ العبد المحسن مرجع سابق، ٣٠٥/١؛ وذكر ناصر الحمود شاعر الكويت قصيدة يسندها للأمير عبد العزيز الرشيد يذكره بموقف عمه محمد الرشيد المعارض للهجوم على الكويت:

قلّة وصاه محمد بالقرارا نسيتهما سجيت يا عمس الأبصار
(الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٤٢).

ثاني^(١)، عززها بالهدايا تعبيراً منه عن عمق روابط الصداقة بينهما^(٢). وقيل: إن قيمة الهدايا بلغت ٧٠٠٠ ليرة عثمانية^(٣). ما جعلت المتصرف يطالب باتخاذ التدابير اللازمة لدراها، فكتب رسمياً إلى محمد أنيس باشا والي البصرة الجديد، ومساعدته محسن باشا قائد القوات العسكرية في البصرة مساندة لهم لإخمادها، ووقف الاعتداء الموجه ضد الشيخ مبارك الخاضع المطيع للدولة العثمانية^(٤).

كان لأصدقاء الشيخ مبارك: سعيد باشا ومحسن باشا، والمشير رجب باشا، وأبو الهدى الصيادي، وعائلة النقيب كما أسلفنا. أثر كبير في إقناع السلطان عبد الحميد الثاني لمنع الهجوم على الكويت. ونجحوا في ذلك. وأثرها قرر السلطان مراقبة الأحداث بنفسه، وإعطائها حيزاً كبيراً من الاهتمام والمتابعة^(٥). مصدراً وأوامره، بناءً على التقارير التي أرسلت من ولاية البصرة وبغداد، لصد أي هجوم مرتقب، أمراً بتشكيل قوة من ست سرايا تحت قيادة محسن باشا لصدّها إذا تحركت من جهة قطر^(٦). وفي الوقت نفسه أمر كذلك محسن باشا، قائد الجيش بالبصرة، بإرسال وفد برئاسة السيد رجب نقيب الأشراف بالبصرة، ومعه بعض الشخصيات المهمة^(٧) لتهدئة الأوضاع وإقناع

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٧؛ خزعل مرجع سابق ٢/٢٥، الشمالان، المرجع السابق، ص ٢٩١؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٨١.

(٢) الرشيد، المصدر السابق، ص ١٥٧؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٢٩؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/٢٥ ص ٦٢؛ الفرحان المرجع السابق، ص ٨١.

Al Ghanim, op, cit, p62; Fredrick Anscombe, op, cit, p154

(٣) الصباح، مرجع سابق، ١/٢٢٧.

(٤) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ١٤٢/١٦٣، تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ١٩٤٠، بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦، ٢٥؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩١؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٨٢؛ Fredrick Anscombe., op, cit, p154

(٥) كورشون العثمانيون في قطر، مرجع سابق ص ١٩٩.

(٦) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ١٠٤/٦٢ بتاريخ ٢٤ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ٤٨/١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ١٩٥١ بتاريخ ١٠ رجب ١٣١٥هـ؛ كورشون المرجع نفسه ص ١٩٩.

(٧) من أبرز الشخصيات في هذا الوفد، محمد علي مدير الأملاك السنية؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص ٢٠١.

الشيخ جاسم بعدم مهاجمة الكويت^(١)، وبعد نجاح المهمة عاد الوفد الى البصرة واستتب الأمن في المنطقة^(٢).

أما السياسة البريطانية تجاه هذه القضية فهي كما يقول بونداريفسكي: "من الواضح تماماً أن إقامة الشيخ يوسف آل إبراهيم الطويلة في البحرين، بهدف تدبير هجوم جديد على الكويت، والاتصال بشيخ قطر لم تكن تغيب عن أعين السلطات البريطانية، زد على ذلك أن جاسم آل ثاني لم يقدم على هذه الخطوة من دون علم المقيم البريطاني في بوشهر الكولونيل ميد^(٣). بمعنى أن بريطانيا كانت تغض الطرف عن الهجوم على الكويت، ولا بد أن يتميز أو يتعارض موقفها مع موقف خصمها ومنافسها في مياه الخليج الدولة العثمانية. إلا أن البريطانيين حاولوا، بسبب عدم إمكانية تحقيق الهجوم في هذا الوقت، الحفاظ على الوضع الراهن^(٤)، ليبقى الأمر على ما هو عليه^(٥).

لكن، التحركات العثمانية الأخيرة وتجهيزها لقوة عسكرية من ست سرايا للدفاع عن الكويت، في حالة الهجوم عليها، جعلت بريطانيا تشك في النوايا العثمانية، وأنها تعد العدة للسيطرة الفعلية والمباشرة على الكويت، مما يؤدي في النهاية إلى تغير ميزان القوى في المنطقة لصالحها. لذا أرسلت بريطانيا أربع بوارج للمرابطة في مياه الخليج^(٦). وبهذه المواقف من الدولتين الكبيرتين، كتب الفشل لمحاولات الشيخ يوسف، فقرر مغادرة قطر العودة إلى

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات. Y.A.RES. رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ كورشون مرجع سابق ص ٢٠١؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٦٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٢٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦

(٢) كورشون، مرجع سابق، ص ٢٠٠؛ خزعل، المرجع نفسه، ٢/٢٦؛ الخترش، المرجع السابق، ص ٢٩. الأرشيف العثماني يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤٨/١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المبين Y.PRK.PSK، رقم ١٩٥١، تاريخ ١٠ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز رسمي معروضات. Y.A.RES. رقم ١٤/٦٢ بتاريخ ٢٤ رجب ١٣١٥هـ؛

(٣) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٥. كان لميد علاقة ودية وصداقة مع الشيخ عبد العزيز الإبراهيم حينما كان الأول حاكماً سياسياً لمدينة برودا في كوجيرات بالهند، وفيها منتجع للشيخ عبد العزيز.

(٤) Al Ghanim, op, cit, p65.

(٥) Al Ghanim, op, cit, p66

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أرادة خصوصية. I.HUS، رقم ٢٧٥٦، تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ.

الدورة^(١). وذكر آخرون أنه اتجه إلى بومباي، وليس إلى الدورة^(٢). غير أن الأحداث ترجح الرأي الأول.

لعلنا هنا نوجز عوامل أسباب فشل محاولة الهجوم، على الرغم من استعدادات، قوى التحالف الإقليمية، وحياد بريطانيا تجاهها وعدم اعتراضها:

١ - الموقف العثماني الرسمي المعارض والرافض لأي هجوم على الكويت، ولأصدقاء الشيخ مبارك أثر في بلورة هذا الموقف. يقول الذكر: ((إن اتخاذ السلطة العثمانية هذا الموقف لاعتقادها بأن أي حركة ضد صاحب الكويت قد تفقدها مركزها، وهي لا يهمها أن يكون حاكم الكويت مبارك أو غيره، وإنما يهمها أن يكون صاحب الكويت محافظاً على تابعيته لها...))^(٣).

٢ - الموقف البريطاني، والذي يسعى جاهداً للمحافظة على الوضع الراهن.

٣ - وفاة الأمير محمد بن رشيد في أواخر سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧، فيوفاته فقد التحالف أبرز وأقوى عناصره.

٤ - بعد المسافة بين الكويت وقطر^(٤).

٥ - عدم وجود مراكز للتموين للقوة المهاجمة، فمتصرفية الإحساء من المؤكد أنها ستغلق مراكزها التابعة للإحساء والقطيف في وجه المهاجمين^(٥).

٦ - موقف القبائل الكبيرة في المناطق الواقعة بين الكويت وقطر، ذلك بإعلانها الوقوف إلى جانب الشيخ مبارك، كالعجمان، والمطير، والمرة. وكان على المهاجمين، في البداية، إخضاع تلك القبائل، وهذا الأمر تبدو فيه الصعوبة لقهرها^(٦).

لقد أدرك الشيخ يوسف خيبته، فقرر التنكيل بهم محاولاً ضرب أعوان الشيخ مبارك، وخصوصاً متصرف الإحساء سعيد باشا، الذي كان يعتقد بأنه

(١) خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٨.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٨؛ سلدانيا، الشؤون القطرية، مصدر سابق، ص ١٩٨

(٣) الذكر، المصدر سابق، ص ١٠٤.

(٤) الذكر، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٥) الذكر، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٦) الذكر، المصدر نفسه ص - ص ١٠٤ - ١٠٧؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٣٨؛

كان وراء تأجيج الموقف العثماني الرسمي ضده. وبهذه النية قام الشيخ يوسف بتمويل عبد الرحمن بن سلامة أحد أعيان الإحساء^(١) بالمال، وأمدّه بخمسين كيساً من الأرز وأربعين بندقية^(٢). ذلك بإثارة قبيلتي العجمان، وبني هاجر^(٣)، ضد متصرف الإحساء، الصديق الوفي للشيخ مبارك^(٤).

وبالفعل ثارت القبيلتان على سعيد باشا، وتم كتابة مضبطة شكوى، إلى سلطات العراق العثمانية، بأسماء ورؤساء القبائل المحيطة بالإحساء، ضد جور سعيد باشا وظلمه^(٥). وقام بكتابة هذه المضبطة عبد الرحمن بن سلامة^(٦). بينما يشير خزعل إلى أن الشيخ يوسف قام بتنظيم مضبطين في الغرض نفسه، أرسل إحدهما إلى مشير بغداد رجب باشا، وأرسل الأخرى إلى والي البصرة محمد أنيس باشا^(٧).

عموماً، تمكن الشيخ مبارك من الحصول على هاتين المضبطين، ومن ثم أرسلهما إلى سعيد باشا^(٨)، وبنجاح الشيخ مبارك في إحباط محاولة الشيخ يوسف بالتخلص من سعيد باشا، وهي جزء من المكائد التي كان يدبرها ضده، نال الشيخ مبارك مزيداً من الثقة التي عبر له الاوّل عنها برسالة ودية، تضمنت شكراً على همته ويقظته، كان ذلك في أواخر ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧^(٩).

(١) عبد الرحمن بن سلامة بن زرعه يرجع نسبه إلى قبيلة عترة، وهو عمدة حي الرفعة بالإحساء وأحد وجهاء منطقة الإحساء وعمل عضواً في مجلس إدارة اللواء العثماني في الإحساء وناضل من أجل إخراج العثمانيين من منطقة الإحساء (السيبيعي، الأمن...، مرجع سابق ص ٨٩؛ معلومات زودني بها المرحوم ناصر بن حمد آل زرعه - رحمه الله - بمنزله بمدينة الإحساء بتاريخ ٢٨/٦/١٤٢٤هـ).

(٢) الزكير، مصدر سابق ص ١٠٩؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٥٢؛ خزعل، مرجع سابق ٢/٢٦؛ الشمالان من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩١.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦.

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٢؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٢؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦؛ السيبيعي، الأمن...، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٢؛ الزكير، مصدر سابق، ص ١٠٩؛ الشمالان، المرجع السابق، ص ٢٩١، السيبيعي، المرجع السابق، ص ٨٩.

(٧) خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦.

(٨) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٢؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦؛ الشمالان، مرجع سابق، ص ٢٩١؛ السيبيعي، المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٩) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦.

إلا أنه في السنة نفسها تم الهجوم على قافلة قادمة من الإحساء، وجهتها الكويت، يقودها عبد الرحمن بن دهيش من تجار الإحساء وقد قام بتنفيذ هذا الهجوم جماعة السعيد^(١)، فاستولوا عليها بأكملها^(٢). ولم نجد إشارة واضحة فيما اطلعنا عليه من مصادر إلى وقوف الشيخ يوسف وراء الحادثة، سوى استغلال الشيخ مبارك لها وتوظيفها ذريعة يحرض بها متصرف الإحساء ضد الشيخ يوسف^(٣). واستغلالاً للحدث كتب الشيخ مبارك رسالة إلى والي البصرة محمد أنيس باشا، وأبرق برقية إلى مشير الفيلق السادس ببغداد رجب باشا، شاكياً لهما لحوادث النهب والسلب في طريق القوافل، وطلب منهما ضرورة التعجيل من جانبهما بالضرب على يد هذا العابث، وهو الشيخ يوسف^(٤).

ومن جانب آخر، قرر الشيخ مبارك الانتقام من الشيخ جاسم آل ثاني لمحاولته الفاشلة بتكوين تحالف ضده ومهاجمة الكويت، فقام بالهجوم على بعض القبائل التابعة لشيخ قطر، فهاجم قبيلة بني هاجر، وجماعة الحوير^(٥) وغنم منهم غنائم كثيرة^(٦).

استمر الشيخ يوسف، بعد عودته إلى الدورة، في حركته ضد الشيخ مبارك، حيث سافر إلى السماوة^(٧) لإثارة بعض القبائل هناك ضده^(٨). ولما

(١) جماعة السعيد: من البطون والتي تعتبر من أكبر فخوذ قبيلة الظفير ومن أكبر فروع السعيد الظهور والخضور والعجالين، وشيخهم ابن حلاف وموطن أغلب السعيد مدينة حفر الباطن والكويت والعراق (حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، دار اليمامة الرياض - ط ١ - ١٤٠١هـ/١٨٨١م، ١/٤٨١؛ الظفيري، مرجع سابق، ص ١٠٥).

(٢) استولوا على جميع الأموال التي تصل حدود ١٢٠٠ ريال ومجموعة من الإبل (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٣؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/٢٧؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩١؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص ٢٦٦).

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٢؛ الشمالان، المرجع السابق، ص ٢٩٠؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

(٤) عبد العزيز لرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٣؛ خزعل، مرجع سابق ٢/٢٧؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩١.

(٥) جماعة الحوير: أحد فخوذ قبيلة المرة، وتستقر في منطقة الأحساء وقطر.

(٦) لوريمر، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٧؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي...، مصدر سابق، ص ٦٤؛ المنصور التطور...، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(٧) السماوة: مدينة مزدهرة جنوب العراق على نهر الفرات وفي العهد العثماني كانت قضاء تابع لسنجق الديوانية بولاية بغداد وتقع في حدود ٥٠ ميلاً جنوب الديوانية و ٧٠ ميلاً إلى الشمال الغربي لمدينة الناصرية (لوريمر، دليل الخليج القسم الجغرافي، مصدر سابق، ٦/٢١٤٠ - ٢١٣٦ - ٢١٤١)

(٨) خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٨.

علم الشيخ مبارك بالأمر كاتب والي البصرة محمد أنيس باشا، بتحريضه حتى أصدر الأخير مذكرة للقبض عليه، ولما علم الشيخ يوسف بأمر المذكرة قرر العودة إلى الدورة، ومنها اتجه إلى بومباي، ليؤمن نفسه^(١). ولم ينتهي الأمر عند ذلك ولكنها كانت استراحة محارب.

التنافس الدولي ومعاهدة الحماية

أصبحت الكويت مسرحاً للتنافس بين القوى الاستعمارية الأوروبية، بريطانيا وروسيا وألمانيا، إلى جانب الدولة العثمانية منذ العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري/أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وفي وسط هذا التنافس الدولي كان النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف على أشده، وقد حاولا الاستفادة من ذلك التنافس المحموم على الكويت^(٢).

وحسب ما تقدم، اتجه طرفا النزاع في البداية لكسب الموقف العثماني، الذي كان ميله لصالح الشيخ مبارك، فحصل الشيخ مبارك على لقب قائمقام من السلطان عبد الحميد الثاني ١٣١٥هـ/١٨٩٧. وبه حمل شرعية المواجهة التي تهدف القضاء عليه، فأصبح في مأمن نسبي^(٣) إلا أن هذا لم يمنع طرفا النزاع من الدخول في مرحلة جديدة، تعتبر أدق مراحل النزاع، حيث سعيا إلى كسب بريطانيا، بطلب الحماية منها، وكان لكل طرف أسبابه في توثيق معاهدة تكفل ذلك. علماً بأنه في بداية النزاع كان الشيخ يوسف حريصاً على كسب الدولة العثمانية، فاتجه للبصرة في أواخر عام ١٣١٣هـ/١٨٩٦، طالباً النصر ضد خصمه، لكنه اصطدم بالفساد الإداري المستشري في أركان الدولة، مما أدى في النهاية إلى إخراجها من ولاية البصرة السنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧. وبدلاً من دعمه فقد وفتت إلى جانب الخصم ومنعته مهاجمته^(٤)، فقرر البحث عن قوى أخرى

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول مضابط مجلس الوكلاء "M.V" رقم ٩٨/٥ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٩؛ المنصور، الشيخ يوسف آل إبراهيم... مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) الذكير، مصدر سابق ص ١٠١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٢٧؛ خزعل، مرجع سابق ٢/١٦؛ الزركلي، شبه الجزيرة، مصدر سابق ١/٧٢؛ الصباح، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤٨/١٧٠ تاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ.

الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤/١٧٠ تاريخ ٤ رجب ١٣١٥هـ.

(٤) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٥؛

تناصره وتأييده في معركته، فلجأ إلى بريطانيا. وكان اختياره، دون غيرها من الدول الكبرى، عائداً بالدرجة الأولى إلى خبراته وثقافته ورؤيته السياسية ومصالحه الاقتصادية، المرتبطة بالهند وأسفاره المتكررة إليها، مدرِّكاً أهمية الدور البريطاني في المنطقة^(١).

واختلف الأمر مع الشيخ مبارك، حيث كان اندفاعه نحو بريطانيا لأسباب أخرى، أبرزها محاولة الدولة العثمانية وفرض سلطتها المباشرة على الكويت، خصوصاً في عهد حمدي باشا والي البصرة، الذي ناصبه العداء وقرر القضاء عليه. وحينها أنفق الشيخ مبارك أموالاً طائلةً ليحمي نفسه بها من تحركات حمدي باشا المعادية له، والمؤيدة لخصمه الشيخ يوسف. وفعلاً استطاع أعوانه ومؤيدوه من رجالات الدولة العثمانية بالبصرة وبغداد واسطنبول التأثير على الموقف العثماني الرسمي المؤيد له في البداية. وعلى الرغم من هذا التأثير إلا أن الدولة العلية لم تكن مطمئنة إلى ولائه لها^(٢)، وتخشى ممالأته للبريطانيين^(٣). في الوقت نفسه كان هو متخوفاً من السياسة العثمانية، لعدم ثباتها وسرعة تغير موقفها، الذي ينشأ عادة من حبك الدسائس، ومن فساد إدارة الحكم^(٤).

يرى حافظ وهبة، إن سبب عقد الشيخ مبارك معاهدة الحماية مع بريطانيا، هو ضغوط الشيخ يوسف وهجماته على الكويت، وقد يسهل أمر السيطرة على الكويت لموقف إمارة الرشيد والدولة العثمانية غير المريح للشيخ مبارك. فزاد من مخاوفه، التي دفعته لعقد اتفاقية الحماية^(٥). ومن الأسباب التي دعت الشيخ مبارك إلى اتخاذ هذا الموقف أيضاً، هو معرفته بالخطوات

(١) يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص ٢٠؛ Al Ghanim, op, cit, p43

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول أوراق يلديز متنوع Y.MTV رقم ٥٦ / ٢١٤ بتاريخ ١٢ مايو ١٣١٢ رومي؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول أوراق يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٨٦ / ٢٢٠ بتاريخ ٢٩ / ١١ / ١٣١٧ هـ؛ الرشيد: عبد العزيز، مصدر سابق ص ١٠٠؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق ص ٦٥؛ أرمسترو، مرجع سابق ص ٥٢؛ الزركلي، شبه الجزيرة...، مصدر سابق، ٧٢ / ١؛ الصباح، مرجع سابق، ص ٢٢٨؛

Whigham op.cit, p104, Rush, Al-Sabah, op, cit, p101, Jacob Goldberg, op, cit, p38

(٣) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢ / ٣١٣؛ سليمان محمود، مرجع سابق، ص ١٨٣..

(٤) سليمان محمود، مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٥) وهبة، مصدر سابق، ص ٢٤٢.

التي قام بها خصمه الشيخ يوسف وأبناء أخويه، باندفاعهم نحو بريطانيا طالبين مسانبتها^(١)، بما يعني نهايته، فقرر الخوض في غمار هذه التجربة، وكسب الموقف البريطاني قبلهم. فالشيخ مبارك يدرك أهمية ومكانة بريطانيا الدولية، باعتبارها القوة الاوحد بالمنطقة، وكان شاعراً بوضع الدولة العثمانية الحرج، وما تمر به من ضعف ووهن^(٢).

تسابق طرفا النزاع لكسب الموقف البريطاني، فقدم الشيخ يوسف نفسه للسلطات البريطانية العام ١٣١٤ هـ/١٨٩٧، وتقابل مع المستر جون كالكوت جاسكن JHON CALOTT GASKIN نائب المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، أثناء زيارته إلى البصرة، طالباً التدخل البريطاني ضد الشيخ مبارك، مقابل تعهد، في حالة نجاحه وأبناء الشيخين محمد وجراح القضاء على القرصنة في مياه الخليج المحيطة بالكويت^(٣). لكن هذا الطلب لم يجد قبولاً لدى جاسكن الذي احواله إلى القنصل البريطاني في البصرة، فلجأ الشيخ سعود ابن محمد ممثلاً لأبناء الشيخين محمد وجراح، بتوجيه من الشيخ يوسف، إلى عرض تفاصيل قضيتهم على القنصل البريطاني في البصرة الكابتن وايت CAPTAIN WHYTE^(٤)، فتقدم إليه طالباً وضع الكويت تحت الحماية البريطانية، إذا ما أعانته على طرد الشيخ مبارك وإعادته إلى الحكم، مما يعني عملياً تسليم مركز السلطة في الكويت للشيخ يوسف، مؤكداً إبداء فروض الطاعة والولاء للمطالب البريطانية في الكويت^(٥). فأبدى القنصل البريطاني تعاونه معهم، واعداً بالمساعدة اللازمة لإتمام المراد^(٦).

وبعودة سريعة إلى الأمس القريب، الذي واجهت فيه بريطانيا رفضاً

(١) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١؛ قاسم، مرجع سابق، ٢/٣١٤؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٢٨؛ لوريمر، دليل لخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٦؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٦٩.

(٢) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١١٢؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣١٤؛ الثنيان، مرجع سابق، ص ٢٣

(٣) Al Ghanim op., cit, p52

(٤) الذكير، مصدر سابق ص ١٠١، الخترش، مرجع سابق، ص ٢٨؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣١٤

(٥) الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٩؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٦؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٦) الذكير، مصدر مصدر سابق، ص ١٠١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٩.

قاطعاً من حكام الكويت - آباء هؤلاء الأبناء لأيي علاقات -^(١)، نجد أنّ بريطانيا بترقبها المتأنّي كانت تنتظر لجوء الطرف الخاسر في الجولة السابقة إليها، لا لتعمل على نصرته وتدخل في دائرة اللعبة السّياسية بالورقة الخاسرة، بل لتُرغم المنتصر ضمناً على تلبية مطالبها، وهذا ما تم فعلاً، وهو ما قامت به الدولة العثمانية أيضاً مع اختلاف بسيط في أصول اللعبة.

لم يهنأ الشيخ مبارك بفوزه في كسب الموقف العثماني طويلاً، فمع بداية دخول بريطانيا في القضية ازدادت مخاوفه من الأعمال التي يمكن أن يقوم بها الشيخ يوسف ضده، فخشى أن تأخذ هذه القضية بعداً سياسياً يؤدي إلى تجدد النزاع، وتوسع نطاق تداوله في أروقة السياسة الدولية مما قد يؤدي إلى تفجير الأوضاع في المنطقة بأكملها^(٢).

تحرك الشيخ مبارك لخوض غمار هذه الجولة الجديدة مبرزاً دهاءه على نحو يختلف عن تحركاته السابقة في كسب المواقف. قابل الكولونيل ميد (1897-1900) LT.COL.Malcolm Meade^(٣)، ولم يكتف في مفاوضاته معه بالرسائل والتوصيات، وبذل الأموال كما فعل سابقاً مع رجال الدولة العثمانية. بل طلب من صديقه الوكيل المحلي لبريطانيا في البحرين أغا محمد رحيم بالتوسط والتسريع لقبول طلبه بعقد الحماية^(٤). ونراه قد ركز خلال هذا التوجه الحثيث في محاولة إقناع المقيم البريطاني في بوشهر، على أساس أن شؤون الكويت مرتبطة به^(٥). لكن، الحكومة البريطانية فضلت التأيي بقبول العروض المقدمة من

(١) لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٢٨/٣؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٢٩؛ النويصر، مرجع سابق، ص ١٥؛ خزعل مرجع سابق، ١٩/٢

Rush, Al Sabah..., op, cit, p120, Jacob Goldberg, op, cit, p28

(٢) خزعل، مرجع سابق، ١٩/٢.

(٣) المقدم مالكولم جود ميد "المقيم السياسي البريطاني في بوشهر من الفترة ١٨٩٧ - ١٩٠٠م" (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣٩٢٦/٧)

(٤) الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٦٥٩/٢؛ خزعل، مرجع سابق، ١٩/٢؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٤٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٢؛ أغا محمد رحيم الوكيل المحلي البريطاني في البحرين وكان تاجراً إيرانياً في البحرين عين عام ١٨٩٣ لرعاية المواطنين البريطانيين الهنود.

(٥) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٤٩؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٣٦/٣

Al Ghanim, op, cit, p47

قبل طرفي النزاع، التي أمن لها أصحابها قضيتهم. وبعد دراسة مستفيضة للعروض أعلن الموقف البريطاني الرسمي رفض تلك الطلبات، وقررت أخذ جانب الحياد بعدم التدخل في الشأن الكويتي^(١). حيث كانت بريطانيا، إلى هذه الفترة، تتجنب التآزيم في شمال الخليج العربي، ولأن انشغالها في حروباً ثانية ضد قبائل الزولو وبعدها البوير في جنوب أفريقيا، وما دام أن الدولة العثمانية لا تزاحمها في مناطق نفوذها في جنوب الخليج العربي، وكانت حكومة الهند البريطانية قد اعترفت عام ١٣١٠هـ/١٨٩٣ بالسيادة العثمانية على شمال الخليج في المنطقة الممتدة من البصرة إلى القطيف^(٢).

هناك عوامل عديدة دفعت بريطانيا إلى اتخاذ موقف الحياد في شأن الكويت، منها:

- عدم رغبة الحكومة البريطانية في لندن الدخول في أي مواجهة مباشرة مع الحكومة العثمانية^(٣).
- المحافظة على الوضع الراهن في شمال الخليج، وخصوصاً الكويت، واعتبار شأن الكويت شأنًا عثمانيًا، وذلك للمحافظة على سلامة مياه الخليج^(٤).
- سيسبب عقد الحماية على الكويت الكثير من المشاكل للحكومة البريطانية مع الدولة العثمانية، في ما يتعلق بمسألة القبائل المجاورة للكويت، التي تحتاج إلى وجود قاعدة عسكرية لمواجهة مشاكلها، والحكومة البريطانية غير مستعدة لإيجاد قاعدة عسكرية ثابتة في الكويت^(٥).
- عدم إثارة الدول ذات المصالح والمطامح في المنطقة كألمانيا وروسيا فرنسا^(٦).

(١) سلدانيا، المصدر السابق، ص ٦٢؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٧ و ١٠٨
Al Ghanim, op, cit, p46, Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٢) جمال قاسم، مرجع سابق، ٣١٣/٢
Al Ghanim, op, cit, p47

(٣) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٥٨.

(٤) ويلسون، مصدر سابق ص ٤٠٤؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٠٨،

Jacob Goldberg Goldberg, op, cit, p36

(٥) Al Ghanim, op, cit, p50

(٦) ويلسون، مصدر سابق، ص ٤٠٤، لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ١٥٣٦/٣؛

جمال قاسم، المرجع نفسه ٣١٣/٢؛ سلدانيا تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٥٩؛ نوريه =

على أية حال، وبعد فشل جهود الشيخ مبارك في تحقيق غايته من طلب الحماية، بالطرق الدبلوماسية عبر القنوات الرسمية، عمد إلى استخدام الضغوط السياسية على الحكومة البريطانية، فكتب إلى صديقه الوكيل البريطاني المحلي في البحرين أغا محمد رحيم خطاباً عبر فيه عن رغبته في طلب الحماية الفارسية^(١)، كخطوة ضمن خطوات لاحقة للغرض نفسه. ونراها خطوة ذكية تنم عن في استيعاب أصول الدبلوماسية الدولية.

إلا أنه بعد رفض السلطات الفارسية لطلب الحماية، وذلك لضعفها وعجزها عن تحدي المصالح البريطانية في المنطقة^(٢)، أخذ الشيخ مبارك يتطلع إلى روسيا، فتودد إليها، وعبر عن رغبته في هذا الصدد لعقد معاهدة حماية معها، عبر رسالة أرسلها إلى القنصل الروسي في بغداد كرجلوف، موضحاً في رسالته طلب عقد معاهدة حماية على الكويت. وقد بين في رسالته شكواه من الدولة العثمانية وبريطانيا معاً، اللتان تدعمان خصمه الشيخ يوسف، وتؤيدان تحركاته ضده^(٣). كان رفض الحكومة الروسية واضحاً لطلب الشيخ مبارك، فأصدرت تعليمات صارمة لقنصلها في بغداد كرجلوف موضحة أسباب ذلك بتخوفها من تصعيد حدة الخلاف الدائر بينها وبين الحكومة البريطانية، وتأثر علاقاتهما في المنطقة، إضافة إلى شكوكها حول جدية نية الشيخ مبارك في طلب الحماية^(٤).

كما سعى الشيخ مبارك بالتقرب إلى فرنسا في هذا الشأن، في استمرار محاولاته بالضغط السياسي على الحكومة البريطانية حتى تلبي طلبه الملح^(٥).

= محمد الصالح، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦ - ١٩٠٢م، ذات السلاسل، الكويت ١٩٧٧، م، ص ٧٢؛ Al Ghanim, op, cit, p51.

(١) لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ١٥٣٦/٣؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٩٣؛ النجار، مرجع سابق ص ٧٥؛ نوريه الصالح، مرجع سابق ص ٧٢

(٢) لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ١٥٣٦/٣؛ سلدانيا، المصدر السابق ص ٩٣؛ النجار، المرجع السابق، ص ٧٥؛ الصالح: نوريه، مرجع سابق ص ٧٢ Fredrick Anscombe., op, cit, p169

(٣) رسالة من الشيخ مبارك إلى القنصل الروسي في بغداد كرجلوف يطلب فيها الحماية الروسية (انظر بوندار يفسكي مرجع سابق ص ٤٦٨)؛ الخصوصي، مرجع سابق، ١٥٨/٢.

(٤) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٥) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٢٧.

ثم اضطر إلى التلويح بآخر ما في جعبته من أوراق مهدداً في حالة عدم حصوله على حماية بريطانيا فإنه سوف يعقد الاتفاق مع الحكومة العثمانية، التي تسعى إلى إدخال الكويت تحت سيادتها المباشرة بإنشاء كتنة عسكرية في أرضها^(١).

هدفت محاولات الشيخ مبارك السابقة إلى الضغط على بريطانيا، وليس رغبةً في طلب الحماية من بلاد فارس أو روسيا أو فرنسا^(٢). وبعد عام أو أكثر من طرقت الشيخ مبارك والشيخ يوسف أبواب الحكومة البريطانية طلباً للحماية، اضطرت الحكومة البريطانية إلى مراجعة سياستها من جديد، فبدأت تغير موقفها حول مسألة الكويت، حيث توصلت في العام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩ إلى ضرورة التعجيل بعقد اتفاقية مع الشيخ مبارك، استجابة لرغبته السابقة^(٣). كانت الحكومة البريطانية مضطرة لعقد هذه الاتفاقية بسرية تامة. وبطبيعة الحال ليس لخشيتها من إثارة عداوة الدولة العثمانية وحدها، إنما خشيت الاصطدام مع كافة القوى الإقليمية والدولية الطامعة في سد الفراغ، بطريقة أو بأخرى^(٤).

ومن حينها بدأت الحكومة البريطانية في لندن تغير موقفها، بعد اهتمام موظفي الحكومة البريطانية في الهند بالأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية^(٥) للكويت. في غضون ذلك، كتب الكولونيل ميد المقيم السياسي في بوشهر، والمهتم بالشأن الكويتي تقريراً جاء فيه: "تمتلك الكويت ميناء رائعاً، وإذا دخلت تحت حمايتنا فسوف تصبح بلا شك من أكثر المواقع أهمية

(١) الخترش، مرجع سابق، ص ٥٩، Jacob Goldberg, op, cit, p36.

(٢) الخترش، مرجع سابق، ص ٥٩، Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٣) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٢٢٩؛ محمود، مرجع سابق، ص ١٨٥؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/٢٤٨؛ لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٢،

Rush, Al-Sabah, op, cit, p,120; Jacob Goldberg, op, cit, p37

(٤) لوريمر، المصدر نفسه، ٣/١٥٢٢؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/٢٨٤؛ قاسم، مرجع سابق، ٢/٣١٨ Jacob Goldberg, op, cit, p37, Rush, Al-Sabah, op, cit, p101

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٦٣/١٤٢ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق يلديز رسمي معروضات Y.A.RES 30/104 بتاريخ ١٧ أغسطس ١٣١٥؛ الخترش، مرجع سابق ص ٣٣؛ جمال قاسم، مرجع سابق ٢/٣١٤؛ أبو حاكمه، المرجع السابق، ص ٢٢٣؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي...، مصدر سابق، ص ٦٨ - ٦٩

في الخليج، أضف إلى ذلك أن إمكانية إقامة نهاية الخط الحديدي فيها، وهو الذي يمكن أن يمد في المستقبل من الإسكندرية أو بور سعيد، ويجعلنا في موقف يمكننا من حماية هذا الخط... وسوف تتلقى تجارة الرقيق وأيضاً القرصنة ضربة قاضية إذا دخلت الكويت تحت حمايتنا... " (١).

كان قلق حكومة الهند البريطانية، حول مسألة الكويت في البداية، نتيجة للتحركات العثمانية أثناء محاولة الشيخ يوسف آل إبراهيم والشيخ جاسم آل ثاني أواخر العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧، ولاعتقاد بريطانيا أن تجمع القوات العثمانية في البصرة كان بهدف إقصاء الشيخ مبارك، وفرض سيطرتها المباشرة على الكويت. لذا بدأت تقارير موظفي الحكومة البريطانية في الهند تركز على الإجراءات العثمانية، وتسعى لإيقافها (٢).

ومما زاد من مخاوف بريطانيا هو اكتشاف سفارتها في اسطنبول، بداية العام ١٣١٦هـ/أغسطس ١٨٩٨، مشروع كابنست (٣)، وحصولها على نسخة منه، والذي يقضي بدعم الحكومة الروسية في الحصول على حق امتياز من تشييد خط سكة حديد، من الدولة العثمانية، يمتد من البحر المتوسط حتى الكويت (٤). فأدركت بريطانيا حينها خطورة الوضع في حالة إنجاز هذا المشروع، مما يجعل لروسيا حقوقاً مشروعاً في الكويت، تعد تهديداً مباشراً لمركز بريطانيا ومصالحها المتقدمة في المنطقة (٥). كذلك أتضح للمسؤولين البريطانيين الدور الفرنسي في دعم هذا المشروع والإسهام في تمويله. وبالتالي، اعتبرت بريطانيا تحالف روسيا مع فرنسا جعل الأولى منافساً خطراً لها في المنطقة (٦).

- (١) الخترش، مرجع سابق، ص ٣٣
- (٢) الخترش، مرجع سابق، ص ٣٣؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٤؛ Al Ghanim, op, cit, p65
- (٣) الزركلي، شبه الجزيرة، مصدر سابق، ١/ ٧١؛ حسن الإبراهيم، مرجع سابق، ص ٥٩؛ أبو حاكمه، مرجع سابق ص ٣٢٣ Jacob Goldberg, op, cit, p37
- (٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٣٢؛ أبو حاكمه، المرجع السابق، ص ٣٢٣؛ سلدانيا، مصدر سابق، ص ٦٨ - ٦٩
- (٥) حسن الإبراهيم، مرجع سابق، ص ٥٩؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/ ٢٤٥.
- (٦) حسن الإبراهيم، المرجع نفسه، ص ٥٩؛ فسيليف، المرجع نفسه، ١/ ٢٤٥؛ قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٩؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/ ١٥٦؛ كورشون، العثمانيون وآل سعود، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

وربما أسفر المخطط الروسي، في نهاية المطاف، إلى بسط نفوذ روسيا على الكويت، في غياب أي نوع من الاتفاقيات التي قد تضمن مصالحها مع الشيخ مبارك^(١).

وعلى صعيد آخر، كانت الحكومة البريطانية تراقب النشاط الألماني بالمنطقة العثمانية بحذر، فبعد الاتفاق الألماني العثماني على إنشاء خط برلين بغداد، المنتهي بأراضٍ كويتية^(٢)، سعت بريطانيا لإحباط هذا المشروع المهدد لمصالحها في الخليج والهند. بينما كانت في بداية الأمر، غير مكترثة للنشاط الألماني، حيث تشير الدلائل إلى أنها كانت تخشى من الأطماع الروسية في المنطقة أكثر من الأطماع الألمانية^(٣).

لكن، اختيار ألمانيا الكويت نهاية لمشروعها قد اعتبرته بريطانيا تهديداً مباشراً لمصالحها في المنطقة، لذا قررت مواجهة التحديات الألمانية، والعمل على إحباط هذا المشروع. ولتحقيق ذلك، أسرعت بالاتصال بالشيخ مبارك لقطع أي اتصال له بالجانب الألماني^(٤). وفي الوقت نفسه، تم تعيين اللورد كيرزون Lord Curzon في منصب نائب الملك في الهند العام ١٣١٦هـ/١٨٩٨، وقد عرف عنه شدة عداته للروس والدولة العثمانية نتيجة عمله سفيراً في طهران قبل ذلك^(٥) فعمل من خلال استشرافه مستقبل الكويت وتأثيرها على مصالح بريطانيا المستقبلية، على تغيير موقف الحكومة في لندن. وتجلّى قلق كيرزون حول الكويت بقوله: "إنني أعتقد بأن أي اعتراف ضمني - وبالتالي أي تحقيق

(١) حسن إبراهيم، المرجع نفسه، ص ٥٩؛ فسيليف، المرجع نفسه، ١/٢٤٥؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣١٩؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/١٥٦؛ كورشون، العثمانيون وآل سعود، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز رسمي معروضات، Y.A.RES، رقم ٨٨/٤٠٢؛ لوريمر، دليل لخليج القسم التاريخي، مصدر سابق ١/٥٥١؛ فرج الله، مرجع سابق، ص ٢٤٥؛ إبراهيم أحمد، مرجع سابق، ص ٣٢٣؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/١٣٨؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/١٦٨؛ أرمسترو، مرجع سابق، ص ٥٢؛ Rush, Al-Sabah..., op, cit, p102.

(٣) الخصوصي، مرجع سابق ٢/١٦٨؛ حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص ٦١؛ الدوسري، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٤) الأسدي، مرجع سابق، ص ٢٢٥

(٥) حسن إبراهيم، مرجع سابق، ص ٥٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٢٨.

فعلي - لسلطة تركية أو أي سلطة أجنبية في الكويت قد يكون محفوفاً بالخطر على المصالح البريطانية في الخليج، ومن شأنه أن يسبب لنا المتاعب هناك، ذلك أنه بالرغم من أن تركيا لم تؤكد سلطتها فإنه يمكن لها أن تتخلى عن حقوقها التي تدعيها لفرقاء أو دول أخرى.. إنني أعتقد أنه ما زال أمامنا متسع من الوقت لتفادي أي خطر من هذا النوع، والذي أقترحه هو أن تمتد الحماية البريطانية في أقرب مناسبة إلى الكويت، وهذا ما طالب به شيوخها - الشيخ مبارك - دائماً لسنين عديدة وهم لا بد سرحبون بها على النحو الذي طبقت به في البحرين^(١). وكانت لهذه الآراء الدور الكبير في تغيير موقف الحكومة البريطانية حول مسألة الكويت وتسريعها لعقد معاهدة الحماية مع لشيخ مبارك. وبإيجاز كان وراء تغيير الموقف البريطاني الأسباب الآتية:

- ١ - امتلاك الكويت ميناء صالحاً للملاحة البحرية.
- ٢ - إن تصبح الكويت نهاية للخط البريطاني لسكة الحديد الممتد من شمال مصر.
- ٣ - للقضاء على تهريب السلاح وتجارة الرقيق.
- ٤ - إنهاء السيطرة العثمانية على الكويت.
- ٥ - قطع الطريق أمام القوى الاستعمارية - ألمانيا وروسيا - للسيطرة على الكويت.
- ٦ - تعيين اللورد كيرزون نائباً للملك بالهند وتأثير آرائه حول مسألة الكويت.

وهكذا، قررت الحكومة البريطانية عقد معاهدة الحماية مع الشيخ مبارك بناءً على طلبه، لتكون معاهده سرية. وقد وكلت المهمة للكولونيل ميد، ممثلاً عنها لابرامها، فتم ذلك في ١٠ رمضان العام ١٣١٦هـ/ ٢٣ يناير (كانون الثاني) ١٨٩٩^(٢). نص الاتفاق على موافقة الشيخ مبارك أن لا يؤجر أو يتنازل عن أي جزء من ممتلكاته لأي دولة أجنبية، من دون إذن من حكومة

(١) حسن الإبراهيم، مرجع سابق، ص - ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) ويلسون، مصدر سابق، ص ٤٠٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٣٣؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٢٢٠؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ١٢٥؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٢٨ - ١٢٩؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت...، مصدر سابق، ص ٧٢؛ Rush, Records, op, cit, p116, Jacob Goldberg, op, cit, p39

جلالة ملكة بريطانيا. وتعهدت بريطانيا بتقديم المساعدات المالية لتسهيل أموره، والعسكرية لحمايته من أي هجوم، وخصوصاً من جهة البحر^(١). واتفق الطرفان على تعيين وكيلاً محلي لها في الكويت، يبقى اسمه سراً حينها، ومهامه تكمن في نقل الأخبار، فعينت لهذه المهمة حجي علي بن غلام رضا ١٨٩٩/١٣١٦^(٢).

أعقب المعاهدة الام إتفاقيات عدة، ومن أهمها إتفاقية تحريم تجارة السلاح في محرم ١٣١٨هـ/مايو (أيار) ١٩٠٠، تعهد بموجبها الشيخ مبارك بعدم الاستمرار في تجارة الأسلحة في الخليج^(٣). ثم أعقبها الإتفاقية الثالثة في ذي الحجة ١٣٢١هـ/فبراير (شباط) ١٩٠٣، وتضمنت تعيين معتمد سياسي لبريطانيا في الكويت. فكان الكابتن ستيفارت جورج نوكس Captain Stuart George Knox أول وكيل سياسي بريطاني معتمد^(٤). ثم توالى الإتفاقيات، وكان آخرها إتفاقية ١٣٣١هـ/١٩١٣، التي حصلت بموجبها بريطانيا على امتياز التنقيب عن النفط لبريطانيا بالكويت^(٥).

نلاحظ مما سبق، تعدد المراحل التي مرت بها معاهدة الحماية البريطانية الشاملة على الكويت^(٦). وقد أشارت أغلب المراجع إلى أن هذه المعاهدة، وما

(١) ويلسون، مرجع سابق، ص ٤٠٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٣٣/٣؛ أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٢٢٠؛ الفرخان مرجع سابق، ص ١٢٥؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ خزعل، مرجع سابق، ٢ - ١٢٨ - ١٢٩؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت مصدر سابق، ص ٧٢؛ Rush, Records..., op, cit, p116; Jacob Goldberg, op, cit, p39

(٢) واستمر في منصبه إلى ١٣٢٢/١٩٠٤ حيث تم تعيين نوكس معتمداً سياسياً هناك. (لوريمر المصدر نفسه ٣٩٣٢/٧).

(٣) أبو حاكم، مرجع سابق ص ٣٢٩؛ نوفل، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

(٤) الرشيد، المصدر السابق ص ١٠٠؛ عسه، مرجع سابق ص ٤٦؛ أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٥) أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٣١؛ نوفل، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

(٦) ومن ناحية أخرى يؤكد "الشملان" أنه لم تُوقَّع معاهدة الحماية الرئيسية إلا بعد هزيمة الشيخ مبارك في معركة الصريف - أي سنة ١٣١٨هـ/١٩٠١ م - ، وبعد محاولة نفيه إلى خارج الكويت، عندما أرسلت السُلطات العثمانية مركب زحاف إلى الكويت لهذه المهمة، وأيضاً بعد محاولة الهجوم البري على الكويت من قِبَل قوات الأمير عبد العزيز الرشيد بدعم من الحكومة العثمانية، إضافة إلى ذلك يؤكد الشملان حالة القلق الدائم، وحالة الترقب المستمرة من قِبَل الشيخ مبارك لأي تحركات تهدد وضعه قد يقوم بها خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم (الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٧٧)

تبعها من اتفاقيات، لم تكن مفروضة على الشيخ مبارك من قِبَل الحكومة البريطانية، وإنما وقَّعها الشيخ مبارك بدافع الرغبة في تثبيت أركان حكمه، لذا اندفع نحوها بكامل إرادته^(١).

لقد أنهى الشيخ مبارك هذه المهمة لصالحه، وأضاف بنتائجها نجاحاً إلى سجل إنجازاته في هذا النزاع. وكان من أهم أسباب نجاحه:

- فشل الشيخ يوسف، وأبناء الشيخين محمد وجراح، في التحرك خارج ولاية البصرة، واعتمادهم على واليها حمدي باشا فلما تم عزله حصل فراغاً في تأييد مطالبهم. بينما اتجه الشيخ مبارك الى مشير بغداد رجب باشا فكان خير معين له بالاضافة الى تأييد من نقيب البصرة من خلال علاقاته بأبو الهدى الصيادي أحد المقربين الى السلطان عبدالحميد.
- تعزيز علاقته الشخصية بالمقيم السياسي البريطاني في بوشهر، الكولونيل ميد، وعزفه على الوتر الحساس الذي يراود الحلم البريطاني في فرض الحماية على الكويت، وذلك من خلال المفاوضات المباشرة التي لا تحتمل التسوية أو بذل الوعود المعسولة. ولم يأت اختيار الشيخ مبارك للكولونيل ميد اعتباطاً بل من واقع معرفة، فكان من أكثر الشخصيات البريطانية حماساً لنشر النشاط البريطاني في الخليج، ومن أكثر المعجبين بأراء اللورد كيرزون نائب الملك في الهند، المنادية بعقد المعاهدة. ومن جانب آخر، كانت شؤون الكويت مناعة خلال تلك الفترة، بالمقيم البريطاني في بوشهر، فجاء تصرف الشيخ مبارك باختياره هذا ينم عن حنكه، وفهم واستيعاب لطبيعة عمل وإدارة الحكومة البريطانية في الهند، وتوجهات موظفيها السياسية. ومن المحتمل أنه اكتسب هذه المعرفة والدراية أثناء اتصالاته الاولى بالكولونيل ويلسون قبل إغتياله أشقاءه عام ١٨٩٥م.
- قدرات الشيخ مبارك الشخصية على إقناع مفاوضيه بمطالبه، فقد أوضح أن هدفه هو تخفيف التوتر في المنطقة، ونشر السلام فيها. لذا جاء طلبه مسائراً ومؤيداً للسياسة البريطانية بالمنطقة، وهي الداعية إلى حفظ الأمن في مياه الخليج، ليكفل ازدهار تجارته. وبهذا وجد إعجاباً وتأييداً من قبل

(١) نوفل، مرجع سابق، ص ١٨٨؛ نوريه الصالح، مرجع سابق، ص ٧٢؛ بوندار فيسكي، مرجع سابق،

موظفي الحكومة البريطانية في المنطقة، وخاصة الكولونيل ميد، الذي شدد على قبول طلبات الشيخ مبارك في تقاريره المرسلة إلى نائب الملك بالهند كيرزون.

– حنكة الشيخ مبارك في استيعاب أصول اللعبة الدبلوماسية، فقد حوّل القضية إلى لعبة بين الكبار، مما أثار الحيرة في أروقة السياسة الدولية، وزاد التخبط في عشوائية تقارير الدبلوماسيين، وعملاء الدول الأجنبية. كذلك كشف عن عجز السلطات العثمانية في السيطرة على الأوضاع داخل الكويت وخارجها^(١). وبذلك نجح في إدارة اللعبة السياسية الكبرى حسب مبدأ "فرّق تَسُدُّ".

موقف الدول الكبرى من المعاهدة

بدأت الدولة العثمانية في مراجعة حساباتها بعد أن خالجتها الشكوك في ولاء الشيخ مبارك لها، وظهور الأقاويل حول مساعيه لعقد معاهدة حماية مع بريطانيا^(٢). لهذا قررت اتخاذ سياسة حازمة لفرض سيادتها المباشرة على الكويت^(٣)، وقامت بخطوات عدة لتحقيق تلك السياسة، متخذة عدة إجراءات: إعادة حمدي باشا إلى ولاية البصرة من جديد ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩، وأسندت له ملف المسألة الكويتية، ومُنح صلاحيات واسعة^(٤). وما هو معروف أن حمدي باشا كان يكن عداءً خاصاً للشيخ مبارك، منذ عهد ولايته السابقة، ويرى أنه كان وراء عزله عن ولاية البصرة^(٥). وما أن عاد والياً حتى أسرع باتخاذ

(١) Kucukl Cevdet, Kuveyt uzeerinde Osmanli- Ingiliz Mucaadelesi, Istanbul, 1989, P13

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٨٦/٢٢٠ تاريخ ١١/٢٩/١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز همايوني، رقم ٣٦٧٤ تاريخ ١٢ جمادي الأول/١٣١٩هـ؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٩١؛ القاسمي، مرجع سابق ص ٨٢؛ الزركلي، شبه لجزيرة، مصدر سابق ٧٢/١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٣٥؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣٢٦؛ مقال بعنوان شكوى إلى أمير المؤمنين، مجلة اللواء، ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠١م، السنة الأولى، العدد الخامس، ص ٣١٧٠.

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٩٩/٣٧ تاريخ ٢١ يناير ١٣١٥ رومي؛ لوريمر، المصدر السابق، ٣/١٥٣٥؛ ويلسون، مصدر سابق، ص ٤٠٥.

(٤) سلدانيا، المصدر السابق، ص ٨٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٨٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٧ Fredrick Anscombe., op, cit, p165

(٥) القاسمي، مرجع سابق، ص ٨٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٨٢؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص ٨٥.

سياسة حازمة في إدخال الكويت تحت السيادة العثمانية المباشرة، والقضاء على حكم الشيخ مبارك، وطرح للسلطات العثمانية الخطة التي رسمها لإنهاء المسألة الكويتية بإجراءات عديدة، منها:

- تسيير قوة عسكرية للسيطرة على الكويت.
- إقامة نظام قوي للحجر الصحي بالكويت.
- إقامة جمرك للكويت ووضع جنود عثمانيين فيه.
- تعيين مدير جمرك لميناء الكويت، من رجال حمدي باشا.
- مد خط للبرق من الفاو يمر بالكويت إلى القطيف^(١).

استمرت سياسة حمدي باشا العدائية ضد الشيخ مبارك، واستخدم قضية الأملاك التي رفعها سابقاً الشيخ يوسف وأبناء الشيخين محمد وجراح، بمحاولة إصدار حكم لصالحهم. ثم اقترح عزله، وتعيين أحد أبناء الشيخين محمد وجراح قائمقام على الكويت^(٢). ولمواجهة تلك الإجراءات طلب الشيخ مبارك المساعدة من بريطانيا، لضمان سلامته وسلامة أملاكه الزراعية بولاية البصرة^(٣). ومن طرفها قامت بريطانيا بتقديم إنذار للعثمانيين بعدم تغيير الوضع الراهن في الكويت، وعدم المساس بها^(٤)، في الوقت نفسه نفت بريطانيا للدولة العثمانية أي علاقة خاصة لها بالكويت، وليس لها سوى علاقة ودية مع شيخها^(٥).

(١) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٨٥؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٨؛ القاسمي، مرجع سابق، ٨٣ - ٩٨؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ص ٣٢٦؛ Fredrick Anscombe., op, cit, p168

(٢) القاسمي، مرجع سابق، ص ٩٣؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٧؛ جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/٣٢٦.

(٣) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٨٥؛ الخترش، المرجع السابق، ص ٣٧؛ قاسم، مرجع سابق، ص ٢/٣٢٦

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق يلديز همايوني، رقم ٤١٦٦ تاريخ ٦ جمادي الأول ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز معروضات Y.A.RES. رقم ٤٦/١١٤ بتاريخ ٢٧ جماد الأول ١٣١٩؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٩٠؛ الخترش، المرجع السابق ص ٣٨؛ جمال قاسم، المرجع السابق ٢/٣٢٦؛ القاسمي، المرجع السابق، ص ٩٤؛ لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٣٦؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٤١؛ منسي، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ Fredrick Anscombe., op, cit, p169, Bidwell, AK. Vol1.Part111.p22

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK، رقم ٤١٦٦/٢ تاريخ ٦ جمادي الأولى ١٣١٧هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٣٦؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٩١؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٨؛ نورية الصالح: =

وإثر الإنذار البريطاني أدرك العثمانيون عجزهم عن السيطرة على الكويت بالقوة^(١). فقرروا استخدام طرق وبدائل جديدة لحل المسألة الكويتية، لرفض شيوخ الكويت وأهلها منذ عهد نامق باشا ١٢٧٨ - ١٢٨٤هـ/١٨٦١ - ١٨٦٧ والى بغداد مسألة وجود سلطة عثمانية مباشرة على الكويت. إضافة إلى ذلك، لا تريد الدولة العثمانية مواجهة مباشرة مع بريطانيا، التي تبحث عن أي فرصة تستغلها للسيطرة على الكويت. وكان أول البدائل نهج سياسة الترغيب والإرضاء مع الشيخ مبارك. ولتحقيق هذه السياسة، عادت وعزلت حمدي باشا عن ولاية البصرة، وتعيين محسن باشا، صديق الشيخ مبارك، بدلاً منه على ولاية البصرة، وأخر ١٣١٦هـ/١٩٠٠^(٢) وبطبيعة الحال، كان لأصدقاء الشيخ مبارك أثر في توجيه الموقف العثماني الرسمي لتهدئة مسألة الكويت، وأبرز هؤلاء محسن باشا قائد الجيش بالبصرة، ومساعد والى البصرة، حيث شن حملة ضد سياسة حمدي باشا التي أعانت البريطانيين لتحقيق غايتهم في السيطرة على الكويت^(٣).

قام الوالي الجديد، محسن باشا، بإلغاء جميع الإجراءات السابقة، التي وضعها حمدي باشا حول مسألة الكويت^(٤). وعمل على تحسين صورة الشيخ مبارك لدى السلطات العثمانية، وتأكيد ولاءه للسلطان^(٥). وقيل تم ذلك برشوة من الشيخ مبارك^(٦). إلى جانب ذلك، عملت الدولة العثمانية على إقناع مبارك

= مرجع سابق، ص ٢٧٤؛ مستور الجابري، علاقة آل سعود بالدولة العثمانية ١٣٠٩ - ١٣٣٧ / ١٨٩١ - ١٩١٨، رسالة ماجستير (غير منشورة) بكلية اللغة العربية قسم التاريخ في القاهرة، ١٤٠٥/١٩٨٥، ص ٧٩.

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز رسمي معروضات Y.A.RES. رقم ١١٤/٤٦، تاريخ ٢٧ جماد الأول ١٣١٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٨

(٢) سلدانيا، المصدر السابق، ص ٩٥؛ الخترش، المرجع السابق، ص ٣٨؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١١٤؛ لوريمر، المصدر السابق، ١٥٣٦/٣ Fredrick Anscombe., op, cit, p171

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز معروضات Y.A.RES. رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٣ جماد الأول ١٣١٧، الأرشيف العثماني، اسطنبول؛ يلديز متنوع Y.MTV. رقم ٢١٤/٥٦ بتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي؛ القاسمي مرجع سابق ص وتذكر فتوح الخترش أن قرار عزل حمدي باشا جاء بطلب بريطاني ١١٤ (الخرش، مرجع سابق، ص ٣٨)

(٤) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، المصدر السابق ص ٩٥؛ الخترش، المرجع السابق ص ٣٨.

(٥) القاسمي، المرجع السابق، ص ١١٤ - ١١٦؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٦) Al Ghanim, op, cit, p67

بالبقاء على ولائه للسلطان، وتذكيره بهويته الإسلامية، وأهمية الروابط الدينية التي تربطه وأهل الكويت بالخليفة، وتحذيره من العواقب الوخيمة له وللكويت من إغواء الأجانب وخاصة بريطانيا، وسعت للحصول على اعتراف مكتوب منه بخضوعه وولائه للسلطان^(١).

اختير نقيب الإشراف بالبصرة رجب النقيب لمهمة التوجه إلى الشيخ مبارك. وفعلاً زار رجب الكويت مرات عديدة من أجل حث الشيخ مبارك على ولائه للسلطان، والابتعاد عن الأجانب وخصوصاً البريطانيين^(٢). فوقى مهمته، واستطاع الحصول على اعتراف من الشيخ مبارك بولائه للدولة، وعدم وجود أي تقارب بينه وبين البريطانيين^(٣). ونتيجة لذلك كوفى الشيخ مبارك بحصوله على لقب ميرميران، أي أمير الأمراء، وإعادة المستحقات المالية التي كانت تدفعها الدولة العثمانية لأسلافه الشيخين: عبد الله ومحمد آل صباح^(٤). ولتأكيد ولائه قام ببناء مسجد بالكويت أطلق عليه اسم السلطان عبد الحميد الثاني، والدعاء للخليفة فيه في صلاة الجمعة^(٥).

وفي خطوة لنشر الاستقرار بالمنطقة، سعت الدولة العثمانية لإنهاء

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة مجلس مخصوص I.M.M رقم ٧٨/١ بتاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٣/٦٢٢٩ تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٧٢١٦/٢ تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٥/٣٦٧٤ تاريخ ٢٢ جمادي الأول ١٣١٩هـ.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة مجلس مخصوص I.M.M رقم ٧٨/٥ تاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK، رقم ٨/٢٢٦٦ تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ٣٧/١٩٩ تاريخ ٣١ كانون الثاني ١٣١٥ رومي

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٤٨١٨ تاريخ ٣ شباط ١٣١٥ رومي؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، مضابط مجلس الوكلاء M.V، بدون رقم تاريخ ١٤ رجب ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول إرادة مالية I.MA رقم ٥/٢٤٠ تاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول إرادة مجلس مخصوص، رقم ٥/٧٨ تاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ.

(٥) الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٦٦/٤٤٦٦ تاريخ ٢٦ جمادي الأول ١٣١٨هـ. Fredrick Anscombe., op, cit, p171

الصراع بين الشيخ مبارك وخصمه الشيخ يوسف، الموجود في بومباي آنذاك، عندما قام تحسين باشا باشكاتب المابين الهمايوني بالطلب من الأمير عبد العزيز آل رشيد التوسط لإنهاء النزاع بينهما. وكان الهدف العثماني من وراء ذلك الأمر هو عدم إعطاء بريطانيا وغيرها من الدول الأجنبية فرصة الاستفادة من ذلك النزاع لتحقيق مصالحها^(١). لكن، بعد اكتشاف الدولة العثمانية حقيقة وصحة عقد بريطانيا معاهدة لحماية على الكويت، قررت من جديد القضاء على الشيخ مبارك، وقدمت احتجاجاً إلى الحكومة البريطانية لخرقها سياسة الوضع الراهن في الخليج^(٢)، وخرقها أيضاً للمعاهدة الثانية بينهما حول شأن الخليج العربي ١٣١٠هـ/١٨٩٣^(٣). ولم تعترف بالمعاهدة، وظل السلطان عبد الحميد الثاني متمسكاً بالكويت، ورافضاً أي تنازل للبريطانيين في الكويت^(٤).

وفي أثناء تواجد الشيخ يوسف في بومباي جاءت أخبار غير صحيحة في بداية عام ١٣١٧/١٩٠٠ تفيد أن الدولة العثمانية قد طلبت من أمير حائل الأمير عبد العزيز الرشيد دعم قضيته ضد الشيخ مبارك^(٥)، فعلى أثر ذلك قرر التوجه إلى حائل، على الرغم من محاولات كبار عائلة آل إبراهيم بالهند وخصوصاً الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم لثنيه عن الرحيل، والبقاء في بومباي، ومتابعة أعمالهم التجارية هناك. إلا أنه أصر على الذهاب، متعللاً بأنه لا يقدر على تسيير أمور التجارة، وأن ابن عمه الشيخ جاسم بن محمد آل إبراهيم هو الأقدر

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٨؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٩؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٣١؛ المنصور، الشيخ يوسف آل إبراهيم...، مرجع سابق، ص٤٠.

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المابين Y.PRK.PSK رقم ٢٢٣/٩٥ تاريخ ٢٥ نوفمبر ١٣١٧ رومي؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المابين Y.PRK.PSK رقم ١٣٢/٤٨٤ تاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المابين Y.PRK.PSK رقم ١٦٦/٢ تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧هـ؛ أبو حاكم، مرجع سابق ص٣١٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٦٨؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١/٥٧٢؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ص٣٢٩؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٩٨؛ ولسون، مصدر سابق، ٢/١٢٩
Fredrick Anscombe., op cit, p180; Jacob Goldberg, op, cit, p40; Al Ghanim op, cit, p54

(٣) جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/٣٢٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص٤٢؛
Fredrick Anscombe, op, cit, p180.

(٤) ميمونة الصباح، مرجع سابق، ١/٢٤٢؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٣٤.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٨؛ الذكر، مصدر سابق، ص١٤٦؛ الفرخان، مرجع سابق، ص٨٣.

في نظره على تحمل أعباء تجارة العائلة^(١). عاد الشيخ يوسف إلى ولاية البصرة العام ١٣١٧/١٩٠٠، وبعد وصوله لمقره بالدورة اتجه إلى الزبير، ومنها بعد مدة قصيرة قرر التوجه إلى مدينة حائل. فوصلها في مايو ١٩٠٠م.

خرج متخفياً، وليس معه سوى أربعة من حاشيته، حتى وصل عاصمة آل رشيد^(٢). ويذكر القناعي بأن زهاب الشيخ يوسف إلى حائل جاء بدعوة من أميرها عبد العزيز الرشيد^(٣). وهناك أنضم إليه رفاقه: الشيوخ مبارك العذبي آل صباح، وخالد وسعود أبناء الشيخ محمد^(٤). ويرى سلطان القاسمي أن سبب اتجاه الأبناء إلى حائل هو قيام محسن باشا والي البصرة بمحاولة القبض عليهم^(٥). وعند وصولهم استقبلهم الأمير عبد العزيز الرشيد بكل حفاوة وتقدير، معلناً دعمه للشيخ يوسف.

بدأ الشيخ يوسف يعد العدة من جديد لمجابهة الشيخ مبارك، فقام في البداية بمحاولة لكشف تقاربه مع الإنجليز، بهدف تأجيج الموقف العثماني الرسمي، والموقف الشعبي ضده، من خلال الضغط الإعلامي عبر وسائل الإعلام المتاحة آنذاك. حيث بدأ بمراسلة الصحف وخصوصاً جريدة ومجلة "اللواء" المصرية^(٦). وركز في مراسلاته على الشعور الوطني وهويته الإسلامية، وولائه لخليفة المسلمين في اسطنبول، وعمد إلى كشف ألعيب خصمه، وفضح ممارساته السيئة بنشر الفساد والرشوة بين موظفي الدولة العثمانية، لتحقيق مآربه.

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٨.

(٢) وصف عبد العزيز الرشيد طريقة تخفيه بأنه لبس ملابس بالية وأخذ معه بعض الجمال لرعيها بالطريق (الرشيد، المصدر السابق، ص ١٥٩)، وقد ذكر بونداريفسكي بأن يوسف لم يتجه لولاية البصرة بل اتجه لقطر ومنها خرج إلى حائل معتمداً على التقارير الروسية (بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٦١).

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٣٠.

(٤) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٦١؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٥٧.

Bidwell, AK, Vol11, Part11, P37

(٥) القاسمي، المرجع السابق، ص ١٣١.

(٦) اللواء: هي مطبوعة مصرية تصدر منها جريدة اللواء اليومية ومجلة اللواء وموضوعاتها مختلفة سياسية وأدبية واقتصادية وصاحبها مصطفى كامل بك. بدأت الإصدار للجريدة منذ عام ١٣١٧هـ/١٩٠٠م وأما المجلة فصدرت عام ١٣١٨هـ/١٩٠١م وتقع في شارع فهمي بجانب محطة باب اللوق.

كذلك ركز على تجارة تهريب الأسلحة التي يقوم بها الشيخ مبارك عن طريق الكويت، وبييعها لرجال القبائل في المنطقة، مما يساعد على نشر الفوضى الإخلال بالأمن. فكان لتلك المراسلات الأثر الواضح على الموقف العثماني، ووجدت صدئاً في المناطق العربية الواقعة تحت الحكم العثماني، والمؤيدة للسلطان^(١). ثم قام برفع شكوى إلى والي البصرة محسن باشا ضد الشيخ مبارك، واتهمه بالاستيلاء على أمواله وإحراقه للقرى التابعة له، ومنها الصبيّة^(٢) و الحجيجة والصابرية.

غير أن محسن باشا، ولصداقة مع الشيخ مبارك، أهمل هذه الشكوى، واحتفظ بها، ولم يرفعها إلى الباب العالي^(٣). ولما شعر الشيخ يوسف بالسلبية من شكواه، ضد خصمه الشيخ مبارك، قرر رفع الشكوى إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مباشرة. وعندها أمر السلطان والي البصرة محسن باشا بالتحقيق في أمر الشكوى، وإحضار الشيخ مبارك إلى البصرة للتحقيق معه. وعلى الرغم من إصدار قرار سلطاني بهذا الأمر، إلا أن محسن باشا لم ينفذ الأمر، بل بعث برسالة إلى السلطان العثماني ينكر فيها أمر الأموال، التي يدعيها الشيخ يوسف، وأن الشيخ يوسف هو من استولى على أموال شيخ الكويت، وودعها في حسابه لدى "أشقائه" في بومباي. أما بالنسبة للدعاء الآخر حول إحراق قراه فقال محسن باشا: لا أساس له من الصحة كليا. إذ إنه ليس لديه بجهات الكويت أية قرى أو أموال، وأن كل ما لديه هو قصر يتخذة حصناً خارج الكويت، ويقصد قصره بالصبيّة، الذي خربه الشيخ مبارك بعد هجومه على الكويت، أي الهجمة البحرية ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧^(٤).

أما ما يخص ألمانيا، فإنها حصلت على امتياز أولي لمد سكة حديد العام

(١) أنظر مقالة ((شكوى إلى أمير المؤمنين)) مجلة اللواء الجمعة ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠١م السنة الأولى العدد الخامس ص ٣١٧ وما بعدها، القاسمي، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مضابط مجلس الوكلاء M.V. رقم ٩٨/٥ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٣) القاسمي، المرجع السابق، ص ١١٩.

(٤) القاسمي، المرجع نفسه ملحق ١٠ قسم الملاحق، ص ص ١٢٠ - ١٢١. لا يوجد ليوسف أشقاء فهو وحيد أبيه - راجع باش أعيان موسوعة البصرة كان هناك قصور ونخيل في الحجيجة والصابرية وقطعان من الأبل والخراف ص ١٦٨ - ١٦٩.

١٨٩٩/١٣١٦، وهو المشروع الذي كانت تحلم بمداه من اسطنبول إلى الخليج، ماراً بالأناضول والعراق، ومنتهاً في الكويت، ولتحقيق ذلك طالب الألمان الحكومة العثمانية التخلّص من الشيخ مبارك^(١)، واستندوا في ذلك إلى أنه من رعايا السلطان العثماني، وأنّه استولى على الحكم بالقوة، وهم لن يعترفوا به أيضاً^(٢). فالأمر يتعلق بطبيعة الحال بالرغبة في تثبيت عمّا يخدم مصالحهم في الكويت^(٣). لاسيما وأن البديل الشيخ يوسف أخذ بالارتقاء في النزاع إلى درجات أعلى، وبإصرار لا يعرف الكلل والملل، إلى جانب كونه صاحب السلطة الفعلية على الورثة الشرعيين لحكم الكويت.

وبهذا الشأن قدمت الحكومة الألمانية إغراءات واضحة للدولة العثمانية، نظير التسهيلات التي سوف تحصل عليها لإقامة مشروعها الحديدي، وفي مقدمتها انفراد الدولة العثمانية في فرض سيطرتها على الكويت^(٤) وفي تلك الأثناء كانت الحكومة البريطانية مشغولة البال بالخطط الألمانية العثمانية لاستعادة الكويت، لوضعها تحت السيطرة العثمانية المباشرة^(٥). هذا وقد سبقت الإشارة إلى أن بريطانيا كانت أكثر تخوفاً من المصالح الروسية والفرنسية المتزايدة في المنطقة منها من المصالح الألمانية^(٦).

لم تكتشف ألمانيا أمر معاهدة الحماية على الكويت، إلا بعد ما أثاره السفير البريطاني في اسطنبول السير نيكولاس اوكونر^(٧). وكان موقفها الاحتجاج عليها، كغيرها من الدول التي لها مصالح في الكويت^(٨). وعادت

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٢٢٥؛ قاسم: جمال مرجع سابق، ٢/٣٢٠.

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٤١٦٦/٢ تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧؛ بوندار يفسكي مرجع سابق، ص ٢٢٥؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣٢٠.

(٣) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٢٢٥؛ جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/٣٢٠.

(٤) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٦٩.

(٥) الأسدي، مرجع سابق، ص ٢٢٦؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/٢٤٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٣ op, cit, P101 Rush, Al Sabah

(٦) حسن الإبراهيم، مرجع سابق، ص ٦١؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/١٦٨.

(٧) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٤١٦٦/٢ تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧.

(٨) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٨١؛ فرج الله، مرجع سابق، ص ١٤٢.

بعثتها المكلفة في الحصول على الامتياز سكة حديد بغداد إلى الكويت بخفي حنين، في العام التالي لتوقيع معاهدة الحماية السرية، في رمضان ١٣١٦ / ١٨٩٩^(١). كما جاء في مذكرة البارون رختوفن، نائب وزير خارجية ألمانيا، ما ترجمته: "إنه ليس من مصلحتنا حلول أية دولة أجنبية في الكويت، سواء أكانت بريطانيا أو روسيا"^(٢). فأعلنت عدم اعترافها بمطالب بريطانيا في الكويت^(٣)، وأنها لا تعترف إلا بالسيادة العثمانية^(٤).

وبهذا يكون الموقف الألماني داعماً للدولة العثمانية ومعادياً لبريطانيا، كما هو الموقف الروسي، مثلما سنرى لاحقاً. بل إن ألمانيا وروسيا كانتا على وفاق أيضاً في إثارة الدولة العثمانية ضد الشيخ مبارك^(٥)، وهذا يعني وقوف هذه القوى الثلاث في صف الشيخ يوسف بطريقة غير مباشرة، في إحدى مراحل النزاع بينه وبين الشيخ مبارك. ومن ناحية أخرى، أن المطامع الخاصة حالت دون وقوف هذه الدول في جبهة موحدة، تقف بها في وجه النفوذ البريطاني. بل العكس من ذلك كانت مصالح تلك الدولة متضاربة إلى حد كبير، فروسيا كانت تقوم بإحباط مخططات ألمانيا التي تنافسها في مشروع خط السكك الحديدية، وحالت دون حصولها على أية امتيازات على الأراضي الكويتية^(٦). وفي المقابل، وقفت ألمانيا إلى جانب بريطانيا في معارضة مشروع كابنست الروسي للسكك الحديدية^(٧)، وذلك بالرغم من معارضتها الصريحة لأي نفوذ بريطاني على الساحة الكويتية^(٨).

ويمكن إيجاز حصيلة الموقف الألماني على النحو التالي: خرجت ألمانيا من ميدان التنافس الفعلي على الكويت، نتيجة موقفها ضد كل من يعترض سبيل

(١) فسيليف، مرجع سابق، ١/٢٤٨.

(٢) الصباح، مرجع سابق، ١/٢٤٣.

(٣) الصباح، المرجع نفسه، ١/٢٤٣.

(٤) خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٣.

(٥) الدوسري، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٦) الدوسري، المرجع نفسه، ص ١٣٦؛ فرج الله، مرجع سابق، ص ١٤٠؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق،

ص ٤٧٣؛ ريزفان مصدر سابق، ص ٦.

(٧) الدوسري، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٨) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٨١؛ الصباح، مرجع سابق، ٢٤٣.

مصلحتها عدا الدولة العثمانية، مما أدى إلى عزلتها عن باقي القوى، وفي الوقت نفسه لم تتخذ موقفاً دبلوماسياً من النزاع، الذي أفرز هذا التنافس الدولي على الكويت. إذ لم تحاول كسب الشيخ مبارك إلى جانبها بقدر ما سعت إلى التخلص منه^(١)، ومن جانب آخر تبذرت تعاوناً مباشراً مع خصمه الشيخ يوسف. وربما كان تأثير توقيع معاهدة الحماية البريطانية على المصالح الألمانية أقل من تأثيره على المصالح الروسية، حيث تلاشت معها أطماع الأخيرة في الكويت إلى غير رجعة^(٢). لذا جاء احتجاج الحكومة الروسية قوياً، فلم توافق إطلاقاً على فرض الحماية المباشرة على الكويت، وعبرت عن رأيها حول هذا الأمر في عدة محاور، منها حالة السخط الكبير في أوساط الصحافة الروسية^(٣). وقامت بتصعيد حالة الاحتجاج هذه، وذلك باتهامها الحكومة البريطانية بخرقها لسياسة الوضع الراهن في الخليج، وسعيها للسيطرة على الكويت، وعلى حاكمها الشيخ مبارك^(٤). لأن ذلك لا يتفق مع قبول الأخير للتبعية المعلنة للدولة العثمانية، فالشيخ مبارك، كما سبق القول، لا يزال يحمل لقب قائمقام الكويت، ولم يعلن تخليه، أو يظهر عداؤه للدولة العثمانية^(٥).

لهذا شددت روسيا، في سبيل مصالحها، على تبعية الكويت للدولة العثمانية، في محاولة منها لقطع الطريق أمام الحكومة البريطانية، ومنعها من الانفراد بها، كما سعت جاهدة في عقد معاهدة حماية روسية مع الشيخ مبارك العام ١٣١٩هـ/١٩٠١، فلم يكتب لها النجاح^(٦). ويبدو أن رفض الشيخ مبارك لعقد مثل هذه المعاهدة كان نابغاً من تفضيل الارتباط بالحكومة البريطانية، صاحبة النفوذ الأقوى في المنطقة، على الرغم من تودده، في ما سبق، للحكومة الروسية، وتقدمه بطلب الحماية منها، لكن طلبه قوبل في حينه

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٢) جمال قاسم، مرجع سابق، ٣٣٩/٢.

(٣) الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ٢٨١؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ١٢٨؛ الدوسري،

مرجع سابق ١٥٧؛ الخصوصي، مرجع سابق، ١٥٧/٢.

(٤) جمال قاسم، مرجع سابق، ٣٣٩/٢.

(٥) جمال قاسم، المرجع السابق، ٣٣٩/٢؛ الدوسري، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٦) الدوسري، مرجع سابق، ص ١٥٨؛ الخصوصي، مرجع سابق، ١٥٧/٢.

بالرفض^(١). ويستنتج مما ذكر أن طبيعة المواقف الروسية في النزاع الدائر، بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، قد تميزت بعدم الثبات، إذ تقدم إليها الشيخ مبارك بطلب الحماية فرفضت. كذلك ناوتت بشدة فرض الحماية البريطانية على الكويت، بذريعة تبعية الشيخ مبارك للدولة العثمانية، لكنها تناست تلك الذريعة، فجاءت محاولاتها لاحقاً لعقد معاهدة حماية مع الشيخ مبارك.

وبالمثل لم تكن مواقف الشيخ مبارك تجاه روسيا ثابتة، فهي عندما طلب منها الحماية رفضت، وعندما عرضت عليه الحماية أبتى، ليبقى على ولائه لبريطانيا. ويبدو أن اتصالات الشيخ مبارك بالروس وغيرهم، كان غرضه استثارة بريطانيا لتسارع في عقد الحماية له، لأنها الأقوى نفوذاً في الخليج، والأكثر قدرة على مواجهة الدولة العثمانية، التي كانت دون شك تخشى الاصطدام معها. وبهذا يكون مصير المصالح الروسية في الكويت، كمنظيرتها الألمانية، هو عدم قدرتهما على كسب الشيخ مبارك إلى جانبهما، وذلك لتعاونهما مع الدولة العثمانية، وتحريضهما لها على إزاحته، إضافة لوقوفهما معاً ضد النفوذ البريطاني في الكويت من ناحية، ووقوف كل منهما ضد الأخرى.

وبناءً على المتغيرات المستمرة في مواقف الدول المتنافسة، على الساحة الكويتية، يتضح مدى تأثيرها في حلقة الصراع الدائر بين الشيخ مبارك، والشيخ يوسف. ويبدو واضحاً مدى الأثر الدبلوماسي للشيخ مبارك على الساحة الدولية مع كافة القوى المتنافسة على مصالحها في الكويت، وقدرته على توظيف التنافس الأوروبي لما يخدمه. وفي المقابل نلمس غياباً واضحاً للشيخ يوسف، حيث لم يستفد من مواقف الدول المعادية لخصمه في بعض أو كل المراحل، حيث لم يحاول - حسب اطلاعنا - إجراء أي اتصالات دبلوماسية مع هذه الدول حول علاقة آنية، أو مستقبلية. ومن جانبها أيضاً لم تقم تلك الدول بأي مبادرة للاتصال بالشيخ يوسف، على الرغم من الاهتمام الواضح به وخصوصاً ما ورد في التقارير الروسية، وبهذا لم تستفد منه كورقه ضغط ضد الشيخ مبارك. إلا أن مواقفها بشكل عام كانت ذات أثر واضح في دائرة النزاع بين الشيخين.

(١) الخصوصي، مرجع سابق، ١٥٨/٢؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٤٦٨؛

الفصل الرابع

تطور الصراع بين الطرفين إلى عام ١٣٢٣هـ

- ١ - الشيخ يوسف آل إبراهيم في حائل وتطور الصراع
- ٢ - معركة الصريف - الطرفية - ١٣١٨هـ/١٩٠١
- ٣ - أسباب انتصار الأمير عبد العزيز الرشيد
- ٤ - حقيقة الدور البريطاني والعثماني في معركة الصريف
- ٥ - تأزم موقف مبارك بعد معركة الصريف
- ٦ - نشاط الشيخ يوسف آل إبراهيم خلال عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢
- ٧ - حملة الشيخ يوسف آل إبراهيم البحرية - (الثانية) - على الكويت
- ٨ - عودة الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى حائل
- ٩ - وفاة الشيخ يوسف وأثره على سياسة مبارك الصباح

الفصل الرابع تطور الصراع بين الطرفين إلى عام ١٣٢٣هـ

الشيخ يوسف في حائل

تولى الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد إمارة نجد العام ١٣١٥/١٨٩٧ خلفاً لعمه الأمير محمد بن عبد الله الرشيد ١٢٨٩ - ١٣١٥هـ/١٨٧٢ - ١٨٩٧. وورث عنه علاقة العداء مع شيخ الكويت مبارك الصباح، فعمد على تطبيق وصية عمه المحرصة ضد الأخير^(١) وبعد وصول الشيخ يوسف لعاصمة الرشيد حائل العام ١٣١٧هـ/مايو ١٩٠٠^(٢)، استقبله أميرها عبد العزيز استقبالاً حافلاً، ووعده بنصرة قضيته. وما أن حل الشيخ يوسف بحائل حتى احتل مكانه كبيرة لدى الأمير عبد العزيز الرشيد، وقد وصف لوريمر هذه المكانة بقوله: "ويبدو أنه أصبح الساعد الأيمن في سنة ١٩٠٠"^(٣).

ويذكر القناعي أن قدوم الشيخ يوسف جاء بدعوة، وطلب من الأمير عبد العزيز الرشيد^(٤). ومن الطبيعي أن الشيخ مبارك لم يبد ارتياحاً لانتقال إمارة نجد إلى الأمير عبد العزيز الرشيد^(٥)، لكنه كان منشغلاً بعدو ماهر، عدو قوي قريب، ضاعف عليه المشاكل، ولم يدع له وقتاً يتفرغ فيه لسواه^(٦). ولما علم الشيخ مبارك بوصول الشيخ خصمه إلى حائل أيقن أن الحرب واقعته لا محالة

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٩ - ١٦٠

(٢) الناصر، مصدر سابق، ورقة ٤٩؛ ونكر العبد المحسن أن قدومه لحائل كان في عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م (العبد المحسن، مرجع سابق، ١/٣١٢).

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر السابق، ٣/١٥٣٩

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص ٣٠

(٥) خزعل، مرجع سابق، ٢/٣١؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٩؛ الفرخان مرجع سابق، ص ٨٣، Saldnha, Historical Memorandum Oman on The Relations of the Wahabi Amirs Ibn Saud With Eastren Arabia AND the British Government, 1800 - 1934 p 43

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٠؛ جبار عبيد، مرجع سابق، ص ١٠٨؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٨٣

بينه وبين الأمير عبد العزيز الرشيد^(١)، فركز جهوده على رسم خطط لفك التحالف، ولما فشلت جهوده أيقن أن تأزم الوضع سيؤول حتماً إلى تحكيم السيف^(٢).

ولتسليط الضوء على تطور هذه الأحداث: أسبابها ونتائجها، ومن ثم تأثيرها في النزاع المسلح بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، نستقصي في ما يلي دواعي المواجهة.

كان الشيخ مبارك طامعاً في أن يكون سيد الجزيرة العربية، خصوصاً بعد شعوره بأن مركزه يدعمه تحقيق معاهدة الحماية مع بريطانيا^(٣). وهنا استغل لجوء أمير سعودي إلى إمارته، كورقه رابحه، يمكن أن يعزز بها أنشطته السياسية في شؤون الجزيرة العربية^(٤). وكان الأمير عبد العزيز الرشيد هو المنافس العنيد، الذي يقف عقبة في طريق طموحه الكبير من ناحية، وعائقاً لرغبته في تأمين طرق الحجاج والتجارة عبر نجد، خلال معبر الكويت، من أعمال النهب والسلب المستمرة. وبكسر شوكة ابن رشيد يستطيع تحقيق طموحه الكبير بالسيطرة على أكبر مساحه ممكنه من الجزيرة العربية، وخصوصاً منطقة القصيم وسدير من نجد. إضافة إلى رغبته في تحقيق مشاريعه الاقتصادية التوسعية في نجد بإنعاش الحركة التجارية وتنمية مواردها^(٥).

كذلك لم يكن الأمير عبد العزيز الرشيد أقل طموحاً من الشيخ مبارك، حيث عرف عنه العزم واستخدام القوة في تعامله السياسي^(٦)، فلم يكن في موقف

(١) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص، ١٦٠؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٤٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص٣٠؛ حسني، مصدر سابق، ص١٤٤؛ Saldanha, op, cit, P43

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٩

(٣) الخترش، مرجع سابق، ص٥٥ Rush, Al-Sabah, op, cit, p102

(٤) فيليبي، مرجع سابق، ص ٢٧٣؛ خزعل مرجع سابق ٢/٤٠؛ Fredrick Anscombe., op, cit, p 173

(٥) خزعل، مرجع سابق ٢/٤٠؛ محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الله العثيمين ط ١ " ١٩٨٢م (د - ن)، ص٣٧؛ نوريه الصالح مرجع سابق ص ٣٢؛ الزعاريير مرجع سابق ص ١٢٩

(٦) كورشون، السعوديون، مرجع سابق ص٢٥٥؛ ودادخضير الشتيوي، موقف الدولة العثمانية من آل سعود - ١٨٩١-١٩١٤، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة البصرة، البصرة ١٤١٠، ١٩٨٩/٥، ص٣٣؛ السعودون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٢٤؛ Fredrick Anscombe., op, cit, p172

المدافع لصد الهجوم حسب، بل كان يطمح أيضاً للاستيلاء على الكويت ليؤمن بذلك منفذاً بحرياً إستراتيجياً على الخليج العربي^(١)، أو على أقل تقدير أن يكون حاكم الكويت مالياً له، بعد أن أغلق الشيخ مبارك ميناء الكويت في وجه أمارة الرشيد، ومنع تصدير الأسلحة وغيرها من الكويت إلى أنحاء نجد^(٢).

على أية حال، أن إقامة الأمام عبد الرحمن الفيصل تحت رعاية وضيافة الشيخ مبارك في الكويت، لوحدها، كانت سبباً كافياً لإثارة عداة الأمير عبد العزيز الرشيد^(٣). لاسيما مع ما أبداه الشيخ مبارك للإمام عبد الرحمن وابنه الأمير عبد العزيز من روح حماسية لاستعادة ملكهم، واهتمامهما بإطلاع الشيخ مبارك على الرسائل الواردة من أكابر نجد ووجهائها، وعلى رأسهم آل الشيخ^(٤)، والشيخ محمد آل سليم^(٥)، وما تحويه تلك الرسائل من استنهاض لهمته، وما تحمله من دعم معنوي يحثه لاسترداد دولته^(٦). وقد توجس الأمير عبد العزيز الرشيد خيفة من خطورة الأوضاع الناجمة من ذلك التأييد، والمؤازرة من جانب أهالي نجد، وعلى الجانب الآخر وجد الشيخ مبارك بتبنيه قضية آل سعود فرصة حقيقية لتحقيق طموحاته التوسعية^(٧).

يقابل ذلك لجوء الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى حائل، كمؤشر قوي لاشتعال

(١) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٢؛ الزركلي، الوجيز...، مصدر سابق، ص ٢٢؛ نوريه الصالح، مرجع سابق، ص ٣٣
Fredrick Anscombe, op, cit, p173

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ٣/ ١٧٠٠؛ كورشون، المرجع السابق، ص ٢٥٥؛ وليمسون، مرجع سابق، ص ٤٠٣

(٣) التويجري، مرجع سابق، ص ٩٣؛ الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم التكريتي، مركز دراسات الخليج، البصرة ١٩٨٩ م، ٢/ ٢٠١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٠؛ حسني، مصدر سابق، ص ١٤٤؛ أبا حسين، مرجع سابق، ص ٤٣؛ Bidwell, Soldanha, op, cit, p43; Fredrick Anscombe., op, cit. p17 و A.K.Voll.Part11, p63

(٤) آل شيخ: أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(٥) الشيخ محمد آل سليم: من أهالي القصيم ومن كبار علماء ومشايخ نجد في عصره، أعلن وقوفه إلى جانب آل سعود وبدأ يشجعهم ويحرضهم لاستعادة ملكهم ويحرض سكان نجد للانضمام لقوات مبارك القادمة لمحاربة ابن رشيد (العبيد، مصدر سابق، ورقة رقم ٤٢)

(٦) لوريمر، دليل الخليج لتاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٦٩٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٤٠؛ السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، مرجع سابق، ص ٤٥؛ الزعاري، مرجع سابق، ص ١٢٩؛ الزركلي، الوجيز؛ . مصدر سابق ص ٢٢؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ١٠٧؛ Fredrick Anscombe., op, cit, p 172

(٧) لوريمر، دليل الخليج لتاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٦٩٦؛ خزعل مرجع سابق، ٢/ ٤٠؛ السعدون، =

فقتيل الأزيمة بين الطرفين، الشيخ مبارك والأمير عبد العزيز الرشيد^(١). كان مبارك يسعى إلى التخلص من مضايقات خصمه، التي أقلقته كثيراً وحدثت من تحركاته الطموحة في بسط سيطرته على نجد. لاسيما أن تحالف الأخير مع ابن رشيد أمر لا يستهان به، فكلاهما يسعى لإزاحته عن حكم الكويت. لذا ركز على إبعاد الشيخ يوسف عن حائل، عبر مفوضات مع ابن رشيد، إلا أن الأخير رفض ذلك محتجاً بوجود خصومه آل سعود لاجئون في الكويت^(٢).

بدأ طرفا النزاع في تقوية موقفهما وتنظيم صفوفهما، بضم أكبر عدد من الحلفاء لجانبيهم، لضمان كسب المواجهة المنتظرة بينهما. بدءاً بالبحث عن حلفاء، فعمد الشيخ مبارك إلى تشكيل تحالف قوي مع عدة قوى إقليمية مجاورة، بدأهما بمراسلة الشيخ سعدون زعيم قبيلة المنتفق في العراق، محرصاً على محاربة ابن رشيد والانضمام إلى جانبه ضده. ولم يتردد سعدون في قبول هذا العرض، نتيجة للعداء بين قبيلة المنتفق والأمير عبد العزيز بن رشيد، فوجد في هذا التحالف فرصة لتحسين وضعه المادي من خلال عائدات الحروب^(٣).

ومن جانب آخر أعلن مبارك دعمه لقضية آل سعود، ومساندتهم لاستعادة ملكهم، فاستبشر الإمام عبد الرحمن وابنه الأمير عبد العزيز أملاً في هذه الخطوة الهامة في استرداد إمارة نجد، فقام الإمام عبد الرحمن بجمع قوته الصغيرة والمكونة من أنصاره من أهالي نجد اللاجئيين في الكويت^(٤)، زاعماً أن هذه القوة

= المرجع السابق، ص ٤٥؛ الزعاري، مرجع سابق، ص ١٢٩؛ الزركلي، الوجيز...، مصدر سابق، ص ٢٢؛
سلدانيا، تاريخ الكويت...، مرجع سابق، ص ١٠٧ Fredrick Anscombe., op, cit, p 172

(١) خزعل، مرجع سابق، ٢/٤٠؛ السعدون، خالد، العلاقات، مرجع سابق، ص ٤٥، لوريمر، مصدر سابق، ٣/١٦٩٦؛ الزعاري، مرجع سابق، ص ١٢٩؛ الزركلي، الوجيز مرجع سابق ص ٢٢، سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مرجع سابق، ص ١٠٧ Fredrick Anscombe, op, cit, p 172

(٢) الذكر، مصدر سابق، ص ١٤٦

(٣) الذكر، مصدر سابق، ص ١٤٧؛ الريحاني، تاريخ نجد...، مصدر سابق، ص ١١٧؛ ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة ٤٩؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٦٤ - ١٦٥؛ فسليف، مرجع سابق، ١/٢٤٩؛ بن هذلول: سعود، تاريخ ملوك آل سعود، قدم له وأشرف عليه: محمد العبودي، مطابع الرياض، الرياض ١٣٨٠، هـ/١٩٦١م، ص ٥٤؛ المختار مرجع سابق ٢/٢٠. Bidwell, A.K.Voll. part11. ٢٠٠٥
١٩٠٥ p63 Fo 371/149 تقرير مطول يتحدث عن النشاط التركي في الكويت ديسمبر

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٦٩٧؛ عبيد: جبار، مرجع سابق، ص ١٠٩؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ١/٣١٥؛ الريحاني، تاريخ نجد...، مصدر سابق، ص ١١٧؛ الدخيل، القول السديد...، مصدر سابق ص ١٥٢؛ سلدانيا، تاريخ الكويت...، مصدر سابق، ص ١٠٧

تعتبر صغيرة من حيث الحجم والعدد، إلا أنها قوة ذات تأثير كبير. لأن دخول هذه القوة شريكاً للشيخ مبارك وحلفائه تعطيهم الشرعية التي تخولهم الهجوم على بلاد نجد هذا من جانب^(١). ومن جانب آخر فأب الشيخ مبارك يدرك ما لآل سعود من مؤيدين ومناصرين في نجد، لم ينقطعوا عن مراسلاتهم المطالبة بسرعة القدوم، والعودة للإمام عبد الرحمن ومن معه في الكويت^(٢). قال بوند أريفسكي معتمداً على التقارير الروسية: إنه في العام ١٣١٨/١٩٠٠ ((اجتمع مبارك ممثلاً عن الكويت، وعبد الرحمن عن السعوديين، وسعدون باشا عن المنتفق، واقسم ثلاثتهم على المصحف بالنصر على ابن رشيد أو الموت معاً))^(٣).

أما الحلف الآخر، فكان الاتفاق بين الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم، ومؤيديه اللاجئين إلى حائل، على السعي من أجل تحقيق هدفهم المشترك، وهو الاستيلاء على الكويت، وإزالة مبارك عن السلطة. ولتقوية مركزهم قام ابن رشيد والشيخ يوسف بالاتصال بشيخ قطر جاسم آل ثاني، ودعوته إلى الانضمام لحلفهم، فقرر الدخول معهم حليفاً^(٤).

هذا من الناحية السياسية، أما من الناحية الاقتصادية فقد كان الأمير عبد العزيز الرشيد يعاني من أزمة حرجة، تمثلت في صعوبة توفير الأسلحة، بعد أن أغلقت الكويت ميناءها في وجه إمارته، فكان عليه الاعتماد على الدولة العثمانية، ممثلة في والي البصرة من أجل توفير الأسلحة. ويتطلب هذا السبيل فترة طويلة من الانتظار، حتى يتم توفير الكمية المطلوبة^(٥). لكن، بعد قدوم الشيخ يوسف خففت حدة هذه الأزمة، بعد أن تكفل بتوفير الأسلحة المطلوبة، ذلك لما استخدم

(١) العبد المحسن المرجع السابق ٣١٥/١٠؛ السعدون، العلاقات مرجع سابق ص ٤٥؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٥٥

Kumar Ram Nandan, India And the Persian Gulf Region, Bombay, 1965 p195

(٢) العبد المحسن المرجع السابق ٣١٥/١؛ العبيد، مصدر سابق، ورق ٤٢؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص ١٠٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٤٠/٢

(٣) بوندار يفكسي، مرجع سابق، ص ١٦٦

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٣١/١٢٠ بتاريخ ٤ يوليو ١٣١٨ رومي؛ حسني، مصدر سابق، ص ١٦٤؛ موزل، مصدر سابق، ص ٥٧٤؛ السبيعي، الأمن، ... مرجع سابق، ص ٢١٢ - ٢١٣؛ جبار عبيد، مرجع سابق، ص ١٤٤

Bidwell, A.K.Voll. park111. p28.

(٥) لوريمر، القسم التاريخي، مصدر سابق، ١٧٣٥ - ١٧٣٦؛ موزل، مصدر سابق، ص ٥٧٣؛ الزعاري، مرجع سابق، ص ١٢٨.

قدراته المادية ونفوذ آل إبراهيم في بلاد الهند. وقد قامت الأسرة ممثلة بالشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم بشراء الأسلحة، وإرسالها إلى إمارة نجد عن طريق قطر، وبدوره أرسلها الشيخ جاسم آل ثاني إلى حائل من دون تأخير^(١).

إلى جانب ذلك، قام الشيخ يوسف بتقديم دعم مادي وصل إلى عشرة آلاف ليره عثمانية، وبشراء ألف جمل وسيلة نقل لقوات إمارة نجد^(٢). أزال هذا الدعم المالي الكبير، الذي قدمه الشيخ يوسف للأمير ابن رشيد، الكثير من العقبات التي كانت وراء تأخير التحرك ضد الكويت. وذكر لوريمر: كانت إمارة آل رشيد تعاني من ضائقة مالية في هذه الفترة^(٣). يؤكد هذا الأمر، من جديد، على قدرة الشيخ يوسف الاقتصادية، التي لم تتأثر بانشغاله الكامل بإدارة النزاع. تلك كانت الأوضاع قبيل معركة الصريف، فقد كان الأمير عبد العزيز الرشيد حريصاً على مواجهة أعدائه ومنتظرها بشغف، بمساندة الشيخ يوسف، الذي أقنعه بقضيته.

وميدانياً، كثفت قبائل شمر التابعة للأمير عبد العزيز الرشيد الغارات على أطراف الكويت، بهدف الاستيلاء على القوافل التجارية الخارجة منها^(٤). وسبقت الإشارة إلى أن الشيخ مبارك كان مشغولاً، من قبل ذلك، عن الأمير عبد العزيز الرشيد بعدو ماهر دائب الحركة والتربص. لكن، بوصول الشيخ يوسف إلى حائل أصبحت المواجهة أكثر وضوحاً لدى الشيخ مبارك، وبذلك تكون الفرصة سانحة للقضاء على خصميه: الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف في ساحة واحدة^(٥).

بدأ الشيخ مبارك يعد العدة للمواجهة، فقام بشراء الأسلحة في البداية

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول متنوع Y.MTV رقم ٢٢١/١٢٠ بتاريخ ١٤ يونيو ١٣١٨ رومي؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦/٣٧٣٥؛ موزل، مصدر سابق، ص ٥٧٤؛ حسني، مصدر سابق، ص ١٦٤؛ Rush, Records, op, cit, p173

(٢) الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٨؛ إن قيمة الجمل في تلك الفترة تساوي بحدود عشر ليرات عثمانية أي ما يعني أن قيمة هذه الصفقة بحدود عشرة آلاف ليرة عثمانية ويصبح بذلك المبلغ الذي قدمه عشرون ألف ليرة عثمانية خلال المرحلة الأولى من الصراع الكويتي النجدي.

(٣) لوريمر، المصدر السابق، ٣/١٧٣٥،

(٤) لوريمر، مصدر سابق ٣/١٥٣٩؛ الزركلي، شبه الجزيرة...، مصدر سابق، ١/٧٣؛ ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة ٤٩

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦١؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٨٤

لتسليح قواته، ومن معه من أهالي نجد في الكويت^(١). وبعدها قرر شن الغارات على أراضي ابن رشيد، داعياً أنصاره للوفاء بالتزاماتهم في هذه المهمة، القائمة على الهجمات السريعة المتنوعة، وفي أكثر من موقع لتشتيت ذهن الخصم وأضعافه اقتصادياً^(٢). وفي ٢٧ جماد الآخر ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ سیر قوة بقيادة أخيه حمود الصباح، يساعده ابنه سالم بن مبارك آل صباح للهجوم على إحدى قبائل شمر التابعة لإمارة الرشيد في الرخيمية^(٣)، وأسفر الهجوم عن استيلاء القوة الكويتية على الكثير من الأموال والالاف من الإبل والأغنام^(٤).

كما كلف الإمام عبد الرحمن الفيصل بالإغارة على بلاد نجد، تزامناً مع غارة الرخيمية في منتصف السنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠، فخرج عبد الرحمن بقوة جلهم من اللاجئين النجديين في الكويت، وقام بشن غارة على مجموعة من قبيلة قحطان التابعة لإمارة الرشيد بالقرب من روضة سدير^(٥). حققت القوة الأخيرة نجاحاً وحصلت على غنائم عديدة^(٦). ويعود نجاح الإمام عبد الرحمن، في هذه الغارة على الرغم من قلة قوته، في الدرجة الأولى إلى ضعف المدافعين وقلة عددهم، حيث كانوا لا يتجاوزون الأربعين منزلاً في روضة سدير^(٧).

- (١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ٢٢٦/٦١؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٦٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦/٣٧٣٥
- (٢) ارسترونج، مرجع سابق، ص ٥٠، العثيمين: عبدالله، تاريخ المملكة العربية السعودية، العبيكان، الرياض "ط ٤" ١٩٩٨/١٤١٩، ٣٨/٢؛ حسني، مصدر سابق، ص ١٤٤
- (٣) الرخيمية: تقع الرخيمية في شمال شرق السعودية في المنطقة المحايدة بين السعودية والعراق، شمال الحفر وهي من هجر الظفير وتكثر فيها آبار المياه. في فترة البحث كان يقطنها ابن طوالة وجماعته من قبيلة شمر(الjasر، المنطقة الشرقية...، مرجع سابق، ٢/٧٤٩)
- (٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦١؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٣٢/٢
- (٥) روضة سدير: قرية من قرى سدير التابعة لمنطقة الرياض ويقطنها مجموعة من قبائل بني تميم وقحطان والدواسر وتكثر فيها آبار المياه (الjasر، المعجم مرجع سابق ٣/١٤٢١؛ لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مرجع سابق، ٦/٢٠٨٠).
- (٦) ويلسون، مصدر سابق، ص ٤٢٥؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٤؛ فلبلي، مصدر سابق، ص ٢٧٣؛ فسليف، مرجع سابق، ١/٢٤٩؛ العثيمين، مرجع سابق، ٢/٣٧؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/٣١٦؛ رسالة من الوكيل الأخبار بالكويت لمساعدة المقيم في الكويت بتاريخ ٤/٩/١٩٠٠ (نقلاً عن الدائرة، ص ١٨٢)؛ Bidwell, A.K.Voll.Part11. P47
- (٧) لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٦/٢٠٨٠

وفي أثناء خروج الإمام عبد الرحمن قام مبارك بمناورة سياسة عليها تخرجه من هذه الأزمة، التي تهدده والمتمثلة في الشيخ يوسف نفسه، فأرسل إلى الأمير عبد العزيز بن رشيد يطلب منه عقد الصلح، وإبعاد يوسف عن إمارة حائل، فاشتراط الأمير عبد العزيز إخراج اللاجئيين من أهالي نجد، وعلى رأسهم الأمام عبد الرحمن. وافق الشيخ مبارك على شرط ابن رشيد فأرسل من يخبر الإمام عبد الرحمن عن تعذر دخوله الكويت، نتيجةً للاتفاقية التي عقدها مع ابن رشيد^(١).

ولا غرابة في موقف الشيخ مبارك من عبد الرحمن الفيصل إذا علمنا أنه كان: شديد البأس، كثير الثقلب، فيه شيء من الأسد، وأشياء من الحرباء... وذكر بأنه لقب بالحواقه وهو السير عكس الخط المستقيم^(٢). فكان للشيخ مبارك في ذلك التغير مآرب سياسية لدفع الحرب عنه، والاستعداد لها في الوقت نفسه^(٣). ولم يجد الأمام عبد الرحمن، ومن معه، بداً من التوجه إلى قبيلة العجمان بأطراف الكويت، فاستقروا في مضاربها بانتظار ما ستسفر عنه الأحداث^(٤). وها هي قد أسفرت بعد فترة قصيرة جداً عن رفض الأمير عبد العزيز الرشيد الصلح، من جديد، فليس بينهما سوى السيف حكماً، بعد أن اكتشف أن الداعم لحملة الأمام عبد الرحمن هو الشيخ مبارك^(٥). ونتيجة لذلك لم يجد الأخير أمامه سوى استدعاء الإمام عبد الرحمن على وجه السرعة إلى الكويت، للتخطيط من جديد ضد عدوهم المشترك ابن رشيد وحليفه الشيخ يوسف^(٦). وفي التوقيت نفسه قام سعدون شيخ المنتفق بالإغارة على بعض القبائل الواقعة تحت سلطة ابن الرشيد في شمال نجد^(٧).

قربت تلك الغارات مسافة المواجهة وعمقت القطيعة كلياً بين الفريقين^(٨)،

-
- (١) الذكر، مصدر سابق، ص ١٤٦
(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١٠٩
(٣) الريحاني، المصدر السابق، ص ١١٦؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ٣١٦/١
(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١٤٦
(٥) الذكر، ر مصدر سابق، ص ١٤٦
(٦) الذكر، المصدر السابق، ص ١٤٦؛ الريحاني، المصدر السابق، ص ١١٨
(٧) المختار، مرجع سابق، ٢/٢٦؛ السعدون، العلاقات بين نجد والكويت...، مرجع سابق، ص ٤٧؛
النبهاني، مرجع سابق، ٤٤٦،
Fredrick Anscombe., opcit, p173
(٨) القناعي، مصدر سابق، ص ٣٠،
Fredrick Anscombe., op, cit, P172

ليبدأ التوتر الفعلي بين الكويت وحائل منذ منتصف السنة ١٣١٨هـ ونهاية ١٩٠٠^(١)، كما قربت المعركة الكبرى في الصريف. ذلك لأمر يأتي في مقدمتها تشجيع الشيخ يوسف آل إبراهيم لعبد العزيز الرشيد بالهجوم على الكويت^(٢).

قرر الأمير عبد العزيز الرشيد المبادرة بمواجهة الشيخ مبارك وحلفائه، مفضلاً منازلة كل منهم على حدة، فقام بحشد قوة من رجاله تتألف من ١٥٠٠ مقاتل^(٣). ولهذا الغرض، اتجه ومعه الشيخ يوسف في منتصف العام ١٣١٨هـ/أواخر السنة ١٩٠٠ إلى جهة قضاء السماوة جنوبي العراق، وكانت خطته، مثلما تقدم، قائمة على توجيه ضربه لخصومه كلاً على انفراد، حتى لا يعطيهم فرصة لتجميع قواتهم، فقرر مواجهة سعدون في البداية بهدف تأديبه من جهة، ومن أجل حماية خطوط تموينه عبر طريق جنوبي العراق من جهة أخرى، وكذلك ليقضي على أقوى حلفاء مبارك^(٤).

وبعد أن علم مبارك بخروج ابن رشيد توقع أن يكون هو المقصود بهذا الهجوم، فجهز قواته وعسكر في الجهراء منتظراً^(٥). لكن، قوات ابن رشيد اتجهت إلى قضاء السماوة، وهاجمت قبائل المنتفق وحلفاءهم من قبيلة الضفير^(٦). فأتخن فيهم الجراح، واستولى على غنائم كثيرة، وقام بمطاردة قوات سعدون شيخ المنتفق، التي تراجعت جراء تلك الهزيمة إلى داخل الأراضي العراقية العثمانية وعبر نهر الفرات^(٧). بينما ووصلت قوات ابن رشيد إلى قضاء سوق

(١) عبد العزيز الرشيد مصدر سابق، ص ١٦١

(٢) ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٨ Fredrick Anscombe., op, cit, P172

(٣) بوندار يفكسي، مرجع سابق ص١٦٨؛ وقدرها بدويل بأضعاف هذا الرقم بأكثر من ست مرات بقوله بأنها حوالي عشرة آلاف مقاتل؛ وزاد محسن باشا والى البصرة على رقم بدويل بتقرير بأن عدد قوات ابن رشيد وصلت إلى خمسة عشرة آلاف مقاتل. ولعل هذا الأرقام مبالغاً فيها (القاسمي، مرجع سابق ص ١٢٢؛ Bidwell, A.K. vol 1. Part11. P60).

(٤) خزعل، مرجع سابق ٢/٣٥؛ السعدون، المرجع السابق، ص٤٨؛ جبار عبيد، مرجع سابق ص١١٠؛ وندار يفكسي، مرجع سابق، ص١٦٨

(٥) يوسف البسام، مرجع سابق، ص٢٦٧؛ الخترش، مرجع سابق، ص٥٥؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٣٩، Bidwell. A.K. Vol1. Part11. P60

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٦١؛ الحجى، مصدر سابق، ص ٦؛ البسام، المصدر السابق، ص ٢٦٨؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/٣٥

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز خاص Y.A.HUS رقم ٤١١/١٣٤ بتاريخ ٢ و٥ رجب =

الشيوخ^(١). وانتقلت بعدها إلى موقع آخر ناحية الخميسية^(٢)، بعد أن علم بأن السعدون أخفى ثروته من قطعان الإبل في هذا الموقع^(٣).

حاصر الأمير ابن رشيد قوات سعدون في الخميسية^(٤)، حتى طلب الأخير النجدة والنصرة من حليفه الشيخ مبارك، فلبى دعوته وتوجه بقواته إلى منطقة الخميسية^(٥)، مع ترك قوة ترابط بالجھراء والصبيّة. يصل عدد هذه القوة إلى اثني عشر ألف مقاتل «٩٠٠٠ فارس، و٣٠٠٠ مشاة»^(٦). ولعل هناك مبالغة في هذا الرقم. ويتضح من هذا التقسيم للقوة المدافعة عن الكويت، بين الجھراء والصبيّة، هو تخوف مبارك من توجه قوات ابن رشيد إلى الكويت أثناء غيابه، وإمكانية استخدام أرض الصبيّة، معقل الشيخ يوسف آل إبراهيم السابق، مدخلاً للسيطرة على الكويت. وكادت المواجهة الكبرى تحصل في الأراضي العراقية. غير أن الدولة العثمانية مارست نفوذها على الطرفين لإنهاء الأزمة، وفعالاً نجحت عن طريق والي البصرة محسن باشا من السيطرة على الوضع، ومنع الاصطدام بين الطرفين^(٧).

= ١٣١٨؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٨٩؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص ٢٨٦

(١) سوق الشيوخ: يقع قضاء سوق الشيوخ على الضفة اليمنى لنهر الفرات في جنوبي العراق وأسسّه ثويني ال محمدجد الأسرة السعد ونية وهي بلد زراعي ويزرع فيها الأرز (التمن) والذرة والحنطة والسمسّم والشعير ويصنع أهلها حياكة الأعبية. (انظر القشعمي مرجع سابق ص ٢٥١ وما بعدها)

(٢) الخميسية: ناحية تابعة لقضاء سوق الشيوخ وتقع في لواء المنتفق - في فترة هذا البحث - جنوب الفرات وسميت بهذا الاسم نسبة لعبد الله الخميس من أهالي القصيم، وأطلق عليها المؤرخ سليمان الدخيل لقب لؤلؤة البرية (انظر القشعمي، المرجع السابق، ص ٢٤٥ وما بعدها).

(٣) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٦٨

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز معروضات خصوصية، Y.A.HUS برقم ٤١١/١٣٤ وتاريخ ٢ و ٥ و ١٢ و ١٤ رجب ١٣١٨هـ؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٧؛ فيلبي، مرجع سابق، ص ٢٧٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٣٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٢٣؛ يوسف، البسام، مرجع سابق، ص ٢٨٦

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز معروضات خصوصية، Y.A.HUS برقم ٤١١/١٣٤ وتاريخ ٢ و ٥ و ١٢ و ١٤ رجب ١٣١٨هـ؛ الريحاني، تاريخ نجد مصدر سابق ص ١١٧؛ فيلبي، مرجع سابق ص ٢٧٦؛ خزعل مرجع سابق ٢/٣٥؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١٢٣؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص ٢٨٦؛ السعدون، العلاقات بين نجد، مرجع سابق، ص ٤٨

(٦) الخترش، مرجع سابق، ص ٥٥

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV برقم ٢٣٤/١٠١ وبتاريخ؛ الأرشيف =

أما ردود أفعال القوى العظمى، خلال هذه الأزمة وما سبقها من هجمات وغارات، فكانت في مجملها متفاوتة لا لشيء سوى تأزم الأوضاع في المنطقة، وتعدد الأمور وتداخلها. كان موقف الدولة العثمانية في هذه الفترة غير واضح المعالم، ولم يتخذ موقفاً رسمياً ثابتاً، إنما تركت لموظفيها، في ولايتي بغداد والبصرة، حرية التصرف لإنهاء الأزمة. وهناك ما يشير إلى أن الدولة العثمانية، حتى هذه الفترة، كانت حريصة على نشر الهدوء في المنطقة، وخصوصاً في الكويت، بعد ظهور البلبلية حول صحة معاهدة الحماية البريطانية عليها، والتي كانت إلى هذه الفترة سرية^(١).

حاول الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف، أثناء الأزمة، كسب الموقف العثماني الرسمي لجانبهما. فقبيل تبادل الهجمات طلب الشيخ يوسف من والي البصرة الحصول على عفو عثماني سلطاني عنه، وقد توسط الأمير عبد العزيز بن رشيد لدى محسن باشا في ذلك الأمر. لكن، بحكم الصداقة التي كانت تربط محسن باشا بالشيخ مبارك، واتخاذة أيضاً موقفاً معادياً من الشيخ يوسف، تعذر قبول الطلب^(٢). فما كان من الشيخ يوسف إلا رفع طلبه إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مباشرة، يطلب الصفح والعفو عنه بواسطة الأمير عبد العزيز الرشيد^(٣). وفي الوقت نفسه قام الشيخ يوسف بمحاولة كسب موقف ولاية بغداد، لدعم موقفه وموقف حليفة الأمير ابن رشيد، فأرسل وفداً من قبله للتفاوض مع قائد الفيلق السادس ببغداد المشير أحمد فيضي باشا^(٤)، محاولاً استمالته لصفهم في هذه الأزمة، وأن يسعى

= العثماني، اسطنبول، يلدز معروضات خصوصية Y.A.HUS برقم ٤١١/١٣٤ وتاريخ ١٤ رجب ١٣١٨هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٠؛ الحجي، مصدر سابق، ص ٥؛ خزل، مرجع سابق، ٢/٣٦؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٨؛ أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٢١٢؛ Bidwell, A.K. Voll. Part11. P60, Fredrick Anscombe., op, cit, p173

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV. رقم ١٩٩/٣٧ بتاريخ ٣١/كانون الثاني ١٣١٥ رومي؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع Y.MTV. رقم ١٩٤/١١٤ بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، يلدز همايوني Y.PRk.Bsk رقم ٢١٦/٤ بتاريخ ١/رمضان ١٣١٧هـ

(٢) القاسمي، مرجع سابق، ص ١٢٢

(٣) القاسمي، مرجع سابق، ص ١٢٧

(٤) أحمد فيضي باشا: عين لمنصب مشيرية الجيش السادس ببغداد خلفا للمشير رجب باشا الذي نقل =

بالخير لإقناع السلطان بالاستيلاء على الكويت. وقد وعده الشيخ يوسف في حالة إقناعه للباب العالي بهدية قدرها عشرة آلاف ليرة عثمانية^(١).

وبعد تطور الأزمة، ووصول قوات ابن الرشيد إلى الخميسية، قررت السلطات العثمانية التدخل المباشر، فتحرّكت ومارست نفوذها على الطرفين فأرسلت قوة عثمانية بقيادة اللواء محمد الداغستاني^(٢)، من قبل ولاية بغداد لتمنع اشتباك الطرفين^(٣). وأرسل محسن باشا والي البصرة بدوره مفوضي سلام من قبله لطرفي الصراع، فتوجه السيد أحمد النقيب^(٤) أخو نقيب البصرة وطالب باشا بن رجب النقيب، وتمكنا من إقناع الأمير عبد العزيز الرشيد بوقف القتال، والعدول عن الاستمرار بالهجوم على خصومه^(٥). تراجع الأخير عن التوجه إلى السماوة، وبعث منها برقية إلى السلطان عبد الحميد في ٢٣ رجب ١٣١٨هـ/ ١٦ نوفمبر ١٩٠٠ أكد فيها طاعته وخضوعه وإلتزامه بالأوامر السلطانية، مع مطالبته بمعاينة سعدون واسترداد ما سلبه من القبائل التابعة له.

وامتثالاً لأمر الدولة العلية، منع ابن الرشيد كلاً من الشيخ يوسف آل

= إلى قيادة فرقة طرابلس في شهر صفر ١٣١٦هـ وكان فيضي مشيراً للجيش السابع ووالي لليمن وتسلم مهام عمله في بغداد في ربيع الآخر من سنة ١٣١٦هـ. (الغزوي، مرجع سابق، ٨/ ١٣٠

(١) القاسمي، مرجع سابق، ص - ص ١٦٩ - ١٧٧؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٢٣٣؛ ونكر بوندار يفسكي أن اسم المشير هو أحمد فوزي ولعله خطأ بالترجمة والصحيح أحمد فيضي باشا (بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٦٢)

(٢) اللواء محمد فاضل باشا الداغستاني: من قبائل الججن من داغستان هاجرت إلى مناطق العراق في عام ١٨٦٠ وقربهم مدحت باشا في عهد ولايته وأسند لهم مناصب في الجيش وأعطى محمد فاضل منصب مهماً في الجيش واشتهر محمد فاضل باشا بحروبه وعهدت إليه وكالة ولاية بغداد مرات عديدة، وكانت له شعبية لدى أهالي بغداد ووصل إلى رتبة فريق واستشهد في أحد المعارك الحربية ضد الإنجليز في ٦ جمادي الأولى ١٣٣٤ (انظر الغزوي، مرجع سابق، ٨/ ١٧ - ٢٩٧ - ٢٩٨).

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٣؛ السعدون، العلاقات...؛ مرجع سابق، ص ٥٠؛ الحجى، مصدر سابق، ص ٦، Bidwell, A.K. Voll. Part11. P62

(٤) أحمد النقيب: ابن السيد محمد سعيد آل طالب وهو أحد أخوه رجب النقيب - نقيب البصرة - ولعب دور كبير في عهد أخيه رجب النقيب وخاصة في قضية مسألة أملاك آل صباح في ولاية البصرة، وكان من المقربين للشيخ مبارك (انظر الشلاة، مرجع سابق، ص ٧٤ - وما بعدها

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٣٩؛ السعدون، العلاقات...؛ مرجع سابق، ص ٥٠؛ الحجى، مصدر سابق، ص ٦ Bidwell, A.K. Voll. Part11. P62

إبراهيم وخالد بن محمد الصباح وجاسم آل ثاني من التحرك ضد أعدائهم، حتى تنظر السلطات العثمانية في تحصيل حقوقهم. وأظهر عبد العزيز في رسالته إمكانياته وقدراته في القضاء على مبارك الصباح وسعدون المنتفق الرافضين للامتثال لأوامر الدولة العلية، متى ما سمحت له الدولة في ذلك^(١) كذلك أمر السلطان عبد الحميد الثاني قريبه كاظم باشا^(٢) بالتوجه إلى الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم، للتوسط لإنهاء الأزمة، وحينها تعهد له ابن الرشيد بالتوقف عن العمل الهجومي. بعدها عاد الأمير إلى نجد^(٣). وإلى جانب ذلك كانت لكاظم باشا مهمة أخرى وهي التوسط بين مبارك وأبناء أخيه، وإنهاء مشكلة الإرث حول أملاك آل صباح في ولاية البصرة^(٤).

وما يخص تحالف الشيخ مبارك، أقنع محسن باشا والي البصرة شيخ المنتفق سعدون بالاختفاء من مسرح الأحداث، حتى تهدأ الأوضاع^(٥)، وأرسل إلى مبارك الصباح يطالبه بالتوقف والانسحاب إلى الكويت هو ومن معه من قوات، وطلب مقابلته بالقرب من الزبير^(٦)، وتمكن الوالي من إقناع صديقه مبارك، خلال هذه المقابلة، بزيارة البصرة، وهي أول زيارة للولاية له منذ استيلائه على الحكم في الكويت^(٧). وبهذه الزيارة أنهى محسن باشا كل الشكوك حول ولاء الشيخ مبارك للسلطان العثماني، حيث جدد الولاء في مقر

(١) القاسمي، مرجع سابق، ص ١٢٥ - ١٢٦

(٢) كاظم باشا: صهر السلطان عبد الحميد الثاني، وقد قام السلطان عبد الحميد بإبعاده عن اسطنبول فعينه قائد للخباله في الفيالق السادس ببغداد وكان يتولى الوكالة لبعض الولاة وله أملاك كثيرة في بغداد وقصور فخمة وذا ثروة طائلة (العزاوي، مرجع سابق، ١٥١/٨)

(٣) القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣٧؛ الحجى، مصدر سابق، ص ٦ - ٧.

(٤) القاسمي، المرجع نفسه، ص ١٢٧

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٤٠/٣؛ سلدانيا، تاريخ لكويت السياسي، مرجع سابق، ص ١١٣، Bidwell, A.K. Vol1. Part111. P4

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز خصوصي معروضات Y.A.HUS برقم ٤١٤/٥٤ بتاريخ ١٨ جمادي الثانية ١٣١٨هـ؛ لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٠/٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٣٦/٢؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٥٠؛ البسام: يوسف، مرجع سابق، ص ١٦٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٥٦؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ١١١

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز خصوصي معروضات Y. A.HUS برقم ٤١٤/٥٤ بتاريخ ١٨ جمادي الثانية ١٣١٨هـ؛ لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٠/٣.

الوالي بالبصرة، وبهذا نال وساماً رفيعاً في شهر جمادى الثانية ١٣١٨ / أكتوبر ١٩٠٠، وعاد بعدها إلى الكويت^(١).

لقد دعمت هذه الزيارة السيادة العثمانية على الكويت، وبددت الشكوك في صحة معاهدة الحماية البريطانية. على اعتبار أنها إشاعة مغرضة من قبل خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم^(٢). وبنجاح مساعيه السليمة مع الشيخ مبارك، لإدخال الكويت تحت السيادة العثمانية المباشرة^(٣)، رفع والي البصرة محسن باشا من مكانته لدى الباب العالي، من دون أن يترك دعم موقف مبارك واستمرار التشكيك في ولاء عدوه الشيخ يوسف، ومحاولاته لربط الجهود الدبلوماسية البريطانية، في هذا النزاع، بدعم موقف الأخير، الذي استقر فترة في بومباي، قبل قدومه إلى حائل، وصرح محسن باشا بأن يوسف مع الإنجليز بقلبه، ويستمتع لنصيحتهم عن طيب خاطر^(٤).

وهكذا، أتضح الموقف العثماني الرسمي حول الأزمة، والسعي لإنهائها بتحويل والي البصرة. وخلافاً لما تقدم، وردت روايات مفادها: أن الدولة العثمانية كانت تسعى للقضاء على سلطة الشيخ مبارك في الكويت، وذلك بتحريض الأمير عبد العزيز الرشيد وحليفه الشيخ يوسف آل إبراهيم لتحقيق هذه الغاية^(٥).

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز خصوصي معروضات Y.A.HUS برقم ٥٤ / ٤١٤ بتاريخ ١٨ جمادى الثانية ١٣١٨ هـ؛ خزعل مرجع سابق ٢ / ٣٦؛ لوريمر، المصدر السابق ٣ / ١٥٤٠؛ السعدون، المرجع السابق، ص ٥١؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص ١١٢، Jacob Golderg, op, cit, p39

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز خصوصي معروضات Y.A.HUS برقم ٥٤ / ٤١٤ وتاريخ ١٨ جمادى الثانية ١٣١٨ هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٣ / ١٥٤٠؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٥٦؛ سلدانيا تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق ص ٢١١؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٧٣

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز خصوصي معروضات Y.A.HUS برقم ٥٤ / ٤١٤ وتاريخ ١٨ جمادى الثانية ١٣١٨ هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣ / ١٥٤٠؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٥٦؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٢١١؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٧٣ / 149 Fo 371

(٤) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، السفارة في الإستانة، ملف ١٢٤٤، ورقة ٢٩٠ (نقلًا عن بوندار يفسكي مرجع سابق ص ١٧٣ و ١٧٤)

(٥) جمال قاسم، مرجع سابق ٢ / ٣٢٨؛ ديكسون، مصدر سابق، ص ٣٠؛ فيليبي، مصدر سابق، ص ٣٧٧؛ الريحاني، تاريخ نجد...، مصدر سابق، ص ١١٧؛ موزل، مصدر سابق، ص ٥٧٤؛ المختار، مرجع سابق ٢ / ٢٥؛ عسه، مرجع سابق ص ٤٦؛ وهبة مصدر سابق ص ٩٩

بعد التعرف على مساعي الدولة العثمانية، نجد في الموقف البريطاني ما يتواءم مع تلك المساعي للحيلولة دون تفاقم الأزمة، عندما بعثت الدولة البريطانية إلى الشيخ مبارك طالبة وقف الهجوم على بلاد ابن رشيد، خشية من اندفاع الدولة العثمانية إلى التدخل في شؤون الكويت^(١)، عندما قرر اللورد سالسبوري إيفاد المقيم البريطاني في بوشهر كمبول LT.COL.Charles Arnold Kemball (1900-1904) إلى الكويت لتقصي صحة المعلومات والأوضاع هناك، وتقديم النصح للشيخ مبارك^(٢). وكإجراء احترازي قررت السلطات البريطانية في الهند إرسال سفينة بحرية لإيواء شيخ الكويت مبارك في حالة سيطرة قوات ابن رشيد على الكويت^(٣)، إلى جانب تحذير القنصل البريطاني في البصرة راتسلو لابن الرشيد من مهاجمة الكويت^(٤). غير أن الشيخ مبارك اعتذر من الامتثال لنصائح الجانب البريطاني، طالما بقي الشيخ يوسف في نجد، وقيامه بتحريض أميرها ضده^(٥).

وعلى صعيد آخر، حاول راتسلو قنصل بريطانيا بالبصرة اغتنام فرصة وجود الشيخ مبارك فيها، ضمن مساعي محسن باشا لحل الأزمة، لعقد صلح بين مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، تحت إشراف والي البصرة، لكن الأخير اعتذر لصعوبة إقناع الطرفين للصلح^(٦). ويعتقد كرجلوف، قنصل روسيا في بغداد، بأن رفض محسن باشا لهذا الاقتراح لأنه كان موجهاً لتعزيز النفوذ البريطاني الداعم للشيخ يوسف. ويرى كرجلوف بأن هذا الدعم ليوسف بهدف ((الضغط على الشيخ مبارك ليستجير بهم، ويلقي نفسه في أحضانهم فور تعرضه لأية ضغوط من الأتراك أو ابن الرشيد^(٧))).

(١) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق ص ١١٠؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ١٥٤١/٣، Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P45

(٢) سلدانيا، المصدر السابق، ص ١١٠؛ Fo371 / 149 وتقرير بريطاني مطول عن النشاط التركي في الكويت بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٠٥هـ، Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P47, Kumar, op, cit, p145

(٣) سلدانيا، المصدر السابق، ص ١١٠.. Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P47, Kumar, op, cit, p55,

(٤) Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P55, Fo371 / 149

(٥) سلدانيا، المصدر السابق، ص ١١٦، عبيد: جبار، مرجع سابق، ص ١١٤ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٢٧، الخترش، مرجع سابق، ص ٥٦؛ Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P63, Fo371 / 149

(٦) أرشيف السياسة للخارجية لروسيا ((السفارة في الإستانة)) الملف ١٢٤٤ ورقة ٢٨٨ (نقلًا عن بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٧٣)

(٧) المرجع نفسه

بيد أن واقع الحل، اختلف حيث أن الشيخ مبارك قد رمى نفسه في أحضان الإنجليز قبل هذه الأزمة، وأثناء وجود الشيخ يوسف آل إبراهيم في بومباي. لكن، كـرغـلـوف يثبـت لـنا في تـقـريره بـأن مـعـاهـدة الحـمـاية الـبريـطـانـية لا تزال في طور السرية. وما لا يخفى، أن هناك اعتقاداً روسياً آخر جاء مناقضاً ومعاكساً لكرغولوف، وأقرب إلى الواقع بحكم قربه من ساحة الأحداث، وهو ما صرح به أداموف قنصل روسيا في البصرة. ومفاده: أن لبريطانيا مصلحة في إضعاف عبد العزيز الرشيد، لذا كانت تشجع أعمال مبارك الهجومية ضده، بصورة مباشرة أو غير مباشرة^(١).

ومما يرجح صحة الرأي الأخير، هي سياسة بريطانيا مع الشيخ مبارك في هذه الفترة، فقد قدمت له دعماً مادياً كبيراً وصل حدود خمسة عشر ألف ليرة في أواخر ١٣١٧هـ / ١٩٠٠^(٢). كان ذلك إلى جانب التسهيلات التي قدمتها له في عملية شراء الأسلحة لتجهيز قواته، وغضت الطرف عن عمليات تهريب الأسلحة للكويت^(٣). وأفاد لوريمر حول موضوع عملية تهريب الأسلحة، أنها لم تبدأ إلا في عهد الشيخ مبارك، ولم تسترع الانتباه إلا العام ١٣١٦ / ١٨٩٩. قائلاً إن كميات كبيرة من الأسلحة مرت من مسقط إلى الكويت^(٤). وكـم يـبدو مـوقـف بـريـطـانـيا مـناقـضاً لسياستها المعلنة ضد تهريب الأسلحة في مياه الخليج^(٥). لم تغض بريطانيا الطرف عن عملية التهريب فقط بل أكد المؤرخ الكويتي الشمالان أنها أمدت مبارك بالأسلحة خلال هذه الفترة^(٦).

(١) فسيليف، مرجع سابق، ١ / ٢٥٠.

(٢) Rush, Records...op, cit, p149, Bidwell, A.K. Voll. Part11. P p29 - 30

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.Mtv. رقم ٢٢٦ / ٦١؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ١٤٦؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٤٣؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦ / ٣٧٣٤.

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦ / ٣٧٣٤.

(٥) جمال قاسم، مرجع سابق ٢ / ٣٢٩؛ ولسون، مرجع سابق، ص - ص ٤٣٠ - ٤٣٦

(٦) واستشهد الشمالان بقصيدة لشاعر الكويت حمود الناصر في هذا الأمر بقوله:

عده نصاك بـكالنظام ادهارا
ومسيلات الموزري صنع دارا
بأمت نص خشاب أطوال وقصار
ظرفات صنع اللندني دفع وقرار
وجنس يجينا من بلاد النصارى
ما هن وراور واسمهن لولب النار

(الشمالان من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٤٣)

وهكذا، نرى ما لهذه الأحداث من أهمية تاريخية في تطور النزاع المسلح بين الشيخ مبارك والأمير عبد العزيز الرشيد وحلفاء الأخير، وهي بلا شك مرحلة متقدمة من النزاع القائم على السلطة بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم. وبالتالي كانت بمثابة المرحلة التمهيدية للمعركة الكبرى في الصريف^(١) وما لحقها من تطور لأحداث وتداعيات غيرت خارطة السياسة للمنطقة.

معركة الصريف

بادئ ذي بدء، لأهمية هذا الحدث المفصلي في أحداث الجزيرة العربية، لا بد لنا من إضفاء المعلومات حول الحدث، والتسلسل الزمني الذي سبق وأدى إلى هذه المعركة في (٢٦ ذي القعدة ١٣١٨/ ١٧ مارس ١٩٠١). تقع الصريف إلى الشمال الشرقي من بريدة بخمسة عشر ميلاً، وتبعد عن حائل ١٦٠ ميلاً. تحيطها تلال من الحجر الصلد الأسود. أما موقع المعركة فهي أرض تمتد ما يُقارب العشرة أميال طولاً، ومثلها عرضاً، منبسطة كراحة اليد، أو ملعب الكرة إن شئت، ليس فيها نتوء أو اعوجاج، صلبة لا تراب فيها. تبعد عن الكويت، التي هي على شمال شرقها، مسيرة عشرة أيام للرواحل. وكان اختيارها من قبل الأمير عبد العزيز الرشيد تكتيكاً عسكرياً استعمل فيه واستغل قواته الراكبة للوصول إلى نصر حاسم وسريع، كما سنرى لاحقاً.

فعلى الرغم من الدور الكبير، الذي قامت به الدولة العثمانية لإنهاء الأزمة بين أطراف النزاع، بسيطرتها على الموقف، ومنع المواجهة بينهم، إلا أن ذلك لم يسفر إلا عن تغيير موقعها وتأجيل موعدها لبضعة أشهر، ليبدأ خلالها الطرفان الاستعداد لمرحلة جديدة يكون فيها اللقاء الحاسم. فبعد عودة الشيخ مبارك إلى الكويت في نهاية شهر رجب ١٣١٨هـ/ نوفمبر ١٩٠٠ وقرر القضاء على الأمير عبدالعزيز الرشيد حليف خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم، ولذلك بادر بتسديد الضربة النهائية له في عقر داره، لشعوره بالخطر في كل لحظة^(٢).

ومثلما حصل، عاد طرفا النزاع التوجه إلى القوى الإقليمية والجماعات القبلية في المنطقة، لجمع أكبر عدد من الحلفاء والمناصرين بكل الوسائل المتاحة.

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٣٠.

(٢) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦١؛ ارستروا، مرجع سابق، ص ٥٣

وبطبيعة الحال، أثرت العلاقات التاريخية تأثيراً مهماً في توجيه مواقف القوى الإقليمية والقبلية من هذا النزاع. وكان الشيخ مبارك حريصاً على جمع أكبر عدد من الحلفاء، فهو يدرك بأنه لا يملك قوة عسكرية كبيرة تحميه. فأهل الكويت، من عصبته، لا يميلون للمواجهة، لأنهم أهل تجارة ولا شأن لهم بالحروب، وكان أكثر الذين اشتركوا معه من أهل الكويت في معارك سابقة مكرهين^(١).

فلأجل المواجهة الكبرى في الصريف قام الشيخ مبارك بعملية تشبه التجنيد الإجباري، وأمر رجاله وأشهرهم عبد الله الهاجري بالطواف داخل بلدة الكويت لجمع المقاتلين لحملته المزمعة. وخلال هذه العملية ضمت الحملة في صفوفها عدداً من المجندين من أتباع الشيخ يوسف آل إبراهيم، الذين فضلوا المشاركة في الحملة على الكشف عن تبعيتهم^(٢). إلى جانب ذلك دعا الشيخ مبارك أنصاره للإيفاء بالتزاماتهم المالية في هذه المهمة. كذلك لبي أهالي نجد، من اللاجئين في الكويت، النداء وعلى رأسهم الإمام عبد الرحمن آل سعود وابنه الأمير عبد العزيز^(٣)، وصالح بن حسن آل مهنا ابن أمير بريدة السابق^(٤) وآل سليم أمراء عنيزة.

أظهر أهالي نجد عزماً وأقداماً لدعم الشيخ مبارك، والرفع من همته وتصميمه للإسراع في تنفيذ هذه الخطوة^(٥). وركز الإمام عبد الرحمن على

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٣؛ ارمستروا، مرجع سابق ص ٥٣، الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٧

(٢) يذكر عبدالله الحاتم بأن عبدالله الهاجري أثناء جمعه للمقاتلين شاهد بلال أحد عبيد الشيخ يوسف آل إبراهيم عند الساحل وهو يحاول السفر للهروب من الكويت فقبض عليه ولما سألته عن اسمه خاف أن يبوح بهويته وفضل المشاركة على الكشف عن هويته (الحاتم مرجع سابق ص ٢٥٧)

(٣) حسني، مصدر سابق، ص ١٤٤؛ ارمسترونج، مرجع سابق، ص ٥٠؛ العثيمين، تاريخ المملكة...، مرجع سابق، ٣٨/٢

(٤) صالح بن حسن المهنا: توفي والده حسن بسجنه في حائل وهرب أبناؤه صالح وأخوته من سجن حائل ووصلوا إلى بلاد الشام وهناك التقوا بأهالي القصيم الفارين من نجد إلى بلاد الشام واتجه من الشام إلى الكويت سنة ١٣١٨ هـ وبدأ صالح آل مهنا يحرض ابن صباح لمهاجمة ابن رشيد. (الذكير، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ حسني، مصدر سابق، ص ١٤٤)

(٥) حسني، المصدر نفسه، ص ١٤٤؛ الزركلي، شبه الجزيرة...، مصدر سابق، ٧٦/١؛ لوريير، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٦٩٦/٣؛ العبد المحسن، مرجع سابق ٣١٦/١؛ خزعل، مرجع سابق، ٤٠/٢

موقف أهالي نجد المؤيد عبر مراسلاتهم، بعد ما أدركوا أن حكامهم الشرعيين آل سعود بدءوا في التحرك لاستعادة ملكهم بغارات الإمام عبد الرحمن على نجد، وأظهروا لمبارك رسائل الدعم في حالة قدوم قواتهم لنجد^(١).

ومن جانبه اتصل الشيخ مبارك بحليفه السابق سعدون شيخ المنتفق، طالباً منه الانضمام لهذا التحالف الجديد، ولم يتوان الأخير عن تلبية النداء^(٢). وعبثاً حاولت إمارة آل الرشيد إبعاد السعودون عن الإنضمام لجانب مبارك، وأخذ جانب الحياد، عندما رفض السعودون طلبها صراحة^(٣). وكان الأمر يتعلق بفرصة الأخير لرد الاعتبار لنفسه بعد هزيمته على يد ابن الرشيد، وفي عقر داره في أراضي المنتفق. سار ابن السعودون بقواته مع قبائله، وحلفائه من قبيلة الظفير، إلى جهة الكويت ملتحقاً بقوات الشيخ مبارك المرابطة في الجهراء غربي الكويت^(٤).

ومن جانب آخر قام مبارك بالاتصال بحليفه، وصديقه الحميم، الشيخ خزعل شيخ المحمرة، والذي بارك هذه الخطوة بدوره، وقام بتقديم دعم مادي تمثل في إرساله مدفعين رشاشين^(٥). كذلك اتصل الشيخ مبارك بقبيلة العجمان التي تربطها به علاقات قديمة، توجهها بالزواج من ابنة شيخ العجمان سعيدان بن حثلين^(٦). إضافة إلى علاقة هذه القبيلة بالشيخ مبارك كانت تربطه علاقات جيدة مع حليفه الإمام عبد الرحمن بن سعود^(٧)، وعلى النقيض من ذلك كانت للقبيلة عداوة مع إمارة آل رشيد، منذ عهد الأمير محمد بن الرشيد

(١) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٨؛ الزركلي، شبه الجزيرة...، مصدر سابق ٧٦/١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ١٦٩٦/٣؛ العبد المحسن، مرجع سابق ٣١٦/١؛ الخترش، مرجع سابق ص ٢٥٦

Bidwell, A.K. Vol1. Part 111, P24, Fredrick Anscombe, oP, cit, P 172

(٢) النبهاني، مصدر سابق، ص ٤٤٦؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٧١
(٣) أرسل الأمير عبدالعزيز بن رشيد سالم بن حمود العبيد الرشيد كموفد للتفاوض مع سعدون في هذه المهمة. (خزعل، مرجع سابق، ٤١/٢؛ Bidwell, A.K. Vol1. Part 111. P. ٤١).

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١٤٨؛ خزعل، المرجع السابق، ٤١/٢؛ ويذكر بدويل بأنه التقى به في منطقة الحفر (Bidwell. AK. Vol1. Part 111. PP 12-13).

(٥) خزعل، مرجع سابق، ٤٢/٢

(٦) Al Ghanim, oP, cit, P 63

(٧) الذكر، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ ابن حثلين، مرجع سابق، ص ٧٥؛ Bidwell, A.K. Vol1, Part 111. P12

١٢٨٥ - ١٣١٥هـ / ١٨٦٩ - ١٨٩٧^(١). ولتقوية حلفه استغل الشيخ مبارك علاقاته الودية بقبيلة مطير، ليصبح شيخها سلطان بن فيصل الدويش من كبار القادة، فأطلق عليه حسن بن محمد الحجّي لقب وزير مبارك في هذه الحملة^(٢) كما توج الشيخ مبارك هذه الخطوه بزواجه من ابنة سلطان الدويش، أثناء زحفه لملاقاة ابن رشيد في نجد^(٣). وعلى النقيض من ذلك كانت هذه القبيلة تكن العداء لابن الرشيد فوجدت في هذه الحملة فرصة للنيل منه^(٤).

واستفاد الشيخ مبارك أيضاً من نقمة الشيخ مطلق الدبدب، شيخ عشائر عنزة، على أمير نجد، فوجد الشيخ الدبدب بهذا التحالف فرصة للثأر من إمارة الرشيد، التي قامت بالهجوم على قبيلته في بداية حكم الأمير عبدالعزيز الرشيد^(٥). إلى جانب ذلك وظف الشيخ مبارك سوق الكويت لتوسيع عدد حلفائه، وهي من أهم الأسواق العربية في المنطقة، والتي تعتمد عليها أكثر القبائل القاطنة بين نجد والكويت^(٦) للتزود منها بجميع احتياجاتهم، ومنها الأسلحة الإنجليزية، مثل بنادق المار تيني - هنري. فغدا سوق الكويت منذ استيلاء الشيخ مبارك على السلطة ١٣١٣هـ / ١٨٩٦، نشطاً في تجارة الأسلحة بمباركة وتأييد الإنجليز^(٧). فأخذت هذه التجارة تدر دخلاً كبيراً انعش قدرة

(١) ابن حثلين، مرجع سابق ص ٧٤ - ٧٥؛ قام الأمير محمد بن رشيد بغزو قبيلة العجمان في جهات الكويت وحقق غنائم عديدة منهم في سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٤م فكانت بداية العلاقات العدائية مع إمارة الرشيد (العبيد، مصدر سابق، ورقة ٣١)

(٢) الحجّي، مصدر سابق، ص ١٥

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٤١/٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ ويذكر بدويل انه تزوجها عند وصوله الرياض. (Bidwell, A.K.Vol1. Part?. PP 27-28)

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١٩٠؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ لوريمر، مصدر سابق، ١٥٤١/٣

(٥) تقطن قبيلة عنزة في شمال الجزيرة وهاجم الأمير عبد العزيز الرشيد هذه القبيلة وتمكن من هزيمتها وقتل منهم بحدود ٧٣ رجلاً وسلب منهم غنائم كثيرة وكانت هذه أول هجمة لأمارة الرشيد في عهده (العبيد، مصدر سابق، ورقة رقم ٤١؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١١٨)

(٦) لوريمر، المصدر السابق ٣٧٣٤/٦؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٣٢٩/٢
Fredrick Anscombe., oP, cit, P 173,

(٧) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣٧٣٤/٦؛ جمال قاسم، المرجع السابق، ٣٢٩/٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣١٥

الشيخ مبارك المالية^(١). فأضحى متمكناً من تمويل حملته التي تعد من أكبر الحملات في ذلك العصر على مستوى المنطقة^(٢).

بهذه الجهود والأمكانيات استطاع الشيخ مبارك إضافة حلفاء جدد من قبائل المنطقة، التي نشأت لها مصالح معه فانضمت نتيجة لذلك قبائل أخرى مثل: عتيبة، والمرة، وسبيع، والسهول^(٣)، إلى جانب: العجمان، والمنتفق، والمطير، والظفير. مع القوة المكونة من أهالي الكويت^(٤) والقبائل التابعة من عريب دار، والعوازم، وأهالي نجد اللاجئين، فعسكرت هذه الجموع في الجهراء غربي الكويت^(٥) حيث تجمع لديه عشرة آلاف مقاتل^(٦) فبدأ الشيخ مبارك تحركه وزحف بهم مزهوا بعددهم وعدتهم^(٧). وجعل ابنه الشيخ جابر نائباً عنه لإدارة شؤون الكويت^(٨).

أما جانب ابن الرشيد فعلى النقيض من استعداد جبهة الشيخ مبارك الهائل. فقد تكون جيشه من قبيلة شمر "مرتکز قوته في حائل"، بالإضافة إلى قبائل المنطقة: قبيلة حرب، والرشايدة. كما شاركت مجموعة من قبيلة

(١) لوريمر، المصدر السابق، ٦/ ٣٧٣٤؛ جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٩

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٨

(٣) جمال قاسم، المرجع السابق ٢/ ٣٢٩

(٤) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٦١؛ وقد ذكر بن هذلول بأنها ١٢٠٠ مقاتل؛ وذكر لوريمر وأبو حاكمه بأنهم ١٠٠٠ مقاتل؛ وذكر بدويل وسلطان القاسمي بأنهم ١٠٠٠٠ مقاتل (بن هذلول، مرجع سابق ص ٥٤؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١٢٩؛ أبو حاكمه، مرجع سابق ص ٣١٢؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٤٠؛ Bidwell.a.k.Voll.Part 111.P15

(٥) الذكر، مصدر سابق ص ١٤٨؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤١.

(٦) كورشون، السعوديون...، مرجع سابق ص ٢٥٧؛ الذكر، مصدر سابق ص ١٤٨؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ١١٨؛ المختار، مرجع سابق ٢/ ٢٦؛ ارمسترونج، مرجع سابق ص ٥٥؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٠؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/ ٣١٦؛ وذكر آخرون أعداد أكبر من هذا الرقم ومنهم قول سليمان الدخيل بأن عدد حملة مبارك ثلاثين ألف مقاتل؛ أما بدويل فقد ذكر بأن عدد الحملة ٦٤٠٠٠ مقاتل؛ وذكر سلطان القاسمي بأن مجموع قوات مبارك تصل إلى ٥٩٠٠٠ مقاتل؛ وذكر بوندا ريفسكي أن مجموعة قوات مبارك تصل إلى ٤٥٠٠٠ مقاتل (الدخيل، القول السديد، مصدر سابق ص ١٥١؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١٢٩؛ بوندا ريفسكي، مرجع سابق ص Bidwell.A.K.Voll.Part111.P15؛ ١٨٣

(٧) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨

(٨) خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٢؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١٣٠؛ بوندا ريفسكي، مرجع سابق، ص ١٧٥؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١١٧

قحطان وأهالي نجد^(١). كما قام الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم بالاتصال بحليفهم شيخ قطر الشيخ جاسم آل ثاني، ليقوم بالتزامه، فأكد الشيخ جاسم استمرار تحالفه، وفتح أسواقه لكل ما تطلب من احتياجات^(٢). إلا أن مبعوث ابن الرشيد إلى الشيخ آل ثاني وقع في أسر الشيخ مبارك، وهو يحمل رساله، يطلب منه الانضمام لقواته المحاربة القوات القادمة للكويت^(٣).

كذلك دعا الأمير عبد العزيز الرشيد أهالي الزبير وشيخهم خالد باشا العون^(٤)، للانضمام إلى حلفه، علماً أن الشيخ العون وأهالي الزبير كانوا من أشد المؤيدين لإمارة الرشيد والشيخ يوسف طوال فترة النزاع^(٥). وتلبية لنداء ابن الرشيد انضمت مجموعة من قبائل شمر، في العراق، بدافع الحماية^(٦). وانضم له قسم صغير من قبيلة الرولة بقيادة الشيخ فهد بن شعلان^(٧). كانوا في زيارة لحائل. ومشاركة الشيخ يوسف، ومبارك العذبي الصباح، وأبناء الشيوخين محمد وجراح ومنهم الشيخ خالد بن محمد بعد أن

(١) الحجي، مصدر سابق، ص ١٤؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٥٥؛ الزعاري، مرجع سابق، ص ٩٠؛ الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٦٨؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ٢٤٣؛ خزعل، مرجع سابق ٢/٤٥ - ٤٨

(٢) الأرشيف العثماني، يلدز متنوع Y.MTV رقم ٢٣١/١٢٠ بتاريخ ١٤ يونيو ١٣١٨ رومي؛ بوندا ريفسكي، مرجع سابق، ص ١٨٢؛ Saldanha, oP, cit, P, 44.

(٣) القاسمي، مرجع سابق ص ١٣٠؛ Bidwell, A.K Voll.Part 11. PP27-15

(٤) هو خالد بن عبداللطيف العون ويرجع نسبه إلى عشيرة الحسنة من قبيلة عنزة، ويرجع منبت أسرته إلى بلدة حريملاء بنجد وهاجروا منها مع من هاجرمن أهالي تلك المنطقة أيام توحيد الدولة السعودية أواخر القرن الثاني عشر الهجري/بداية القرن السابع عشرالميلادي، واستقروا بالزبير عام ١١٩٦ هـ، وحكم خالد باشا الزبير أواخر سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٧م بعد عبدالله الراشد، وقد وطد العلاقات بين الزبير وعرب البادية وكان حازماً بمشيخته، وعمل على تقوية علاقته بأمرارة الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم، وقد اغتيل في شوال ١٣٢٥هـ (انظر الصانع، مرجع سابق ١/١٠٠ - ١٠٢ - ١٠٤)

(٥) الأرشيف العثماني، يلدز متنوع Y.MTV رقم ١٦٣/١٤٢ بتاريخ ٢٢ صفر ١٣١٥ هجري؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤٨؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٨٥؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٨١

(٦) حسني، مصدر سابق ص ١٤٥؛ خزعل، مرجع سابق ٢/٤٦

(٧) خزعل، مرجع سابق ٢/٤٧

التحقوا بها من الزبير، منضمين لصفوف قوات ابن الرشيد، وبمعيتهم بعض أنصارهم من الكويتيين^(١). فبلغت قوات ابن رشيد ٣٠٠٠ مقاتل^(٢). وكانت خطته تعتمد على التكتم والسرية خلال تلك الاستعدادات والتحركات وفي الوقت نفسه كان متابعاً سير حملة المهاجمين ومراقبتها.

أثناء سير الحملة في بلاد نجد بدأ الشيخ مبارك بشن حملة تمهيدية، لإظهار تفوق العدد والعدة بتطبيق أهداف الحملة المرتقبة للقضاء على ابن رشيد وإعادة الحكام الشرعيين لنجد. فطالب أهالي نجد، من خلال رسله، بالثورة ضد حكام حائل والانضمام لحملة^(٣). وفعلاً لاقت هذه المطالب مؤيدين كثر من أهالي نجد، وخصوصاً من أهالي القصيم، الذين انضموا للحملة عند اقترابها من مناطقهم^(٤). وبدأ عدد من علمائهم، وفي مقدمتهم الشيخ محمد السليم، بتحريض أهالي نجد للثورة ضد ابن الرشيد، والانضمام لقوة المهاجمة.

أخذت نداءات الشيخ السليم طابعاً دينياً، حيث اعتبر المشاركة إلى جانب قوات ابن صباح وحلفائه جهاداً ضد قوات ابن الرشيد، الذين اعتبرهم برأيه مشركين^(٥). إلا أن عدداً آخر من العلماء رفض هذا التوجه، وطلب من الأهالي المحافظة على ولائهم لحكامهم والبقاء على بيعتهم للأمير عبد العزيز الرشيد،

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٣١؛ الشمالان، المرجع السابق، ص ١٤٥؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٨؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣١؛ Bidwell.A.K.VolI.Part.PP 29-67-68

(٢) وذكر سليمان الدخيل بأن عدد قوات ابن رشيد بحدود اثني عشر ألف مقاتل، أما سلطان القاسمي فذهب إلى أبعد من ذلك بقوله عن قوات ابن رشيد (التي تبلغ ضعف عدد قوة جيش مبارك)، وذكر أن جيش مبارك يبلغ لوحده "١٠٠٠٠" من أهالي الكويت، من إجمالي عدد الحملة البالغ "٥٩٠٠٠" مقاتل، أي ما يعني بأن جيش ابن رشيد يبلغ بحدود "٢٠٠٠٠" مقاتل وهو نفس الرقم الذي ذكره بوندار يفسكي، وهذا الرقم باعتقادي أنه بعيد عن الواقع. (الدخيل، القول السديد...، مصدر سابق ص ١٥٣؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١٢٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٨٣)

(٣) الحجري، مصدر سابق ص ١٢؛ الريحاني، تاريخ نجد مصدر سابق ص ١١٨؛ ارمسترونج، مرجع سابق ص ٥٥؛ Bidwell.A.K.VolI.Part 111.P24

(٤) موزل، مصدر سابق ص ٥٧٥؛ ارمسترونج، المرجع السابق ص ٥٥؛ Bidwell.A.K.VolI.Part 111.PP 27-28

(٥) وكان يركز بخطابه على الآية الكريمة التي نزلت لمقاتلة المشركين "أنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم" الآية (العبيد، مصدر سابق، ورقة ٤١)

وقرروا مقاومة هذه الحملة. وهم من أمثال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ^(١). كما التزم بهذا النهج، من علماء القصيم، الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام وآخرون^(٢)، من الذين قاموا بمراسلة الأمير عبد العزيز الرشيد يخبرونه بالتطورات الجديدة، ويحثونه على مقاومة الغزاة^(٣).

بعد وصول حملة الشيخ مبارك إلى موقع الشوكي في العرمة^(٤)، بارح الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بقوة صغيرة الحملة، متجهاً لاسترداد الرياض^(٥). بينما سارت الجموع باتجاه القصيم وعند اقترابها من بلدتي بريدة وعنيزة استقبلها أكثر الأهالي بالتأييد والترحاب، وفتحوا أبواب البلدتين، فدخلت قوات مبارك وحلفائه بريده وعنيزه بسلام، مؤيدة من أغلب أهالي البلدتين^(٦). فأرسل الشيخ مبارك إلى ابنه جابر في الكويت يخبره بانتصاراته، وما حققتة الحملة من نجاح بدخولها القصيم. وبين في رسالته بأنه عين على شؤون بريده ناصر بن حسن المهنا أخ صالح المهنا. بينما أسند

(١) الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ال الشيخ: من كبار علماء الجزيرة العربية في عصره، ويذكر المؤرخ محمد علي العبيد بأن الشيخ عبدالله عمدة الرياض في عهد الأمير عبدالعزيز الرشيد. وقد أثنى الشاعر وكاتب الأمير عبدالعزيز الرشيد - محمد حسن الحجي - على موقف الشيخ عبد الله ال الشيخ من هذه الحملة بقوله:

وبلاد نجد أرجفت وتحيرت	بوسواس الشيطان والهذيان
إلا أناسا حافظين لعهدهم	وفوائهم والفضل للمنان
كالشيخ عبد الله من حفظ الوفا	فرعى الأمانة واتقى الرحمان

(العبيد، مصدر سابق ورقة ٤١؛ الحجي، مصدر سابق ص ١٢)

(٢) ومن بين العلماء والأهالي الذين أيدوا ابن الرشيد ووقفوا في وجه الحملة الشيخ صالح العمر والشيخ فهد عبدالرحمن البسام والشيخ ضمد البسام والشيخ جاسر وجلهم من أهالي بريدة. (خزل، مرجع سابق، ٤٨/٢)

(٣) خزل، مرجع سابق، ٤٨/٢؛ العبد المحسن مرجع سابق ١/٣٢٠

(٤) الشوكي: أحد أودية العرمة الشمالية في منطقة الصمان شرقي الدهناء وينحدر من قمته مشرقاً ويصب في روضة التنهات (عبدالله بن محمد ابن خميس، معجم اليمامة، - ط ٢ - ، مطابع الفرزنيق، الرياض، ١٣٩٨، ٦٣/٢)

(٥) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ١١٨؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٤٨؛ قلبي مصدر سابق، ص ٣٧٢؛ وهناك من المؤرخين من ذكر بأنها منطقة العرمة تحديداً وليس الشوكي (عبدالله البسام، مصدر سابق ص ٣٨٣)

(٦) ابن عيسى، مصدر سابق ص ٩٠؛ العبيد، مصدر سابق ورقة ٤١؛ الحجي، مصدر سابق، ص ٧؛ الريحاني، المصدر السابق ص ١١٩؛ الدخيل، القول السديد، مصدر سابق ص ١٥٣.

شؤون إدارة عنيزة لعبد الله بن زامل أبا الخيل. وطلب من ابنه جابر إرسال إمدادات للحملة في أسرع وقت ممكن^(١). إلا أن رجال ابن رشيد تمكنوا من القبض على هذا الرسول^(٢).

بعدها توجهت الحملة لغزو ابن رشيد في عقر داره وإلى عاصمته حائل. أثناء ذلك اكتشفت عيون الشيخ مبارك موقع وجود قوات ابن رشيد بعين ابن فهيد، فقرر اتخاذ الطرفية معسكراً^(٣). وبالمقابل تحركت قوات ابن رشيد واتخذت من ماء الصريف معسكراً لها، على مسافة عدة أميال من معسكر عدوها^(٤) ولتقارب المسافة بين المعسكرين أطلق على هذه المعركة اسمين الصريف أو الطرفية^(٥). وفي هذا المكان التحم الجمعان، ودارت بينهما معركة حامية في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨هـ/ ١٧ مارس ١٩٠١^(٦). وهناك من المؤرخين من أشار خطأ بأنها حدثت في ١٧ ذي القعدة المصادف ٧ مارس من السنة ذاتها^(٧).

في صباح ٢٦ ذي القعدة، عندما كان ابن الرشيد ينوي الهجوم في اليوم التالي، حيث لايفصل بين المعسكرين إلا تلال تحجب الرؤيا. إلا أن الشيخ مبارك العذبي الصباح عدو الشيخ مبارك، والذي كان مشهوراً بمهارته العسكرية، وبشخصيته المحاربة، نصح ابن الرشيد أن يبادر في الهجوم حالاً. وحسب رواية أحد المشتركين

(١) خزعل، مرجع سابق ٤٥/٢؛ كريم طلال الركابي، التطورات السياسية الداخلية في نجد، تقديم: عبد

الله محمد المنيف، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٨٦

(٢) خزعل، المرجع نفسه، ٤٥/٢

(٣) الدخيل، المصدر السابق ص ١٥٣؛ ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص ١١٧؛ خزعل، مرجع سابق،

٤٥/٢

(٤) العبيد، مصدر سابق ورقة ٤١؛ ضاري الرشيد، المصدر نفسه ص ١١٧؛ خزعل، المرجع السابق ٤٦/٢

(٥) ضاري الرشيد، مصدر سابق ص ١١٧، ابن عيسى، مصدر سابق ص ١١٦، الذكر، مصدر سابق

ص ١٤٩، الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ١١٨؛ النبهاني، مصدر سابق، ص ٤٤٦؛ الزركلي،

شبه الجزيرة، مصدر سابق، ٧٦/١

(٦) الريحاني، المصدر السابق ص ١١٩؛ ابن عيسى، مصدر سابق، ص ٢٠١؛ الحجى، مصدر سابق

ص ٩، حسني، مصدر سابق ص ١٤٥؛ العبد المحسن، مرجع سابق ٣١٨/١؛ لوريمر، دليل الخليج

التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤١؛ أبو حاكمه، مرجع سابق ص ٣١٢

Saldanha, oP, cit, P44, Bidwell, A.K. Vol1.Part 111.PP.44-45

(٧) المختار، مرجع سابق ٢٧/١؛ الزركلي، شبه الجزيرة، مصدر سابق ٧٦/١؛ وذكر عبدالله البسام

أنها وقعت في ٢٧ ذي القعدة ١٣١٨هـ؛ أما سلمان الدخيل فقد اختلف بتاريخه للمعركة بقوله بأنها

وقعت في شهر محرم من سنة ١٣١٨هـ (البسام، مصدر سابق ص ٢٨٤، الدخيل، القول السديد،

مصدر سابق، ص ١٥٤)

في المعركة، وهو إدهام بن مثقال الظفيري، أن الشيخ مبارك العذبي قال لابن الرشيد: "إن مبارك اليوم ما له عز، لأن البارحة تاريخ قتله لإخوانه". كما حذر ابن الرشيد من هجوم العجمان ليلاً إذا لم يبادر في الهجوم. فتم ذلك فنشبت المعركة قبيل الظهر، حيث هجمت خيالة ابن الرشيد بالرماح فقابلهم حملة البنادق من الجانب الثاني البواردية (أي هدافين). ولما تأكد ابن الرشيد من مواقعهم بدل خطته ليصبح الخيال يحمل رديفاً ببندقية، فأعادوا الكرة حينها اعتقد جيش مبارك بأن المهاجمين كرروا الخطة السابقة نفسها ولكن المهاجمين من جانب ابن رشيد أنزلوا الردائف فأصلوهم بنيران البنادق، تسبقهم المسيوكة (الأبل المهاجمة) يقودها ابن الرشيد بنفسه وبعض أفراد أسرته، ومعهم عدد من المقربين، وخلفهم الخيالة والمشاة. وكان عدد المسيوق أربعين ناقة بيضاء صخرية، لم يُعد منها إلا سبع فقط. ولم يثبت في المعركة، من جيش الشيخ مبارك، إلا الحضر من أهل الكويت، وكانوا راجلين، بينما تراجع جموع أهل البادية الراكبة، وانتهت المعركة قبيل العصر من اليوم نفسه بخسارة فادحة للشيخ مبارك وكان يوماً مشهوداً.

أصبح تاريخاً بارزاً، هناك البعض من المؤرخين قد أرخ للحدث بيوم تحرك القوات، بينما أرخ البعض الآخر بيوم إلتحام الجمعين. أما نتيجة المعركة فتتلخص أن الأمير عبد العزيز الرشيد قرر أخذ زمام المبادرة، بمباغته خصمه على حين غره في منتصف النهار كما اسلفنا. ويذكر القناعي، نقلاً عن أحد آل صباح المشاركين في جيش ابن رشيد، بأن الشيخ مبارك العذبي الصباح هو من أشار على عبد العزيز الرشيد بمفاجأة ومناجزة الخصم. قال له: "إن بت هذه الليلة بهذا المحل هجم عليك العجمان لأنهم أهل براعة في هجوم الليل". فقبل مشورته^(١). فانطلقت قوات ابن رشيد تسبقها المسيوكة (الإبل)^(٢) كدرع

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٣١ - ٣٢؛ وأضاف الشملان معتمداً على رواية أحد المشاركين في جيش مبارك وهو دهام بن مثقال الظفيري أن مبارك العذبي أشار على ابن رشيد بعدم تأجيل الحرب للغد وحذره من العجمان سيهاجمونه إذا أمسى المساء وأكد له العذبي على أن مبارك اليوم ماله عز لأن البارحة تاريخ قتله لإخوانه. (الشملان المرجع السابق ص ١٤٣)

(٢) المسيوكة: وتسمى أيضاً الصخريات نسبة لقبيلة بني صخر وهي مجموعة من الإبل تدرّب على أصوات الأسلحة تساق أمام الجيش عند الهجوم على العدو كدرع واق للمهاجمين حتى يلتحموا بالخصم، وكان يتقدم المسيوكة مجموعة من الفرسان الأشاوس ويحضى القائم عليهما من الفرسان بمكانة ومنزلة اجتماعية عالية وكان في الغالب حظوظه في الرجوع سالماً محدودة، وقد كان الأمير محمد الرشيد أول من استخدم المسيوكة كسلاح في أمانة الرشيد. وفي معركة الصريف تنافس =

واق لقواته، تقودها مجموعة من الفرسان حيث تقابلت مع الخصم، ودارت بين الطرفين معركة عظيمة، وصفها أمين الريحاني بأنها من أعظم وقائع العرب الحديثة^(١). انهزم الشيخ مبارك مع مَنْ بقي حياً من رجاله إلى جهة الكويت^(٢). وقد ذكر Whigham عن وضع مبارك ومعاونيه بعد الهزيمة بالقول: "لم ينقذهم من الفناء إلا الإسراع بالهرب، وعدم التوقف لدرجة أن كل ستة من رجال الشيخ مبارك امتطوا جملاً واحداً"^(٣). وكان يوماً دامياً سالت فيه دماء

= مجموعة من الفرسان لنيل شرف قيادة المسبوق، وحظي بها مجموعة منهم كان على رأسهم الأمير عبدالعزيز الرشيد ومعه مجموعة من كبار قادته وفرسانه أمثال سالم ومهنا ولدي حمود العبيد، وعبد الله السبهان، وقد قتل سالم ومهنا الحمود في أثناء قيادتهم للمسبوق. ويذكر الدخيل أنهم استخدموا ألف ناقة صخرية في هذا المعركة (الدخيل، مصدر سابق، ص ١٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٤٦/٢؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص ٣٥)

(١) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ١١٩
(٢) فلبلي مصدر سابق ص ٢٧٣؛ الدخيل، المصدر السابق، ص ١٥٢؛ لوريمر المصدر السابق ١٦٩٨/٣؛ حسني، المصدر السابق ص ١٤٥؛ ابن عيسى المصدر السابق ص ١١٦؛ الحجى المصدر السابق ص ١٠؛ الذكر، المصدر السابق ص ١٤٩؛ مقال بعنوان ((القتال في بلاد العرب وانتصارات ابن الرشيد)) جريدة اللواء الخميس ٦ محرم ١٣١٩هـ/ ٢٥ أبريل ١٩٠١م ص ٢، Saldanha, oP, cit, P44

(٣) Whigham oP, cit, P98
ونقل اداموف نص هذه المعلومة من المؤرخ المعاصر وجهام Whigham (اداموف، مصدر سابق ٢/٢٧)؛
ذكر لي الراوية الشيخ عبدالله المنيع - محافظ عفيف السابق - والراوية فلفل عمّاش العنيزان - نقلا عن والده الشيخ عمّاش العنيزان أحد المقربين لعبد العزيز بن رشيد والمشاركين بغزوة الصريف - أن الشيخ مبارك بعد هزيمته هرب إلى الزلفي وبعد أن فقد حصانه استجار برجل من أهل الزلفي يدعى - عبيد المجيدل - فأجاره على الرغم من إدراكه لصعوبة الوضع، خاصة وأن رجال ابن رشيد يبحثون عن الفارين من جيش الكويت في كل مكان، وبعد رفض مبارك وأجب الضيافة العربي لخوفه من المطاردين - أعطاه ابن مجيدل نلولا أصيلة مشهورة بالسرعة والتحمل، بجانب أثناء "قدر" للطبخ مع عدد من الاغنم - فهرب على الذلول حتى دخل الكويت، فأنقذه ابن مجيدل بعمله البطولي وشهامته العربية، وعلى الرغم من ذلك فإن ابن مجيدل كان يدرك خطورة ما أقدم عليه وأن أمره سيكتشفه ابن رشيد، وفعلا استدعاه الأمير عبدالعزيز، وبعد أن وبخه على ما اقترف من عمل متهماً إياه بالخيانة وتأييده للمهاجمين. وبعد محاضرة التوبيخ سأله عن مغزاه وهدفه من العمل؟ فأدرك لحظتها - ابن مجيدل - بأنه مقتول لا محالة فقال وهو مدرك مصيره بأن ما دفعه وراء هذا العمل إنما شيمته ونخوته عند استجارته به، وأضاف أنه لو انقلب الحال وأتاه الأمير عبدالعزيز بن رشيد - وليس مبارك - لقام بنفس العمل. فعفا عنه ابن رشيد لشهامته ونبله.

وقال له ابن رشيد إن من مثلك لا يستحق الموت بسبب فعله. وعند زيارتي للكويت سألت عن هذه الحادثة النبيلة لابن مجيدل، فلقد لي صحة هذه القصة الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم وسرد لي هذه الحادثة عند سؤالي عنها، ((ولم أجد لهذه الحادثة ذكر في المراجع والمصادر الكويتية التي اطلعت =

كثيرة ولم يسلم حتى الأسرى الذين قتلهم الأمير ابن رشيد صبراً، ولم ينج منهم إلا القليل^(١). وربما كان لطبيعة أرض الصريف، حيث دارت المعركة، أثرها في فناء عدد كبير من جيش مبارك، فقد كانت عملية القبض على الفارين سهلة. كونها أرضاً منبسطة ومكشوفة خالية من أي ملاذ. ويصف دهام بن مثنال الظفيري، الذي شارك في المعركة هزيمة الشيخ مبارك قائلاً: "الفجر هجينا ومبارك ترك حصانه من الخوف، ولما فقدته قال: لا أحد يرجع له، حيث أخذه رجال ابن الرشيد، والذي يروح يُقتل"^(٢). وبهذا لم ينفق حصان الشيخ مبارك، مثلما ورد في إحدى الروايات، بل تُركَ نتيجةً للارتباك والانسحاب المشوش!

بعد هزيمة الشيخ مبارك النكراء اضطر حليفه الأمير عبد العزيز بن سعود إنهاء حصاره لمدينة الرياض، والانسحاب صوب الكويت^(٣). كما انهارت آمال الشيخ مبارك إلى الأبد في بناء دولته الكبرى، على حساب إمارة الرشيد في نجد^(٤). وأظهرت هذه المعركة جبروت الأمير عبد العزيز الرشيد، وأكدت أن قلبه لا يعرف الرحمة، فلم يغفر لأهالي نجد الذين وقفوا مع هذه الحملة،

=

عليها سوى مقولة حسين خزعل أن مبارك عاد إلى الكويت على ظهر ذلول)) وأكد لي الشيخ عبدالله المنيع أن "قدر" ابن مجيدل موجود في متحف الكويت ومكتوب عليه عبارة "قدر عبيد المجيدل يوم أكرم مبارك الصباح" (مقابلة مع الراوية الشيخ عبدالله المنيع - من أعيان الزلفى ومحافظ عفيف السابق بتاريخ ١٠/٢/١٤٢٦هـ؛ مقابلة مع الراوية مفلح عمّاش العيزان بمنزله بقرية ضبيعة بمنطقة حائل بتاريخ ١٥/٨/١٤٢٥هـ؛ مقابلة مع الأستاذ يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم بدولة الكويت بتاريخ ٢٧/٢/١٤٢٦هـ؛ خزعل مرجع سابق ٥١/٢).

(١) نكر بعض المؤرخين قصصاً حول نجاة بعض الأسرى من سيف جلال ابن رشيد وكان عدد الناجين قليلاً جداً (العبد المحسن مرجع سابق ١/٣١٩ - ٣٢٠؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٣٣؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٧؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٢ - ١٦٣

(٢) الشملان في "تاريخ الكويت" (ص ١٤٤ - ١٤٦. ويذكر الرواية عبد الحميد بن بدر بن خالد باشا العون بقوله: "إن الحصان قدمه ابن الرشيد إلى الشيخ يوسف بن إبراهيم قائلاً: هذا الحصان وإن شاء الله نجيب راعيه (صاحبه). بعدها أهدى الشيخ يوسف الحصان إلى خالد باشا العون، شيخ الزبير، أطلق عليه تسمية، ربما كانت من إحد الأسباب التي أتت إلى اغتيال خالد باشا في ١٤ ذي القعدة ١٣٢٥ في البصرة.

(٣) ابن عيسى، مصدر سابق، ص ٩١؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٩؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٤٩؛ العبيد، مصدر سابق، ورقة ٤١

(٤) الرشيد، المصدر السابق ص ١٦٦؛ أبو حكمة، مرجع سابق ص ٣١٢؛ العبد المحسن، المرجع السابق ١/٣٢٣؛ خزعل، مرجع سابق ٥١/٢؛ Rush, AL Sabah, oP, cit, P102

وخصوصاً أهالي القصيم والعارض، فألزمهم بتسديد تكاليف المعركة، بفرض الضرائب عليهم. ومارس التنكيل بأكثر الأشخاص، من الذين وقفوا وساندوا الحملة. وبطبيعة الحال، ولد ذلك سخطاً من قبل الأهالي ضده، مما كان له أثر واضح على موقف أهالي نجد من الأحداث القادمة^(١). فالصريف مثلما وصفها الريحاني كانت فريدة في نتائجها وعواملها وتداعياتها. قال: "هي وقعة كان الظافر فيها مغلوباً، وكانت أول خطوة في سقوط ابن الرشيد عبدالعزيز"^(٢).

ترجّح لدى الأمير عبد العزيز بن رشيد والشيخ يوسف أن خصمهما قد قُتل في الصريف، بآثار عثروا عليها هناك^(٣)، مما عزز الأمل في الاستيلاء على الكويت. لكنهما تريثا في تنفيذ الهجوم، ريثما يعود مبعوثهما بالخبر اليقين عن حقيقة مقتل الشيخ مبارك. ولما عاد المبعوث يحمل خبر سلامته تركا أمر الهجوم إلى وقت آخر^(٤). وقد ظهر أثر القوى الكبرى واضحاً وجلياً من النزاع بعد معركة الصريف، وهذا ما سوف أن نحاول كشفه في الصفحات القادمة من هذا الفصل.

كان للصحف العربية والعالمية اهتماماً واضحاً وكبيراً بهذه المعركة، ومن أبرز الصحف، التي أعطت هذه المعركة حيزاً من الاهتمام، جريدة اللواء المصرية. حيث اعتبرت المعركة انتصاراً للدولة العثمانية والعرب على الإنجليز. وبينت وجهة النظر الأوروبية، والإنجليزية خصوصاً، حول نقلها المشوش لمجريات المعركة. فقالت: "وما كان من أمر الحرب المستعرة بين مبروك - مبارك - شيخ الكويت وابن الرشيد أمير نجد.. ونشدت بعد ذلك الجرائد التي تستقي أخبارها من المصادر الأوروبية أن مبروك - مبارك - تغلب على ابن الرشيد وزحزحه عن بلاده وانتزاعه تاجه..". واعتبرت هذه الجريدة هذا

(١) الدخيل، القول السديد، مصدر سابق ص ١٥٤؛ الريحاني، المصدر سابق ص ١١٩؛ الناصر، مصدر سابق، ص ٥١،؛ الذكير، مصدر سابق ص ١٤٩؛ العبيد الصدر نفسه ورقة ٤٥؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٢٥

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٩

(٣) الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٦؛ كورشون، العثمانيون وال سعود، مرجع سابق، ص ٢٥٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٥٠ - ٥١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٧٦٥؛ سلدانيا، تاريخ الكويت...، مصدر سابق، ص ١٨، Bidwell.A.K.Vol1.Part 111 P4

(٤) الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٥١

الانتصار لابن رشيد بأنه قضى على آمال الإنجليز. فعنه قالت: "ولو صح على ذلك الانتصار العظيم، ولا نخاله إلا كذلك. قضى على آمال كبار للإنجليز في تلك الأصقاع..."^(١)

أما الصحف الإنجليزية فقد أبدت اهتماماً كبيراً بهذه المعركة، وألقت أغلب هذه الصحف مسؤولية الحرب كاملة على الأمير عبد العزيز بن الرشيد. فجاء في بعض مقالاتها، حسب ما أورده بونداريفسكي: "أن ابن رشيد كان يتظاهر بأنه يعمل لصالح شيخ الكويت المقتول... لقد رفع ابن رشيد السلاح في وجه مبارك انطلاقاً من رغبته في تنحيته عن الحكم، وتنصيب الابن الأكبر للشيخ محله"^(٢).

ومما يُذكر حول التحضير لمعركة الصريف أنه حينما كان الشيخ مبارك على مشارف الأراضي النجدية، كان الأمير ابن الرشيد يجمع قواته، ومعداته في البادية العراقية، قُرب السماوة. فاستدرج بهذا التكتيك الشيخ مبارك إلى داخل أراضيه. وكان الأمير ابن الرشيد يخطط لوقوع المعركة في أرض الصريف المنبسطة، فنزل أولاً عند عين ابن فُهَيْد حينما كان الشيخ مبارك في بريدة، وبقي فيها متربصاً. عندها انتقل الشيخ مبارك إلى الطرفية في ٢٤ ذي القعدة فتحرك ابن الرشيد إلى موقعه المختار، وهو الصريف. وقد كان الميزان العددي، والعُددي لصالح الشيخ مبارك، فكان جيشه أكثر عدداً، وقد بلغ سبعين بيراً (راجع تحفة المشتاق لابن بسام، ص ٤٤)، وهو ما يُعادل ثلاثين طابوراً، لذا أغرته الكثرة، وباختصار يمكننا أن نصف ذلك بأنه انتصار القابلية على الإمكانية.

لا بد هنا من ذكر التسلسل الزمني لتأزم الأحداث فيمكننا إيجازه بالآتي:

- وصول الشيخ يوسف الإبراهيم وأبناء المقتولين إلى حائل في ٢٨ ذي الحجة ١٣١٧ / ٣٠ أبريل ١٩٠٠.
- أعلن الشيخ مبارك النفير العام في الكويت، أغسطس ١٩٠٠. وقُطعت طرق قوافل التجارة بين الكويت ونجد. وأرتفعت الأسعار بشكل غير مسبوق،

(١) جريدة اللواء مقال بعنوان ((القلقل في جزيرة العرب وانتصارات ابن الرشيد)) مصدر سابق ص ٢

(٢) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٨٦

- حتى أصبح سعر كيس الرز في الرياض بخمسة وعشرين ريالاً فرنسياً (دولار ماريا تريزا)، بعد أن كان سعره عشرة ريالات.
- تحرك المجندون الكويتيون من المدينة إلى الصحراء. وانتظموا مع القوات التي قادها مبارك بنفسه، وهي مكونة من القبائل التالية: مُطير، والعجمان، والمنفق، والمرة، وبني هاجر، وعدد من الضفير، والعوازم، وعزيب دار، و٨٠٠ من الراجلين من حضر الكويت. وألتحق بهم من أهالي نجد من اللاجئين في الكويت، وفي مقدمتهم الإمام عبد الرحمن الفيصل السعود، وآل سليم، وآل مهنّا.
- إرسال قسم من القوات، بقيادة الشيخ حمود بن صباح، أخي مبارك، وسالم بن مبارك، للهجوم على شُمر في موقع الرخيمية، وذلك في جمادي الآخر ١٣١٨/سبتمبر ١٩٠٠.
- هجوم المجموعه نفسها على شُمر قُرب الحفر في ٢ رجب ١٣١٨/أكتوبر ١٩٠٠.
- هجوم ابن الرشيد على سعدون المنصور قُرب تل اللحم، كذلك في رجب ١٣١٨/أكتوبر ١٩٠٠.
- هاجم ابن الرشيد سعدون باشا المنصور في الخميسية، ثم انتقل إلى سوق الشيوخ وأرسل برقية من مركز التلغراف إلى والي البصرة محسن باشا يُطالبه بطرد سعدون من الأراضي العثمانية، واسترجاع الأموال التي نهبها من العشائر الموالية لابن الرشيد. ثم الاعتراف به وحده أميراً على نجد. وإرجاع الحقوق المشروعة لأبناء القتيلين محمد وجراح الصباح، وإن لم يتحقق ذلك فإنه سوف يهاجم الكويت.
- محاولة والي البصرة محسن باشا في تهدأة ابن الرشيد بارسال عفو سلطاني للشيخ يوسف الإبراهيم. وقد أستلم العفو شخصياً عن طريق السيد أحمد النقيب في حائل. كما أرسل السيد طالب النقيب إلى الكويت لاصطحاب الشيخ مبارك إلى البصرة لمقابلة الوالي، الذي طلب تعزيراً للقوات العثمانية في البصرة بثلاثة طوابير مشاة، وطابورين مدفعية.
- وصل الشيخ مبارك إلى الزبير في ٢٤ رجب ١٣١٨/١٧ نوفمبر ١٩٠٠،

وأقام في قصر النقيب في الرفضية، وهي من ضواحي الزبير. قابل والي البصرة في اليوم التالي، وقد اصطحبه الوالي في عربته إلى البصرة، حيث أرسل رسائل طاعة وتطمين إلى الباب العالي. وصف القنصل البريطاني في البصرة راتسلو قابلية الشيخ مبارك هذه بالقول: "بأنه يركض مع الأرانب ويصيد مع السلوق".

- عودة الشيخ مبارك إلى الكويت في ٢٨ رجب من السنة نفسها، الموافق ٢١ نوفمبر. وأرسل المخبر المحلي البريطاني في الكويت حجي علي غلوم إلى بوشهر في نهاية نوفمبر محملاً برسالة يضع فيها اللائحة في كل ماحدث على الأمير ابن الرشيد والشيخ يوسف الإبراهيم. لكن، المخبر أعلم المقيم السياسي كامبل بأن الشيخ مبارك حينما كان في زيارته لوالي البصرة أنه وضع اللوم على سعدون المنصور والإمام عبد الرحمن الفيصل. وقد توقع أنه قدم رشوة للوالي، ولكن هذا لا يمنع أن الوالي قد أبلغ الباب العالي بكل ما يدور. وكان رد كمبول لرسالة مبارك في ١٠ ديسمبر ١٩٠٠ "يحذره من مغبة غزو نجد وأن لا يتوقع حماية بريطانية في حالة عجزه".

- وصول قائد الخيالة في الفيلق السادس في بغداد كاظم باشا، صهر السلطان عبد الحميد، ومعه محامي أبناء القتيلين عبد الله أفندي إلى حائل، ومن هناك أرسل رسالة تحذيرية إلى الشيخ مبارك، طالباً منه العودة إلى بلده، لأن قيامه بمثل هذا العمل هو خروج وتمرد على طاعة السلطان.

- وصول الشيخ مبارك على رأس جيشه إلى نجد في ١٢ فبراير ١٩٠١، وفي ١٧ فبراير ألتحق به سعدون المنصور. وبسبب ما حدث فلم يتمكن أحد في الكويت من الحج في ذلك العام عن طريق البر، وكثفت الحراسة الليلية في المدينة تحوطاً. ومع هذه الظروف الحرجة تزوج الشيخ مبارك بابنة سلطان الدويش.

- استسلمت المدن الرئيسية في القصيم: عنيزة وبريدة والزلفي، وذلك في ١١ مارس ١٩٠١.

- وقعت معركة الصريف في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨/ ١٧ مارس ١٩٠١.

أسباب انتصار ابن الرشيد:

كان لانتصار الأمير عبد العزيز الرشيد في هذه المعركة عوامل عديدة أهمها:

- كانت نواة القوة العسكرية لإمارة آل الرشيد، واعتمادها على رجال المدن والواحات (وكأنها فرض من الخدمة العسكرية)، والعبيد (رجاجيل الشيوخ)، ومجموعة من المحاربين الأتراك والمصريين المستقرين في حائل من السابق. ويعكس هذا الانعطاف نحو استخدام الحضر في القوة العسكرية وتزايد بروز الإمارة لبناء قوة ثابتة متطوعة دائمة، ومستقلة عن العلاقات السياسية والتحالفات القبلية المتغيرة، وهي لا تدين إلا للأمراء فقط. وكان المتطوعون الحضر متفوقين على أشقائهم البدو في الصمود وفن استخدام الأسلحة في المعارك.

كما كانت المشاركة الفعلية في الحروب لحمولة آل جعفر، ومنها بيت الإمارة الرشيدية، أساس عسكري قوي تلتف حوله العشائر الشمرية المختلفة، وخاصة عبده والأسلم وسنجارة والتومان. فساعدت هذه التشكيلات بتحول تدريجي في إيجاد قوة عسكرية دائمة متخصصة همشت دور البدو لدرجة ما، وزادت من هيمنة حائل وفنتها الحاكمة مع الاحتفاظ بالتلاحم القبلي، وعدم استعداد البدو.

ويُذكر في أواخر التسعينيات من القرن التاسع عشر أن الإمارة كان ترسل مبعوثين على إبل مبرقة بقماش أسود إلى مضارب العشائر الشمرية في بادية نجد، والعراق، وسورية لاستنهاضها، وكان يُراد باللون الأسود، نقل صورة العار، الذي ستواجهه شمر القبيلة، إذا لم يُهرع لنجدة زعاماتها.

- مهارات الأمير العسكرية، التي اتفق عليها أغلب المؤرخين على أنه رجل حرب، وفارس مميز في أرض المعركة^(١). وقد أظهر في هذه المعركة شجاعة ألهمت حماس جنوده، بعدما صمم على أن يقود المعركة بنفسه، ولا يتقدم عليه أحد.

(١) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٢؛ حسني، مصدر سابق ص ١٤؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٤٦؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٤٨

وضرب أثناء المعركة أروع الأمثلة في فنون الشجاعة والأقدام^(١). وكان لكلماته وقع السحر على جنوده، الذين استتبسوا أمام قوات أعدائهم^(٢).

– السياسة الناجحة التي اتخذها الأمير عبد العزيز الرشيد بتأخير موعد اللقاء مع خصومه، أثناء تقدم قواتهم في بلاده، فكان لتوغل الحملة داخل نجد أثر سلبي على المهاجمين. فتحت الباب لمروجي الشائعات ليتكهنوا بضعف وعجز ابن الرشيد، وهروبه عن المواجهة، مما أوهم خصمه تحقيق الانتصار السهل، فانصرف عن تنظيم جيشه وتدبير أمره^(٣). كذلك خدعت هذه السياسة الشيخ مبارك فاستهان بقوة خصمه في مواجهة جيشه الجرار، وتساهل بالرخصة لمن استأذن في التخلف عن مواصلة الزحف بعد دخوله القصيم، حتى انفصل عنه الكثيرون ورجعوا إلى أهليهم. إلى جانب ذلك كانت الجيش المهاجم مرهقاً من الأساس لقطعه كل تلك المسافة^(٤).

– كان قتال جند الأمير عبد العزيز الرشيد دفاعاً، عن وطن وعرض ومال. كذلك كان انضمام المؤيدين لأمارته بدافع الحمية، كأفراد قبيلة شمر القادمين من منطقة الجزيرة شمال العراق، تلبية للنداء ونصرة إخوانهم. أو

(١) ويصف لنا حسين خزعل تهيأ عبدالعزيز الرشيد قبيل ابتداء المعركة بقوله ((... فاستل سيفه ووضعه على كتفه ثم لبس رداء احمرًا واعم بعمامة حمراء حتى يتميز في القتال...)) خزعل، مرجع سابق، ٤٦/٢ - ٤٧).

(٢) نكر المؤرخ سيف الشعلان شهادة أحد الكويتيين المشاركين ضمن القوات الكويتية في الصريف بأنه شاهد ابن رشيد يندب أهل لبدية لأنهم ابلوا بلاء حسنا في القتال بقوله من قصيدة:

يا حـر قلبـي هل اللـبـدـة الـي عـلى المـوت دلاقيـي

(الشعلان المرجع السابق ص ١٤٧)؛ وذكر لي مجموعة من الرواة في منطقة حائل دور الأمير عبد العزيز بن رشيد بتشجيعه وحثه لجنوده للوثوب على العدو في هذه الموقعة. وحول هذه القصيدة التي أثنى فيها عبد العزيز الرشيد على مقاتليه أكد هؤلاء الرواة على أن صحة البيت كما يلي:

يا حـر قلبـي ياهـل لـبـدـه يـي عـلى المـوت دلاقيـه

المدح تستاهله عبده والأسلم حماية الساقية

(معلومات وضحتها لي الرواية خلف بن شريده الحسيني؛ والرواية والإعلامي فواز بن يحيى الغسلان؛ والأستاذ محمد بن رابع الغيثي في شهر - ٥ من عام ١٤٢٥هـ بمنطقة حائل).

(٣) عبدالعزيز الرشيد، المصدر السابق ص ١٦٤؛ الذكر، المصدر السابق، ص ١٤٨؛ الفرخان، مرجع سابق، ص ٧١؛ خزعل، مرجع سابق، ٤٥/٢؛ وقد وصف مبارك في إحدى رسائله لابنه جابر بعد سيطرته على القصيم حالة خصمه بن رشيد (بأنه هارب من مقابلتنا ومعه عدد من قبيلة شمر الذين هربوا معه) (Bidwell, A.K. Vol1.Part111.PP28-29)

(٤) عبدالعزيز الرشيد، المصدر السابق ص ١٦٤؛ الذكر، المصدر السابق، ص ١٤٨

كانت مشاركتهم بدافع النخوة والشيمة كأفراد قبيلة الشعلان، الذين حلوا ضيوفاً بالصدفة على ابن رشيد قبيل المعركة في الصريف، أو ممن كانوا ينتظرون هذه المعركة بفارغ الصبر، كالمعارضين للشيخ مبارك من أهالي الكويت، مثل الشيخ يوسف وأبناء الشيوخ القتيلين. وكل هذا كفيلاً لنشر روح التضحية والاستبسال^(١). وعلى العكس من ذلك كان معظم جند مبارك من رجال البادية، الذين دفعهم الطمع في المال للانضمام إلى هذه الحملة، فهم لا يقاتلون عن قناعة، ولا عن عقيدة راسخة تدفعهم لكي يستमितوا في سبيلها. هذا إلى جانب القوة الكويتية، التي كانت مجبرة على الانضمام لهذه الحملة^(٢) ولم تكن راغبة للحرب.

— كان جيش مبارك مكوناً من مجموعة قبائل متباينة، ومختلفة مع بعضها، مما تسبب في مشاكل داخلية في أثناء الحملة^(٣)، ومنها ما أوهن عزم المقاتلين. وعلى العكس من ذلك كان أكثر جيش ابن رشيد من قبيلة شمر، وحاضرة حائل، مما ساعد على ترسيخ وحدة الصف^(٤).

— تميزت قوات ابن رشيد بحسن التنظيم والتدريب المتقن، فهي ذو خبرات واسعة وقدرات كبيرة في تنفيذ خطة قتال محددة، فرضتها عليهم طبيعة المعارك. وقد شهد الملك عبدالعزيز، رحمه الله، على قدرات قوات إمارة الرشيد بقوله: ((إن جنوده - أي ابن رشيد - مدربون على القتال، وهم قديمو العهد في الحروب))^(٥). وخلاف ذلك كان جيش مبارك غير منظم

(١) الرشيد، المصدر نفسه ص ١٦٤؛ قاسم: جمال، مرجع سابق ٢/ ٣٣٠؛ الفرحان، مرجع سابق ص ٧١؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٦ - ٤٧

(٢) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ص ١٦٣ - ١٦٤؛ الشمالان، المرجع نفسه ص ٢٤٣؛ الفرحان، المرجع نفسه ص ٧١؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٥٧

(٣) من المشاكل الداخلية في معسكر مبارك التناحر والتشابك الذي وقع بين قبيلتي المنتفق ومطير وحاولت القبيلتان تصفية حساب الماضي القديم خلال سير الحملة إلى نجد، وكذلك ما كانت تسببه قبيلة العجمان الثائرة ولتمرده بطبعها ضد أي سلطة ونظام يحاول تقييدها وعلى الرغم من اعتراف هذه القبيلة بولائها للشيخ مبارك. (الذكير، مصدر سابق، ص ١٤٩؛ فريز، مرجع سابق ص ٢٩؛ قاسم، المرجع نفسه ٢/ ٣٣٠؛ الركابي، مرجع سابق ص ١٨٨)

(٤) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ٢٦٨؛ الحجى، مصدر سابق، ص ١٤؛ خزعل، مرجع سابق ص ٤٥/٢

(٥) الريحاني، المصدر السابق ص ٢٦٨؛ وقد ذكر مؤرخ الكويت عبدالعزيز الرشيد عن أسباب الهزيمة =

الصفوف، ولا يمتلك كفاءة حربية^(١). بل كان هدف مبارك جمع أكبر عدد من المجندين^(٢)

– سحب الأمير عبدالعزيز الرشيد خصمه إلى الموقع الذي وجده^(٣) يتناسب مع إمكانيات قواته، التي تفضل المواقع المفتوحة لسهولة التحرك، لا سيما كان جنوده متمرسين على القتال في مثل هذه البيئة منذ القدم^(٤).

– تفوق التكتيك العسكري بالاستخدام ابن الرشيد للابل المهاجمه (المسيوقة)، كدرع هجومي واق، حمى قواته من مباغته ومفاجأة الخصم وتقليل الإصابات، والخسائر بين الرجال^(٥).

– وتبقى رواية التسليح متفاوتة من مؤرخ إلى آخر، فهناك مَنْ اعتبر التسليح الجيد واحد من أسباب انتصار ابن الرشيد، حيث امتلك الأسلحة الثقيلة، التي كان لها الأثر الايجابي لتفوقه على أعدائه^(٦)، وهناك مَنْ أثبت أن قوات مبارك الصباح هي الأفضل تسليحاً. وقد ذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك بقولهم إن قوات ابن رشيد لم تكن مسلحة بشكل جيد بل أكدوا رداءة التسليح^(٧).

– إضافة إلى ما تقدم من أسباب انتصار ابن الرشيد أن هناك مَنْ قال بمشاركة قوات عثمانية بقيادة أحمد فيضي إلى جانبه^(٨).

= قوله ((وإذا أضفنا إلى هذا كله تدريب صغيرهم وكبيرهم على الطعن والضرب منذ نشأتهم وتنظيمهم أيضاً تلك الحملة:))، (الرشيد، المصدر السابق، ص ١٦٤)

(١) القناعي، مصدر سابق ص ٣٢؛ الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٦٤

(٢) عبدالعزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٦٤؛ وذكر الحاتم عن طريقة تشكيل جيش مبارك في هذه الحملة ((بأنه أقر خادمه الشرس عبدالله الهاجري بجمع المقاتلين لحرب الصريف؛ فكان يقول لمن يقول له لا أعرف الرمي: إذا ما تعرف ترمي هم يعرفون يرمونك))، (الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٧)

(٣) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٨

(٤) أرسل الملك عبدالعزيز - رحمه الله - رسالة لأبن شعلان ينصحه أثناء حربه مع إمارة الرشيد فيقول ((أنصح لك تتحصن في حصون الجوف؛ و لا تهجم على ابن الرشيد ولا تحاربه في الخارج فأن جنوده مدربون على القتال وهم قديمو العهد في الحروب وجنودك من البادية؛ فلا يركن إليهم ولا هم في القتال أقران شمر))، (الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٢٦٨)

(٥) الشمالان، المرجع السابق، ص ٢٣٤

(٦) جمال قاسم، المرجع السابق، ٢ / ٣٣٠؛ فريز، مرجع سابق ص ٢٩؛ الركابي مرجع سابق ص ١٨٨

(٧) الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ١٤٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٢٩

(٨) جمال قاسم، المرجع السابق، ٢ / ٣٣٠؛ الصباح، مرجع سابق ص ٩٩

الدور البريطاني والعثماني

مثلما تقدم، حاولت بريطانيا ثني عزم الشيخ مبارك عن خوض هذا النزاع، ومحاولة إقناعه بعدم غزو نجد، خوفاً من إيجاد الدولة العثمانية ذريعة للتدخل الفعلي في شؤون الكويت^(١). لكن الشيخ مبارك صرح حجي علي غلام رضا، الوكيل المحلي الإخباري، بأنه ليس من العقل أن يبقى جالساً مطمئناً في الكويت وعدوه الشيخ يوسف عند ابن رشيد في نجد، يحرضه ويؤلب القوى ضده. وبين أنه ما دام يوسف في نجد لا بد له أن يتحرك للقضاء عليه، وعلى مسانديه ليحمي نفسه والكويت من هؤلاء^(٢).

وقد اهتمت بريطانيا بمتابعة تطور الأحداث من خلال التقارير، التي يقدمها مخبريها المحليين في المنطقة، والذين حرصوا على تقديم تقارير مفصلة لنشاط مبارك واستعداداته وتجهيزاته للحملة، وتحركات الحملة وسيرها إلى نجد. كذلك قدم أولئك المخبرون، بعض الاقتراحات، لإنهاء النزاع، ومنع هجوم مبارك وحلفائه على نجد، بطرق ودية عبر التفاوض مع ابن رشيد عن طريق وكيله في البصرة فهد البسام. مقابل إقناع مبارك في التخلي عن أي هجوم ينوي القيام به. وأوكلت مهمة كبح هذا الهجوم للمقيم البريطاني في بوشهر كميول^(٣).

وحينها طلب الشيخ مبارك من كميول، أثناء أعداده للحملة في شعبان ١٣١٨هـ/نوفمبر ١٩٠٠، تقديم المساعدة والعون بتزويده بالأسلحة الثقيلة، عبارة عن مدفعين، يمكن حملهما على ظهور الجمال بهدف الدفاع عن الكويت. لكن، بريطانيا رفضت تقديم الأسلحة بحجة خوفها من استخدامها في حملته المزمعة ضد نجد هذا من جهة، ومن جهة أخرى بينت بريطانيا أنها المسؤولة عن حماية الكويت من أي خطر يحدق بها من الخارج^(٤). غير أن لوريمر يثبت عكس ذلك، ويرى أن السياسة البريطانية كانت وراء دعم مبارك بالأسلحة،

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ١٥٤١/٣؛ جمالقاسم، مرجع سابق ٣٣١؛ القاسمي،

Bidwell, A.K.Vol1, Part111.PP7-8

مرجع سابق ١٢٧/٢

Bidwell, A.K.Vol1, Part 111.P12

(٢) لوريمر، المصدر السابق، ١٥٤٠/٣

Bidwell, A.K.Vol1.Part 111. PP1-8

(٣)

Bidwell, A.K.Vol1.Part 111.P6

(٤)

وغضها الطرف عن سوق الكويت، الذي أصبح، في هذه الفترة، رائجاً بتجارة الأسلحة، بموافقة ورضا إنجليزي تام^(١).

ويكشف المتتبع لتاريخ الشيخ مبارك، منذ استيلائه على السلطة في الكويت إلى هذه الفترة، أنه كان يعتمد الإسلوب الدفاعي في سياسته أثناء النزاع الدائر بينه وبين الشيخ يوسف آل إبراهيم، ولم يقم بأي عمل هجومي إلا بعد أن ضمن الحماية البريطانية على الكويت. فبدأ يغير هذه السياسة بأخذه زمام المبادرة، والهجوم الوقائي للقضاء على أعدائه^(٢).

وقد أبدى الرأي العام العربي، خلال تلك الفترة عبر وسائل الإعلام المحدودة، وجهة نظره حول هذا الحدث، متهماً بريطانيا بأنها وراء قيام هذه المعركة ذلك بتحريضها للشيخ مبارك، ودعمه في هذه الحرب. قالت جريدة "اللواء" المصرية: ((إن الذي يحرض على تلك الثورة، ويذكي نارها يد الدسائس الإنجليزية، التي أصبح شأنها في كل حادث سياسي يقع في الشرق، وعلى ذلك من الدلائل الماضية ما يؤيد المبدأ القائل في كل حادث حصل ابحت عن إنكلترا))^(٣). وأكملت الجريدة بكشف وتبيين ردة الفعل الإنجليزية لهذه الهزيمة بقولها: "وحسبنا دليلاً على فشل الإنجليز وإحباط مسعاهم ما أوردته جريدة "أجيبسيان غازيت"، لسان حالهم في مصر، بعد أن روت ذلك الخبر بقولها: "إن الهزيمة التي حاقت بمبروك - مبارك - زعيم الكويت يمكن أن تجر الضرر العظيم لمصالحنا الجسيمة على ضفاف الخليج الفارسي - العربي - ولذا يؤمل من حكومة الهند أن تستيقظ لذلك الأمر الجلل قبل كل سلطة بريطانية، وتدبر الوسائل الضرورية لحماية تلك المصالح، الحماية الفعلية بمدينة الكويت"^(٤).

ومن جانبها رمت الدولة الروسية باللائمة على بريطانيا، وأنها، وراء تلك الأحداث. لكن، برأي مغاير ومعاكس للرأي العربي ذكر المقيم الروسي في بغداد كرجلوف ما مفاده: تسعى بريطانيا لاستغلال الأحداث بدعمها لأنصارها

(١) لوريمر، دليل الخليج، مصدر سابق ٣٧/٦؛ وأيده في هذا التوجه جمال قاسم (جمال قاسم، مرجع سابق، ٣٢٩/٢)

(٢) جمال قاسم، المرجع السابق، ٣٢٩/٢

(٣) جريدة اللواء، القلاقل.. مصدر سابق ٢

(٤) جريدة اللواء، القلاقل.. مصدر سابق ٢

بالسلاح. والمقصود بالأنصار، كما ذكر كرغولوف، هو الشيخ يوسف آل إبراهيم وأتباعه، عندما حاولت تقديم الأسلحة للأخير عن طريق ميناء قطر^(١).

نعم، حصل الشيخ يوسف على الأسلحة، واستلمها وهو في حائل عن طريق ميناء قطر، وهي مرسله من الهند، إلا أنها ليست من بريطانيا بل من الشيخ عبدالعزيز بن علي آل إبراهيم، مثلما ذكرنا في السابق. وهذا ما أكده أيضاً الشيخ مبارك، وهو يضع خصمه الشيخ يوسف نصب عينيه، لمعرفته بأن مصدر تلك الأسلحة هو عائلته في الهند، التي كانت وراء توفير الامدادات والاحتياجات والمستلزمات لهذه الحرب^(٢). ويرى أداموف، المقيم السياسي الروسي في البصرة والمهتم بأحداث تلك الفترة^(٣)، أن لبريطانيا مصلحة في إضعاف الأمير عبد العزيز الرشيد، لذا كانت تشجع أعمال الشيخ مبارك الهجومية عليه بصورة مباشرة، أو غير مباشرة^(٤). وعلى أية حال، جاءت أخبار هزيمة الشيخ مبارك مدوية على الحكومة البريطانية، وهي تحمل معها نبأ إشاعة مقتل الشيخ مبارك في المعركة، ومن ساعتها قررت إرسال المقيم البريطاني في بوشهر للتأكد من صحة النبأ، الذي سيعصف بمعاودة الحماية البريطانية على الكويت (١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م)^(٥).

وأما موقف الدولة العثمانية، فبعد معرفتها بسير حملة الشيخ مبارك للهجوم على نجد، قامت بإرسال رسالة تحذيرية له، وأمرته بالتخلي عن فكرة الهجوم والعودة إلى دياره. فأعتذر الشيخ مبارك عبر رسالة أرسلها لوالي البصرة محسن باشا عن طريق ابنه جابر في الكويت، متعللاً بأنه لن يهدأ له بال وعدواؤه: الأمير عبد العزيز بن الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم يفعلان ما يحلو لهما دون رادع^(٦). وفي الوقت نفسه أمرت الحكومة العثمانية كاظم

(١) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٨٢

(٢) رسالة باللغة العربية من مبارك الصباح إلى المقيم البريطاني في بوشهر - كامبل - (نقلا عن كتاب (Rush, Records...oP, cit, P171).

(٣) أداموف، مرجع سابق، ٢٠٢/٢

(٤) فسيليف، مرجع سابق ٢٥٠/١

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤١؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر

سابق ص ١١٨؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣٣

(٦) القاسمي، مرجع سابق، ص ١٢٨؛

باشا صهر السلطان، وأحد قادة الفيلق السادس ببغداد، بالتوجه إلى بلاد نجد للتفاوض مع ابن الرشيد والشيخ يوسف لإقناعهما بالصلح مع الشيخ مبارك^(١). فكان وصول كاظم باشا إلى معسكر ابن رشيد في موضع عين بن فهيد قبيل المعركة بأيام، واجتمع مع الأمير والشيخ. إلا أن وصول حملة الشيخ مبارك إلى بلاد القصيم كانت كفيلاً بإيقاف محاولة للصلح^(٢).

وإثناء وجود كاظم باشا هناك قام بعقد عدة اجتماعات مع الشيخ يوسف، وقدم له فرمان العفو السلطاني، والسماح له بالعودة إلى العراق. بل طلب منه مرافقته إلى بغداد. ومن جانبه استبشر الشيخ يوسف كثيراً، لأن ذلك سيفتح قنوات جديدة له لمحاولة إقناع الحكومة العثمانية لتحقيق مبتغاه بالقضاء على الشيخ مبارك. مقدماً الامتنان لكاظم باشا لهذا المنحى الجديد، وأبدى موافقته لمرافقته إلى بغداد^(٣).

ومن خلال قراءة الأحداث، لم نجد موقفاً واضحاً للدولة العثمانية تجاه أحد الطرفين. إلا أن محسن باشا والي البصرة، إثناء سير حملة الشيخ مبارك إلى نجد، أرسل قوة إلى الزبير تضم مئة من الخيالة، لاسكات تمرداً. وعند وصولها إلى مشارف المدينة منعها الأهالي من الدخول، ولم تدخل إلا بعد وساطة بعض وجهاء البلدة. كما طلب محسن باشا من خالد باشا العون، وبعض الأعيان الحضور إلى البصرة للتحقيق في ذلك التمرد. وقد وصلت هذه الانباء مسامع الشيخ مبارك، أثناء سير حملته إلى نجد من أحد أصدقائه بالزبير، ونقلها بدوره إلى ابنه جابر في الكويت^(٤).

إن اهتمام الشيخ مبارك بشؤون الزبير وأحداثها الداخلية، وحرصه على نقل هذه الأخبار إلى ابنه جابر في الكويت يدعو للاستغراب، خصوصاً إذا ما علمنا أن الزبير مقلدة بالنسبة له وأحدى نقاط الدعم لخصمه الشيخ يوسف، وحليفه ومؤيده الأمير عبد العزيز الرشيد مقر إقامة أبناء القتيلين. فمن المعلوم

(١) الذكر، مرجع سابق، ص ١٥٠؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٨١؛ ويذكر حسين حسني أن قدوم كاظم باشا كان بعد معركة الطرفية (حسني، مصدر سابق، ص ١٤٦)

(٢) الذكر، مصدر سابق ص ١٥٠

(٣) الذكر، المصدر نفسه، ص ١٥٠؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٨١.

أنه في الفترة اعتمد الطرفان على جمع الحلفاء والمؤيدين لكسب الجولة. ويبقى تفسير إشاعة والي البصرة لوجود تمرد بالزبير، أنه قام بهذا العمل لمنع الأهالي وشيخهم من المشاركة إلى جانب قوات ابن الرشيد، أو كي لا يعطي خصوم صاحبه الشيخ مبارك فرصة استغلال الزبير مركزاً لضرب الحملة من الخلف، أو ربما كان الأمر من تدبير الشيخ مبارك، حتى لا تستخدم طريقاً لمهاجمة الكويت أثناء غيابه. فدبر هذه المشكلة للزبير عن طريق أصدقائه هناك، ليتخذ منها محسن باشا ذريعة للتدخل.

كما أكد مؤرخون آخرون على الدعم العثماني للأمير عبدالعزيز الرشيد، بتقديم الأسلحة الثقيلة في حربه ضد الشيخ مبارك^(١)، ولم يتوقف الدعم على الأسلحة فقط، على حد زعم هؤلاء، بل بالمشاركة الفعلية إلى جانب إمارة نجد بقوة مكونة من أربعمئة مقاتل بقيادة أحمد فيضي باشا. وكان لهذه القوة، على رأي هؤلاء المؤرخين، أثر في رجحان كفة ابن رشيد، مما أدى إلى انتصاره انتصاراً كاسحاً في الصريف^(٢).

وفي الوقت الذي لا يستبعد فيه حصول ابن رشيد على أسلحة من قبل السلطات العثمانية، إلا أنه حصل فعلاً على أسلحة من الشيخ يوسف عن طريق ميناء قطر أيضاً، دارت الشكوك حولها أنها من الحكومة البريطانية. وعلى الرغم من كل هذا لكن المصادر أجمعت إلى رجحان وأفضلية التسليح لجانب حملة الشيخ مبارك.

أما مقوله الاشتراك الدولة العثمانية الفعلي إلى جانب ابن رشيد، فإن المطلع على الموقف العثماني، في هذه الفترة الحرجة وخصوصاً في ما يتعلق بمسألة الكويت، يدرك تماماً أن الدولة العثمانية كانت تسعى لنشر الهدوء والاستقرار في المنطقة، وذلك لعدم إعطاء فرصة للإنجليز، الذين يحاولون الاستفادة من هذا النزاع ليحصلوا على موطن قدم في الكويت. ولو افترضنا أن الدولة العثمانية قررت دعم ابن رشيد، فلماذا لم ترسل قواتها عن طريق والي البصرة محسن باشا، مع أن تلك القوات كانت على أهبة الاستعداد، كما أن

(١) موزل، مصدر سابق، ص ٥٧٥؛ زهرة فريث ديكسون، مرجع سابق، ص ٢٩؛ جمال قاسم، مرجع

سابق، ٢/ ٢٣٠؛ الركابي، مرجع سابق، ص ١٨٨؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٨١.

(٢) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٣٠؛ الصباح، مرجع سابق، ص ٩٩.

خروج الشيخ مبارك بحملته إلى نجد فأرغاً وفرصة ذهبية للسيطرة الفعلية لاحتلال الكويت مثلاً. وأخيراً لم يستند أصحاب هذا الرأي، إلى مصدر تاريخي يؤكد ما ذهبوا إليه بل كانت مجرد إشاعة حرب نفسية.

موقف مبارك بعد الصريف

بدء الأمير عبد العزيز الرشيد، وحليفه الشيخ يوسف آل إبراهيم، في العمل للاستفادة من هذه الفرصة الثمينة، وعدم تفويتها لتحقيق هدفهما المشترك بالسيطرة على الكويت بعد انكسار الشيخ مبارك، الذي أصبح في وضع سيء نتيجة لهذه الخسارة الفادحة^(١). بدأ الحليفان في رسم الخطوط النهائية للاستيلاء على الكويت، وإزاحة الشيخ مبارك عن السلطة، وكانا على دراية وإدراك تامين بأن هذا الأمر لن يتحقق إلا بكسب موقف إحدى القوتين في المنطقة: بريطانيا والدولة العثمانية.

لذا سعى الأمير عبد العزيز بن رشيد وحليفه إلى كسب موقف الدولة العثمانية الرسمي لصالحهما، وسماحها لهما في المضي لتحقيق مرادهما^(٢). ولهذه الغاية توجه الشيخ يوسف بصحبة كاظم باشا - صهر السلطان - إلى بغداد في بداية ١٣١٩هـ / ١٩٠١. واستضافه كاظم باشا في قصره^(٣). ومن هناك بدأ بشن حملته الإعلامية، مستخدماً كل ما أوتي من الطرق، من أجل كسب الموقف العثماني، باذلاً، في سبيل ذلك، الأموال الطائلة^(٤). وركز أمام المسؤولين العثمانيين على تحالف الشيخ مبارك مع الإنجليز، وخيانتته للخليفة بصداقته لأعداء الخلافة الإسلامية، وعمله الدعوى لإدخال الكويت في محاور أجنبية^(٥).

(١) الذكر، المصدر السابق، ص ١٥١؛ ابن هزلول، مرجع سابق، ص ٥٧

(٢) الذكر، المصدر نفسه، ص ١٥١، العبد المحسن، مرجع سابق، ١ / ٣٢٤؛ ابن هزلول، مرجع سابق، ص ٥٧

(٣) الذكر، المصدر السابق، ص ١٥١؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٢٧؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٩٣

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١٥١؛ ابن هزلول، مرجع سابق، ص ٥٧؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ١ / ٢٢٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٩٣

(٥) القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣٤؛ Bidwell, A.K. Voll. Part 111. P135

صاحب تلك الجهود رفع أبناء الشيخين، محمد وجراح، الشكاوى للسلطات العثمانية ١٣١٩هـ/ ١٩٠١ ضد الشيخ مبارك، وطالبوا باسترداد حقوقهم المالية، التي سيطر عليها عمهم الشيخ مبارك بدون وجه حق. كذلك طالبوا باسترداد حقهم الشرعي في الحكم، الذي هو أساس مشروعاتهم^(١). ولم يكتف الشيخ يوسف بذلك بل قام بالطلب من أعوانه داخل الكويت رفع شكوى موقعة بأسمائهم، يشرحون الحالة الأمنية السيئة في الكويت، وانتشار الفوضى وعمليات النهب والسلب، لكثرة هجمات القبائل، وضعف الحاكم، وعجزه عن السيطرة على الأمن، والدفاع عنها من تعديات ابن رشيد، مما جعل بعض أهالي الكويت يفرون من الكويت ويستعطفون السلطان عبد الحميد الثاني لإنقاذهم من تردي الوضع، وإرسال قوات عثمانية للحفاظ أهالي الكويت، وإعادة الحالة الأمنية لبلدتهم^(٢).

لقد لقيت سياسة الشيخ يوسف صدياً ومردوداً كبيرين لدى خاصة السلطان عبد الحميد، فشنوا بدورهم حملة إعلامية شرسة ضد الشيخ مبارك، وكل مَنْ يروج لسياسة الإنجليز^(٣). ولم يتأخر كبار موظفي الحكومة العثمانية، في ولايتي بغداد والبصرة، بما فيهم أحمد فيضي قائد الفيلق السادس ببغداد، الذي أعنق عليه الشيخ يوسف بالأموال والهدايا. ومن خلاله تمكن من رشوة كبار موظفي الباب العالي، وعن طريقهم مورست الضغوط على السلطان عبد الحميد الثاني لاتخاذ سياسة حازمة تجاه الشيخ مبارك في مسألة الكويت^(٤).

(١) النكير، المصدر نفسه، ص ١٥١؛ الريحاني تاريخ نجد...، مصدر سابق، ص ١٢٠؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣٣؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ١/٢٢٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٩٣

(٢) الأرشيف العثماني، يلدز متفرقة الكتابة الأولى في المابين Y.PYK.PSK برقم ١٣/٥٣٠٤، تاريخ ١٨ رجب ١٣١٩هـ؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٨؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٥٣ - ٥٤

(٣) أنظر مجلة اللواء "شكوى إلى أمير المؤمنين"، ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ، مصدر سابق، ص ٣١٧ وما بعدها؛ جريدة اللواء "القلقل في جزيرة العرب" مصدر سابق ٢؛ وقد نشر سلطان القاسمي في كتابه بيان الكويت وثائق لشخصيات عديدة من مناطق مختلفة تحرض السلطان العثماني على الشيخ مبارك لتأييده الإنجليز، وقد بين أن تلك الرسائل أثارت غضب السلطان العثماني من الشيخ مبارك (انظر القاسمي مرجع سابق ص ١٦٩ إلى ص ١٧٤)

(٤) الأرشيف العثماني، استنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.Hus برقم ٦٤/٤٢١، تاريخ ١٨ رجب ١٣١٨هـ؛ النكير، مصدر سابق ص ١٥١؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٢٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٦٩ - ١٧٧؛ قاسم: جمال، مرجع سابق، ٢/٢٣٣؛

وأخيراً وجدت هذه التحركات من قبل الشيخ يوسف وأنصاره، وتحركات الأمير عبدالعزيز الرشيد، أثراً واضحاً لدى السلطات العثمانية^(١)، خصوصاً إنها كانت متخوفة في البداية من تماذي الأطماع البريطانية في المنطقة، بعد أن أضحت سفنها وبوارجها الحربية ترتاد شواطئ الكويت خلال هذه الفترة، وبشكل مكثف ودائم. وإلى جانب ذلك كانت علاقة مبارك ببريطانيا محط شك وارتياب لدى السلطان عبد الحميد الثاني^(٢). ومما يزيد الاهتمام العثماني درجة في شأن الكويت هو أن السلطان كان يواجه ضغوط مستمرة من قبل حكومتي ألمانيا وروسيا، لأجل إدخالها الكويت تحت السيادة العثمانية المباشرة، وهذا ما يضمن مصالح الدولتين، ويقطع الطريق على الأطماع البريطانية، بعد شيوع أخبار عقد معاهدة حماية بريطانية على الكويت^(٣).

كان الموقف الألماني نتيجة لموقف الشيخ مبارك الراض للتعاون مع ألمانيا، والسماح للبعثة الألمانية باتخاذ أرض كاظمة الكويتية نهاية لخط سكة حديد برلين بغداد^(٤). وإجمالاً، أدت تلك الضغوط إلى تحول الموقف العثماني الرسمي حول مسألة الكويت، خلال النصف الأول من العام ١٣١٩هـ/

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٨؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٥١؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٩٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣٤ Bidwell.A.K.VolI.Part 111.P135

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.Hus برقم ١٣٢ / ٤٨٤، تاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٢هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق الكتابة الأولى في المابين Y.PRK.BSK. برقم ١١ / ٣٦٦٤، تاريخ ١ / ٥ / ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء. MV. رقم BB/36 بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٣١٩هـ؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق؛ ص ١٦٨؛ Fo371/242 مقال مطول في صحيفة التايمز اللندنية بعنوان ادعاء تركيا السيادة على الكويت ٢٨ يناير ١٩١١م.

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.Hus رقم ٨٨ / ٤٠٢، بتاريخ ٤ رمضان ١٤١٧هـ؛ عبدالعزيز الرشيد مصدر سابق ص ١٦٩؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٢٥؛ الدوسري، مرجع سابق، ص ١٣٥؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣ / ١٥٣٧ - ١٥٢٨؛ فرج الله، مرجع سابق ص ١٣٨؛ ارمستروا، مرجع سابق، ص ٥٢؛ الاسدي، مرجع سابق، ص ٢٢٦ (Fo371/242) مقال طويل في صحيفة التايمز اللندنية يتحدث حول ادعاءات تركيا بالسيادة على الكويت بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩١١م

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.Hus برقم ٨٨ / ٤٠٢، بتاريخ ٤ رمضان ١٤١٧هـ؛ (Fo371/242) مقال طويل في صحيفة التايمز اللندنية يتحدث حول ادعاءات تركيا بالسيادة على الكويت بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩١١م؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ بونداريفسكي، مرجع سابق ص ٢٢٥؛ الدوسري، مرجع سابق ص ١٣٥؛ لوريمر، دليل الخليج =

١٩٠١، عندها قررت السلطات العثمانية إنهاء هذه المسألة بالتراجع عن سياسة محسن باشا والي البصرة، التي تبناها الموقف العثماني الرسمي منذ أواخر عام ١٣١٧هـ/١٩٠٠، لتتخذ سياسة حازمة لفرض السيادة المباشرة على الكويت^(١). ومن إجراءاتها في هذا المجال، تكليف مشير الفيلق السادس أحمد فيضي بمهمة تقوية نفوذ الدولة في الكويت، وإدخالها تحت السلطة العثمانية المباشرة عسكرياً^(٢).

لم يتردد أحمد فيضي، صاحب هذا التوجه نحو الكويت بتأثير الشيخ يوسف، في السعي لتنفيذ تلك المهمة، فقرر إرسال قوة من الفيلق السادس مكونة من ثمانية طوابير، بقيادة محمد باشا فاضل الداغستاني، الذي سار بقواته إلى ولاية البصرة^(٣) بداية ١٣١٩هـ/منتصف ١٩٠١. وتزامناً مع هذا التحرك تم الاتصال بالأمر عبدالعزیز الرشيد الموجود في منطقة الحفر، فأوضح له أحمد فيضي باشا من خلال مبعوثه خطة الهجوم على الكويت، وإدخالها تحت السيادة العثمانية المباشرة^(٤). وسرعان ما أبدى الأمير عبدالعزیز التزامه بتنفيذ المهام المناطة به، وبدأ يعد العدة من موقعه بانتظار أوامر الهجوم على الكويت^(٥).

غير أن محسن باشا والي البصرة أخذ يسعى لإحباط هذه الخطة، مبيناً عواقبها الوخيمة على المنطقة، ومحذراً من ردة فعل القوى العظمى ذات

= التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٣٧ - ١٥٣٨؛ فرج الله، مرجع سابق، ص ١٣٨؛ ارستروا، مرجع سابق ص ٥٢؛ الاسدي، مرجع سابق ص ٢٢٦، (Fo37/1242)

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني. Y.PRK.BSK. برقم ١١/٣٦٧٤، بتاريخ ١/٥/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول ي.أخص. A.MKT.NZD. برقم ٨٩/٤٢٦ بتاريخ ١٨/١٢/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرقة الكتابة الأولى في المابين Y.PRK, BSK رقم ١١/٣٦٧٤، تاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١٣١٩هـ؛ Fo37/149 D11-12-1905

(٢) الذكر، مصدر سابق، ص ١٥٠؛ عبدالعزیز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٧
Fredrick Anscombe., oP, cit, P176

(٣) عبدالعزیز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٦٧، الذكر، المصدر نفسه، ص ١٥٠؛
Bidwell.A.K.Vol1.Part 111.P 135. Fo371/149-D11-12-1905.

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١٥٠، القاسمي، مرجع سابق، ص ١٨٠، بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٩٢، الثنيان، مرجع سابق، ص ١٩

(٥) القاسمي، مرجع سابق، ص ١٨٠؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٩٢؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣٣٣؛ الثنيان، مرجع سابق، ص ٢١

المصالح بالمنطقة، خصوصاً بريطانيا، التي لن ترضى بتغيير الوضع الراهن. ومن جانب آخر، أخذ محسن باشا بتوضيح موقف الكويت وحاكمها والرافضين للهيمنة العثمانية المباشرة، وأن مثل هذا العمل سيجعل شيخ الكويت يرمي بنفسه في أحضان الأجانب^(١). وقد دافع عن الشيخ مبارك مؤكداً تفانيه في خدمة السلطان عبد الحميد الثاني، بدليل أعماله ومواقفه الايجابية مع السلطات العثمانية خلال السنوات الماضية. وأن كل ما يقال حول الشيخ مبارك ما هو إلا مجرد افتراءات يحيكها أعداؤه^(٢).

وأضاف والي البصرة محسن باشا في تحذيراته، من أي عمل عسكري ضد الكويت، بأن مثل هذا الأمر لا يمكن حله إلا بالطرق السلمية، وأنه مستعد للقيام بمثل هذه المهمة، وإنهاء جميع الأمور التي أثرت حول توجهات مبارك الأخيرة^(٣). وطالب بإيقاف جميع الترتيبات العسكرية من قبل الفيلق السادس، وكذلك الحال بالنسبة لتحرك ابن الرشيد، لأن ذلك سيزيد الوضع سوءاً خصوصاً وأن الشيخ مبارك متخوف من هذه التحركات، مما يجعل امكانية لجوئه للإنجليز أمراً محققاً في ظل هذا الضغط، وتهديد ابن الرشيد من جانب والإغراءات الإنجليزية من جانب آخر^(٤). وبعد أن تعهد محسن باشا بإقناع مبارك بقبول المطالب السلطانية بالطرق الودية^(٥)، قررت الدولة العثمانية تكليفه بمهمة اقناع مبارك بقبول السيادة المباشرة للسلطة العثمانية على الكويت سلمياً^(٦).

- (١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق الكتابة الأولى في المابين Y.PRK.BSK، رقم ١٢/٣٦٩١، بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٣١٩هـ، Bidwell.A.K.Vol1.Part111P81
- (٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، M.V.، رقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ الخترش، مرجع سابق، ص ٦٠، السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٥٩
- (٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، M.V.، رقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٦٠؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٥٩
- (٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، M.V.، رقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٥٦/٢١٤، تاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي
- (٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، M.V. برقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٥٦/٢١٤، تاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي
- (٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، M.V. برقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٥٦/٢١٤، تاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي

كان وراء هذا التراجع للسلطة العثمانية أسباب عدة، منها صعوبة نجاح خطة قائد الفيلق السادس أحمد فيضي، التي تحتاج إلى ميزانية خاصة في الوقت الذي تعاني فيه الدولة العثمانية من أزمة مالية شديدة^(١). كما أن هذا المشروع سيدخل الدولة العثمانية في وضع حرج مع القوى الأوروبية، وخصوصاً بريطانيا، التي بدأت أساطيلها وسفنها الحربية تجوب مياه شمال الخليج، بعد اكتشافها تحركات الفيلق السادس وتوجهه صوب ولاية البصرة.

وعلى العموم، أدركت السلطة العثمانية بأن خطة فيضي باشا ستجر المنطقة لأمر لا تحمد عقباه^(٢). لذلك كلف السلطان عبدالحميد الثاني والي البصرة بالذهاب إلى الكويت وإنهاء جميع الشكاوى، والمشاكل المتعلقة بالكويت، وما يختص بشأن السيادة^(٣). وهكذا سجل محسن باشا نجاحاً جديداً بإقناعه السلطات العثمانية في حل مسألة الكويت بالطرق السلمية^(٤). وقام بزيارة الكويت في صفر ١٣١٩هـ/مايو ١٩٠١، وعاد بصحبة الشيخ مبارك إلى الفاو، وبتأكيد إخلاص الشيخ للدولة العلية، وتكذيبه للشائعات التي بثها وأذاعها (المفسدون والمزورون) ضده كما أسلفنا^(٥).

ومن جانبه بعث الشيخ مبارك برسالة ولاء للسلطان عبد الحميد، وتبديد جميع الشائعات^(٦). ويذكر بعض المؤرخين أن ضباطاً من البحرية البريطانية

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق الكتابة الأولى في المابين Y.PRK.BSK، رقم ٣٦٩١/١٢، تاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٢١٩هـ؛ Bidwell.A.K.Vol1.Part111P81

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، M.V. برقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٢؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٥٠، كورشون العثمانيون وال سعود، مرجع سابق، ص ٢٨٤؛ Fo371/D 11-12-1905

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، M.V.، رقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٩٧

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤٢؛ الذكر، المصدر نفسه، ص ١٥٠
Fredrick Anscombe, oPcit, P177

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع Y.MTV. برقم ٥٦/٢١٤ وتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧م؛ الذكر مصدر سابق ص ١٥٠، الرشيد مصدر سابق ص ١٦٧، خزعل مرجع سابق ٥٢/٢ - ٥٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق ص ١٢١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٣/١٥٤٢

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع Y.MTV. برقم ٥٦/٢١٤ وتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧م؛ الذكر مصدر سابق ص ١٥٠؛ عبدالعزيز الرشيد مصدر سابق ص ١٦٧؛ خزعل، مرجع سابق، =

كانوا حاضرين أثناء زيارة محسن باشا الكويت في ١٩ مايو ١٩٠١م وسوف تأتي على تفاصيل هذا الحادث لاحقاً. كما قامت قطع بحرية بريطانية بمراقبة ومتابعة الشيخ مبارك أثناء زهابه إلى الفاو^(١). وقد كشف محسن باشا لصديقه الشيخ مبارك قبل عودته إلى الكويت بأن من ضمن الأسباب التي دعت الدولة العثمانية للقيام بهذا الإجراءات هو تقديم مضابط موقعة من بعض أهالي الكويت، بعد حادثة الصريف، يحرضون فيها السلطات العثمانية على الاستيلاء على الكويت. وعندها أدرك الشيخ مبارك بأن عدوه الشيخ يوسف هو من حرض هؤلاء ضده^(٢).

وعلى الرغم من الأوضاع المتردية، التي يمر بها الشيخ مبارك جراء الهزيمة وكسب خصومه مؤيدين جديداً من موظفي الدولة العثمانية، إلا أنه استطاع أن يخرج نفسه من هذا المأزق بفضل إصرار صديقه محسن باشا والي البصرة لإنقاذه من عمل عسكري عثماني، وتوجيه مسار النزاع لصالحه، وبفضل حنكته، وقدرته على مجارة أعدائه^(٣). وبالرغم من افتقاده للموقف العثماني المؤيد له بالكامل، فلم يبق لدى مبارك أصدقاء لهم ثقل في الساحة السياسية، وخصوصاً في العراق العثماني، سوى محسن باشا والي البصرة، وموازرة بعض أشرف البصرة من عائلة النقيب أيما تقتضي الظروف. وعلى أية حال، تمكن في النهاية من كسب الجولة السياسية بالحوز على رضا السلطان عبدالحميد الثاني، بفضل والي البصرة، حتى لو كان بشكل مؤقت، أو على حساب مستقبل الوالي الوظيفي^(٤).

ومثلما تقدم، قررت السلطات العثمانية إيقاف جميع التحركات التي رسمها الشيخ يوسف، وتبناها أصدقاؤه من موظفي الدولة العثمانية، كأحمد

= ٥٢/٢ - ٥٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٢١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٤٢/٣

(١) الذكير، مصدر سابق، ص ١٥٠؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٥٣/٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٥٨

(٢) خزعل، مرجع سابق، ٥٣/٢ - ٥٤

(٣) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١٢٠

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص ١٥٠؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ٣٢٤/١

فيضي باشا وكاظم باشا وغيرهما، واقتنع بها السلطان عبد الحميد، بعد أن هون لهم الشيخ يوسف مهمة السيطرة على الكويت لكثرة مؤيدي أبناء القتيلين فيها.

لقد أصاب هذا الموقف المهزوز والمتراجع للدولة العثمانية الأمير عبد العزيز الرشيد بالإحباط، من جهة حلفائه العثمانيين، الذين طالبوه بالتراجع والعودة إلى بلاده، وأن ينسى أمر الكويت، بعد محاولاته المضنية والشيخ يوسف لكسب الموقف العثماني لجانبها^(١)، وتكبيدهما الخسائر المالية، وخصوصاً الشيخ يوسف. أحبط الشيخ مبارك كل تلك الجهود برسالة واحدة إلى السلطان عبد الحميد الثاني، مؤكداً فيها ولاءه لعرشه وللدولة العلية.

وبخطوة لاحقة، بدأ الأمير عبدالعزيز الرشيد في محاولة إقناع الحكومة البريطانية للسماح له بالاستيلاء على الكويت، ذلك بعد يأس من إقناع الحكومة العثمانية^(٢). طالباً من وكيله في البصرة فهد البسام، أثناء تواجده في الحفر ١٣١٩هـ/ يونيو ١٩٠١، التفاوض مع المقيم السياسي البريطاني راتسلو Wratislaw لعقد معاهدة حماية بريطانية مع أمانة آل الرشيد، طبقاً لصورة المعاهدة مع مبارك شيخ الكويت. لكن، بشرط عزل الشيخ مبارك وتعيين صباح بن الشيخ محمد الصباح على مشيخة الكويت. وأعلن فهد البسام قدرة ابن الرشيد على تنفيذ هذا الأمر إذا ما سمحت له بريطانيا واتخذت جانب الحياد. مؤكداً عدم الاكتراث بالعثمانيين^(٣). وكذلك طلب تزويده بالسلاح

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ١٧٣٩/٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٢٥؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص ٩؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٥٧؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٠٧؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٣٣٣/٢؛ Kumar, oP, cit, P196

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ١٧٣٩/٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت مرجع سابق ص ١٢٥؛ الخترش، مرجع سابق ص ٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص ٩؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق ص ٥٧؛ بونداريفسكي، مرجع سابق ص ٢٠٧؛ جمال قاسم، مرجع سابق Kumar, oP, cit, P196 ٣٣٣/٢؛

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر السابق ١٧٤٠/٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ص ١٢٥ - ١٢٦؛ جمال قاسم، المرجع السابق ٢/٣٣٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ص ٢٠٣ - ٢٠٤؛ الخترش، مرجع سابق ص ٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص ص ٩ - ١٠؛ الزعاري، مرجع سابق، ص ١٧٢؛ Kumar, oP, cit, P 196

اللازم، مقابل تعهد أمانة الرشيد بضمان سلامة سكة الحديد المزمع مدها عبر شمال الجزيرة العربية شمال نجد^(١).

ومعنى هذا أن ابن رشيد عرف بأمر المعاهدة مع الكويت، على الرغم من سريتها التامة، وحرص الطرفين: بريطانيا والشيخ مبارك على التكتّم عليها! ويعتقد أن السفير البريطاني في اسطنبول السير نيكولا أوكونر O'CONNOR كشفها تحت وطأة ظروف معينة^(٢)، أو أن الأمير عبد العزيز الرشيد قد عرف بأمرها عن طريق حليفه الشيخ يوسف. وما يجعل ترجيح الاحتمال الثاني هو أن تركيز الشيخ يوسف خلال حملته الإعلامية، ضد الشيخ مبارك، على علاقة الأخير المتينة ببريطانيا. وما يشير إلى قوة التحالف بين الأمير ابن الرشيد والشيخ يوسف، أنه إلى جانب طلب التحالف مع بريطانيا عبر معاهدة حماية، ركز ابن الرشيد على خلع مبارك، وتعيين صباح بن محمد حاكماً على الكويت.

يضاف إلى ذلك، أنه أراد اقتران معاهدة الحماية بعلاقات مستقبلية متينة مع الكويت، ليضمن بذلك الاستفادة من الكويت منفذاً بحرياً تعتمد عليه أمارته، وهذا لا يتم في ظل بقاء الشيخ مبارك حاكماً. ومن المحتمل أيضاً أنه أراد الضغط على الحكومة العثمانية، التي تجاهلت طلبه بالسماح له بالهجوم على الكويت، والقضاء على الشيخ مبارك.

أخذ القنصل البريطاني في البصرة طلب معاهدة الحماية مع نجد بجدية، فقام بإجراء اتصالات بلندن، ف جاء الرد عبر سالسبوري Salisbury وزير الخارجية البريطاني أنه بالرغم من ترحيبه بصداقة ابن الرشيد، وتفهمه لبواعثه. إلا أنه غير مستعد لأجراء أي تغيير سياسي في الكويت. وصلت هذه الأنباء، على الفور، إلى الأمير عبد العزيز الرشيد^(٣) وبعد فشل الأخير في الحصول على الحماية البريطانية غير المقرونة في الإطاحة بالشيخ مبارك، قرر الرجوع إلى حلفائه العثمانيين من جديد، استجابة للضغوط التي مورست عليه

(١) لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ١٧٤٠؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ص ١٢٥ - ١٢٦؛ قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٤، بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ص ٢٠٣ - ٢٠٤؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص ص ٩ - ١٠؛ الزعراير، مرجع سابق، ص ١٧٢؛

(٢) الثنيان، مرجع سابق، ص ٢٥

(٣) الخترش، مرجع سابق، ص ٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص ٣٩؛ جبار عبيد، مرجع سابق، ص ١٥١؛ بوند اريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٠٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٤١

من قبلهم للبقاء على ولائه لهم، وثنيه عن الاتفاق مع الإنجليز، بعد علمهم بمفاوضاته معهم^(١). أتت هذه المستجدات سريعاً بعد فشل والي البصرة محسن باشا في مساعيه لصالح الشيخ مبارك، وتخلي الباب العالي عن سياسته السابقة، وشرعوا في النية بمهاجمة الكويت^(٢).

سير العثمانيون الطراد زُحاف لهذه المهمة^(٣) حاملاً رسالة باسم السلطان عبد الحميد الثاني، في جمادى الأول ١٣١٩هـ/أغسطس ١٩٠١^(٤). وعند اقتراب الطراد من شاطئ الكويت، ظهر الطراد البريطاني برسوس Perseus، الذي كان معداً لهذه المهمة، من قبل المقيم السياسي البريطاني في بوشهر كمبول لغرض حماية وعون الشيخ مبارك عند الضرورة، على شرط أن يظل على التزامه باتفاقية ١٣١٦هـ/١٨٩٩^(٥). حاول قبطان الطراد البريطاني إنذار الطراد العثماني بمغادرة ميناء الكويت، لكن القبطان العثماني لم يكثر لهذا التهديد، وواصل القيام بما عزم عليه. عندها قدم القبطان البريطاني تهديداً صريحاً في حالة إنزال الطراد العثماني جنوداً على أرض الكويت^(٦). ومن جانبه أعلن الشيخ مبارك رفض وجود الطراد العثماني، بتأييد وتحريض من قبل القبطان البريطاني، الذي أمر الطراد العثماني بسرعة

(١) الخترش، مرجع سابق ص٦؛ الثنيان، المرجع نفسه ص٤٧؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٥٨

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK، رقم ١١/٣٦٧٤ بتاريخ ٢٢/٥/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول ي.أخص. A.MKT.NZD، رقم ٨٩/٤٢٦، تاريخ ١٨/١٢/١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٢

(٣) ولضمان تطبيق هذه السياسة ونجاحها قامت الحكومة العثمانية بإعداد قواتها في العراق بقيادة أحمد فيضي - قائد الفيلق السادس ببغداد - والذي أشرف على إعداد وحشد قواته وتجهيز السفن لنقل الجنود عبر نهر الفرات إلى جهة الكويت، وقد كانت هذه المهمة في ظاهرها للتهديد بالهجوم على الكويت والسيطرة عليها بالقوة العسكرية في حالة رفضه قبول الأوامر السلطانية بفرض السيادة العثمانية المباشرة على الكويت (الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK برقم ١١/٣٦٧٤ تاريخ ٢٢/٥/١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤٢)

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK، رقم ١١/٣٦٧٤، تاريخ ٢٢/٥/١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٢

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٢ - ٣/١٥٤٣؛ Fo371/149

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK برقم ١١/٣٦٧٤ تاريخ ٢٢/٥/١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤٢

الخروج من الكويت. موضحاً حرص الحكومة البريطانية على الشيخ مبارك، وهو تحت الحماية البريطانية^(١). وما كان من الطراد العثماني إلا مغادرة الميناء مهدداً ومتوعداً الشيخ مبارك^(٢). بعدها سبب تصريح قبطان الطراد Perseus بأزمة سياسية دولية في المنطقة، فقدمت الدولة العثمانية احتجاجاً ضد بريطانيا^(٣)، وكذلك فعلت ألمانيا وروسيا^(٤).

بعد أن علم الأمير عبدالعزيز الرشيد بإرسال الدولة العثمانية قوة عسكرية إلى الكويت، لفرض سيادتها الفعلية عليها، بدأ يعد العدة للهجوم على الكويت والاستيلاء عليها. وقد أوضح خالد السعدون في كتابه "العلاقات الكويتية النجدية" معللاً عودة ابن رشيد للتحرك نحو الكويت بالقول: ((يبدو

(١) الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء M.V برقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ لوريمر، المصدر نفسه ١٥٤٢/٣ - ١٥٤٣؛ خزعل مرجع سابق ٥٨/٢ Fo371/149

(٢) لوريمر، المصدر نفسه ١٥٤٣/٣ Fo371/149

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.BRK.BSK برقم ٧٦١٤/١٩ بتاريخ ٨ شوال ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول. يلدز متفرق همايوني Y.BRK.BSK برقم ١٨/٧٤٦٧ بتاريخ ٢ شوال ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول. يلدز متفرق همايوني Y.BRK.BSK برقم ٧٨٧٧/٢٠ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ

(٤) وتمخضت بنهاية الأزمة عدة اجتماعات وتصريحات من قبل الطرفين أبرزها الاجتماع الذي عقده السفير البريطاني في اسطنبول - أكونور - مع ناظر الخارجية العثمانية - توفيق باشا - في ٢٣ جمادى الأولى ١٣١٩هـ/٦ سبتمبر ١٩٠١م أكد فيه السفير البريطاني بأن حكومته ليس في نيتها ولم تفكر احتلال الكويت وفرض حماية عليها، ما دام أن الدولة العثمانية لا تقوم بإرسال قوات عسكرية إلى هناك، وأنها تحافظ على الوضع القائم في الكويت. وأكد ناظر الخارجية العثمانية بأن حكومته لن تقوم بإرسال قوات عسكرية إلى هناك وسوف تحافظ على الوضع القائم هناك بشرط عدم قيام الحكومة البريطانية باحتلال الكويت أو تفرض حمايتها عليها وطلب الممثل العثماني من السفير البريطاني الحصول على تأكيد من وزارة الخارجية البريطانية بشأن هذا الاتفاق، وجاء الضمان البريطاني لتأكيد هذا الاتفاق برسالة بعثتها وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى ١٣١٩هـ/١١ سبتمبر ١٩٠١م وبعد الاعتداءات والغارات التي كان يشنها الأمير عبد العزيز الرشيد على الكويت طلبت بريطانيا من الدولة العثمانية إيقاف ابن رشيد ومنعه من الهجوم على الكويت في ٢ جمادى الثانية ١٣١٩هـ/١٥ سبتمبر ١٩٠١م. وأكدت الحكومة العثمانية بأن ما يقوم به ابن رشيد مخالف للأوامر وعليه ستقوم الحكومة بإرسال قوة لتمنعه من مهاجمة الكويت (الأرشيف العثماني، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK برقم ٣٦٧٤/١١، بتاريخ ٢٢/٥/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء M.V برقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.Hus، رقم ٤٢١/٦٤، تاريخ ١٨ رجب ١٣١٨هـ، خزعل، مرجع سابق، ٥٨/٢؛ لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٣/٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٧٧؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٣٩)

أن ابن رشيد يأس من موقف حلفائه فقرر أن يعتمد على قوته الذاتية، أو أن حلفاءه أوحوا له من طرف خفي بأن يفعل ما يحلو له مع الكويت، ولذلك عاد للتحرك نحوها^(١). ولعل السعدون قصد بالطرف الخفي هو الشيخ يوسف، الذي استطاع إقناع حلفائه العثمانيين بأن يغضوا الطرف عن ابن الرشيد، ليفعل ما يحلو له في الكويت، خصوصاً بعد عودته للمشاركة مع ابن رشيد في هذا الهجوم، قادماً من بغداد.

كان للجفاء بين الحكومة العثمانية وابن الرشيد، لما تقدم من أسباب، أثر واضح في تخلي الدولة العثمانية عن قرارها، ومنعه من مهاجمة الكويت^(٢). إلا أنه بعد فترة وجيزة عاود الأمير عبدالعزيز الرشيد وحليفه الشيخ يوسف^(٣) مهاجمة الكويت وأطرافها في منتصف السنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١. فقام الشيخ مبارك بالاتصال بحليفه سعدون شيخ المنفق^(٤)، واتصل بالمقيم البريطاني في بوشهر يخبره بتحركات ابن رشيد، واتضح الموقف البريطاني جلياً عندما تجاوزت السلطات البريطانية وأرسلت على وجه السرعة ثلاثاً من سفنها الحربية للتصدي المباشر لهجمة ابن رشيد المتوقعة على الكويت، ودُعمت هذه القوة ليصل مجموعها إلى حدود سبع سفن حربية^(٥).

وتم إنزال الجنود البريطانيين في الكويت بمدافعهم تحسباً لأي هجوم مرتقب. وعمدوا إلى تحصين الكويت بحفر خنادق تحيط بالمدينة، واشترك قسم من أهالي الكويت في حفر تلك الخنادق إلى جانب الجنود الإنجليز. وما لزم الخنادق هو ضعف أسوار الكويت بل لم يكون هناك أسواراً لحمايتها آنذاك

(١) السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٥٩

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء M.V برقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛

السعدون، العلاقات؛ . مرجع سابق، ص ٥٩؛ الخترش، المرجع نفسه، ص ٦٠

(٣) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٣٢٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٤٤

(٤) الرشيد: عبدالعزيز، مصدر سابق ص ١٦٩؛ خزعل، مرجع سابق ٢/٥٤؛ السعدون مرجع سابق ص ٥٩

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع Y.MTV. رقم ١٨٦ / ٢٢٠ بتاريخ ٢٨ و ٢٩/أغسطس ١٣١٧ رومي؛ لوريير دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٢/، ١٥٤٤؛ بونداريفسكي مرجع سابق ص ٢٢٦. P96. cit. Whigham.oP. السفن الحربية البريطانية: سنفكس، مارثون، بيرسوس، أنشيا، بومونا، أنفستجيت، وسفينة القيادة هاي فلاير تحت قيادة الأدميرال بوزن - جيت، وسفينة مستشفى.

(بني السور الثالث أبان حكم الشيخ سالم بن مبارك ١٩٢٠م)^(١). وبالنتيجة، لم يستطع ابن رشيد، إزاء هذه التحصينات والاستعدادات، مهاجمة الكويت، مكتفياً بمحاصرتها اقتصادياً بقطع جميع الطرق المؤدية إليها من نجد، والإغارة على القبائل التابعة للشيخ مبارك، ومصادرة جميع القوافل التجارية المتجهة إلى الكويت والخارجة منها^(٢). ويُعزز ذلك ما جاء في رسالة كمبول إلى الشيخ مبارك: "كما ترون فأن حكومتي مستعدة لحمايتكم، ولن نسمح للقوات العثمانية وحلفائها أو لسفنها بأي هجوم على الكويت" (أكتوبر ١٩٠١).

أصبحت حشود الاسطول البحري البريطاني مكونة من سفينة القيادة هاي فلاير High Flyer، وسفينة مستشفى تحت قيادة الاميرال بوزن - جيت Bosen-Gate قائد اسطول الهند الشرقية. والطرادت: بومون Pomone، مارثوان Marathon، برسوس Persous، سفنكس Sphinx، آساي Assaye، ريد بريست Red Brest، انفستكيتر Investigator (كما ذكر ذلك ويكهم Whigham).

وأعتبر البريطانيون ممارسات ابن الرشيد تحدياً سافراً لهم، فقرروا الاحتجاج لدى السلطة العثمانية لخطورتها. واتهموا الدولة العثمانية بالتواطؤ مع ابن رشيد، وما يحصل ماهو إلا إخلال بالمحافظة على الوضع القائم المتفق عليه في ٢٨ جمادى الأولى ١٣١٩/ ١٥ أغسطس ١٩٠١^(٣). وبالتالي طلبت الدولة العثمانية من ابن رشيد التراجع، فانسحب وقواته من حدود الكويت، وانتقل إلى منطقة الحفر على حدود الكويت وولاية البصرة، ينتظر ما ستسفر عنه الأحداث القادمة^(٤).

وبالمقابل طلب العثمانيون من بريطانيا الانسحاب من أرض الكويت، فبعد مراسلات بين رجالات الدولة العثمانية والباب العالي تقرر تقديم احتجاج شديد اللهجة، على تصرف السلطات البريطانية بإنزالها المدافع والجنود، في منطقة تعتبر من الممالك العثمانية. واعتبرت ما حصل خرقاً لاتفاق المحافظة على

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ١٥٤٤/٣؛ الرشيد، المصدر السابق، ص ١٦٩؛ خزعل، مرجع سابق ٥٤/٢، Whigham.oP.cit.P96

(٢) لوريمر، المصدر السابق، ١٥٤٤/٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٥٤/٢

(٣) السعدون، مرجع سابق ص ٦٠ Bidwell.A.K.Vol1.Part111.P.109

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٤٨/٣

الوضع القائم المتفق عليه، وشددت على سحب الجنود والمدافع التي البريطانية من الكويت. واعتبار أن ما حدث من تهديدات من قبل ابن رشيد للشيخ مبارك - حسب الادعاء البريطاني - يجب تصفيته عن طريقها. لأن هذا الأمر عائد إلى الدولة العثمانية التي يتبعانها فقط^(١).

لا بد لنا هنا أن نستعرض ونجرد أجندة الاحداث بعد معركة الصريف ١٧ مارس ١٩٠١م:

- وصول رسالة إلى المقيم البريطاني في بوشهر تخبر عن هزيمة الشيخ مبارك، ومقتله وذلك في ٢٨ مارس.

- وصول الشيخ مبارك بعد هزيمته متخفياً إلى الكويت في ٣٠ مارس مع مجموعة صغيرة، وفي ١٥ أبريل التحق به الإمام عبد الرحمن الفيصل وسعدون المنصور.

- وصول اثنين من الجنود الأتراك في منتصف إبريل، يحملان رسالة إلى الشيخ مبارك من والي البصرة للاطمئنان عن عدم صحة إشاعة خبر مقتله. كما وصل رؤوف بيك للإطلاع على صحته وأخباره.

- وفي أبريل أيضاً وصل فهد السبهان البصرة مندوباً عن الأمير ابن الرشيد لمقابلة كاظم باشا والقنصل البريطاني والشيخ خزعل في المحمرة.

- رسالة السفير البريطاني في طهران إلى وزير الخارجية البريطاني تخبره بأن صحف الهند ذكرت عن معركة الشيخ مبارك والأمير ابن الرشيد.

- أُبلغت في ٢٩ أبريل ١٩٠١ رسالة واضحة إلى وزير الخارجية العثماني من السفير البريطاني في اسطنبول بأن الأمور في الكويت يجب أن لا تتغير، مع وصول حماية مكثفة من قطع الأسطول البريطاني بلغت ست سفن حربية.

- انسحبت القوات العثمانية القادمة من بغداد إلى العمارة نتيجة ظهور مرض الطاعون بالبصرة، وذلك في ١١ مايو ١٩٠١. ومغادرة سفن الغوص الكويتية في موعدها الموسمي.

- وفي ١٩ مايو وصل والي البصرة محسن باشا إلى الكويت براً ولم يقدم

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق الباب العالي، B.E.o، رقم ١٣٠٠٢٠، تاريخ ٢ رجب ١٣١٩هـ؛ الرشيد عبدالعزيز، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٦٨؛ السعدون، مرجع سابق، ص ٦٠؛ Bidwell.A.K.Vol1.Part111.P109

بحراً لأن الطراد "زحاف" كان معطلاً وكان معه حراسة مكونة من ٨٠ جندياً وعدد من المدنيين لغرض فرض الحماية للشيخ مبارك الذي رفض ذلك بشكل قاطع، وكان في استقباله في الجهراء الشيخ جابر المبارك يصحبه أربعمئة خيال. وقد صادفت زيارة قبطان الطراد سفنكس الكوماندر فيليبس وجود والي البصرة في الكويت الذي غادرها في ٢٣ مايو، بصحبه الشيخ مبارك إلى الفاو، وأرسل منها برقيات طاعة للسلطان عبد الحميد الثاني. إلا أنه عند رجوعه من توديع والي البصرة طلب من الكوماندر فيليبس إبلاغ السلطات البريطانية بنية دخوله تحت الحماية البريطانية بأسرع وقت ممكن. ويمكن إعتبار ذلك التاريخ بداية تفعيل الحماية الفعلية. وبعدها بمدة قليلة نحي محسن باشا من منصبه وعين محله الفريق مصطفى نوري باشا والي أمن البصرة.

- وصل الطراد العثماني زُحاف، في ٢٣ أغسطس ١٩٠١، إلى الكويت وقد تصدى له الطراد البريطاني "برسوس"، حيث أنذر قبطانها بيرس Piers بأنه في حالة إنزال جنود عثمانيين فإنه سوف يقوم بقصفها. وفي اليوم التالي قابل قائد الطراد "زحاف" الشيخ مبارك، في محاولة لإرضائه، وحينما تعذر ذلك ابتداءً بتهديده. وقد غادر "زحاف" الكويت بعد يومين من وصوله.
- وساطة القنصل البريطاني في البصرة راتسلو الى بن رشيد في ٢٩ سبتمبر ١٩٠١م ورده ٢٢ أكتوبر ١٩٠١م.
- في بداية أكتوبر ١٩٠١م تقاطرت قطع الاسطول البريطاني الى الكويت لحمايتها. وبلغ عدد الجنود البريطانيين خلالها حوالي ٦٣٦ عسكرياً.
- إقالة محسن باشا والي البصرة في ٥ أكتوبر ١٩٠١ وعين في منصبه الفريق مصطفى نوري باشا من قادة الفيلق السادس محله.
- انسحبت القوة العثمانية المرابطة بقيادة فيضي باشا الى العمارة في ١٠ أكتوبر نتيجة وقوع إصابات لمرض الكوليرا في البصرة.
- نتيجة الى أنباء دخول الشيخ مبارك تحت حماية البريطانية منذ نهاية مايو ١٩٠١ اشتدت حملة الانتقادات الصحفية في أوروبا وخصوصاً الصحف الألمانية في خريف تلك السنة.

يمكننا القول ونتيجة الى ما سبق ظهور تطوراً ومنحاً جديداً في السياسة

العثمانية تجاه الشيخ مبارك مما حدا بأن يصدر السلطان عبدالحميد الثاني في ٢٩ أكتوبر ١٩٠١ إرادة سنية بأيفاد السيد رجب نقيب البصرة الى الكويت لتقديم النصح لشيخ مبارك بالاستجابة والرضوخ والابتعاد عن التدخل البريطاني في شؤون الكويت فأذا لم ينفع فالتهديد بالاستدعاء الى الاسطنبول ليقم فيها، فتم سفره في بداية ولاية مصطفى نوري باشا والذي استدعى شقيقه الاميرلاي نجيب بك وهو ضابط كبير وصاحب تجربة في أحوال المنطقة التي قضى في الخدمة فيها أكثر من ٣٠ سنة، ١٥ سنة منها في البصرة ونجد. وقد تضامن مع ارسال الوفد وضع خطة عسكرية: «لتسيير خمس طوابير مشاة وطابور خياله وبطارية مدفعية على أن تتحرك من البصرة لتصل الزبير بعد ساعتين ونصف ومنها الى صفوان بعد خمس ساعات وهي مرحلة واحدة يتم المبيت فيها. ومن ثم مواصل المسير الى الجهراء والتي تستغرق عادة ١٢ ساعة، ولكن عدم توفر المياه في الطريق فقد يتعذر الوصول للجهراء الا بعد يومين حيث تقطع المسافة على مرحلتين نتيجة حمل كمية من الماء اما المدة من الجهراء الى الكويت ٦ ساعات. كان التصور العسكري هو ان مياه شواطئ الكويت الضحلة يجعل السفن البريطانية غير قادرة على اطلاق مدافعها الا على بعد ٣ أميال، وهذا المدى سوف لن يؤدي الى اصابات بالغه للقطعات الزاحفة. كما انه لا توجد قوة كافية في الكويت بل شرنمة ممكن اسكاتها خاصة وان معظم الاهالي لا يؤيدون سياسة الشيخ مبارك. مما يسهل الامر».

بعدها غادر السيد رجب وبمعيته الاميرلاي نجيب بك البصرة في ٢٩ نوفمبر فوصلها يوم ١ ديسمبر على ظهر الطراد العثماني زحاف وقد سبق للسيد رجب النقيب ان قام بنفس المهمة في بداية شهر نوفمبر حيث قابل الشيخ مبارك في ١٠ منه وخلال تلك المهمة فقد تواجدت ٣ سفن حربية بريطانية في مياه الكويت. أما ابن رشيد فكان وقتها على مقربة ٦ ساعات من الكويت. وصل الطراد زحاف ظهر يوم الاحد ١ ديسمبر وفي اليوم التالي المصادف ٢ ديسمبر "عيد صاحبة الجلالة البريطانية الملكة فكتوريا". أرسل النقيب والذي كان يقيم في بيته في الكويت في حي القبلة رسالة السلطان مشفوعاً برسالة والي البصرة. وعندما استلم الشيخ مبارك الرسائل والتي ارسلها بدوره الى المقيم السياسي في بوشهر مع رسالة ويقول فيها "الحماية

لنفسي ولأطفالي وراعايانا وأعواني وكل بلدي جميعاً وقد وضعنا أنفسنا تحت مسؤوليتكم". وانه يطلب التوجيهات خلال يومين والا فإنه سوف يكون مضطراً للخضوع للاتراك. وكان حينها قد طلب من النقيب ونجيب بك مهلة ٣ أيام للرد "بحجة التشاور مع شعبه". وكان الاميرلاي نجيب قد أخبر الشيخ مبارك أن الدولة سوف ترسل قوة عسكرية لتقييم في الكويت تحت أمره الشيخ مبارك وفي حالة عدم قبوله أزاحتها من الكويت.

في ٤ ديسمبر قابل الوفد الشيخ مبارك طالباً رد سريع مما حدا بالشيخ مبارك الاجتماع بقبطان الطراد سفنكس مخبر أياه ان المطلوب منه رداً سريع. فقام القبطان فيلبس بتبليغ النقيب ان الشيخ مبارك ليس في محل الرد على طلب السلطان وان الدولة العثمانية خرقت اتفاق التوازن مع بريطانيا المبرم في اسطنبول في سبتمبر المنصرم وهددت الشيخ مبارك، فأن لبريطانيا الحق من حمايته من اي تهديد. (وكان استناد بريطانيا على الاتفاق في مضمونه المحافظة على الوضع القائم في الكويت وعدم ارسال قوة عسكرية تركية لتقييم فيها).

ونتيجة لذلك غادر النقيب والاميرلاي نجيب بك الكويت في اليوم التالي ٥ ديسمبر وهم يجرون انياله الهزيمة. وقد نقل قبطان الطراد ريد بريست رسالة إلى الشيخ مبارك من المعتمد البريطاني في بوشهر يقول فيها: "أن حكومتي لا ترغب في ان تترك مبعداً عن الكويت بل ترغب في بقاءك، وتأكد أن حكومة صاحبة الجلالة سوف تسعى لازالة كل ما يضايقك أو يسبب لك ازعاج".

في ٥ ديسمبر قدمت السفارة البريطانية في اسطنبول احتجاجها على تهديد نقيب البصرة للشيخ مبارك وطلبة الايعاز الى النقيب بالكف عن هذه الامور والرجوع الى البصرة على ان يتحمل الباب العالي المسؤولية كاملة خلاف ذلك.

في ٨ ديسمبر وصل النقيب والاميرلاي الى البصرة بعد سفرة استغرقت ١١ يوماً منها ٤ ايام مدة السفر من البصرة الى الكويت (كانت الرحلة بواسطة زورق من البصرة الى الفاو ثم الطراد زحاف الى الكويت).

ويذكر تقرير نجيب بك: "كيف أن القبطان البريطاني انزل العلم العثماني ورفع العلم البريطاني محله وانه كان المفوض بالجواب وسيحرق الكويت اذا اعطى الشيخ مبارك جواباً لنا، وانه سوف يبقى الليلة عند الشيخ مبارك. عدنا

إلى بيت النقيب وجمعنا اغراضنا وركبنا قارب إلى السفينة الهمايونيه زحاف وبتنا ليلنا فيها وغادرنا الكويت في الصباح الباكر .

أما تقرير النقيب فيقول فيه: " ان مبارك سأم الكويت وانه ينوي الاقامة في مقاطعته في الفاو أو الزين " .

كان الكابتن سايمون قبطان الطراد " بيمون " هو الذي قام بالرد على النقيب ونجيب بك على ضوء ما ذكرته التقارير فأرسلت قطع من الاسطول كما قامت السلطات بأنزال مدافع وحفرت الخنادق أثناء تواجد تلك القطع .

وفي ١٨ ديسمبر وصل الامير بن رشيد صفوان من الحفر ومعه عشرة الاف مقاتل وفي ٢٠ منه وصل على بعد ٥ ساعات من البصرة ومعه قائدا تركي كبير و٢٠ فردا من الخيالة فأمرت السلطات العثمانية بإيقاف توريد الاغذية من البصرة إلى الكويت. كما وصلت معلومات في ٢٤ ديسمبر عن مشاهدة بن رشيد على بعد ٣ ساعات من الكويت وتحركت كتبية تركية إلى صفوان.

في ٢٨ ديسمبر كانت القوات البريطانية قد استعدت بتطبيق خطة الكابتن فيلد لحماية الكويت وكانت تلك الخطة قد اعدت في ٢٨ سبتمبر من نفس السنة. وقد اثمرت الضغوط البريطانية في اسطنبول، حيث ارسلت برقية في ٢٧ ديسمبر من الصدر الاعظم إلى والي البصرة يأمر فيها ان ينسحب فيها الامير ابن رشيد من موقعه في الكويت إلى البرجسيه قرب الزبير. على مقربة من قيادة قائد الفيلق السادس فيضي باشا. على ان تدفع ارزاق له بلغت ١٠٠ الف قرش وقد غادر على اثرها الزبير في اول يناير ١٩٠٢ عائدا إلى حائل، وفي ١٢ يناير انسحبت السفن البريطانية معلنة انتهاء الازمة التي كادت تعصف بحكم الشيخ مبارك.

إلا أن بريطانيا صممت على موقفها، متعلقة أن ابن رشيد يشكل خطراً على أمن الكويت، وأخذت القوات البريطانية الموجودة على أرض الكويت تمارس تواجدها بحرية تامة، من خلال مزاوله الجنود لأعمالهم ولهواياتهم وأنشطتهم العادية^(١). فكانوا يمارسون رياضة كرة القدم، والكركت بحضور الشيخ

مبارك، وبعض من أهالي الكويت مع عدم الاكتراث بالتحديات العثمانية خلال السنة ١٣٢٠/١٩٠٢^(١).

لم يقف الشيخ مبارك أمام هذا الوضع الصعب مكتوف الأيدي، بل سعى لإضعاف موقف خصومه، الذين يحاصرونه ويهددونه. تقدم بشكوى للحكومة العثمانية، ممثلة في والي البصرة الجديد مصطفى نوري باشا^(٢) ضد تحركات ابن رشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم^(٣) وتقدم بالطلب أيضاً إلى الحكومة البريطانية لإضعاف موقف خصومه، مبيناً خطورة الدعم الذي يحصل الشيخ يوسف والأمير عبد العزيز، من تموين وخصوصاً الأسلحة عن طريق الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في الهند، وطالب بمنعه من مساعدتهم والضغط عليه ليجب الشيخ يوسف من الخروج من نجد والاستقرار بالهند^(٤).

كذلك قام بتأييد ودعم حركة الأمير عبد العزيز آل سعود، لاسترداد حكم آل سعود، وكان هدفه من وراء هذا التأييد والدعم المحدود استثمار نشاط آل سعود، في تحريك القبائل النجدية لإشغال ابن رشيد عن مسألة الكويت^(٥).

Whigham.oP.cit.P96

(١)

وعلى ما يبدو أن هذه أول ممارسة لكرة القدم في أرض الخليج العربي، وقد أبدى الشيخ مبارك إعجابه بهذه الرياضة وخاصة لعبة الكريكيت

(٢) مصطفى نوري باشا: مصطفى نوري باشا: من كبار ضباط الفيالق السادس ببغداد، ومن الذين استمالهم الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى جانبه في صراعه مع الشيخ مبارك بعد عودته للعراق، وكان له أثر كبير في عزل محسن باشا، فكان من أشد المعارضين لسياسته المتعلقة بالمسألة الكويتية، وحول ملف المسألة الكويتية إليه فكانت من أبرز المهام المناطة به، وأثبت مقدرة فائقة على مصارعة المتاعب الداخلية لولاية البصرة في عهد ولايته - رجب ١٣١٩هـ/ أكتوبر ١٩٠١م - م. (لوريمر دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٤/ ٢٢١٤؛ بونداريفسكي مرجع سابق ص ٢٤١)

(٣) لوريمر؛ دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٤٤؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٥٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٧٥-١٧٦.

(٤) وبين مبارك برسالة لكمبيل - المقيم البريطاني في بوشهر بان يوسف يمون ابن رشيد في هذه الحرب وان من يمول يوسف ويوفر له مطالبه ابن عمه عبد العزيز بن علي آل إبراهيم المستقر في الهند، وإذا ماتم إيقاف عبدالعزيز سيخسر الإمدادات التي يحصل عليها من يوسف عن طريق عبد العزيز بن علي. (رسالة بالعربية من مبارك إلى كمبيل بتاريخ ٢٩/٥/١٣١٩هـ جري نشرة في كتاب (Rush, Records..., op, cit, p171).

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع.Y.MTV. رقم ٦١/٢٢٦ بتاريخ ١٥/١١/١٣١٩، الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع.Y.MTV. رقم ١٢٠/٢٢٥، تاريخ ٩يناير ١٣١٧؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق الباب العالي B.E.O، رقم، ١٢٩١٨٠، تاريخ ٩/٦/١٣١٩، =

ولم يولي الأمير عبد العزيز الرشيد أمر تحركات الأمير عبد العزيز آل سعود في البداية اهتماماً، بقدر اهتمامه بمسألة الكويت، ولم يكثرث بأمره حتى بعد استرداده الرياض في ٥ شوال ١٣١٩/١٥ يناير ١٩٠٢^(١). إلا أنه استمر بمحاصرة الكويت اقتصادياً، والسعي مع حليفه الشيخ يوسف للقضاء على مبارك^(٢). لكن، تبين له بعد حين خطأه الجسيم بإهماله أمر الأمير عبد العزيز آل سعود وتركيزه على شؤون الكويت تاركاً أمور نجد في مهبط رياح التغيير فكانت الكويت "كعب أخيله" وموقع ضعفه، والذي استطاع تثبيت أقدامه في حاضرة نجد الرياض، وبدأت معها موازين القوى تصب في صالح الشيخ مبارك، حيث انصرف خصمه اللدود عنه لمقاومة السلطة السعودية المتنامية، مما أبعدهم عن الخطر عنه إلى حد بعيد^(٣).

تحركات الشيخ يوسف

عندما تأكد للدولة العثمانية أن الشيخ مبارك قد عقد اتفاق حماية مع بريطانيا، وقفت موقفاً معادياً منه، وبعد أن سعت بكل الطرق لثنيه عن هذا التوجه. لكنها فشلت، وقررت الضغط عليه بطرق مختلفة. ومن هذه الطرق والأساليب تأييد الشيخ يوسف، وذلك بالتغاضي عن نشاطه ضده بعد السماح له بالعودة إلى ولاية البصرة. ويذكر جمال زكريا قاسم في كتابه "تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر" ص ٢٣٧ خطأ وبدون إسناد، قرار تعيين الشيخ يوسف حاكماً رسمياً للدورة. والمعروف إن ((دورة ابن إبراهيم)) هي

= ورقم ١٣٠٠٢٠ بتاريخ ١٣١٩٧/٢؛ السبيعي، التصدي السعودي...، مرجع سابق، ص ١٣٦؛ القشعمي، مرجع سابق، ص ٧١

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول، أوراق الباب العالي B.E.O برقم ١٣٤٠٦١، تاريخ ٢٧ شوال ١٣١٩؛ ابن عيسى، مصدر سابق، ص ٢٠١؛ الذكر، مصدر سابق، ص ٢٠١؛ الزركلي، شبه الجزيرة، مصدر سابق ١/٩٠ - ٩٦؛ عبد الله البسام، مصدر سابق، ص ٢٨٦، القشعمي، مرجع سابق، ص ١٣٥

(٢) فيليبي، مرجع سابق، ص ٢٧٩؛ محمد بن عبدالله العبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، وزارة المعارف، الرياض ١٩٦٠، ١/١٩٨؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/٢٥٩؛ الرشيد، مصدر سابق، ص ١٧٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٦١ - ٢٢٢

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.HUS رقم ٤٣٤/١١، بتاريخ ١٣٢٠/٦/٤ هجري؛ فيليبي، مرجع سابق، ص ٢٩٧، ال عبد القادر، مرجع سابق، ١/٢٥٩، الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٧٥

مجرد مقاطعات لبساتين نخيل أشتراها الشيخ عبدالله بن عيسى آل إبراهيم (والد الشيخ يوسف) من تركة والي البصرة العثماني عبدالله آغا في بداية القرن التاسع عشر فلا يمكن اعتبارها تنظيماً سياسياً وإدارياً يحتاج الى منصب حاكم أو شيخ. وإطلاق مثل هذا اللقب كان ذريعة لابعاد الشيخ يوسف عن خصوصية الكويت.

عاود الشيخ يوسف مضايقاته للشيخ مبارك من البصرة من جديد، وتشديد الخناق عليه بجهود مكثفة، وأساليب متنوعة شهدها العام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢. ركز في البداية على محاولة إنهاء الشيخ مبارك اقتصادياً، وأكمل الدور الذي بدأه حلفاؤه العثمانيون وابن رشيد، بعد أن أُجبر أولئك على التوقف نتيجة للضغوط البريطانية لإنهاء الحصار على الكويت^(١). ذلك الحصار الذي سبب أزمة حادة في الكويت، من نقص المؤن وشحة المياه^(٢). كذلك رضخ الأمير عبد العزيز الرشيد للأوامر العثمانية للتراجع عن الكويت، لكن حصاره عليها، مثلما تقدم، استمر وكان له أثره السلبي على تجارة الكويت^(٣).

كان أول إجراء اتخذه الشيخ يوسف بأن تقدم بشكوى للسلطات العثمانية في البصرة، يتهم فيها الشيخ مبارك بالسطو على أحد مراكزه التجارية في شط العرب، واستيلائه على الحمولة التجارية بالكامل. وأنه قام بأسر رجاله المتواجدين على ظهر ذلك المركب، وطالب بتعويض مالي لقيمة البضاعة المستولى عليها، وفك أسر رجاله. واتخذت السلطات العثمانية الإجراءات الرسمية التي طالبت مبارك بإعادة الأموال المسلوقة، وإطلاق رجال الشيخ يوسف، والتعهد بعدم التعرض له^(٤).

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK، رقم ٧٠٤٢/١٦، تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول.ي.أ. خص. A.MKTNZD، رقم ٤٢٦/٨٩، تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK، رقم ٧٠٤٢/١٦، تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.HUS؛ رقم ٤٣٤/١١، بتاريخ ١٣٢٠/٦/٤هـ؛ فيلبي، مصدر سابق، ص ٢٩٧؛، ال عبدالقادر، مرجع سابق، ١/٢٥٩؛ عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٧٥

(٤) كان المركب محملاً بالتمور التي تصل كميتها إلى ١٥٠٠ جوال (قلال) من التمر والجوال هو وحدة خاصة لوزن التمور، وقد بين يوسف بشكواه أن مبارك صار نصيبه ثلثي الحمولة وأرسله للهند =

إلى جانب ذلك استخدم الشيخ يوسف أسلوب الغارات السريعة، كأحد الأساليب لخطته الهادفة لأضعاف خصمه وزعزعة اقتصاده، وتشنتت فكره. بدأ بتحريض أنصاره من أهل الزبير بقيادة شيخهم خالد باشا العون. فخرج الأخير بقوة صغيرة من الفرسان ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ فارس أغاروا في صفر ١٣٢٠هـ/مايو ١٩٠٢ على إحدى القبائل النازلة في سفوان^(١) والمخالفة لشيخ مبارك، وسلبوا عدداً كبيراً من الابل^(٢) وعادوا بها إلى الزبير^(٣). ولعل المهاجمين كان لهم مآرب أخرى كتحويق أصدقاء الشيخ مبارك، من أمثال السيد رجب، نقيب الإشراف بالبصرة، الذي له بيتاً ومنتجع في سفوان^(٤). وقد تعمدت السلطات العثمانية غض الطرف عن تلك الهجمات والغارات. وبالجملة لم تعترض على تحركات الشيخ يوسف على أطراف الكويت^(٥).

ومن جانبه قدم الشيخ مبارك شكوى ضد الشيخ يوسف لوالي البصرة مصطفى نوري باشا، عن طريق وكيله هناك عبد العزيز السالم. لكن الوالي لم يكثر وتجاهل الرد عليها^(٦). وقد حاول مبارك بطرق شتى التخفيف من عداء والي البصرة وكسبه إلى جانبه، فقدم له رشوة مالية كبيرة، قيل أنها كانت

= يبيعه، والثالث الأخير قسمة بين رجاله الذين سطوا على المركب (الأرشييف العثماني، اسطنبول، محاضر مجلس الوكلاء M.V. رقم ١٠٣/٥٣ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ: القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٠٩ - ٢١٠، السبيعي، اقتصاد الإحساء...، مرجع سابق، ص ٨٤)

(١) سفوان: قرية جنوب العراق وفيها مزارع نخيل وقصر يعود لنقيب البصرة - رجب النقيب - وكانت مورد ماء معروف عند العرب، تقع في الجهة الشمالية الغربية من أم قصر جنوب الزبير بـ "١٧ ميلاً"، ويعتبر الآن مركز الحدود العراقية مع الكويت، (لوريمر دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق ٢٠٨٣/٦، الشمالان، تاريخ الغوص، مرجع سابق ٢٢٤/١)

(٢) يذكر مبارك في رسالته إلى كمبيل - المقيم السياسي في بوشهر - أن ما سلبه المهاجمون يصل إلى ٨٦٠ رأس من الضأن. (Bidwell.A.K.Vol2.Part 1v.P39) نوقشت أحداث هذه الغارة في مجلس العموم، وهي أول مرة يأتي ذكر الأغنام فيها.

(٣) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٨٠، لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٤٨/٣؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٤١؛ Bidwell.A.K.Vol2.Part 1V.PP39-40

(٤) لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، المصدر نفسه ٢٠٨٣/٦

(٥) لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٨/٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٥٣؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣١٣.

(٦) الأرشييف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.Mtv، رقم ٢٣٧/١٠٧، تاريخ بداية شهر رمضان ١٣٢٠؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٤٩/٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٦٦/٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٥٤؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٦٢

بحدود ١٠,٠٠٠ ليرة عثمانية، في أواخر ١٣٢٠هـ/مارس ١٩٠٣^(١). إلا أن مصطفى نوري باشا رفض العرض، وبقي على موقفه المعادي للشيخ مبارك والمؤيد للشيخ يوسف^(٢). فعاد مبارك رافعاً شكواه إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، موضحاً الخسائر التي تكبدها جراء هذه الغارة، مؤكداً بأن عدم الرد على هذه الغارة أو السماح لحلفائه بذلك أيضاً، تقييداً بالتعليمات التي أصدرتها حكومة بريطانيا^(٣).

قام الشيخ يوسف، بمساندة خالد باشا العون وآل طوالة، بغارة أخرى على الصبيّة، معقله السابق، واسترد منها بعض أمواله من جمال وماشية^(٤). ثم قام أنصاره، تساندهم قوة من أهل الزبير، بهجوم مفاجئ على الصبيحية، فغنمت منها غنائم كثيرة^(٥). ومنها أغاروا على الجهراء. لكن، قوات الشيخ مبارك تمكنت من صد هذه الغارة، واستعادت ما غنمه الشيخ يوسف في إغارته السابقة على الصبيحية^(٦). وأصيب في هذه الغارة الشيخ مبارك العذبي الصباح^(٧). وظلت قوات الشيخ مبارك مرابطة قرب الزبير لبعض الوقت. ثم قامت بمهاجمة نواحي الزبير، فغنموا منها غنائم كثيرة^(٨).

- (١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٨٠؛ لوريمر، المصدر نفسه ١٥٥٥/٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٩٧؛ رسالة من راتسلو - القنصل بالبصرة إلى أكونور - السفير بالأستانة بتاريخ ١٩٠٢/٣/٣١ (نقلا عن الدائرة، مرجع سابق، ١١٤)؛ وذكرت الخترش بان المبلغ ١٠,٠٠٠ جنيه إسترليني (الخرترش، مرجع سابق، ص ٧١)
- (٢) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٨٠؛ لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٥٥/٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مرجع سابق ص ١٩٧؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٧١ L/P&S/19
- (٣) القاسمي، مرجع سابق ص ٢٤١ Bidwell.A.K.Vol2.part 1V.P39
- (٤) الذكي، مصدر سابق، ص ١٦٢؛ لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٨/٣؛ أبو حاكمه، مرجع سابق، ص ٣١٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٥٢ Bidwell.A.K.Vol2.Part 1V.P40
- (٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٤٩/٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٦٦/٢.
- (٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول ن يلدز متنوع Y.Mtv برقم ٢٣٧/١٤ بتاريخ ١١ رمضان ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV. رقم ٢٣٧/١٠٧ تاريخ بداية رمضان ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV. رقم ٢٣٤/١٠١ تاريخ ١٣ سبتمبر ١٣١٨هـ؛ الذكي مرجع سابق ص ١٦٢؛ القاسمي، مرجع سابق ص ٢٥٤؛ خزعل، مرجع سابق، ٦٦/٢؛ لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٩/٣؛
- (٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.Mtv، رقم ٢٣٨/٣، تاريخ ٤ شوال ١٣٢٠هـ؛ الذكي، مصدر سابق، ص ١٦٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٤٨
- (٨) لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٩/٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٦٢/٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٤٣؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٣٤٤

كان موقف السلطات العثمانية حازماً هذه المرة، فلم تسكت على تحرك الشيخ مبارك، فبدأت التقارير والمراسلات بين البصرة وبغداد واسطنبول تتحدث عن هذا الهجوم، واتهمته بزعزعة الأمن وإثارة المشاكل^(١). ومن جانبه عاود الأمير عبد العزيز الرشيد نشاطه بالإغارة على أطراف الكويت، وهاجم القبائل الموالية للشيخ مبارك. فكان هذا الهجوم رداً على محاولة الشيخ مبارك محاصرة الزبير، وإنذار الشيخ مبارك بأن لا يعتدي على حلفائه^(٢). بعدها طلب الشيخ مبارك من المقيم البريطاني في بوشهر المساعدة ضد الأمير عبدالعزيز الرشيد. ولم يتردد كمبول في تلبية طلبه، فتقدمت حكومته باحتجاج إلى السلطات العثمانية، مطالبة بإبعاد ابن رشيد عن حدود الكويت. تفهمت الدولة العثمانية الوضع، وطلبت من ابن الرشيد ثانية العودة إلى بلاده، فنفذ أمرها ورجع لدياره نجد^(٣).

كان لهذه الغارات أثر واضح على اقتصاد الشيخ مبارك، لكثرة الغنائم التي سُلبت منه^(٤). ومعلوم أن خطة الشيخ يوسف تركزت على إضعاف الجانب الاقتصادي لخصمه. فعمل على إضعاف هذا الجانب بشتى الطرق^(٥)، وفي مقدمتها تشديد الغارات. كذلك جدد الشكوى باسم أبناء الشيخين محمد وجراح للسلطات العثمانية، ممثلة في ولاية البصرة يطالب فيها بحقوقهم المغتصبة من قبل الشيخ مبارك^(٦). وقد سبق لشيخ يوسف وأبناء الشيخين

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٢٣٧/١٠٧، تاريخ بداية رمضان ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٢٣٤/١٠١ تاريخ ١٣ جماد الثاني ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٢٣٧/١٤، تاريخ ١١ رمضان ١٣٢٠هـ.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٢٣٨/٣، تاريخ ٤ شوال ١٣٢٠هـ، القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٤٨ (L/P&S/7/142 (2)) ترجمة الى اللغة الانجليزية لرسالة من الشيخ مبارك الى كمبيل - المقيم في ابو شهر - بتاريخ ١٩٠٢/٢/٢

(٣) القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٤٨

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١١٥٤٨/٣؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق ص ٦٢

(٥) لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٨/٣؛ القاسمي مرجع سابق ص - ص ٢٥٢ - ٢٥٣

(٦) الذكر، المصدر نفسه، ص ١٥١؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١٢٠؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣٣؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/٣٢٤، بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٩٣، لوريمر، المصدر نفسه ١٥٤٨/٣، السعدون، أحداث في تاريخ الخليج، مرجع سابق، ص ١٠١

تقديم الشكاوى منذ أوائل العام ١٣١٤/١٨٩٦ بعد قدومهم للبصرة. لكن، الشيخ مبارك استطاع خلال تلك السنوات ١٣١٤ - ١٣١٩هـ/١٨٩٦ - ١٩٠١ تأجيل البت في الشكاوى ضده، ذلك بفضل أصدقائه من موظفي الدولة العثمانية^(١). وفي الوقت نفسه التي كانت تشاطره التوجه حتى تنتهي من المسألة الكويتية^(٢). ولكن بعد كشف الغطاء عن علاقة الشيخ مبارك ببريطانيا، في أواخر ١٣١٩هـ بداية ١٩٠٢، أخذت الدولة العثمانية تنظر في الشكاوى، المقدمة في محاكم البصرة، وتحت إشراف الوالي مباشرة^(٣).

وبطبيعة الحال، لم يقف الشيخ مبارك مكتوف الأيدي أمام هذا التطور الخطير في قضية الأملاك، التي سيحصل عليها خصومه إذا ما صعد الامر، فأوكل مسانديه، كالعادة، لضمان سير القضية لصالحه^(٤). وتم فعلاً إعطاء الحكومة البريطانية الأمر حيزاً من الاهتمام، وبدأ صانعو القرار من كبار موظفيها في الخليج والهند ولندن يتباحثون في القضية والسبل الكفيلة لإخراج الشيخ مبارك من هذا المأزق، الذي زجه خصومه فيه^(٥). خاصة بعد طلب والي البصرة لمناقشة الشكاوى والدعاوى المقدمة ضده، من قبل أبناء أشقائه، والبت في قضية أملاك آل صباح.

حاولت بريطانيا ممثلة بقنصلها بالبصرة، راتسلو، إنهاء القضية بتسوية بين الطرفين، خارج المحكمة ومن دون الحاجة لحضور الشيخ مبارك إلى البصرة، والمثول أمام المحكمة. لكن، تلك المحاولات باءت بالفشل^(٦). ولما رفض الشيخ مبارك المثول أمام المحكمة، اتخذت الأخيرة قراراً بتسليم بساتين كوت الزين

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK، رقم/١٩٤٠، تاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٢٠٤/٥٥، تاريخ ١١/ربيع الأول هـ؛ لوريمر، المصدر نفسه، ٣/١٥٤٨؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٣٩؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٥

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق المعروضات والأخبار A.Z.J.O.Y.PRK رقم ٣٧/٣٠ تاريخ ١٤٢٦/٢٧ (نقلاً عن القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٥٣)؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٣٩

(٣) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٧٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٨؛ السعدون، أحداث في تاريخ الخليج، مرجع سابق، ص ١٠١

(٤) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٧٤؛ بونداريفسكي مرجع سابق ص ٢٤٠

(٥) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٧٤؛ بونداريفسكي مرجع سابق ص ٢٤٠

خدمة الشيخ مبارك، لذا عرض عليه إخراجَه من السجن بشرط التخلي عن الشيخ مبارك والعمل لحسابه. لكن، البدر رفض الإغراء وأصر ألا يخون عهداً قطعه^(١)!

بعدها سافر الشيخ يوسف إلى الهند، وخلال غيابه اتفق الشيخ سعود بن محمد الصباح مع أبناء حميدي^(٢)، السنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢، على اغتيال الشيخ مبارك وابنيه جابر وسالم. ولما عاد الشيخ يوسف أطلعه الشيخ سعود على الاتفاق، فتسلم زمام الأمر شخصياً^(٣). رسم الأخير خطة الاغتيال بدهائه المعهود، وجاءت في غاية الغرابة، تفاصيلها: شحن سفينة، معروفة لدى أهل الكويت بأنها ملك لآل إبراهيم^(٤)، بالسلع والبضائع، وطلب من أبناء حميدي أن يدعوا أمام الشيخ مبارك بأنهم قتلوا مَنْ فيها من رجال الشيخ يوسف، وأتوا بما فيها له^(٥)، وأنهم عملوا ذلك خدمة له، ويطلبون اللجوء إليه^(٦).

لقد نجحت الخطة، وانخدع الشيخ مبارك بتلك القصة^(٧)، ولم يسعفه دهاؤه في كشف المؤامرة. فقرب أبناء حميدي إليه، واصطفاهم لخدمته، وألحقهم بحرسه الخاص^(٨). فما لبثوا في قصره مدة حتى عزموا على تنفيذ الخطوة الأخيرة من المؤامرة بمساعدة اثنين من المقربين من خدم الشيخ مبارك. الذان أظهرتا التعاون وأبديا الموافقة على التنفيذ، ولكنهما أفضوا إلى

(١) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٨١

(٢) أبناء حميدي: وهم (عبدالله وعذبي وعبدالرضا مويح وصويلح) من قبائل البوفرحان من بني كعب من قبائل عربستان وهم معروفون بالقرصنة البحرية، لهم في شواطئ البصرة عشائر وجماعات يخشى بأسهم (الرشيد، عبدالعزيز، مصدر سابق ص ١٧٦؛ خزعل مصدر سابق ٦٥/٢)

(٣) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٧٨؛ خزعل، مرجع سابق، ٦٥/٢؛ الشمالان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩٣

(٤) ذكر الريحاني أن هذه السفينة تعود ملكيتها إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم؛ أما الشمالان فنذكر أنها تعود إلى عبد اللطيف آل إبراهيم؛ وأما عبدالعزيز الرشيد فنذكر أنها تعود إلى أحد أقرباء الشيخ يوسف آل إبراهيم (الريحاني ملوك العرب مصدر سابق ٦٦٢/٢؛ الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٩؛ الشمالان، المرجع السابق، ص ٢٩٣)

(٥) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٩، خزعل، المرجع نفسه، ٦٥/٢

(٦) خزعل، المرجع نفسه، ٦٥/٢

(٧) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٧٦ - ١٧٧، خزعل، المرجع نفسه، ٦٥/٢، الريحاني، المصدر نفسه، ٦٦٢/٢

(٨) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٧٧؛ الريحاني، المصدر نفسه، ٦٦٠/٢

والدهما بالمهمة، الذي بدوره توجه إلى الشيخ مبارك مفشياً الأمر. وبذلك انكشفت الخطة فانتهت بالفشل، وسجن المتآمرين^(١).

حملة الشيخ يوسف البحرية الثانية

لم تكن التحركات، التي أشرنا إليها في الصفحات السابقة، من هجمات على أطراف الكويت، وعمليات السلب والنهب، ومحاولة اغتيال الشيخ مبارك ذات أهمية مقارنة بتلك الهجمة المفاجئة، التي جهزها الشيخ يوسف عن طريق البحر. وتفاصيل ذلك، أن أرسل الشيخ يوسف إلى القنصل البريطاني بالبصرة - راتسلو - طالباً منه أن يكون رسول سلام بينه وبين الشيخ مبارك، في الوقت الذي كان يعد لهجوم جديد، وفعلاً أخذ القنصل الأمر على محمل الجد^(٢)! وباشر بالوساطة.

كيف لا، وأن القنصل البريطاني سبق أن عرض فكرة الصلح بين الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ مبارك، وكان يعول على الشيخ يوسف أن يتولى أمر الوساطة بينهما^(٣)، ففي حالة إنهاء الصراع بين مبارك ويوسف يباشر بالصلح بين ابن رشيد والشيخ مبارك. فباشر راتسلو وساطته بالاتصال أولاً بالسفير البريطاني في اسطنبول السر نيكولاس أوكونر^(٤). لكننا الشيخ يوسف فكان هدفه، مثلما تقدم، إبعاد الأنظار عما يهدف له. فإثناء ذلك أرسل إلى والي البصرة مصطفى نوري باشا معبراً عن خشيته من هجوم محتمل يشنه الشيخ مبارك ضده في الدورة^(٥). ولعله بهذا التحرك أراد طمأنة خصمه.

في جمادى الثاني ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢ جهز الشيخ يوسف، وأبناء الشيخين - محمد وجراح - الحملة البحرية^(٦)، مجهزة بالسلاالم وآلة الهدم، لمهاجمة

(١) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٧٧؛ خزعل، مرجع سابق، ص ٦٥/٢

(٢) بونداريفسكي، مرجع سابق ص ٣٤٨؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مرجع سابق ص ٢١٥، Bidwell.A.K.VolIv.Part1.P39

(٣) رسالة مؤرخة في ٦ نوفمبر ١٩٠١ من راتسلو إلى القنصل الإنجليزي في البصرة إلى أكونور السفير بريطانيا بالأستانة (نقلا عن القاسمي، مرجع سابق، ص ١٦٦ - ١٦٧)

(٤) Bidwell.A.K.VolIv.Part1.P39

(٥) القاسمي، مرجع سابق ص ٢٤٣، Bidwell.A.K.VolIv.Part1.P39

(٦) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق ص؛ ١٧٧؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٩٣؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٦٢

الشيخ مبارك في الكويت^(١)، واغتياله^(٢). حيث اتفق مع أعوانه له داخل الكويت مهاجمة الشيخ مبارك واغتياله تزامناً مع الهجوم البحري والبري. وحصل الاتفاق مع عشرين شخصاً لتنفيذ^(٣). وقد أكد القنصل البريطاني في البصرة راتسلو هذه الاتصالات والاتفاقات^(٤). وهي المرة الأولى التي أشار فيها تقرير بريطاني إلى اتصال بين الشيخ يوسف وخصوم الشيخ مبارك داخل الكويت^(٥). وإن عملية التنفيذ اونيطة الى النوخذة محمد بن أحمد العسوسى وهو من رجال الشيخ يوسف المقربين.

ضمت الحملة رجال الشيخ يوسف في الدورة، ومن أهل الكويت المؤيدين، وبعض المتعاونين من قبيلة الشريفات^(٦). وربما بارك والي البصرة مصطفى نوري باشا الحملة، ولم يبد أي معارضة^(٧). وفي منتصف العام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢ أصدر الشيخ يوسف أوامره لجماعة من عرب الشريفات، للتحرك برئاسة الشيخ عذبي بن محمد الصباح، وابن عمه الشيخ حمود بن جراح الصباح، بعد تسليحهم، ونقلهم في سفن الى الدورة^(٨).

وما أن تحركت الحملة من الدورة، خلال شهر جمادى الثانية ١٣٢٠هـ/ الثالث من سبتمبر ١٩٠٢ حتى وصل خبرها الى الكويت. عندما كشفت من قبل الشيخ جابر بن صباح أثناء وجوده بالفاوا، فأرسل مَنْ يحذر أخاه^(٩).

- (١) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٧٧؛ خزعل مرجع سابق ٦٣/٢
- (٢) الشملان، من تاريخ الكويت؛ مرجع سابق، ص ٢٩٣؛ أبو حاكم، مرجع سابق ص ٣١٣؛ لوريمر الدليل التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٠٠
- (٣) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، الأرشيف السياسي، رقم ١٧٦٦ تاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٠٢ (نقلا عن بونداريفسكي، مرجع سابق ص ٤٨١)
- (٤) بونداريفسكي، المرجع نفسه، ص ٣٥٢
- (٥) بونداريفسكي، المرجع نفسه، ص ٣٥٢
- (٦) بونداريفسكي، المرجع نفسه ص - ص ٣٥٢ - ٣٥١، الشريفات: قبيلة عربية، أصلها من تميم، يستقر قسم منها في الهنديان والجراحي في منطقة عربستان، وتنقسم إلى قسمين الرجيبات وبنو رشيد، ويلقب زعماء الشريفات "مير" وتدعي القبيلة أنهم من سلالة الأشراف ولكن يعتقد لوريمر أنهم من بني تميم، واشتهروا بالقرصنة في شط العرب. (لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٦/٢٢٧٤)
- (٧) خزعل، مرجع سابق، ٦٣/٢
- (٨) أبو حاكم، مرجع سابق، ص ٣١٣؛ لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٥٠؛ ديكسون، مصدر سابق، ص ١٧٣
- (٩) الذكير، مصدر سابق، ص ١٦٢

فأستعد الشيخ مبارك لمواجهة الهجوم^(١)، وكان قائد الطراد البريطاني لابوينغ^(٢)، الراسي بالقرب من الفاو على علم فقام برصد حركة الحملة، فأسرع إلى الكويت، ليجدها على أهبة الاستعداد لصد هذا الهجوم^(٣).

ومن جانبهم شعرَ المهاجمون بانكشاف أمرهم، ذلك عندما وجدوا الطراد البريطاني بانتظارهم^(٤)، ولتأخر الرجلين اللذان أرسلتهما الحملة، وكان أحدهما هو النوخذة أحمد بن محمد العسعوسي كما أسلفنا، والذي كتبت عنه المصادر البريطانية الكثير، لاستنفار جماعته في الكويت واعلامهم فتأخر عن الرجوع في الموعد المتفق عليه. مما اجهض الخطة وادى الى تراجع المهاجمين ليلاً^(٥).

انسحبت الحملة عن شواطئ الكويت حتى اختفت سفنها في خور عبدالله^(٦)، لكن الطراد البريطاني عثر عليها بعد يومين من المطاردة، في الخامس من سبتمبر ١٩٠٢^(٧). لجأت سفن الحملة بعدها إلى شاطئ القصبه^(٨) في الجانب الايراني من شط العرب، وانسحب رجالها بعد تبادل إطلاق النار مع الطراد البريطاني، فأسفر عن ذلك مقتل ضابط بريطاني^(٩)،

- (١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥١؛ خزعل، مرجع سابق، ٦٣/٢
- (٢) لابوينغ: هي سفينة صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا وهي سفينة حربية وكان قائدها في هذه الحادثة الكابتن أرمسترونج، (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٥٠)
- (٣) أبو حاكمة، مرجع سابق ص ٣١٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٦٣/٢
- (٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٥٠؛ خزعل، مرجع سابق، ٦٣/٢
- (٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥١؛ خزعل مرجع سابق، ٦٣/٢. كذلك راجع Bidwill شؤون الكويت، الجزء ٢ تقرير ٢٣٦ ص ١٣٠ - ١٣١، ١٥٢.
- (٦) خور عبدالله: خور على الخليج العربي وسمي نسبة لشيخ الكويت عبدالله الأول ال صباح المتوفى سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٩م يمتد في اتجاه الشمال الغربي من رأس الخليج إلى جزيرة وربه بين مصب شط العرب وجزيرة بوبيان، (الشملان، تاريخ الغوص؛ مرجع سابق ١/٢٢٢؛ لوريمر دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق ١/٢٠)
- (٧) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣١٣؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٥٠
- (٨) شاطئ القصبه: تقع على شط العرب في طرف جزيرة عبادان الشرقي مقابل الفاو وبه أملاك خزعل باشا ويسمى القصبه أو قصبه النصار لكثرة النصار أحد قبائل بني كعب الذين يسكنون بها وبجانبهم هناك مجموعة من قبيلة عيدان (الحيدري، مصدر سابق، ص ٦٠؛ لوريمر دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ١/١٠)
- (٩) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥١؛ الذكر، مصدر سابق، ص ١٦٣. كان أحدهم النوخذة أحمد بن محمد العسعوسي. كتبت عنه المصادر البريطانية الكثير. راجع: THE AFFAIR OF KWAIT BIDWELL VOL 2 تقرير ٢٣٦ ص ١٣٠ - ١٥٢.

وإصابة آخرين بجروح. وتم تدمير سفينتين بعد التأكد من أن إحداهما كانت ملكاً خاصاً للشيخ يوسف^(١). ويبدو إن خيار الحملة في اللجوء إلى القسبة وجود جماعة مؤيدة من قبيلة عيدان العاملين بالدورة^(٢).

بعدها أخذ الشيخ مبارك بتتبع آثار خصمه، فطلب من حليفه الشيخ خزعل، حاكم المحمرة، بالعمل على مداهمة الشيخ يوسف ورجاله، المتواجدين هناك. لكن، الشيخ خزعل لم يبذل أي مجهود يذكر لتحقيق تلك المهمة. وتعلل المصادر الروسية السبب في تماهل حاكم المحمرة هو لعلاقته بالشيخ يوسف، فقد كان مديناً له بمبلغ يصل إلى ١٥٠،٠٠٠ روبية^(٣). ولعل الشيخ خزعل، الذي كان يعاني من مشاكل مع حكومتي الإيرانية والعثمانية في تلك الفترة، فضّل عدم التدخل في النزاع، لأنه بذلك سيفتح مشاكل هو في غنى عنها.

حققت سلطات ولاية البصرة في أمر تجهيز الحملة، فأشارت أصعب الاتهام إلى مسببها، فأنكر الشيخ يوسف، وكذا أبناء الشيوخين محمد وجراح أن يكونوا على صلة. كما أنكر الوالي علمه بتجهيزها أو تحركها^(٤). إلا أن السفير البريطاني في اسطنبول أوكونر قدم احتجاجاً لدى السلطان مطالباً بمعاقبة الشيخ يوسف، لأنه كان وراء تلك الهجمة، ومسؤول عن مقتل الضابط البريطاني. وبعد استفسار اسطنبول عن ذلك من والي البصرة رفض الأخير توجيه الاتهام إلى الشيخ يوسف، فهو لا يملك دليلاً على صحة الادعاء البريطاني^(٥).

بطبيعة الحال، استمرت الضغوط البريطانية على السلطات العثمانية، بل تهمتتها بالتستر على أعمال الشيخ يوسف، وزادت من مطالبتها بالقبض عليه،

(١) الذكير، مصدر سابق، ص ١٦٣. DALI دالي.

(٢) لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق ١/١٠. العيدان فخذ من سبيع.

(٣) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٤٧٩. "أعترف خزعل أن وجود يوسف في الدورة يجعل السيطرة على شط العرب وتخومه مهمة صعبة بل مستحيلة، فلم يضغط على المقبوض عليهم خوفاً من غضب الوالي والشيخ يوسف" (رسالة نائب القنصل ماكداول في ١٣ سبتمبر ١٩٠٢) وراجع أيضاً (Bidwill ص ١٤٨).

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٥١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٦٤

(٥) الذكير، مصدر سابق، ص ١٦٣؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مرجع سابق، ٣/١٥٥١؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٦١ - ٢٦٢

وإنزال أشد عقوبة به. وعلى صعيد آخر اتهمت والي البصرة مصطفى نوري باشا شخصياً بالتستر على أعمال الشيخ يوسف وتأييده، وطالبت بإقالته. ولم يجد العثمانيون أمام هذه الضغوط إلا أن يصدرُوا أمراً بإبعاد الشيخ يوسف من ولاية البصرة^(١). فغادرها مرة أخرى في نهاية رمضان من سنة ١٣٢٠هـ/بداية ١٩٠٣ متجهاً إلى حائل^(٢). وتعتبر هذه المحاولة آخر المحاولات التي بذلها الشيخ يوسف بمعرفة الدولة العثمانية ومن أراضيتها^(٣).

عودة الشيخ يوسف إلى حائل

صاحب الشيخ يوسف في خروجه من ولاية البصرة الشيخ مبارك العذبي الصباح، وبعض أبناء الشيخين محمد وجراح واستقروا جميعاً في حائل^(٤). واستمر نشاطهم هناك بدرجة أخف كثيراً عن السابق، نتيجة لاحتدام الصراع الرشيدى - السعودي في نجد، وانشغال الأمير عبدالعزيز الرشيد بهذا الصراع^(٥). ومع هذا فقد استمر دعم الشيخ يوسف لإمارة الرشيد وتموينها بالأسلحة وغيرها^(٦). بل ذكرت المصادر الإنجليزية أنه شارك إلى جانب ابن الرشيد في حروبه ضد آل سعود^(٧) ولم تذكر المصادر المحلية ذلك. وعلى الجانب الآخر استمر الشيخ مبارك في دعم آل سعود بتسهيل شراء الأسلحة عن طريق ميناء الكويت، واستمر هذا الدعم حتى ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥ تقريباً^(٨).

(١) الذكر مصدر سابق ص ١٦٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٢١٨؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٣٦١

(٢) الذكر، مصدر سابق، ص ١٦٣.

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٥١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٦٤

(٤) الذكر، مصدر سابق، ص ١٦٣

(٥) الارشيف العثماني اسطنبول أوراق الباب العالي B.E.O. رقم ١٢٩١٨٠ تاريخ ٩ جماد الآخر ١٣١٩؛ الارشيف العثماني اسطنبول يلدز متنوع Y.MTV. رقم ١١٧/٢٦٠ تاريخ ٢٣ جماد الآخر ١٣٢٢.

(٦) رسالة من الشيخ جاسم ال ثاني إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١/ صفر ١٣٢٣هـ (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٢٥٠؛ القاسمي، مرجع سابق ص ٢٩٤ (٧/23/81C57) نقلا عن الدائرة، مرجع سابق، ص ١٣٢

(٧) سلدانيا، المصدر السابق، ص ٢٤٩؛ السعدون العلاقات...، مرجع سابق، ص ٩٤ - ٩٥

(٨) (L/P&S/20/F031) نقلا عن الدائرة مرجع سابق ص ٢١٧؛ نشر القاسمي وثائق عديدة عثمانية وإنجليزية تؤكد دعم مبارك لآل سعود بالأسلحة (انظر القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٧٨-٢٨٣)

لم يغفل الشيخ مبارك عن نشاط خصمه، فقد سلط الضوء عليه وقام بمتابعة تحركاته أولاً بأول. لأنه مازال يعتبر خصمه مصدر تهديد وخطر حتى بعد خروجه من البصرة، وانشغال الأمير عبدالعزيز الرشيد عن مسألة الكويت^(١). وكان الشيخ مبارك ينسب للشيخ يوسف التهم، لأي مشكلة تحصل له. ففي بداية ١٣٢١هـ منتصف ١٩٠٣ وقعت عملية سطو مسلح على أحد المراكب التجارية، العائد لأحد تجار الكويت في شط العرب، فما كان من الشيخ مبارك إلا رمي مسؤولية الحادث على رجال الشيخ يوسف وبتحريض منه^(٢).

وأكد الشيخ مبارك في اتهاماته على وجود الشيخ يوسف متخفياً في الدورة، في هذه الفترة ١٣٢١هـ/١٩٠٣، التي تم بها السطو على المركب التجاري. وقد أخذت السلطات البريطانية هذا الأمر بجدية، وطالبت والي البصرة مصطفى نوري باشا بالقبض على الشيخ يوسف، وحذرت من العواقب الوخيمة^(٣). وبعد التحقيقات من قبل السلطات العثمانية والبريطانية في البصرة اكتشفوا قدوم الشيخ يوسف إلى الدورة عن طريق الزبير، وأنه مكث فيها عدة أيام، وقام خلالها بمراسلة أعوانه ومؤيديه داخل الكويت^(٤). لكن لم يكتشف الطرفان هذا الأمر إلا بعد خروج الشيخ يوسف من البصرة، التي دخلها وخرج منها وهو متخفٍ بلباس تركي العام ١٣٢١/منتصف ١٩٠٣^(٥).

واصل الشيخ يوسف من حائل حربه الإعلامية ضد الشيخ مبارك، مراسلاً الجرائد والمجلات، مظهراً لها جهود الشيخ مبارك لتقوية موقف الإنجليز في بلاد العرب، والتحريض ضده لدى السلطات العثمانية، التي كانت في وضع صعب خلال تلك الفترة. وقد ظهر للشيخ يوسف من نتيجة حملته

(١) القاسمي، مرجع سابق، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣ (R/15/1/476C4) نقلا عن الدائرة مرجع سابق ص ص ١٢٩ - ١٣٠

(٢) القاسمي، مرجع سابق، ص ص ٢٦٣ - ٢٦٤

(٣) القاسمي، مرجع سابق، ص ٦٤

(٤) القاسمي، مرجع سابق، ص ٦٤

(٥) القاسمي، مرجع سابق، ص ٦٤

الإعلامية مؤيدون قاموا بشن حملة ضد الشيخ مبارك الصباح، وضد المؤيدين لسياسته بالتقارب مع الإنجليز، من أمثال طالب النقيب^(١). وأبرز الذين قادوا هذه الحملة شريف مكة الشريف عون الرفيق بن محمد^(٢)، الذي كان صديقاً لإمارة الرشيد في تلك الفترة^(٣).

وبالمقابل كان الشيخ مبارك حريصاً على عقد الصلح، وإنهاء حالة النزاع مع الشيخ يوسف أثناء وجوده في حائل كالسابق كما كان يصر في مناسبات عدة. ووافق على طلب الشيخ جاسم آل ثاني شيخ قطر، بالسعي للمصالحة بينه ولإنهاء حالة النزاع^(٤). ومن مجريات الأحداث وتطوراتها إن الشيخ جاسم آل ثاني أضحى مسانداً لآل سعود، بعد استرجاع الأمير عبدالعزيز آل سعود عاصمة حكمه الرياض، كما تحسنت العلاقة بينه وبين الشيخ مبارك^(٥).

قام الشيخ جاسم آل ثاني بمراسلة الشيخ يوسف في ١ صفر ١٣٢٣ / ١٩٠٤، ناصحاً بإنهاء النزاع مع الشيخ مبارك. شارحاً له وجوب تهدئة الأمور بين آل رشيد وآل سعود ووقف الاقتتال وأرقاة دماء المسلمين في نجد^(٦). وفي ختام رسالته، تمنى الشيخ جاسم على الشيخ يوسف، بأن إذا لم

(١) من رسالة من مبارك الى كامبل في ١٢/١/١٣٢١هـ يقول فيها (أن المفسدين من أتباع ابن رشيد وأتباع الشيخ يوسف آل إبراهيم يقومون منذ مدة بكتابة المقالات وإرسالها الى أرباب الصحف، وهي مقالات تحوي عبارات غير مرضية ومخالفة للحق. وأغلبها ينشر في صحيفة ((اللواء)) المصرية (R/15/1/476) نقلا عن الدائرة، مرجع سابق، ص ١٣٥

(٢) الشريف عون الرفيق بن محمد: من أمراء مكة وولد فيها وناب في أمارتها عن أخاه الشريف حسين وتوفي في أواخر سنة ١٣٢٣ (الزركلي، الأعلام، مرجع سابق ٩٧/٥)

(٣) (R/15/1/477) نقلا عن الدائرة مرجع سابق ص ص ١٨٥-١٨٦

(٤) رسالة من الشيخ مبارك الى الشيخ جاسم ال ثاني بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٣٢٢هـ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)؛ رسالة من الشيخ جاسم ال ثاني الى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١ صفر ١٣٢٣ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)

(٥) رسالة من الشيخ جاسم ال ثاني الى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١/ صفر ١٣٢٣هـ؛ المنصور، التطور...، مرجع سابق ص ٢٩؛ العناني، أحمد، وثائق التاريخ القطري، المطبعة الأهلية، الدوحة ١٣٩٩/ ١٩٧٩م ص ١٨٧، (L/P&S/20/F031) نقلا عن الدائرة مرجع سابق ص ص ٢١٦ - ٢١٧

(٦) ذكر الشيخ جاسم خلال رسالته حول هذه النقطة قوله ((...وتدرجت الأمور بين السعود وبين رشيد فحنا نحسب أن قلبك ونيتك مع السعود وهم كذلك يعدون جميلك ومعترفين بمعرفك ومتأسفين عليك على مداخلتك في الأمور إلي يلحقك نقصها دين ودنيا:)). (رسالة من جاسم ال ثاني الى الشيخ =

يرض بهذا الصلح، مرحباً به في قطر، عزيزاً كريماً^(١). ولكن، لم يُكتب لهذه المحاولة والتوسط النجاح.

سعى الشيخ مبارك لاسترضاء الأمير عبدالعزيز الرشيد، الذي كان يمر بظروف صعبة جداً نتيجة الهزائم الأخيرة التي تلقاها من الأمير عبد العزيز آل سعود، وطلب من خالد باشا العون شيخ الزبير ليكون وسيطاً. وبالفعل تحققت مساعي الشيخ مبارك أخيراً بعقد الصلح مع الأمير عبدالعزيز الرشيد أواخر سنة ١٣٢٣هـ/بداية ١٩٠٥^(٢). وأكد أمين الريحاني أن هدف الشيخ مبارك الرئيسي من هذا الصلح، هو إضعاف موقف خصمه الشيخ يوسف، وبمنع أي هجوم منه بدعم من الأمير بن الرشيد^(٣).

غير أن هذا الصلح لم يفتت من عضد الشيخ يوسف تجاه القضية مع الشيخ مبارك، حتى بعد شروع الأخير بتصفية المشاكل المالية بينه وبين أبناء أخويه^(٤). وبعزيمة لا تلين سعى الشيخ يوسف إلى الاتصال بالشريف عون الرفيق بن محمد شريف مكة، بهدف نصرته. فكان اختيار الشريف عون نائباً من توجهه الموالي للدولة العثمانية، ومحاربتة لكل من ينادي أو يؤيد الإنجليز ضدها. لكن، هذا المسعى لم يتحقق فقد وافته المنية - رحمه الله - وهو في طريقه، بين حائل والمدينة المنورة، إلى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج^(٥).

أثر وفاة الشيخ يوسف

انتقل الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى رحمة الله في ٥ ذي القعدة

= يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١ صفر ١٣٢٣هـ (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)

(١) رسالة من جاسم آل ثاني إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١ صفر ١٣٢٣هـ (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ١٥١؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ١١٣

(٣) الريحاني، المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٥٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٦٥، بونداريفسكي مرجع سابق، ص ٣٦٥

(٥) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٩؛ عبدالله البسام، مصدر سابق، ص ٣٩٧؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٦٢؛ القاسمي مرجع سابق ص ٢٠٦؛ ونكر خزعل بأنه توفي في ٤ - ١٢ -

١٣٢٣هـ/ ١٢ مارس ١٩٠٦، وهو في الطريق بين حائل والمدينة المنورة، عن عمر يناهز الثانية والستين سنةً، وبهذا الحدث تنفس الشيخ مبارك الصباح الصعداء، وانسدلتْ بذلك الستارة على نزاع مرير دام عقداً من الزمان:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت من مرادها الاجسام

لم يذق مبارك خلاله طعم الراحة وهدوء البال، إذ كان يزعزع حكمه مرة بعد مرة. قال لما سمع نبأ وفاة خصمه اللدود: " الحمد لله، هذا الذي أقلق راحتي وأراد أن يزعزعني عن الحكم، لكن حظي تغلب على حظله" (١). لم يعد للشيخ مبارك بعد ذلك خصوم بهذه المنزلة والخطورة، حينها أصبح السيد المطاع في بلاده (٢).

أغلقت وفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم ملفات كثيرة، كانت تؤرق الشيخ مبارك كثيراً، ومن تلك الملفات نزاعه مع أبناء شقيقه الشيخ محمد وجراح. ولما خلى له الجو، قام بترتيب بيت آل صباح، والعمل على لم شملهم وإعادةهم إلى الكويت، وإنهاء النزاع معهم. أعاد لهم جميع حقوقهم المتعلقة ببساتين النخيل، التي كانوا يطالبون بها، وبدأ، وأبناء الشيخ محمد بن صباح الكبار صباح وسعود، بالتحكيم إلى لجنة مكونه من أعيان البصرة (٣)، لإنهاء قضية الأملاك هناك.

وكان المحكمون، من قبل، أصدروا قرار توزيع الأملاك بين الطرفين الشيخ مبارك من جهة، والشيخ صباح بن محمد ممثل أبناء الشيخين محمد وجراح، وبقية العائلة من جهة أخرى. ما عدا الشيخ سعود بن محمد الصباح الذي فضل أن يمثل نفسه في المحكمة (٤). وفي ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ تمت الاتفاقية

(١) خزعل، مرجع سابق، ٦٧/٢.

(٢) وهبة، مصدر سابق، ص ٨٦؛ لفرحان، مرجع سابق، ص ٨٩؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٦٦٢/٢.

(٣) كانت اللجنة مكونة من السيد أحمد النقيب - شقيق رجب النقيب - رئيساً وعضوية كل من الحاج منصور السلطان والسيد محمود باشا العبد الواحد وهم من أعيان البصرة وكبار ملاك بساتين النخيل بالبصرة وابتدأ فتح القضية ١٣٢١هـ/منتصف سنة ١٩٠٣ (سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣١٠؛ يعقوب آل إبراهيم، التبئين، مرجع سابق، ص ٤٩).

(٤) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٢٣٥.

التي صدرت بحكم محكمة البصرة، ونالت موافقة الطرفين، واعتمدها والي البصرة والقنصل البريطاني. وخلصتها، حسب لوريمر: أن يصبح الفاو ملكية خاصة لمبارك، ويمتلك الطرف الآخر الأملاك في كردلان والعجيراوية، وكوت الزين والصوفية، وتعويض مالي قدره ٧٢٩٦ ليرة عثمانية، أما أملاك الكويت فلم يحل إشكالها^(١). بعدها تقدم الشيخ مبارك بطلب قرض من الحكومة البريطانية، قيمته مائة ألف روبية، ليتمكن من تنفيذ نصوص الاتفاقية المذكورة، وكان له ذلك^(٢).

وبعد وفاة الشيخ يوسف سعى الشيخ مبارك لتقريب أبناء شقيقه إليه، وإعادة توحيد الأسرة^(٣)، وإنهاء المشاكل العالقة في قضية الأملاك، مع بقية أبناء آل صباح، الذين لم يحضوا بالاتفاقية، أو المعارضين لها. بدأ الاتصالات بابن أخيه الشيخ حمود بن جراح، وتقابل معه وقام بترضيته، كما قدم في سبيل ذلك معه جزءاً من أراضي مزارع الفاو وطلب عودة أبناء الشيوخين محمد وجراح إلى الكويت، لكنهم رفضوا^(٤). وكان الشيخ مبارك مدركاً بأن الأوضاع مع أبناء شقيقه لن تنتهي بهذه السرعة، فتقرب إليهم وبدأ يظهر لهم لين الجانب والعطف عليهم، ومساعدتهم متى ما وجدهم في حاجة للمساعدة. فقام بتقديم معونة مالية وصلت بحدود عشر آلاف ليرة نتيجة لتعرض أملاكهم بالبصرة جراء عاصفة قوية، أضرت بمحاصيلها، وخصوصاً ببساتين كوت الزين في ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦، والتي تعود ملكيتها لشيخ سعود بن محمد^(٥).

تحسنت علاقته بأبناء شقيقه عدا الشيخ سعود بن محمد، الذي كانت علاقته بعمه الشيخ مبارك غير ودية، حسب ما ذكر "بدويل"، واتضح بعد

(١) وذكر بعض المؤرخين نتيجة التقسيم وفيه بعض الاختلاف عن تقسيم لوريمر. (لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ١٥٥٧/٣ - ١٥٥٨، سلدانيا، المصدر السابق، ص ٢٣٤ - ٢٣٦، يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص ٤٩ - ٥٤، القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٦٥ - ٢٦٧).

(٢) لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٥٨/٣؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص ٢٥٧.

(٣) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٣٦٤، Rush, Al-Sabah, op. cit, p102

(٤) يوسف البسام، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(٥) Bidwell, A.K.Fot2.Partiv, p155

يوسف البسام، مرجع سابق، ٢٦٨،

لقائهما في الفيلية^(١)، فكانت تلك المقابلة مشحونة بالتوتر^(٢) وقد قام الشيخ مبارك أيضاً، من أجل أن يضمن استقرار الوضع مع أبناء الشيخين محمد وجراح، بترتيب عدة زيجات مع بقية عائلة الصباح. ونجح بالفعل ذلك الزواج السياسي في إغلاق ملف النزاع نهائياً^(٣) ومنه إقتران أبنته شريفة بالشيخ سعود^(٤)، وبعد وفاتها زوجه بابنته الأخرى مريم، والأخيرة هي أم أبنائه^(٥)

عاش الشيخ سعود معظم حياته في الاهتمام بأملآكه بكوت الزين بالبصرة، وكان يتردد على الكويت، لحين وفاته السنة ١٣٥٢/١٩٣٣^(٦). وعلى الرغم من تحسن العلاقات بين الشيخ مبارك وأبناء شقيقه إلا أنهم لم يعودوا نهائياً للكويت، بل اتخذوا من الزبير سكناً لهم، ومعهم الشيخ مبارك العذبي الصباح، الذي اختار البقاء بمحلة الرشيدية بقربهم. كما امتدت بينهم وبين بعض العوائل الزبيرية مصاهرات، ومنها زواج الشيخين خالد وعذبي ابني محمد الصباح^(٧). وقد توفي في الزبير كل من: الشيوخ مبارك العذبي الصباح عام ١٣٦٠هـ/١٩٤١، وصباح بن محمد عام ١٣٦٣هـ/١٩٤٤ وخالد عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١. وفي نفس العام قُتل الشيخ عذبي بن محمد الصباح وابنه الشيخ خليفة، على يد ابن أخيه الشيخ محمد بن خالد بن محمد الصباح لخلاف مالي، فحكم على الأخير ونُفذت فيه عقوبة الإعدام في البصرة

(١) الفيلية: إحدى البساتين التابعة لشيخ المحمرة وتقع جنوب عربستان على الضفة اليسرى لشط العرب وفيها كانت قصور الأُس لخزعل (لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٢/٦٦٤)

(٢) Bidwell, A.K.Fot2.Partiv, p155

(٣) يعقوب ال إبراهيم، التبيين؛ مرجع سابق، ص ١٤، Rush, Al Sabah, op, cit, p102

(٤) من تدوينات خان بهادر عبد الله العبد الإله القناعي: "وفي ليلة الأثنين الموافق الثاني من شعبان العام ١٣٢٨هـ - ١٩١٠ تزوج سعود بن محمد الصباح على البيبي (شريفة) بنت مبارك الصباح. وجاء في موضع آخر: "في ٩ ربيع آخر ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨ يوم الأحد وصل صباح بن الشيخ محمد إلى الكويت مع خزعل المرادو ويوسف (باشا) المنديل، وأغا جعفر والريس مال المحمرة (حجي رئيس بمنصب الوزير الأول لدى الشيخ خزعل لأجل زواج حمد بن مبارك على ابنة صباح المحمد حصة". كذلك استقدمت فرقة موسيقية أعضاؤها من يهود البصرة لإحياء حفلة الزواج.

(٥) وقد أنجت له مريم أبنائه عبد العزيز وناصر وبدرية ويوسف وفیصل (يعقوب ال إبراهيم، المرجع نفسه، ص ١٥).

(٦) يعقوب آل إبراهيم، المرجع نفسه، ص ١٥؛ ويذكر يوسف البسام أنه عاد إلى الكويت وتوفي فيها (يوسف البسام المرجع نفسه ص ٣١٦)

(٧) البسام المرجع نفسه ص ٢٦٥.

١٣٧٠هـ/ ١٩٥١. فرجع بعدها الأحفاد جميعاً إلى الكويت ليلتزم شمل أفراد أسرة آل صباح بعد فراق استمر نحو ستين عاماً^(١). وكان الشيخ حمود بن جراح الصباح قد عاد إلى الكويت قبل أبناء عمه بفترة وتوفي فيها^(٢).

أما بالنسبة لعائلة الشيخ يوسف آل إبراهيم، التي خرجت بدورها من الكويت نتيجة عملية الاغتيال وما تلاها من تطورات للأحداث فاستقروا أولاً بالدورة ثم انتقلوا إلى قطر وبعدها إلى جزيرة قيس ومنها إلى مكة المكرمة وبعضهم استقر في حائل ثم عادوا إلى دورة ابن إبراهيم بعد وفاة الشيخ يوسف، أما الفرع المقيم في الهند منذ النصف الأول للقرن التاسع عشر فقد بقي هناك على استقراره إلى نهاية الخمسينيات ووفاة الشيخ جاسم آل إبراهيم^(٣).

لم يبدر من الشيخ مبارك تدمراً من أسرة آل إبراهيم، أو يتهمها بدعمها الصريح للشيخ يوسف خلال نزاعه معه. وأكد خلاف ذلك، في مراسلاته مع بعض الشخصيات العربية أو عند حديثه مع أعيان الكويت، على الروابط الأسرية القوية مع آل إبراهيم، ومواقفهم المشرفة والتميزة والحميمة مع آل صباح وأهل الكويت عموماً^(٤). ويأتي هذا خلافاً لما جاء في مراسلاته مع السلطات العثمانية والبريطانية في بداية النزاع، عندما كان يتهم آل إبراهيم بدعم خصمه ومؤازرته، ويطالب باتخاذ موقف حازم معها لمنعها من تقديم العون لشيخ يوسف^(٥). وبدأت مظاهر الشقاق تنجلي وعادت المياه لمجاريها والأمور لسابق عهدها، فأصبحت هناك رغبة مشتركة ومتبادلة لإغلاق ملف

(١) يوسف البسام المرجع نفسه ص ٢٦٥؛ معلومات زودني بها خطياً الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم بتاريخ ٥/٥/٢٠٠٥م.

(٢) يوسف البسام المرجع نفسه ص ٢٦٥.

(٣) مقابلة مع الراوية الأستاذ محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بدولة الكويت، بتاريخ ٢٠/٦/١٤٢٣هـ؛ الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٤) وكتب الشيخ مبارك برسالته المرسلة إلى جاسم آل ثاني عن أسرة آل إبراهيم قوله ((وإلا هذه الحمولة حنا وياهم من دون الناس جماعة ولا عندنا أمر يخالف أمرهم نقر ما يقربون ونوخر ما يوخره؛ ولا بيننا وبينهم عداوة متقدمة ولا خلت قلوبنا من محبتهم؛)) (رسالة من الشيخ مبارك آل صباح إلى جاسم آل ثاني بتاريخ ٢٨/١١/١٣٢٢هـ) مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها.

(٥) الأرشيف العثماني، استنبول إرادة خارجية. He.MTV، رقم ٤٨/٧١٩ بتاريخ ١٤/٨/١٨٩٦ (وثيقة منشورة في كتاب بيان الكويت، القاسمي مرجع سابق ص ٣٢٩) (Rush, Records, op, cit, p171)

النزاع بالاتصال والتواصل. فقامت عائلة آل إبراهيم من جهتها بالتآزر مع الشيخ مبارك لوأد الشر والعداء، لإدراكها أن دواعي الخلاف قد انتهت بوفاة الشيخ يوسف، ولتأم شمل آل صباح، فأضحى من مصلحة الجميع أن تكون العلاقة طبيعية لامور شتى، ليسهل التعامل بحرية أكثر مع الكويت، كما أنهم في النهاية لابد أن يعودوا إلي ديارهم وأملاكهم التي ابتعدوا عنها لسنوات عديدة.

قابل الشيخ مبارك ذلك بالتقرب أكثر مع عائلة آل إبراهيم، فهو السياسي المحنك والعارف ببواطن الأمور، ويدرك ما لهذا التقارب من نتائج ايجابية، عائدة عليه وعلى الكويت بالدرجة الأولى، وما لهذه العائلة من مكانة اجتماعية، وما لها من تأثير على اقتصاد وازدهار بلده لمكانتها التجارية، حيث تعتبر أكبر البيوتات التجارية بالكويت^(١)، واحتكارها لتجارة اللؤلؤ نائفة الصيت في الهند وحتى انهيار سوقه بعد ظهور اللؤلؤ الصناعي وقت كانت الكويت، ومعها بلدان الخليج تعتاش على تلك التجارة^(٢). فقد حرص الشيخ مبارك على استغلال هذه الفرصة الثمينة ليطوي صفحة النزاع مع هذه العائلة الى الابد.

بدأ في مراسلة برسالة مؤرخة في ١ شوال ١٣٢٥ وجهها إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم، وضح فيها موقفه من العائلة أثناء صراعه مع الشيخ يوسف. ومما جاء فيها: "إذا يصير طاري يوسف في محضر رجال أكابر أقول مساوية معي، يفسدها محسنات أبوه ومحسنات علي وأبو علي محمد مع جابر وصباح. وهنالك يا أخي جرى المقدر... وأنتم منا ولا لنا منكم براءة"^(٣). ومن نتائج التقارب مع آل إبراهيم، استرد الشيخ مبارك الوديعة الموجودة عندهم في بومبي، والتي طالب فيها طوال فترة النزاع، فلم يترددوا في ذلك، فقد قام الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم بتسليم عبد الرزاق الخالد الخضير، مبعوث الشيخ مبارك، المبلغ كاملاً والبالغ ٧٦٨٥٥ روبية^(٤). وعندها

(١) كاتلوف، مرجع سابق، ص ١٧٥.

(٢) ضاري الرشيد، مصدر سابق ص ٢٧؛ بالجريف، مصدر سابق، ص ٦٦/١

(٣) رسالة من الشيخ مبارك بن صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في الهند بتاريخ ١/شوال/ ١٣٢٥ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن)؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص ص ٢٥ - ٢٦.

(٤) وثيقة سند بخط عبد الرزاق الخالد الخضير باستلامه المبلغ كاملاً بواسطة الشيخ عبد العزيز بن =

حرر الشيخ مبارك سنداً بهذا المبلغ بتاريخ ٣ محرم ١٣٢٥هـ، الذي شمل جميع مستحقات آل صباح^(١).

ولتأكيد حُسن النوايا، قامت عائلة آل إبراهيم بتقديم المساعدات والهدايا للشيخ مبارك، وأبرزها تمويته عام ١٣٢٥/١٩٠٨ بشحنة أسلحة بلغت ٨٠٠ بندقية مارتييني - هنري، مساندةً في حفظ أمن الكويت، وشحنة من الأطعمة، تمثلت بـ ٣٥٠٠ كيس من الأرز. قام بإرسالها الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم من بومباي^(٢). ولم ينس الشيخ مبارك - ، الذي حرص على تقوية هذه العلاقة، وتقديراً لتلك المواقف - أن أمر بإقامة صلاة الغائب في جميع مساجد الكويت^(٣) حينما وصل نبأ وفاة الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في بومباي عام ١٣٢٨هـ^(٤). استمرت عائلة آل إبراهيم مع آل الصباح تتمتع بعلاقات متينة، ممثلة بالشيخ جاسم بن محمد بن علي آل إبراهيم فقد بلغت قمة مداها وأفاقاً غير مسبوقه بتودد غير عادي لم يحدث قبله. ولنقرأ معاً ما كتبه شاهد عيان "كاتب الوكيل السياسي البريطاني" عبدالله العبدالله

= علي آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ١١ ذي الحجة ١٣٢٥هـ (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها).

(١) سند محرر باسم الشيخ مبارك عن جميع المبالغ للشيخ محمد الصباح لدى الشيخ يوسف آل إبراهيم وعبد العزيز بن علي آل إبراهيم، جاء فيه ((وجه تحرير السند، هوان بتاريخه أدناه أقول أنا يا مبارك الصباح حولت عبد الرزاق الخالد الخضير على الأخ الشيخ عبد العزيز بن المرحوم الوالد علي آل إبراهيم في بومباي بأن يقبض المبلغ من بعد كل حساب بين المرحومين محمد الصباح والشيخ يوسف آل إبراهيم وكذا الباقي بين محمد الصباح وعبد العزيز آل إبراهيم وإيصال ما يتبقى من الدراهم؛ ولا بقي لي بزمة الأخ عبد العزيز بن المرحوم علي آل إبراهيم ولا بزمة عموم آل إبراهيم أدنى حساب وقد أبرأت نمته وحدده هذا السند؛ ٣ محرم ٣٢٥، ختم مبارك)) وثيقة سند من الشيخ مبارك عن جميع مستحقات آل صباح لدى آل إبراهيم التي تبلغ ((٧٦٨٥٥ روبية)) وحرر السند بتاريخ ٣ محرم ١٣٢٥هـ (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها).

(٢) معلومات زودني بها الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله في الفنطاس بتاريخ ٢٥/٦/١٤٢٥هـ.

(٣) وذكر الحاتم أنه توفي سنة ١٣٢٤هـ والصحيح ما ذكرناه (الحاتم، مرجع سابق، ص ٦).

(٤) في تدوينات خان بهادر الصادرة من مركز البحوث والدراسات الكويتية، رسالة الكويت السنة الرابعة، العدد ١٥ جمادى الآخر ١٤٢٧ يونيو ٢٠٠٦ ص ٥. (في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٢٨هـ الخميس جانا خبر تلغراف من بمبي (مومباي) إلى الشيخ مبارك عن وفاة الشيخ عبد العزيز بن علي بن محمد الإبراهيم، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة في المساجد من أمر مبارك الصباح، رحمه اله وعفا عنه).

القناعي في تدويناته ويوميياته عن قدوم الشيخ جاسم آل إبراهيم للكويت: "وصل الشيخ جاسم بن الشيخ محمد بن إبراهيم إلى الكويت من بمبي في مركب الشيخ مبارك. وصل ليلة الجمعة الساعة الثالثة من الليل الموافق ١٩ صفر ١٣٣٢هـ المصادف ١٨ يناير ١٩١٤م. نزل عند الشيخ مبارك، وفي إقبالته على الكويت رموا له أربعة أطواب من المركب. وبعد هذا أول وصله إلى الكويت بعد خروجه منها سابق. رحلت أسلم عليه بعد صلاة الجمعة، وفي حالة السلام بارك لي في الرتبة، التي حصلت عليها من الدولة القيصرية الانجليزية، قبل أن أخذ الخبر من القنصل الذي عندنا. وسافر من الكويت في مركب الشيخ مبارك لمواجهة خزل المرداوي، وذلك يوم الجمعة ٢٧ صفر الساعة التاسعة ونصف بصحبة الشيخ جابر والطاويش. صحبته السلامة بالسفر والاقامة". وكان قد قدم هدية للشيخ مبارك قبل ذلك التاريخ في عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م هي أول سيارة في الكويت والجزيرة العربية لينفتح الناس في الكويت على الجديد والحديث ومواكبة العصر.^(١)

كذلك أسهم الشيخ جاسم والشيخ عبدالرحمن آل إبراهيم بالنصيب الأكبر في تأسيس المدرسة المباركية، وهي أول مدرسة نظامية في الكويت بنسبة تصل إلى ٧٥٪ من تكاليف إنشائها العام ١٣٣٠هـ/١٩١٢، ليكون لها الدور القيادي في وثبة النهضة العلمية في الكويت، في دعمها الغير محدود لتطوير المعرفة^(٢). وهكذا استمرت العائلة تدعم نهضة الكويت لسنوات عديدة. ومنها تأسيس شركة المراكب العربية المتحدة التي ساهم فيها الشيخ مبارك وأبناءه عام ١٩١١م.

ومن جانبه أثبت الشيخ مبارك حسن نيته لهذه العائلة، عندما تأثر الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز آل إبراهيم بنكسة اقتصادية، خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/العشرين ميلادي، أعلن بسببها إفلاسه. وما كان من الشيخ مبارك إلا إعلان تأييده ومؤازرته، فعقد اجتماعاً مع آل إبراهيم

(١) سيارة من نوع ((Manirva)) الحاتم مرجع سابق ص ١٤٠؛ يحيى الربيعان، بين المشافهة والتدوين والعزف عن المعروف، جريدة الطليعة الكويت العدد ١٢٧٤ بتاريخ ٣٠ أبريل ١٩٩٧ ص ٩.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ٤٤؛ الربيعان؛ المرجع نفسه، ص ٧؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١٢٢/١.

وكبار تجار الوَلُو للخرج من هذا المأزق فتم ذلك بنجاح وأجتازت البلاد أزمة مالية خطيرة، فالكويت بحكمة رجالها تسبح ولا تغرق^(١).

وإثناء الاحتراب بين الشيخ مبارك وسعدون باشا المنصور شيخ المنتفق طلب الشيخ مبارك من آل إبراهيم تجييش أتباعهم من سكان الدورة لمحاربة المنتفق ١٣٢٨/١٩١٠، ولم يترددوا في تلبية الطلب هذا^(٢). وعلى الرغم من سياسة التقارب والتعاون والتلاحم في المحن، التي طويت معها صفحات الخلاف بوفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم، إلا إننا نجد هذه الأسرة لم تعمل للعودة إلى الكويت طوال عصر الشيخ مبارك، بل بقيت بالدورة والهند، ولم يمنع من قيامهم بزيارة الكويت لقضاء بعض أمورهم، وملتزماتهم حتى بعد وفاة الشيخ مبارك الصباح عام ١٣٣٤هـ/١٩١٩^(٣). وخلال فترة حُكم ابنه الشيخ جابر الصباح القصيرة. وكأنها أجلت العودة إلى عهد الشيخ سالم بن مبارك الصباح ١٣٣٥ - ١٣٣٩هـ/١٩١٧ - ١٩٢١.

بدأت أسرة آل إبراهيم بالعودة النهائية إلى الكويت بعد إلحاح شديد من قبل الشيخ سالم، فكان أول العائدين الشيخ صالح آل إبراهيم، الذي كانت تربطه بالشيخ مبارك علاقة جيدة وحميمة مع الشيخ سالم. فشيد الشيخ صالح منزلاً مقابل قصر الشيخ مبارك، قصر السيف بحي (فريج) آل إبراهيم^(٤) في بهيئة. ثم لحق به الشيخ سليمان بن عبد اللطيف آل إبراهيم. وتوالى بعدها رجوع العائلة تباعاً وعلى فترات متفاوتة^(٥).

وبالعودة إلى أحوال الشيخ مبارك السياسية فقد تغيرت كثيراً عما كانت عليه في العقد الأول من حكمه، أثناء النزاع مع الشيخ يوسف آل إبراهيم، حيث

(١) يعقوب آل إبراهيم، نفائس الخبايا من تاريخ الكويت، جريدة القبس، الكويت، العدد ٩٧٠٧ الخميس ٢٩/٦/٢٠٠٢ ص ٣٥

(٢) سعدون أحداث...، مرجع سابق ص ١٠٨؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٣) يعقوب آل إبراهيم، نفائس الخبايا...، مرجع سابق، ص ٣٥ مقابلة مع الراوية الأستاذ/محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنتاس بتاريخ ٢٥/٦/١٤٢٣هـ.

(٤) مقابلة مع الراوية الأستاذ/محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنتاس بتاريخ ٢٥/٦/١٤٢٣هـ؛ الزعبي عائلة آل إبراهيم مرجع سابق ص ٨٤.

(٥) مقابلة مع الراوية الأستاذ/محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنتاس بتاريخ ٢٥/٦/١٤٢٣هـ؛ الزعبي عائلة آل إبراهيم مرجع سابق ص ٨٤.

كان دائم اليقظة من مباغطات خصمه، وميال إلى محاولات الصلح، والتعامل مع رعيته بشعور الحاجة لهم. وبعد ذلك اطمئن من أي خطر يحدوا، تغيرت سياسته الداخلية، فمال إلى المظالم والتسلط والاستبداد في السلطة^(١). واستمر على هذه الحالة الجائرة، التي أصبحت تزداد من فترة لأخرى فراضاً على شعبه سياسته الجديدة بالقوة، لدرجة منعهم من استخدام الخيول في انتقالاتهم داخل الكويت.

ووصف ماليري، المعاصر لهذه الفترة، سياسة مبارك في مذكراته، بالقول: "وقد حكم مبارك الكويت بيد حديدية، وكانت كلمته قانوناً، ولم يكن يسمح لأي من رعاياه بالاحتفاظ بعرية أو حتى بجواد للركوب. أما المسنون أو المقعدون فكانوا يركبون حميراً متواضعة. وكان الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة نقيب البصرة السيد رجب"^(٢). وقام بفرض الضرائب على جميع الصادرات إلى الكويت والواردات منها، حتى أصبحت الضرائب الباهضة خلال العقد الثاني من حكمه هي السمة السائدة للإدارة^(٣).

ولم يكن التغيير فقط في سياسته ضد أهالي الكويت، بل شمل سلوكه الشخصي، واعتزل الناس، وحدد اختلاطه بالأهالي^(٤). وأخذ بالتفرغ لحياة اللهو والترفيه عن النفس في قصور خزعل بالحمرة^(٥). وأصبح يغيب لفترات طويلة عن الكويت في بلاد خزعل^(٦). وقام بشراء مركب بخاري ذاع صيته يتنقل به خلال العام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ من دون خوف من عدو يتربص به، وبذلك ترك أسلوب تحركاته السرية، التي اعتاد عليها في السنوات الماضية. ويعلل لوريمر هذا التغيير في سياسة مبارك، بفرضه الضرائب العالية على أهل الكويت رغم الازدهار والرخاء التي عاشتها الكويت خلال العقد الثاني من حكمه، بشراء الشيخ مبارك مركب بخاري بمبلغ مالي كبير يصل إلى مائة ألف

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩١؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٢) ماليري، مصدر سابق ص ٤٩ - ٥٠.

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٥) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٦) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٠، لوريمر دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ٣/١٦٦٥.

روبية. وكان ثمن هذا اليخت ناهيك من نفقات صيانتته أحد أسباب الأزمة المالية للكويت^(١). ومن المحتمل أن تكون تكاليف اليخت الباهضة هي أحد الأسباب للأزمة المالية. لكن لوريمر ذكر أن التجارة بالكويت كانت مزدهرة^(٢) وفي تزايد عظيم في هذه الفترة.

ويعلل المؤرخ الكويتي يوسف بن عيسى القناعي سبب تغير سياسة الشيخ مبارك، خلال العقد الثاني من حكمه، نتيجة صداقته مع شيخ خزعل حاكم المحمرة، وتأثره بشخصية الأخير لدرجة تقليده في جميع الأمور^(٣). غير أن هذه الصداقة لم تكن خلال العقد الثاني من حكمه، فهي حسب ما نعلم قديمة وتعود إلى قبل توليها الحكم^(٤). لذا يصعب الاطمئنان لمثل هذا التعليل، فلو كان ذلك فعلاً لتأثر مبارك به منذ البداية.

يقول مؤرخ الكويت: «أن مبارك التصق بخزعل بعد أن استتب الحكم له وقد بنى خزعل له قصرًا في الفيلية واشترى يختًا ينتقل به إلى هناك بسرعة وبدون عناء».

ومن الطريف ما يروى عن هذه العلاقة وكثرة غياب الشيخ مبارك عن الكويت أن بدويًا سرق حاله (إبله) فقصد مباركًا للشكوى فقبل له أن الشيخ عند خزعل وطال الانتظار على غير العادة. والبدو عامة يملون ذلك ويريدون ما يطلبونه سريعاً. فقرر صاحبنا أن يشد الرحال إلى الفيلية وهو لا يدري أين تقع فقطع أرض ونخيلًا وركب سفناً وعبر أنهاراً إلى أن وصل مقصده. فأخذه الحراس إلى الشيخ مبارك فبدأ يقص متاعب رحلته وانتظاره وكان الشيخ خزعل حاضراً وبعد أن انتهى من سرد ما لاقاه، بادره الشيخ خزعل بلهجته الأهوازية البصرية: «لعد اكلت فشقي» وهي كنية تعني عندهم أقصى التعب والانزعاج. فأجابه البدوي وهو لا يعرف معنى فشقي: «يا طويل العمر، الفشقي اكلكم بالحكام وين يحصله فقير مسكين مثلي». ولم يدر أن الفشقي هو فضلات الخيل باللغة التركية.

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٦٧/٣.

(٢) لوريمر، المصدر السابق، ١٥٦٦/٣.

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٧.

(٤) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٠.

وكان بالماضي وعلى الرغم من مرور الكويت بأزمات مادية واقتصادية حادة خلال عامي ١٣١٩ - ١٣٢٠هـ/ ١٩٠١ - ١٩٠٢ نتيجة لحصار العثمانيين وحلفائهم ابن الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم. لم يحاول مبارك الضغط على الأهالي بتحميلهم ضرائب جديدة، بل نجده يبحث عن وسائل أخرى لسد النقص والعجز، مثل ما مر بنا عند طلبه من الإنجليز مبالغ مالية لسد المتطلبات. وبالمطلق، نعتقد أنه كان وراء تبدل سياسة مبارك هو وفاة خصمه الشيخ يوسف، فحينها لم يجد الشيخ مبارك معارضاً أو منافس. وبوفاة الشيخ يوسف انزاح عنه الستار لتظهر سياسته الحقيقية الاستبدادية، القائمة على القوة والتسلط، وبنى في بلاده قصور اللهو والترفيه، وأصبح يجاهر بها من دون اكتراث^(١).

وعلى حقيقة علاقته مع شيوخ البادية، فإن هذه الرواية تكشف كنهها نسوقها مثلاً لا حصراً. يقول الراوية المعروف محمد بن علي العبيد وجرت حوادثها عام ١٣٢١هـ^(٢).

وقد أفادني رجل من أهل عنيزة المحبوسين يدعى عبدالله بن محمد الربع. قال: بينما كنا في حبس ابن صباح إذ دخل علينا الشيخ جعيلان بن سويط شيخ الظفير محبوساً معنا. فاستكبرنا ذلك لأنه رئيس كبير وهانت عندنا مصيبتنا. فالتفتنا حوله تسلم عليه ونسأله عن السبب الذي دخل الحبس من أجله فقال من فوره مجيباً: «هذا أبو السمك يعني (الشيخ مبارك) يقول أن صالح البسي من أهل بريدة يشتري من بيوتكم إبل للباسام وقد كمل مشتراه ثمان رعايا أبيها تجيني هي وصاحبها الذي اشتراها. فكان بيينا نسلم له ضيفنا الذي بوسط بيوتنا وهو ما درى أننا ذبحنا ولدنا عند جارنا وقصته مشهورة في عموم الجزيرة وما ولاها.

كذلك القت وفاة الشيخ يوسف ظل آخر على سياسة الشيخ مبارك الخارجية، في العقد الثاني من حكمه، في علاقاته بالقوى الإقليمية، حيث اتسمت بالتحول وعدم الثبات مع حليفه ابن سعود ومع عدوه ابن الرشيد^(٣)، فأخذ

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٢) كتاب أخبار الملك عبدالعزيز في مذكرات المؤرخ محمد العلي العبيد تحقيق فائز بن موسى البدراني الحربي، الطبعة الأولى - الكويت ٢٠٠٢م.

(٣) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٤٤؛ جبار عبيد، مرجع سابق، ص ١٢٧.

يميل إلى التعاطف مع إمارة الرشيد^(١)، وظهور الطموح التوسعي في بلاد نجد، اتضح ذلك في عرضه على حلفائه الإنجليز خطة لحل الأزمة في المنطقة بتقسيم نجد بين ابن الرشيد وابن سعود، وبضم المناطق الممتدة إلى القصيم وسدير لإمارته^(٢). لكنه سرعان ما تراجع عن هذه الخطة، بعد أن وجد نفسه الوحيد المؤمن بها^(٣) ويذكر حسين خزعل: "أن سياسة ذات الوجهين كانت سمة علاقته بين ابن سعود وابن رشيد" حتى يستمر بالنزاع ويضعفاً معاً، فيكون بذلك هو المستفيد الوحيد من ذلك^(٤).

وهنا، يتضح لنا أثر وثقل الشيخ يوسف على سياسة الشيخ مبارك قبل وفاة الأول أو بعدها، حيث ظهر خلال هاتين الفترتين بشخصيتين متناقضتين ومتباعدين كل البعد. وعند خاتمة حياة الشيخ يوسف الإبراهيم لا بد أن يُطرح السؤال: ماهي علاقة الشيخ يوسف بالأحداث ليلعب هذا الدور المفصلي في المشهد السياسي؟ هنا لا بد من الإشارة إلى ما أغفله معظم الكتاب لما ورثه الشيخ يوسف عن آبائه وأجداده، لذا جاء ذكرهم له مقطوعاً عن ذلك الإرث في الحياة السياسية في المنطقة. فمنهم مَنْ اعتبره مجرد مستشار، ومنهم مَنْ اعتبره الصديق المقرب من الحاكم. وهؤلاء لم يجهدوا أنفسهم بالرجوع إلى ما كتبه عنه معاصريه من المؤرخين، مثل القناعي والرشيد وغيرهما. ويبدو أن عدم العمق في الدراسات جاء لسببين: الأول، أن دراسات مَنْ اختصر تأثيره ودوره بوظيفة المستشار أو المقرب لم تكن بحوثاً تاريخية موثقة. والثاني للابتعاد عن الحساسية، وهذا طامة كبرى على البحث التاريخي. ولا ننفي قلة المصادر المتوفرة حول شخصية الشيخ يوسف وأسلافه، وذلك أن السلطات التي لم تكن على توافق معه عملت جهدها لاختفاء وتدمير ما كُتب عنه. مثال ذلك مصادرت السلطات البريطانية في البصرة عام ١٩١٥ مسودة مصدر تاريخي هام، كالذي كتبه ماجد بن سلطان بن فهد. واتلاف ما كتبه الشيخ أحمد بن رابع، وكنا من المعاصرين للحدث. يضاف إلى ذلك عدم توافر النية

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٦١/٣.

(٢) لوريمر، المصدر السابق، ١٧١٧/٣؛ السعدون العلاقات...، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٣) لوريمر، المصدر السابق، ١٧١٧/٣؛ السعدون العلاقات...، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٤) خزعل، مرجع سابق، ١٨٧/٢.

لجرد الأراشيف العثمانية، والفرنسية، والروسية، وحتى البريطانية، وما احتفظت فيه من وثائق. ولا بد من ذكر حقيقة أخرى تتعلق بما كُتب عن أسباب النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، وما كُتب عن الأخير نفسه، ألا وهي أن التاريخ يكتبه المنتصرون!

فعسى ان نكون قد وفقنا في بحثنا هذا القاء الضوء، وتحديد الملامح، وكشف مطامير التاريخ، وكسر الحاجز النفسي، والمستقبل كفيلاً لكشف ما خفا وخبا.

الخاتمة

امتدت جذور النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم في أعماق تاريخ الكويت، منذ نشأتها باختيار عتوب الكويت صباح حاكماً عليهم بطريقة شورية، ليكون مكلفاً بالنظر في شؤون بلده، وأن لا يقدم على أمر مهم قبل استشارة أعيان بلده، ما يعني أن سلطة الحاكم كانت محدودة، غير مطلقة، مما أفسح المجال لبعض الشخصيات الكويتية من غير آل صباح لاكتساب صلاحيات تبرز من خلالها سلطتهم التي تفوق أحياناً سلطة الحاكم نفسه، وكان أغلب هؤلاء من التجار. يوم كانت التجارة في الكويت تمثل عصب الحياة، وأساس التقدم والازدهار، والسبب الأقوى في استمرار حكم آل صباح، حيث مثلت أنشطتها المتنوعة قوة اقتصادية تدعم وجودها السياسي إقليمياً، وتعمل على توجيه دفة السياسة الداخلية. وبالمحصلة يمكن إيجاز النتائج التي وقف عليها البحث بالآتي:

- كان الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، وتطوراته في المراحل المختلفة، نتيجة النزاع حول السلطة بشقيه السياسي والمالي، فبينما كان الشيخ يوسف يمثل النفوذ الاقتصادي، كان الشيخ مبارك يمثل النفوذ السياسي، وأن وصول هاتين الشخصيتين الطامحتين على رأس القوتين كان لا بد من أن ينجم عنه تصادم بينهما.
- إن دواعي الشقاق وأسباب الخلاف، التي أدت إلى الصراع بين مبارك وأخويه، الشيخين محمد وجراح، تعود أساساً إلى التفاوت في المبادئ، والتباين في الميول، والاختلاف في الطباع والأخلاق، مما جعل هوة الخلاف بينهم تزداد اتساعاً.
- تمثلت أسباب النزاع، بين الشيخ مبارك الصباح والشيخ يوسف، في التصادم بين طموح الأول في السلطة، وصلاحيات الثاني المطلقة بما يملكه من نفوذ اقتصادي، مع الضيق من الحصار المالي الذي مورس معه من قبل أخويه: الشيخ محمد وجراح الصباح، والشيخ يوسف آل إبراهيم. وبطبيعة الحال، أدى ذلك إلى نزاع بين الطرفين، واجهه الشيخ مبارك باغتياله أخويه، لتدخل الكويت في مرحلة من النزاع الحاد امتدت عشر سنوات من تاريخه.

- تعتبر عملية اغتيال الشيخ مبارك لأخويه حالة نادرة في تاريخ الكويت، فهو أول اعتلاء للسلطة عن طريق إراقة الدماء، وكان هذا الحدث غير مسبوق لبشاعته، فأهل الكويت ميالون بطبعهم إلى الدعة والاستكانة، لذا خلق هذا الوضع ردود أفعال مختلفة، في الداخل والخارج. تمثلت في معارضة رموز من المجتمع الكويتي وتزعم الشيخ يوسف قيادة هذه المعارضة، وما يعلق بهذا من ردود أفعال الدولة الكبرى والمراكز الإقليمية.
- بدء الشيخ يوسف نشاطه ضد الشيخ مبارك من البصرة، وأخذ يُضيق الخناق على خصمه، ولم يملك الأخير سوى تلقي الضربات المتلاحقة من جميع الاتجاهات بمهارة شتت قواه، حتى تحولت الكويت من جراء ذلك إلى بؤرة للصراع الدولي على أوسع نطاق. واستمر الحال حتى وفاة الشيخ يوسف.
- جعل الشيخ يوسف القضاء على الشيخ مبارك قضيته الأولى والأخيرة، معتمداً في ذلك على علاقاته وموارده الشخصية. وشهد عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ تحركاً نشطاً وهجمات مكثفة، وخطط متنوعة. وقد استطاع الشيخ مبارك التعامل معها وإحباطها بكل الوسائل الممكنة.
- جذب النزاع بين الشيخ يوسف والشيخ مبارك قوى إقليمية مختلفة، كان لكل قوة مبرراتها، التي دعته إلى الدخول في معترك هذا النزاع. دخلت إمارة قطر نتيجة العلاقة العدائية بين الشيخ مبارك والشيخ جاسم آل ثاني، دون التقليل من دور الصداقة القديمة بين الشيخ يوسف والشيخ جاسم، إلى جانب أسباب أخرى أدت إلى تعاونهما ضد الشيخ مبارك. وكان طموح إمارة الرشيد فقد السيطرة على ميناء في الخليج العربي، لسد احتياجات الإمارة، ف جاء طلب الشيخ يوسف بنصرتها موافقاً لأهوائها السياسية، بالإضافة لاتخاذ الأسرة السعودية الكويت مقرّاً لها. مما جعل إمارة الرشيد تقرر الدخول في مجريات النزاع، الذي كانت نتائجه عكسية عليها مع استرداد سلطة آل سعود على نجد. مما جعل ابن الرشيد، في نهاية المطاف، ينصرف عن الكويت لمقاومة السلطة السعودية المتنامية. وبالتالي أدى النزاع الإقليمي إلى تغير خارطة المنطقة بعودة آل سعود من جديد إلى مواقعهم في نجد، وتقهقر إمارة الرشيد بتأسيس الدولة السعودية الثالثة.

- تميزت علاقات الكويت بالقوى الإقليمية، قبل عهد الشيخ مبارك، بالحياد والسلم، وكانت جل حروبها دفاعية، بغض النظر عن مشاركتها في الحملات العثمانية. أما في عهد الشيخ مبارك فقد تغيرت سياستها الخارجية، حيث أصبحت تمارس العداء والتعدي والمغامرة مع من حولها.
- كذلك تميزت الكويت بعلاقة فريدة مع الدولة العثمانية، فهي على الرغم من قرب المسافة من العراق العثمانية، إلا أن الدولة العثمانية اكتفت بتبعية الكويت الاسمية، ولم تعمل بشكل جدي لفرض نفوذها المباشر على الكويت، فأعطت هذه العلاقة الكويت استقلال ذاتي ساعد على حرية التقارب مع القوى الكبرى الأخرى المنافسة للدولة العثمانية، وخصوصاً بريطانيا في الخليج العربي.
- لفتت محاور النزاع أنظار القوى الكبرى الغربية إلى المنطقة، ونتج عنه حرص الشيخ مبارك على طلب الحماية البريطانية من درءاً للاخطار التي تحدق به، بعد أن أخذ الشيخ يوسف تأليب القوى الإقليمية في جزيرة العرب، ورجالالات الدولة العثمانية ضده. وبأثرها لجأ الشيخ مبارك إلى بريطانيا. وينم ذلك عن انتباه مبكر لأهمية الوجود البريطاني في المنطقة، وبهذه المعاهدة مهد الطريق أمام أمراء الكويت من بعده، في أتباع سياسة الالتجاء للدول الكبرى، كلما لاحت في الأفق بوادر الخطر على الساحتين الإقليمية والدولية والداخلية. وقد نتج عن هذه الحماية فصل الكويت عن العراق العثماني.
- ومما يستحق الذكر والإشادة ولم يتطرق له من كتبوا، أن الشيخ يوسف الإبراهيم كان يتنقل بحرية كاملة في كل البلدان المحيطة بالكويت. فقد سافر إلى البحرين وحل في قطر وأقام فترة في بومبي وبعدها انتقل إلى مدن نجد فنزل بريدة وأحل في حائل وجاور في مكة المكرمة بالإضافة إلى إقامته في ولاية البصرة وأملاكه في الدورة وسفراته إلى بغداد. ولم يعترضه إلا السلطات العثمانية مرتين الأولى قبيل معركة الصريف في مايو عام ١٩٠١م حيث أجبر على مغادرة الأراضي العثمانية ثم أزيل الحضر وبعدها بُعيد حملته البحرية الثانية في سبتمبر ١٩٠٢م حينما تدخلت السلطات البريطانية لدى الباب العالي فانتقل إلى حائل. وتلك المحاولتين تدحض

وتسقط وجهة النظر القائلة بأن السلطات العثمانية كانت الداعمة لمحاولات الشيخ يوسف الإبراهيم ضد الشيخ مبارك.

- تميز الشيخ مبارك بالدهاء السياسي، حيث المحافظة على حكمه، وحكم نريته في الكويت، والنجاة بها بين القوى الإقليمية والدولية المحيطة بها.

- كان لتذبذب مواقف رجال الدولة العثمانية، خصوصاً في البصرة وبغداد، أثراً سلبياً على موقفها من الكويت، مما سهل مهمة بريطانيا في بسط نفوذها عليها، وكان هذا التذبذب راجعاً للمصالح الشخصية لهؤلاء الولاة والموظفين، الناتجة عن الضعف والفساد الإداري المستشري في جسد الدولة العثمانية.

- كانت نهاية التنافس الأوروبي على الكويت لصالح بريطانيا بعقد معاهدة الحماية مع الشيخ مبارك، وفي الوقت نفسه خرجت ألمانيا وروسيا من ميدان التنافس الفعلي، وذلك لمواقفها ضد كل من يعترض سبيل مصلحتهما. لذا تضاربت المصالح مما أدى لخروجهما من هذا الميدان، إلى جانب أنهما لم يتخذاً موقفاً دبلوماسياً مرناً من النزاع، الذي أفرز التنافس الدولي على الكويت.

- بمجرد وفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم أغلق الشيخ مبارك ملف النزاع نهائياً، فأتجه إلى أبناء أخيه واستطاع أن ينهي الخلاف معهم بإعطائهم جميع حقوقهم المالية، مع ترتيب زيجات، سياسية بجوهرها، مع أبناء شقيقيه، ضمنت له جنحهم للسلم، ومن طرف آخر عمل على التقارب مع أفراد أسرة آل إبراهيم ليأمن جانبهم، وفعلاً تحقق له ما أراد.

- لعب النزاع دوراً في تغير نمط الحكم في الكويت، فقد أعطى الشيخ مبارك فرصةً لتقوية سلطة الحاكم، على حساب البداية الشورية في الكويت، فمن يومها بدأ الشيخ مبارك يعمل لتحقيق أهدافه بتغيير نمط الحكم، وأتاح له تكريس سلطته. وعلى الرغم من استخدام مبارك، أثناء النزاع، سياسة داخلية قائمةً على العدل والمساواة بين الرعية، وبأخذ الرأي والمشورة من أعيان الكويت، إلا أنه خلال العقد الثاني من حكمه عمل على تكريس سلطته المطلقة الاستبدادية.

الملاحق

ملحق رقم (٢)
صورة الشيخ مبارك آل صباح.



ملحق رقم (٣)
صورة الشيخ يوسف آل إبراهيم.



ملحق رقم (٤)

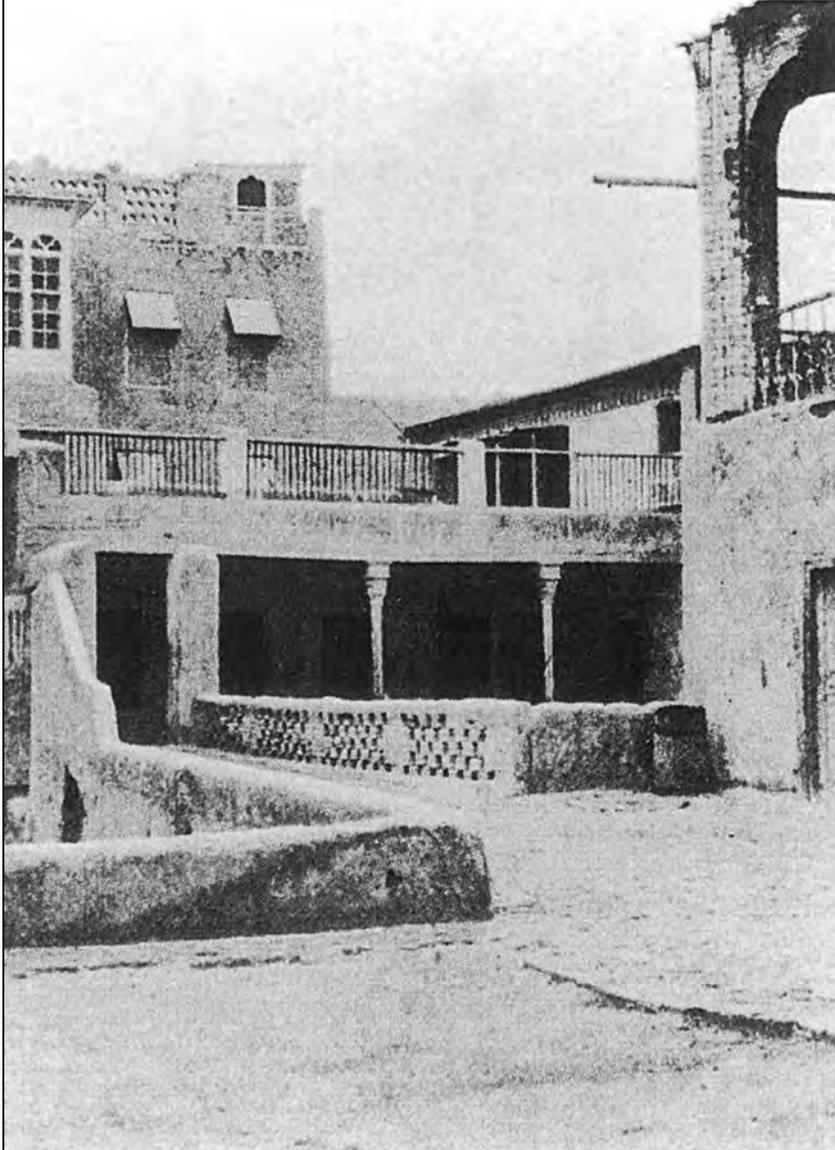
لوحة محفورة على مدخل ديوان آل بن إبراهيم في بهيته

يعود تاريخها إلى عام ١٢٩٢هـ.



ملحق رقم (٥)

بيت آل بن إبراهيم في بهيئة مقابل قصر السيف حالياً،
أقام فيه الشيخ مبارك من عام ١٩٠١ إلى عام ١٩٠٧ م
حينما انتهى بناء قصر السيف.



ملحق رقم (٦)

قصر آل بن إبراهيم في ضاحية كولا با - بومبي - الهند.



ملحق رقم (٧)

شكوى الشيخ خالد بن محمد الصباح الى السلطان عبدالحميد الثاني

١٣٦٠ هـ
١٣٦٠
١٣٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

احقرت عليّ يا وعلو ذناحامي حوارة المير، وخليفة رسول رب العالمين امير المؤمنين خلد الله ملكه وادام سلطنته واعل شؤانه
اعرضت لخدمتهكم واناعدكم ومملكه ربحكم خالد بن محمد باش الصباغ انه والدي المذكور رفعت حانرا باسباب خدامات الالدية
العليه لقب البشونيه وشملت العساكر الموكبه حتى ان نال امانه الكويته بالارادة السنخه ولا زال قائماً في مامورته
بجسدهما فيد رض السلطنة العله والكرامه والكراميه والسكونه اللذهالي واليهما في القسط الكلي بيله ومسار الاكل من مال
حتى بالسيخ للسته ضيقه الشفاقة الا مباركه الصباح اخيه وشقيقه فقم عليه وعلوا اجتهدهما وشقيقتهما جراجهما والذكو
دوم والدي في عشر السنين وجراجه في عشر السنين وهو الاوسط منهم فهد اليهم عند طلوع النجس من ايام الجرم الوافقت
لا ربيته وعشره يوماً فخلوا من شهر الشعرب كلثمه وقتهم وهم نيام في مظالمهم وانا في هذه العمل المضيق الذي
اراد ان يرض به ولا مرام امير المؤمنين ترطابه وكل مسلم ذو وجه خبير برطابه واولاد المسلمين واستحق عقوبته انه
نظاً في استحقاقه حقوق امير المؤمنين انه هو الذي من الذولة الخايزين فقل خدمه الاله ولت العليه ونها واولاد سلطنة
اهل الديار وفي خيرة عات المسلمين طمناً في اموالهم وفي هو نفسه بحسب ما هو منظر من سواك حيث لا كانت ما عرفت
له نفسه من حب الشريعة عبادته ونهب اموال المسلمين وبيعت قتلهم ونهب جميع اموالهم من نقود ودفاتر وسفارة زعماء
وحلي وانا في عقاراه ودراب وجميع ما كان يحق عليه مجموعته الكويته وما قاربها من العقارة المكنه قبط واستبداد عليه
به واولاد معلوم الحكومت الخليله وبيعت استبداده علا ذكركه المذكور فصدنا ونحن اولاد المعتقلين بالشر الشري ولا نرا الخليل
ارادتنا بما ذرعه شلوفاً عليه عنده الكويته من قبل الاملاك الخليله كما يشاء في المفاطمة الملتحة البصر ولا يمكنه قبض ثمارها
الا ما اطلعه ورض الحكومت الخليله فانفذنا له من مشرع وقلة لنا فهدنا الا اليه في ايام محمد باش واليه اعد محكمه اليه
وقد تحققت هذه الكولت بموجب ما جرح علا حسب حاسر ذكرها اعلاه وقد تعجبنا ذكركه بالارضاء الصحيحه وبعد وصولنا
الي المصغر اشتكلنا حالنا عن الحكومت الخليله شفاهاً والا والار السعاده تلغوا فيما شكنا بالمتعدده واولادنا تراولسبع ان نرد
الا وامر بالارادة السنخيه اعطانا حقوقنا لعلنا فيما ومع كثره ما تراولسبع من الراكس من ترا فابيه ولا تراها حقيقة علا
بها ولا تعلم سب ذكركه هل هي الا لرا غير حقيقيه وان الحكومه الخليله لاجل اغراضها الشخصيه بقوا اجبروا علا سبيل
الحقانيه ولا زالت الحكومه الخليله لاجل الامتثال تعالجي في تركنا الشرحقنا ونفغ بسببه وبحمل الكرم صانحاً ونحن بسبب حسن
المناف في العمل والافاضان من جانب امير المؤمنين نطلب حقوقنا بحسب الحفايه بجزء ما نفقت الاحكام الشرعيه
وهو يتبع حقوقنا سواء افعالاً فنارنا يا بالارضاء الكبارده وتارناً يظن العصيان ولا يجبل عليه من الحكومت تلزم
وحقت كل هذه المده بهذه الحال وهو يتمتع في حقوقنا واموالنا وينفقها في اعدام حالنا وازهاب حقوقنا ونحن محرومون
من في حاجت ولا نقدر على الا حوسه علينا والحكومت تقعدنا بالارضاء ولا تفعل شي وهو الرتب ما اذ فاعلمنا
وعلوا الخفوس مما نانا من الراكس وثلث الافاضان حينما تميم الهموس لاجل الصخر فابيت الرفض بما يا ادم فلنا بالارضاء
والفعل الا انه مصار الخليله وان كانت اوجه حكما بل تشكلنا الا اليه العنيد والكبه والرسله ميد المنقذين به
السلف الصالحه واقترا ارضه كان ميراده كانه مع وبني اخوان الكبار صباهه الموكب نجحتنا علا حقوقنا وسوء
في البصر حكما به من نشت الصبر ولا يستطيعون الانتقال الا سا فز عشق اميال لبند الهموس مخافه شتم مباركتهم
في نفسهم به من نزع الحكومت العليه تحت ما جرحوا بافعالنا انما لنا لنفقتنا من اليه الى اس طرقة نوجب تبينناش وبعده
غير المتطوعين وشيخه الفقيه جيه العيايه لكي يبلغ مراده من الاستبداده علينا وضلوا في حق ذكركه الكويته والهموس
بعض المامورين لاجل ان يدعوا اهلها ودي القربى به وند الهرب والسلب الالوي للمسلمين وعلوا الخليله من شتره
وعرض عليهم وروايات شتره ولا زالوا يشكونه الفاسده وسيلون عيون العساكر وهم يوقون اموال الناس وقتلوا جميعهم ولا
المسلمين الخليله واليه علا الحكومت الخليله وانه عليه السلام ويا في الاله عاراً الى اليه صبحه وبعض الالوان لصلوات
السنخيه فيجملون عليه علا الهموس ولا يفتخون به الى الحق ولا يقبضه فخره من شخصي اما نانا مند ولا نجاه الالوان لظن به
في اكرامه عن شهره وان يوظف البراسر والشفاة ولا يرضع الا حفرة الامير عبد الميراث في ارضه ولا تعلم مند ولا نجاه الالوان لظن به
والخديزه المشهوره في جميع العالم من امنية الحرفه وشغل الخليله من اس الاطراف كان يارثه ولا جاهد الا لينا ذكركه
بما ديه عنهم ولا نقدر على الخليله اش جانبه وما هو متبل عليه من اذات وطعم كلوا في ارضه فقامنا بحملهم من ارضه وروايات
اذ حفرة اش جانبه اعلمهم من جميع العالم فاعلمنا ما ذابقت حيلنا به ارضه الخليله من ارضه المات الاله صباغ
امير المؤمنين ولا يرضع الا لينا علا انفسنا ونخلصنا انما نلوا عن عذر وعرض الهموس من ارضه الخليله من ارضه المات الاله صباغ
العساكر الخليله حاله شتره الا قلت الالمنيه في جميع طرقاته وعالم حجه باشك وديفني السبل وسيلون العساكر من ارضه
انما يكون هه فانه الاله الالمنيه والهموس اشترى وشتره لا يعطونه ولا مرامهم فقل الله انفسنا في ارضه من ارضه الخليله
بجهد الشكر والظلام والارضاء من الخضم الظلام والهموس من ارضه الخليله من ارضه الخليله من ارضه الخليله من ارضه الخليله
الهموس الى الجير في دير كل سلاه بدوام وتوحيد سلطنتهم وطلوا عماركم ونفكهم من ارضه الخليله من ارضه الخليله من ارضه الخليله



ملحق رقم (١٢)

برقية باللغة العربية من مبارك الصباح إلى رئيس مجلس الشورى
للتظلم والشكوى من والي البصرة حمدي باشا.

تذللوا في
شأننا

رقم	الاسم	الرتبة	الدرجة	الخدمة	التاريخ	الملاحظات
١	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار
٢	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار
٣	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار
٤	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار
٥	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار
٦	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار
٧	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار
٨	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار
٩	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار
١٠	عبدالله بن محمد	مستشار	١٠	١٨٨٥	١٨٨٥	مستشار

هذه بين مجلس الشورى الجليل

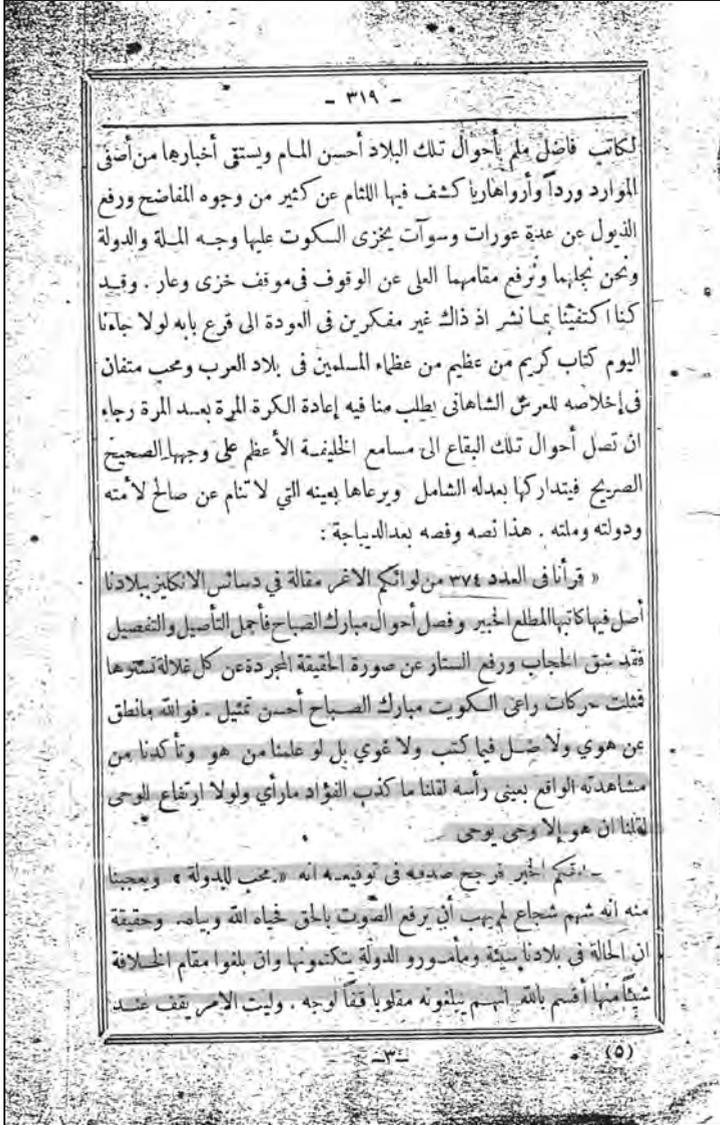
أنا كذا مستخدم في حق البرلمانية وتسمية فقد ذكره وهو المحيطة المعظم ما روي في قسمه بيده و
 في أيام الخان الوهم ما جازمنا سألنا على حاله العبد والبركة مودة ورحمة بسلامة امرنا بيد ولا ما جسد
 السبب والبركة والهدى
 والمقدار وعدم الجواب وليس من هذا الفرجة الذي يجب تسمية وهذا الطريق وعبدانها والولا التي
 قد بلغت انفسناكم السامية في كل ما براسمنا السعيدة والصدق على بيدها ما يجب تسمية
 لوقت من السعادة وتبرعنا نحمد في زمة البرلمانية ودخلنا انه لو كان هذا الولا سبلا سمع العظماء في
 وسفط دونا المحمدية وبالجملة ما جازمنا خلاف الزمان والجمعة الوردية اما لله وانا ابراهيم بن
 الوردية كماله والفرط والفرقة وجه مملوكة وعمودنا للوردية والهدى شجرة شجرة وكم وسعدوه في
 محققه بل من يعرف عن حقيقة الحال فليعلم سولته والكل ولا يبدله ان سؤل عنه من انه اردتم
 تعرفوه حاله وحده ما سؤلوا من اوردوا السارة بجيد ياتنا دولة ابراهيم بن محمد بن محمد بن
 عرف في سببنا ما ويروا سيد ياتنا عرف في سببنا ما ويروا سيد ياتنا عرف في سببنا ما ويروا سيد
 اعلم العسكر العشرة جميع المعاني من كسبه فربما يكونه الصادرة وهذا مكانه القديم ذلك في قسم المعظم
 الملوكة والوردية من ابراهيم

مبارك الصباح

I. D. 7314/46

الأرشيف العثماني أستنبول، أرادة داخلية I.DAH، رقم ١٣١٤/٤٦، بتاريخ ١٩ محرم.

ملحق رقم (١٣)
صورة من مجلة اللواء.



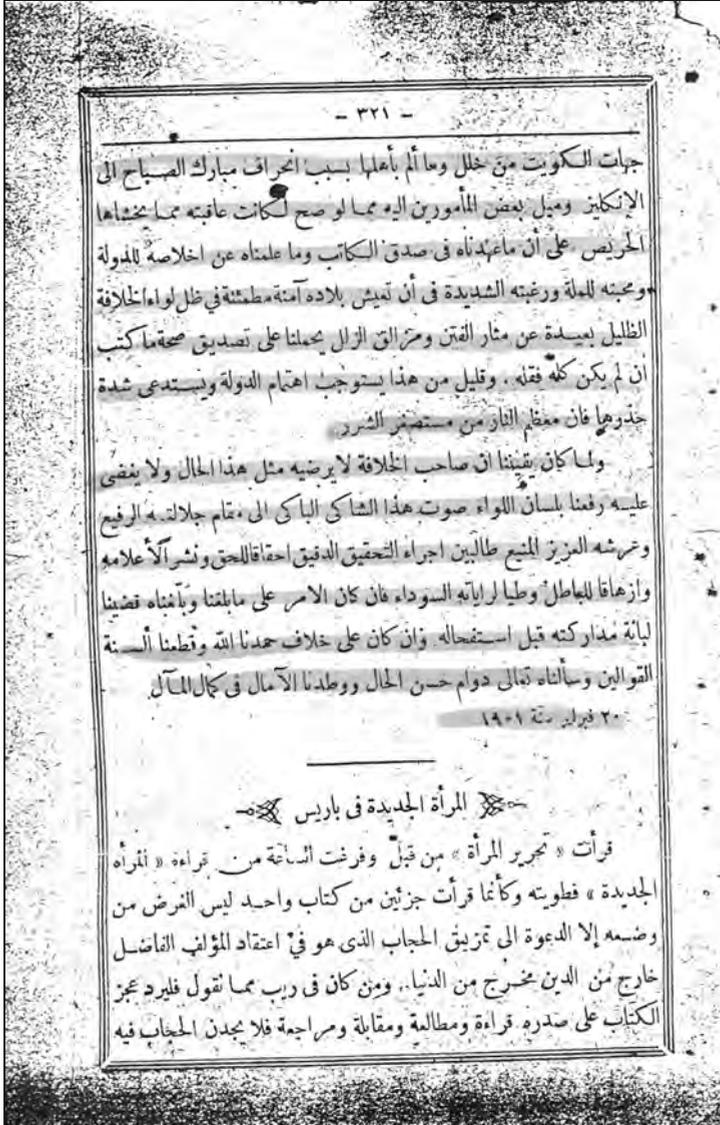
شكوى إلى أمير المؤمنين، مجلة اللواء، العدد الخامس،
الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠٠م القاهرة

ملحق رقم (١٤)
صورة من مجلة اللواء.



شكوى إلى أمير المؤمنين، مجلة اللواء، العدد الخامس،
الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ / ١٥ مارس ١٩٠٠م القاهرة

ملحق رقم (١٥)
صورة من مجلة اللواء.



شكوى إلى أمير المؤمنين، مجلة اللواء، العدد الخامس،
الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ / ١٥ مارس ١٩٠٠م القاهرة

ملحق رقم (١٧) خريطة دولة الكويت.



ملحق رقم (١٨)
 خريطة توضح مواقع مهمة،
 منها الحملة البحرية الأولى عام ١٨٩٨ م.



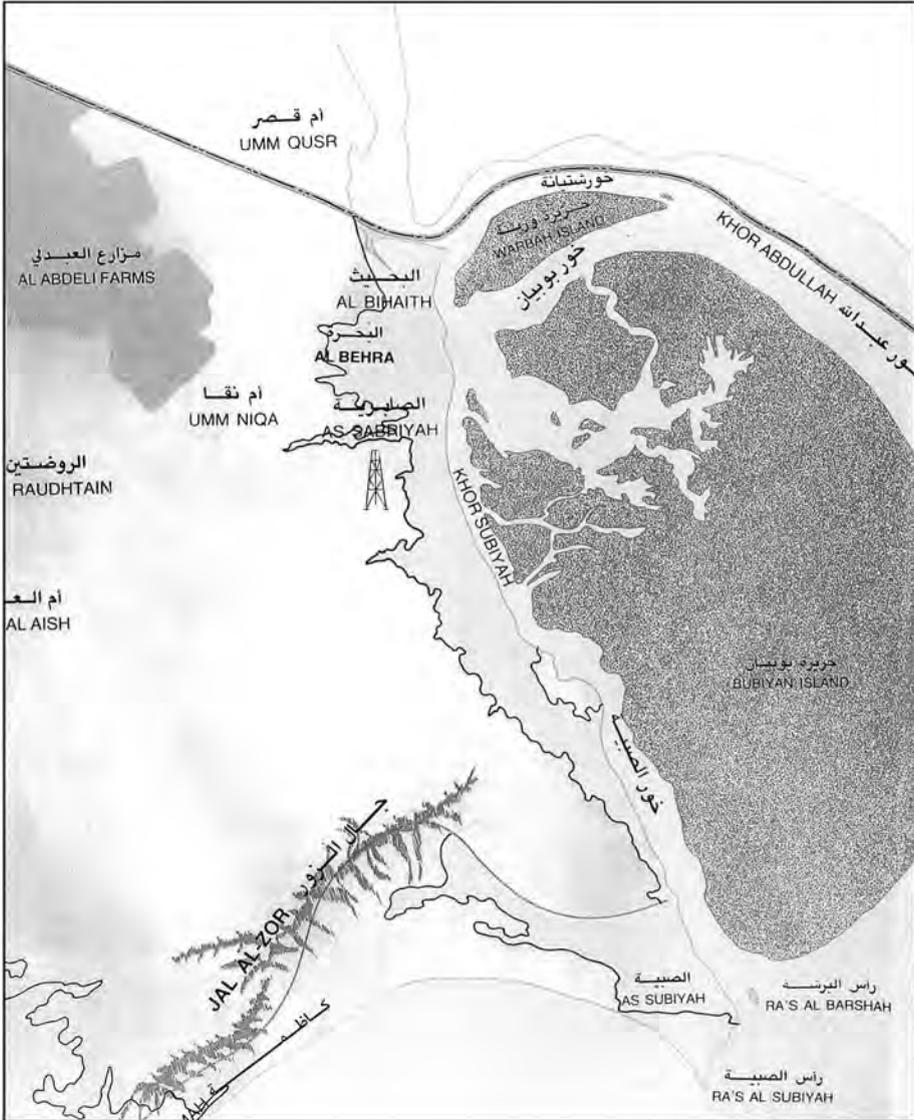
ملحق رقم (١٩)
تصوير فضائي لمنطقة الصبية وجزيرة بوبيان.



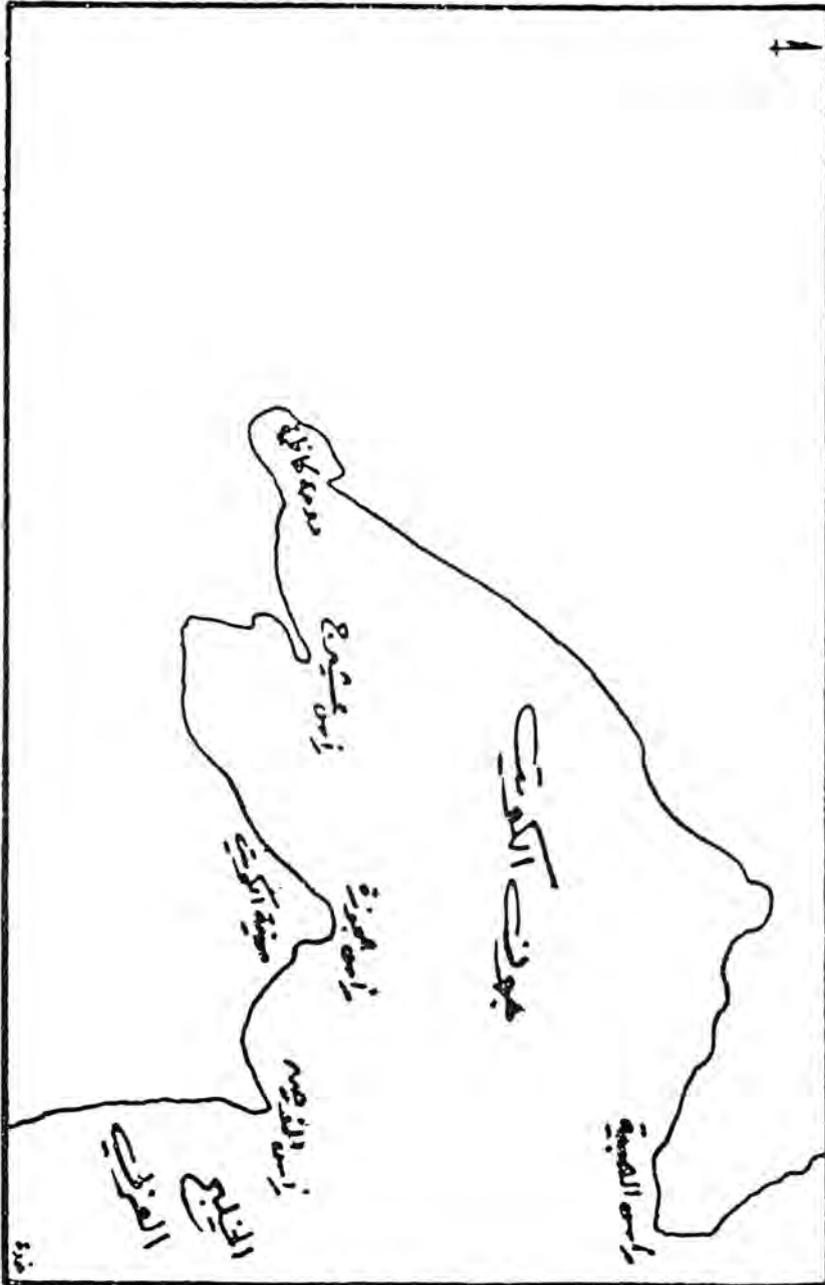
ملحق رقم (٢٠)
بقايا قصر الصبية، منتجع الشيخ يوسف آل إبراهيم
بعد تدميره عام ١٩٠١ عقب موقعة الصريف.



ملحق رقم (٢١)
 خريطة لمواقع الصبية والصابرية والحجيبة وكانت فيها قصور ونخيل
 لآل إبراهيم منتصف القرن التاسع عشر.



ملحق رقم (٢٢)
خريطة جون الكويت.



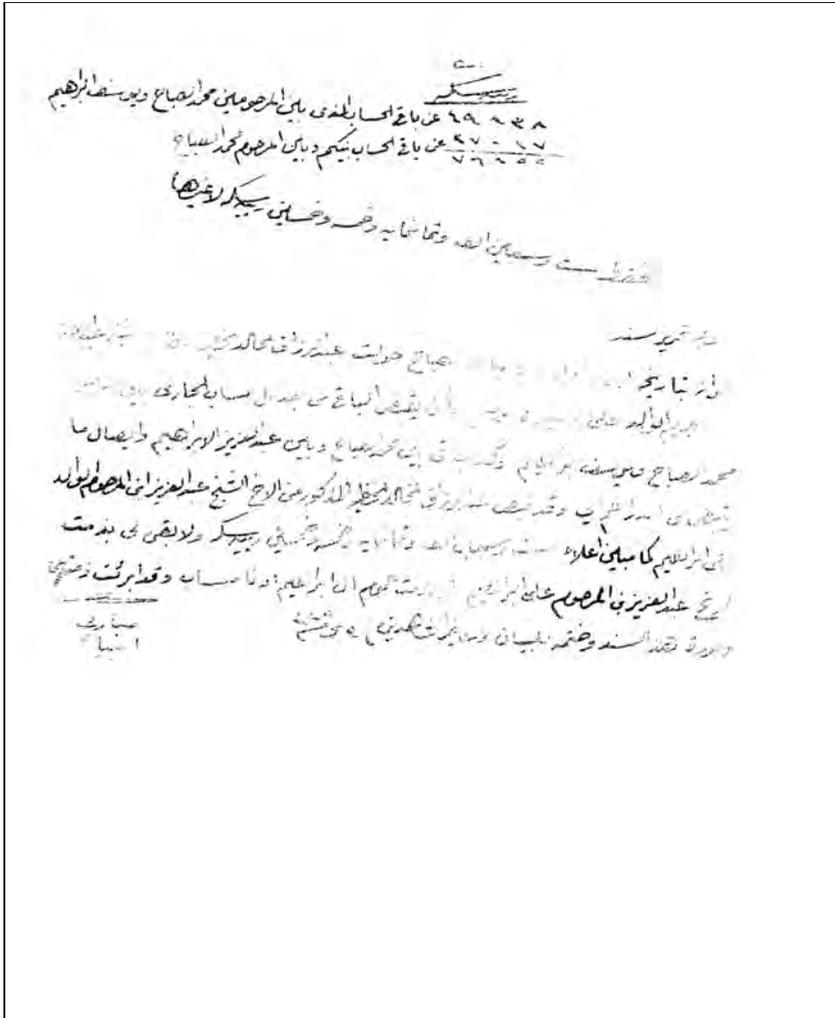
ملحق رقم (٢٤)

رسالة باللغة العربية بختم الشيخ مبارك آل صباح.

بسم الله الرحمن الرحيم
 من بركة العباد لربنا الرحمن
 شيخنا فاسم ابن محمد ابن تانجي الحمد والم
 جد من يد ابدك السلام واستغفار عن عزيين غار لم نعلمك وهم وانحنا بجد
 علا في المسن لبال في ابرك ومحمد وردنا كتابك الشريف تارايح ٧ ذالحج سنا
 لا معلوم وماذا نرت من نرت في البديهم صار مطلقنا فالذئور في ما يامنا
 رة ملكا قامة دون نغنا والآن نغنا من المضا ولا بيننا وبينه الا ما حرم الله
 قسوم ما قسم من هالامور الذي كانه ما انحصم وررنا لنا حلاله عفا نغنا
 لا قاتاه شرنا على قدر نغنا ولا نغنا الحلال عفا وياهم من دون الناس وبنا
 لا نغنا امرنا اننا انهم تقرب ما قرير ومغنا ما وخرجه من لفر الحج وغدهم
 والميوم الله الذي المظالم الدار الذي بيته منا والله ان الذي هم بيته
 في ننا اننا ما انحللهم ولا نحللهم في حرب ولا بيننا وبينهم عداوة صفة
 يك حلت قلوبنا من عجبهم والعداوة منا ولعداوة رولك الله بصفها على لخال
 في الفعال وحل على نرتة اهد والروا عجبهم واخفونر وما وردنا في ابرك وانغنا
 ردمه سالته والسلم عليهم وشيخنا وسيركنا في ١٤١٨ ذالحج في

رسالة من الشيخ مبارك الصباح إلى الشيخ قاسم آل تانجي يطلب منه وساطة للصلح مع الشيخ يوسف الإبراهيم

ملحق رقم (٢٥)
رسالة باللغة العربية بختم الشيخ مبارك آل صباح.



إيصال ومخالصة وإبراء ذمة موقعة من الشيخ مبارك الصباح
إلى الشيخ عبدالعزيز العلي الإبراهيم

ملحق رقم (٢٦)

وثيقة باللغة العربية بختم عبد الرزاق خالد الخضير.

نعم أنا عبد الرزاق خالد الخضير بائني قبضة من جناب المحرم الشيخ عبد العزيز بن علي
الراهم سنة وسبعين ألفاً وثلاثمائة وخمسة وخمسين ~~سنة~~ ^{٧٦١٥٥} وذلك من طرفي جناب
المحرم الشيخ جبار بن الصباح من ذلك شهر ربيع الثاني وثلاثمائة وثلاثة عشر
سنة بائني وجد طلب المحرم الشيخ محمد الصباح علم المحرم الشيخ يوسف بن عبد الله
٤٩١٤٨
وسبعة وعشرين ألفاً وسبعة عشر ~~سنة~~ ^{٤٧١١٧} بائني وجد طلب المحرم الشيخ محمد الصباح
شيخ عبد العزيز بن علي الراهم وقد قبضة المبلغ المرقوم اعلاه حسب تقريري جناب المحرم
شيخ جبار بن الصباح يا منبني حياي بختمي في ١١ ذ الحجة ١٤٤٥
عبد الرزاق خالد الخضير

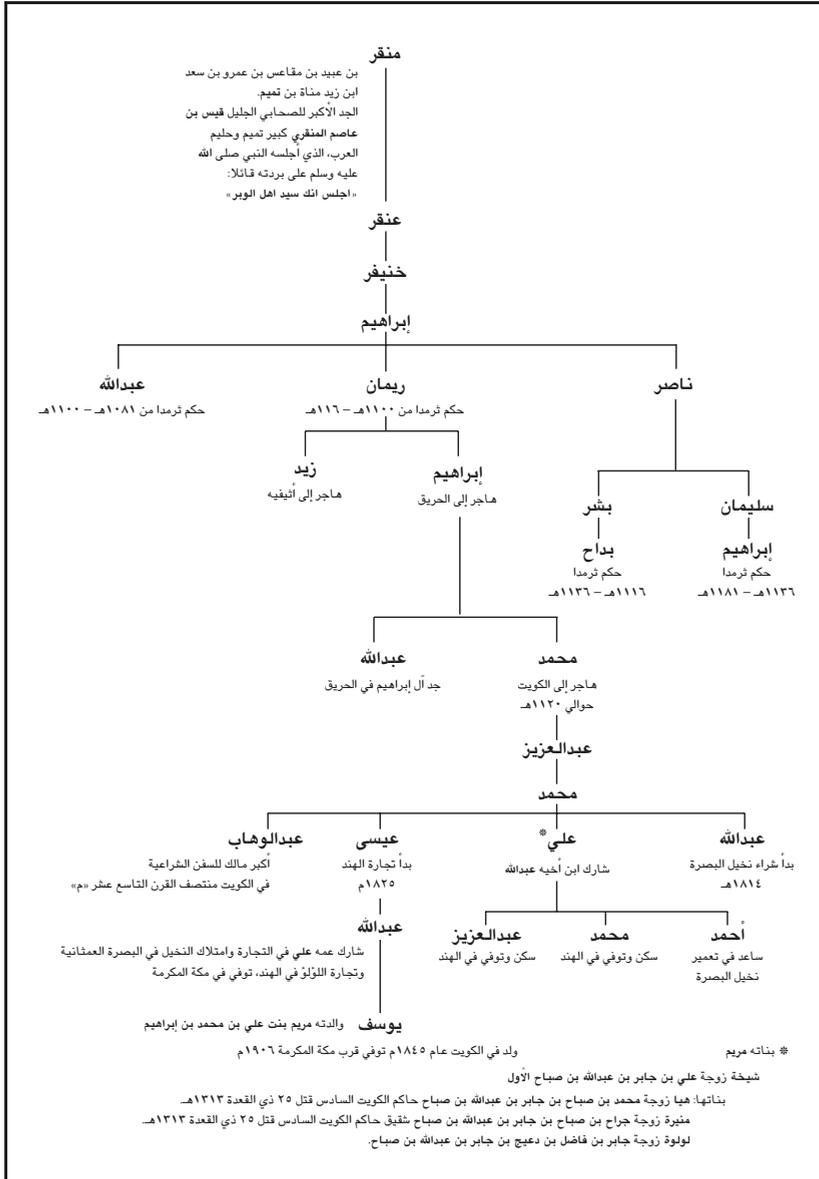
إيصال باستلام مبالغ نقدية من قبل السيد عبد الرزاق خالد الخضير
نيابة عن الشيخ مبارك الصباح

ملحق رقم (٢٧)

رد على رسالة تعزية بوفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم مرسله من قبل الحاج
شمالان بن علي بن سيف، ورد الشيخ عبدالعزيز آل إبراهيم عام ١٣٢٤هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الإخوة الأفاضل الأفاضل الكرام الحاج شمالان بن علي بن سيف المذنب
 سلام الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ليه
 شرفنا المرفوع برقم ٢٨ ذالج وغتقنا في الحرم الاضحي يوسف
 نه على انه ان يتعمد برحمته ويكنه في حبه ويكرهكم عنا
 افضل الجزاء ولا يبعد منا جودكم ولا يابسه سوء كشليم الأكرم
 الحكيم وقول لرحول ولا تقع الا بالله الكمان كعظيم فانته
 وانا اليه راجعون صلى الله عليه وسلم
 عبدالعزيز بن علي
 إبراهيم

ملحق رقم (٢٩) سلالة الشيخ يوسف بن عبدالله بن عيسى بن محمد ابن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم بن ريمان العنقري.



ملحق رقم (٣٠)
ختم وخط يد الشيخ يوسف بن عبدالله ال ابراهيم



المصادر والمراجع

أولاً - الوثائق الغير منشورة:

اعتمد الباحث على مجموعة من الوثائق المختلفة وهي من المصادر التالية:
أ - الوثائق العربية وحصل عليها الباحث من مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة في لندن :

- رسالة من الشيخ مبارك آل صباح إلى الشيخ جاسم آل ثاني بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٣٢٢هـ.

- رسالة من الشيخ جاسم آل ثاني إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١/ صفر ١٣٢٣هـ.

- رسالة من الشيخ مبارك آل صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ١ اشوال ١٣٢٥هـ.

- وثيقة بتوقيع مبارك الصباح عن قيمة أموال الصباح التي كانت عهده عند الشيخ يوسف آل إبراهيم في بومباي في تاريخ ٣ محرم ١٣٢٥هـ.

- وثيقة سند بخط عبد الرزاق الخالد الخضير باستلامه المبلغ كاملاً بواسطة الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ١١ ذي الحجة ١٣٢٥هـ.

ب - الوثائق العثمانية: والمحفوظة بإرشيف رئاسة مجلس الوزراء في اسطنبول:

١ - الإرادات: I.

- أرادة داخلية: I.DAH

- رقم ٤٦/ ١٣١٤ بتاريخ ١٩ محرم ١٣١٤هـ.

- رقم ٤٦/ ١٣١٤ بتاريخ ٢٦ صفر ١٣١٤هـ.

- رقم ٤٦/ ١٣١٤ بتاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ.

- رقم ٤٦/ ١٣١٤ بتاريخ ١١ صفر ١٣١٤هـ.

- رقم ١٦٦٧، تاريخ ٣ محرم ١٢٨٨

- رقم ٤٤/٩٦ تاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ
- أرادة مجلس مخصوص: I.M.M
- رقم ٧٨/١ بتاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ..
- رقم ٧٨/٥ بتاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ
- رقم ١٦٦٧/٢٥٥٠، بتاريخ ٣/محرم ١٢٨٨هـ
- أرادة خصوصية: I.HUS
- رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ.
- أرادة مالية: I.MA
- رقم ٢٤٠/٥ بتاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ..
- ٢ - أوراق الباب العالي: B.E.O
- رقم ١٣٠٠٢٠ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٩هـ
- رقم ٤٤٢٣٠ بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ
- رقم ٤٤١٩٦، بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ
- رقم ٤٤٠٠٢ بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٢٨٨هـ
- رقم ١٢٩١٨٠ بتاريخ ٩ جماد الآخر ١٣١٩هـ
- رقم ١٣٤٠٦١ بتاريخ ٢٧ شوال ١٣١٩هـ
- ٣ - محاضر مجلس الوكلاء: M.V
- رقم ٩٨/٥ تاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ
- رقم ٩٨/٧ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ..
- بدون رقم تاريخ ١٤ رجب ١٣١٧هـ
- رقم ١١٨٧ بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٣١٩هـ
- رقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ
- رقم ١٠٣/٣٥ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ،
- ٤ - دفاتر العينات: Ayniyat
- رقم ٨٥٩ تاريخ ٢/محرم ١٢٨٤هـ
- ٥ - الصدارة - قلم مكتوبي - النظارات ووالدوائر: A.MKT.NZD
- رقم ٤٢٦/٨٩ بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ

٦ - قصر يلدز: Y

- يلدز متنوع: Y.MTV

- رقم ٢٠٤/٥٥ بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٣١٨هـ
- رقم ٢١٤/٥٦ بتاريخ رجب ١٣١٤هـ
- رقم ١٤٤/٢٨، بتاريخ ٥ صفر ١٣١٤هـ
- رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ
- رقم ١٩٧/٨٣ بتاريخ ٨ شعبان ١٣١٧هـ
- رقم ٢٠/٩١ بتاريخ ١٣ شعبان ١٣٠٨هـ
- رقم ٢٣٤/١٠١ بتاريخ ١٣/ جماد الثاني ١٣٢٠هـ
- رقم ٢١٤/٥٦ بتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي
- رقم ٢٢٠/١٨٦ بتاريخ ٢٩/١١/١٣١٧هـ
- رقم ١٩٩/٣٧ بتاريخ ٣١/ كانون الثاني ١٣١٥ رومي
- رقم ١٩٤/١١٤ بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى ١٣١٧هـ
- رقم ٢٣٧/١٤ بتاريخ ١١ رمضان ١٣٢٠هـ
- رقم ٢٣٧/١٠٧ بتاريخ بداية رمضان ١٣٢٠هـ
- رقم ٢٣٨/٣ بتاريخ ٤ شوال ١٣٢٠هـ
- رقم ٢٦٠/١١٧ بتاريخ ٢٣ جمادى الآخر ١٣٢٢هـ
- رقم ٢٢٦/٦١ بتاريخ ١٥/١١/١٣١٩هـ
- رقم ٢٢٥/١٢٠ بتاريخ ٩ يناير ١٣١٧هـ
- رقم ١٦٣/١٤٢ بتاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ
- رقم ١٧١٩/١٨ بتاريخ صفر ١٣١٥هـ
- رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣١٥هـ
- رقم ٧٢٠/٧٠ بتاريخ ١٧ مارس ١٣١٣ رومي
- رقم ٧١٩/٤٨ بتاريخ ١٤ أغسطس ١٨٩٦م
- رقم ١٧٠/٤ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ
- رقم ٢١٤/٥٦ بتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي
- رقم ٤٩/٤٧ بتاريخ ١٦ رجب ١٣٠٨ هجري
- رقم ٢٣١/١٢٠ بتاريخ ١٤ يونيو ١٣١٨ رومي

- يلدز متفرق الكتابة الأولى في المابين: Y.PRK.PSK

- رقم ٢١٦/٤ بتاريخ ١/رمضان ١٣١٧هـ
- رقم ٤٥٧١ بتاريخ ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣١٥هـ
- رقم ٤٧٨٣ بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٣١٥هـ
- رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ
- رقم ١٩٥١ بتاريخ ١٠ رجب ١٣١٥هـ
- رقم ٤٨١٨ تاريخ ٣ شباط ١٣١٥ومي؛
- رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ
- رقم ٤٥٧١ بتاريخ ٢١ ربيع الثاني ١٣١٥هـ
- رقم ٢٦٦٤/١١ بتاريخ ١/٥/١٣١٩هـ
- رقم ٦٢٢٩/٣ تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ
- رقم ٧٢١٦/٢ تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ
- رقم ٣٦٧٤/٥ تاريخ ٢٢ جمادي الأول ١٣١٩هـ
- رقم ٢٢٦٦/٨ تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ
- رقم ٤٤٦٦/٦ تاريخ ٢٦ جمادي الأول ١٣١٨هـ
- رقم ٤١٦٦/٢ تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧
- رقم ٤٨٤/١٣٢ تاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٠هـ
- رقم ٢٢٣/٩٥ تاريخ ٢٥ نوفمبر ١٣١٧ رومي
- رقم ٦٢٢٩/٣ تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ
- رقم ٧٢١٦/٢ تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ
- رقم ٣٦٧٤/٥ تاريخ ٢٢ جمادي الأول ١٣١٩هـ
- رقم ٢٢٦٦/٨ تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ
- رقم ٤١٦٦ تاريخ ٦ جمادي الأولى ١٣١٧هـ
- رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ
- رقم ٢٦٦٤/١١ بتاريخ ١/٥/١٣١٩هـ...
- رقم ٣٦٧٤/١١ بتاريخ ٢٢/٥/١٣١٩هـ
- رقم ٧٠٤٢/١٦ بتاريخ ١٧ رمضان ١٣١٧هـ...
- رقم ٧٠٤٢/١٦ بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ

- رقم ٥٣٠٤/١٣ بتاريخ ١٨ رجب ١٣١٩هـ
- رقم ٣٦٧٤/١١ بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١٣١٩هـ
- رقم ٣٦٩١/١٢، بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٣١٩هـ
- برقم ٧٦١٤/١٩ بتاريخ ٨ شوال ١٣١٩هـ..
- برقم ٧٤٦٧/١٨ بتاريخ ٢ شوال ١٣١٩هـ..
- برقم ٧٨٧٧/٢٠ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ
- يلدز خصوصي معروضات: Y.A.HUS
- رقم ٢٥٣/٤٨ بتاريخ ٧ ربيع الثاني ١٣٠٩هـجري
- رقم ٤١٤/٥٤ بتاريخ ١٨ جمادى الثانية ١٣١٨هـ
- رقم ٤٢١/٦٤ بتاريخ ١٨ رجب ١٣١٨هـ
- برقم ٤٨٤/١٣٢
- رقم ٤٢١/٦٤ بتاريخ ١٨ رجب ١٣١٨هـ
- رقم ٤٣٤/١١، بتاريخ ٤/٦/١٣٢٠هـجري
- رقم ٤١١/١٣٤ بتاريخ ٢ و ٥ و ١٢ و ١٤ رجب ١٣١٨هـ
- يلدز رسمي معروضات Y.A.RES
- رقم ١٤/٦٢ بتاريخ ٢٤ رجب ١٣١٥هـ
- رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٢ صفر ١٣١٥هـ
- رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣١٧هـ
- رقم ١١٤/٤٦ بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى ١٣١٩هـ
- يلدز متفرقات المعروضات والإخباريات: Y.PRK.AZJ
- رقم ٣٧/٣٠ بتاريخ ٢٧ صفر ١٣١٦هـ
- ب - الوثائق البريطانية ومصدرها أرشيف وزارة الخارجية، لندن(FO)
- FO 371/242 -
- FO 371/149 -
- L/P&S/7/142 -
- L/P&S/20/FO12 -

ثانياً – الوثائق المنشورة:

الوثائق البريطانية المنشورة:

- Bid well: Robin, THE AFFAIRS OF KUWAIT 1896-1905, VOL 1, PART II, printed in Great Britain by Stephen Austin and sons Limited, Hertford.
- Rush, A de L, Records Of Kuwait Internal Affaires 1899-1921(SelectedAndEditedVolume1, ARCHIVE EDITION 1989.)
- Saldanha: J, Historical Memorandum on the Relations of the Wahabi Amirs and Ibn Saud with Eastern Arabia and the British Government, 1800-1934

– الصويان: سعد العبد الله وآخرون، الملك عبد العزيز آل سعود (سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية)، ج ١، دار الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

ثالثاً – المخطوطات:

- ابن ناصر: عبد الرحمن، عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد مكتبة أرامكو الظهران برقم NAS ٨، ٩٥٣.
- الذكير: مقبل بن عبد العزيز، مخطوطة العقود الدرية في تاريخ نجد وآل سعود، مكتبة جامعة بغداد رقم ٥٧٠.
- العبيد: محمد العلي، مخطوطة النجم اللامع للنوادر جامع، دار الملك عبد العزيز، الرياض.
- حسني: حسين، الأوضاع العامة في نجد (في العهد العثماني) ترجمة سهيل صابان مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض رقم ١١٤٠٤٢.

رابعاً – الكتب العربية:

- ابن بشر: عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق محمد الشثري، دار الحبيب الرياض، ١٤٢٠/١٩٩٩.
- ابن عيسى: إبراهيم، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الأمانة العامة للاحتفالات بمرور مائة عام علي توحيد المملكة الرياض ١٤١٩/١٩٩٩م.

- ابن عيسى: إبراهيم بن صالح، بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ) (١) دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- ابن غنام: حسين، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات نوي الإسلام، حرره وحققه: ناصر الدين الأسدي، ط ٣، شركة الصفحات الذهبية الرياض، ١٤٠٣هـ.
- اداموف: الكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم التكريتي، مركز دراسات الخليج، البصرة ١٩٨٩م.
- الالوسي: محمد، تاريخ نجد تحقيق محمد الأثري مكتبة مدبولي، القاهرة (د - ت).
- البسام: عبد الله بن محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق إبراهيم الخالدي شركة المختلف الكويت ٢٠٠٠م.
- البنعلي: راشد بن فاضل، مجموعة الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل تحقيق حسن آل ثاني الدوحة، قطر ٢٠٠١م.
- الحجري: حسن، صدى الحرب " فظفر الأمير بن رشيد بالنجاح على الخائن للدين والدولة مبارك بن صباح "، مطبعة اللواء، القاهرة، ١٣٢٠هـ.
- الحموي: ياقوت، معجم الأدباء، إرشاد الأدباء إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، (ط ١) دار العرب الإسلامي بيروت ١٩٩٣م.
- الحيدري: إبراهيم البغدادي، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، مكتبة مدبولي، القاهرة، " ط ٢ " ١٩٩٩م.
- الدخيل: سليمان بن صالح، القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- الدخيل: سليمان صالح، تحفة الالباء في تاريخ نجد والإحساء، (ط ٢) الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- الرشيد: عبد العزيز، تاريخ الكويت، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز الرشيد، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٧م.
- الرشيد، ضاري، نبذة تاريخية عن نجد، كتبها وديع البستاني، دار اليمامة الرياض ١٩٦٦م

- الريحاني: أمين، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت (د - ت)
- الريحاني: أمين، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت (د - ت)
- الزركلي: خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، (ط ٧)، دار العلمين، بيروت، ١٩٩١م
- الزركلي: خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، (ط ٣)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، الجزء الأول.
- السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١ - ١٩٠٨م، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- العبد المحسن: إبراهيم بن عبيد، تذكره أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، مطابع النور الرياض، (د - ت).
- القناعي: عيسى، صفحات من تاريخ الكويت، - ط ٣ - (د - ن) الكويت ١٩٦٠م.
- النبھاني: محمد بن خليفة، التحفة النبھانية في تاريخ الجزيرة العربية دار إحياء العلوم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الهاللي: محمد تقي، الدعوة إلى الله، دار الصحافة، الشارقة، (د ت).
- بالجريف: وليم جيفور، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ترجمة صبري محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠١م.
- بيلى: لويس، رحلة إلى الرياض، ترجمها وحققها وقدم لها عبد الرحمن الشيخ وعويضة الجهني عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض (د - ت).
- حمزة: فؤاد، قلب جزيرة العرب، (ط ٢)، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ. ترجمه وقدم له عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت (د - ت).
- دكسون: هـ، ب، الكويت وجاراتها، ترجمة فتوح الخترش ذات السلاسل الكويت ١٩٩٥م.
- ريزفان: ي، سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩ - ١٩٠٣ وضع مقدمته ف - فؤومكين، ترجمة سليم دوما، دار التقديم، الإتحاد السوفيتي، ١٩٩٠م.
- سلدانيا: ج. ج، التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك (دراسة وثائقية

- مقارنة بالمؤرخين المحليين) ترجمة: فتوح الخترش، دن، الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- سلدانيا: جى.اى، الشئون القطرية من سنة ١٨٧٣ إلى ١٩٠٤م، تعريب أحمد العناني، مطابع علي بن علي، الدوحة ١٩٨٩م.
- فريز: زهرة ديكسون، الكويت كانت منزلي، ترجمة فتوح عبد المحسن الخترش، ذات السلاسل الكويت، (د.ت).
- فيلبي: سنت جون، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (السلفية) "ط٢" تعريب: عمر الديسراوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- لوريمر: ج.ج، دليل الخليج التاريخي، ترجمة مكتب أمير قطر، مطابع علي ابن علي، الدوحة، (د.ت).
- لوريمر: ج.ج، دليل الخليج الجغرافي، ترجمة مكتب أمير قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، (د.ت).
- لوشر: أ، مع النجمة والهلال، ترجمة ك عبد الله الصانع (د - ت) الكويت، ١٩٥٨م.
- ماليري: ستانلي ج، الكويت قبل النفط " مذكرات ستانلي ج ماليري الطبيب في البحرين والكويت ١٩٠٧ - ١٩٤٧م، ترجمة وتقديم محمد غانم الرميحي، "ط٢" دار قرطاس للنشر، الكويت ١٩٩٧م.
- الغملاس: تاريخ الزبير والبصرة وأخباراً عن الكويت والاحساء، تحقيق د. عماد عبدالسلام رؤوف، عمان ٢٠٠٦م.
- ويلسون: ارنولد، الخليج العربي مجمل تاريخي من أقدم الازمنة حتى أوائل القرن العشرين،
- العبدالله القناعي: تدوينات عبدالله بن عبدالاله القناعي، الكويت ٢٠٠٥م.

المراجع

أولاً: الرسائل الجامعية:

- الجابري: مستور علاقة آل سعود بالدولة العثمانية ١٣٠٩ - ١٣٣٧ / ١٨٩١ - ١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية اللغة العربية قسم التاريخ في القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- الشتيوي: وداخضير، موقف الدولة العثمانية من آل سعود - ١٨٩١ -
١٩١٤، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة البصرة، البصرة ١٤١٠،
١٩٨٩/٥ م.

ثانياً - الكتب:

أ - العربية:

- آل إبراهيم: يعقوب يوسف، التبيين رد ورأي علي بيان الكويت. قيد النشر.
- آل إبراهيم: يعقوب يوسف، شركة المراكب العربية، من الشراع إلى البخار، الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت ٢٠٠٠، م.
- آل إبراهيم: يعقوب يوسف، العلاقات الكويتية الفرنسية، كتاب القبس ٢٠٠٦ م.
- كور شون: زكريا، العثمانيون في قطر، ترجمة محمد موسى القرني، مراجعة: عبد اللطيف الحميدان. قيد النشر.
- سلسلة محسنون من بلدي، أصدر بيت الزكاة، الكويت، ١٤٢٥هـ/
٢٠٠٤ م " قيد النشر.
- ابن حثلين: سلطان، وزكريا كورشون تاريخ قبيلة العجمان دراسة وثائقية، (ط ٢) ذات السلاسل الكويت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م.
- ابن خميس: عبدالله بن محمد، معجم اليمامة، - ط ٢ - مطابع الفرزدق، الرياض، ١٣٩٨هـ.
- أبو حاكمة: أحمد، تاريخ الكويت الحديث - ١٧٥٠ - ١٩٦٥ م ذات السلاسل الكويت ١٩٨٤ م.
- أحمد: إبراهيم، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ -
١٩١٦ - مطابع جامعة الموصل، الموصل ١٤٠٣هـ.
- أرمسترنج: ه.س.، عبد العزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية، ترجمة وتقديم يوسف عوض، مطابع الأهرام، مصر، (د ت).
- إبراهيم الراشد: حسن علي، الكويت دراسة سياسية، (ط ٣) مؤسسة دار العلوم - الكويت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م.

- الأسدي: رياض، النشاط الألماني في الخليج العربي ١٩٠٠ - ١٩١٤، مراكز دراسات الخليج العربي، البصرة، (د ت).
- الأعظمي: وليد حمدي، الكويت في الوثائق البريطانية ١٧٥٢، ١٩٦٠، مطابع الرئيس، لندن (د ت).
- البدر: بدر خالد، رحله مع قافلة الحياة، الناشر المؤلف، الكويت، ١٩٨٧/١٤٠٨.
- البسام: يوسف، الزبير قبل خمسين عاما مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، المطبعة العصرية، الكويت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- التويجري: عبدالعزيز بن عبد المحسن، لسراة الليل هتف الصباح (الملك عبد العزيز دراسة وثائقية (ط ٣)، رياض الرئيس، بيروت ١٩٨٨.
- الثنيان: محمد بن ثنيان، عبد العزيز بن رشيد والحماية البريطانية، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ١٩٩٩/١٤٢٠.
- الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية والمنطقة الشرقية (البحرين قديماً)، دار اليمامة، الرياض ١٤٠٠/١٩٨٠.
- الجاسر: حمد، جمهره إنسان الأسر المتحضرة في نجد دار اليمامة، الرياض ١٩٨١/١٤٠١م.
- الحاتم: عبد الله، من هنا بدأ الكويت " ط ٢ " دار القبس، الكويت ١٩٨٠/١٤٠٠.
- الخترش: فتوح، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠ - ١٩٢١م " ط ٢ "، ذات السلاسل الكويت، ١٩٨٤م.
- الخصوصي: بدر الدين عباس، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨م.
- الدوسري: نادية وليد، محاولات التدخل الروسي في الخليج من ١٢٩٧ - ١٣٢٥هـ، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- الركابي: كريم طلال، التطورات السياسية الداخلية في نجد، تقديم:

- عبد الله محمد المنيف، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- الزعاري: محمد عبد الله، إمارة آل رشيد في حائل، بيسان للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٧م.
- السبيعي: عبد الله، اقتصاد الأحساء والقطيف و قطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ/١٨٧١ - ١٩١٣م (دراسة وثائقية) مطبعة الجمعة الإلكترونية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- السبيعي: عبد الله، الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء والقطيف، دراسة وثائقية، مطابع الجمعة، الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- السبيعي: عبدالله، الأمن الداخلي في الأحساء والقطيف و قطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١/١٨٧١ - ١٩١٣م (دراسة وثائقية) مطبعة جمعة خالد الرياض ١٤٢٠/١٩٩٩م.
- السبيعي: عبد الله بن ناصر، التصدي السعودي للحكم العثماني للأحساء والقطيف ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ/١٨٧١ - ١٩١٣م " دراسة وثائقية ". مطابع الجمعة الإلكترونية، الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- السعدون: خالد محمود، أحداث في تاريخ الخليج العربي، المكتبة الجامعية - الإسكندرية، ٢٠٠١م.
- السعدون: خالد محمود، العلاقات بين نجد والكويت، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣م.
- السعيدان: حمد محمد، الموسوعة الكويتية المختصرة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٩٢م.
- الشرباصي: أحمد، أيام الكويت، (ط١)، دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.
- الشلالة: حسين هادي، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث (ط١) الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٤م.

- الشمالان: سيف بن مرزوق، من تاريخ الكويت (ط ٢) ذات السلاسل ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الشمالان: سيف مرزوق، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م.
- الشناوي: عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٠م.
- الشيخ ممدوح، اعترافات حافظ نجيب، مغامرات جريئة مدهشه وقعت في نصف قرن، (ط ١) دار الحسام، بيروت ٢٠٠٣م.
- الصالح: نوريه محمد، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦ - ١٩٠٢م، ذات السلاسل، الكويت ١٩٧٧م.
- الصانع: عبد الرزاق، وعبد العزيز العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ - ١٣٤٢هـ، "ط ١" مطابع المقهوي، الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الصباح: ميمونة، الكويت حضارة وتاريخ، الناشر المؤلف، الكويت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الضيقة: حسن، الدولة العثمانية والثقافة.. المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٧٧م.
- الظفيري: عبد الله علي، تنوير المستنير عن تاريخ الظفير، دراسة تفصيلية لقبيلة الظفير من عام ٦١٢هـ إلى ١٣٥٠م (ط ٢) الناشر المؤلف، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض، دار الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- العبد القادر: محمد بن عبدالله، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، الأمانة العامة للاحتفالات بمرور مائة عام علي توحيد المملكة الرياض ١٤١٩/١٩٩٩م.

- العبد القادر محمد عبد الله الحدود الكويتية العراقية دراسة في الجغرافيا السياسية/مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠٠٠م.
- العبودي: محمد ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - بلاد القصيم - دار اليمامة، الرياض ، ١٣٩٩ / ١٩٧٩.
- العثيمين: عبدالله، تاريخ المملكة العربية السعودية، " ط ٤ " العبيكان، الرياض ١٤١٩ / ١٩٩٨م.
- العثيمين: عبدالله، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، " ط ٢ " العبيكان، الرياض ١٤١٢ هـ.
- العزاوي: عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م. الجزء ٧ - ٨
- العناني: أحمد، وثائق التاريخ القطري، المطبعة الأهلية، الدوحة ١٣٩٩ / ١٩٧٩م.
- العيدروس: محمد حسن، تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، دار العيدروس للكتاب، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م / ١٤٢٢ هـ.
- الفرحان: راشد، مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، راجعه عبد الله زكريا الأنصاري، دار العروبة، القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م.
- القاسمي: سلطان بن محمد، بيان الكويت (سيرة حياة الشيخ مبارك بن صباح)، د م، الشارقة، ٢٠٠٤م.
- القشعمي: محمد، " سليمان بن صالح الدخيل (١٢٩٠ - ١٣٦٤ هـ / ١٨٧٥ - ١٩٤٤م صحفياً ومفكراً ومؤرخاً " (ط١) النادي الأدبي، الرياض ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م.
- الكندري: فيصل، الحملة العثمانية علي الإحساء عام ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١م من خلال الوثائق العثمانية، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت ٢٠٠٣م.
- المارك: فهد، من شيم العرب " ط ٤ " مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٩٨٨م. الجزء ٤

- المانع: محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الله العثيمين ط " ١ "، ١٩٨٢م (د - ن).
- المختار: صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ن) (د ت).
- المزيني: أحمد عبد العزيز، أنساب الأسر والقبائل في الكويت، ط - ١ -، ذات السلاسل، الكويت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- المنصور: عبد العزيز، الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة ١٨٩٦ - ١٩١٥م، (ط ٢) ذات السلاسل الكويت ١٩٨٠م.
- المنصور: عبد العزيز، التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ - ١٩١٦م، ط ٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- الموسوعة العربية العالمية الناشر الموسوعة الرياض ١٤١٦ / ١٩٩٦.
- الموصللي: منذر، الأسرة، الدولة، دور الكويت وآل صباح في الخليج العربي، رياض الريس، لبنان ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- النجار: مصطفى، التاريخ السياسي لعلاقة العراق بالخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، البصرة ١٩٧٤م.
- النوري: عبد الله، خالدون في تاريخ الكويت " ط ١ " ذات السلاسل الكويت ١٩٨٨م.
- النوري، عبد الله، قصة التعليم في الكويت في نصف قرن " ط ١ " ذات السلاسل، الكويت، (د - ت).
- بن هزلول: سعود، تاريخ ملوك آل سعود، قدم له وأشرف عليه: محمد العبودي، مطابع الرياض، الرياض، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.
- بوند أريفسكي: غيور غي، الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ترجمة ماهر سلامة، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٤م.
- حتاته: يوسف، وآخرون مدحت باشا، حياته مذكراته محاكمته، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٢ / ١٤٢٤هـ.

- حسون: علي، تاريخ الدولة العثمانية، "ط٣"، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- خزعل: حسين خلف، تاريخ الكويت السياسي، ج١، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٢م.
- ستانتون: هوب، الهارب إلى الله (قصة الحاج عبد الله وليا مسن) تقديم: رضوان مولوي، الدار المتحدة، بيروت، ١٩٧٤م.
- سلطان: غانم وآخرون جغرافية الكويت، دراسة في الظروف الطبيعية والسكان (ط٢) دار المعرفة الإسكندرية ١٩٩٧م.
- سلوت: ب - ج نشأة الكويت: ترجمة مركز البحوث والدراسات الكويتية، قدم له عبد الله الغنيم، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٣م.
- صابان: سهيل، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- عبيد: جبار، التاريخ السياسي لإمارة حائل، تقديم عبدالله المنيف، الدار العربية للموسوعات الرياض، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م.
- عطار: أحمد عبد الغفور، صقر الجزيرة - ط٢ - المؤسسة العربية، جدة (د - ت).
- فرج الله: سمعان، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين (ط٢) مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٠م.
- قاسم، جمال زكريا، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر... (١٨٤٠ - ١٩١٤)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧/ ١٩٩٧م.
- كحالة: عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط - ٥ - مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- كوتلوف: سرجي، تكون حركة التحرر الوطني في المشرق العربي منتصف القرن التاسع عشر إلى ١٩٠٨م، ترجمة سعيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨١م.

- كورشون: زكريا، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، (د ت).
- كيلى: جون. ب، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠م، ج ٢، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، (د ت).
- لينهاردت: بيتز، سلطة الشيوخ في الخليج لعربي، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة ١٩٨٠م.
- محمود: سليمان، الكويت ماضيها وحاضرها، المكتبة الأهلية (د.ن) (د ت).
- منسي: عبد الله سراج، المواجهة العثمانية البريطانية في الخليج العربي ١٨٦٩ - ١٩١٤م، (د ن) ١٩٩٤م.
- نخلة: محمد عرابي، تاريخ الإحصاء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣، ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ينوا ميشان، عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفتاح ياسين، دار الكتاب العربي، بيروت (د - ت).
- نوفل، سيد، الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، (ط ٢)، دار المعرفة، القاهرة.

ج - الأجنبية:

- Whigham: H. J, the Persian Problem, Isbister and Company. London 1903
- Rush Alan, Al Sabah, History Genealogy Of Kuwait's Ruling, Family 1752-1987, Ithaca Press, London, 1987.
- AL Ghanim Salwa, The Reign of Mubarak Al-Sabah Sheikh of Kuwait I.B.Tauris Publishers', London. New York, 1896-1915
- Goldberg Jacob, The FOREIGN Policy Of Saudi Arabia, The Formative Years, 1902-1918 Harvard University press Cambridge Massachusetts, and London England 1986
- Anscombe Fredrick, The Ottoman Gulf and the Creation of Kuwait, Saudi Arabia and Qatar, 1817-1914, Princeton University, 1994
- Kucukl Cevdet, Kuveyt uzeerinde Osmanli- Ingiliz Mucaadelesi, Istanbul, 1989
- Kumar Ram Nadan, India and the Persian Gulf Region, Bombay, 1965.

ثالثاً: المقالات والابحاث:

- آل إبراهيم: يعقوب، نفائس الخبايا من تاريخ الكويت، جريدة القبس الكويت العدد ٩٧٠٧ الخميس ٢٩/٦/٢٠٠٢.
- آل إبراهيم: يعقوب، هذه القصة الكاملة للحاج وليمسون، المجلة العربية، الرياض، ٢٥ ربيع الآخر ١٤٢١هـ يوليو ٢٠٠١ العدد ٢٧٩.
- آل إبراهيم: يعقوب، المعلم ماجد بن سلطان بن فهد، جريدة القبس، الكويت، مارس ٢٠٠٧.
- أبا حسين: علي عبد الرحمن، برقيه شفرية نادرة حول طلب الإمام عبد الرحمن آل سعود الإقامة في الزبير أو الكويت، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد ٣٧، رمضان ١٤٢٠.
- الحميدي: ناصر، صورة الملك عبد العزيز في كتاب، مجلة الحرس الوطني، الرياض العدد ٢١٥ السنة الحادية والعشرين، صفر ١٤٢١هـ/مايو ٢٠٠٠م.
- الربيعان: يحيى، عندما تلتقي المعرفة بالحقيقة، جريدة الطليعة، الكويت، العدد ١٢٧٠، الأربعاء ٢٦ مارس ١٩٩٧م.
- الربيعان: يحيى بين المشافهة والتدوين والعزف عن المعروف، جريدة الطليعة الكويت العدد ١٢٧٤ بتاريخ ٣٠ أبريل ١٩٩٧.
- الربيعان: يحيى، عطاء الرواد بين المحذور والميسور، جريدة الطليعة، الكويت، الأربعاء ٥ مارس ١٩٩٧م، العدد ١٢٦٧.
- الزعبي، فادية، الشيخ جاسم آل إبراهيم ودعم حركات التحرر والتنمية العربية، الرأي العام الكويتية، الخميس ٢٨، سبتمبر، العدد ١٢١٥٢.
- الزعبي: فادية، عائلة آل إبراهيم الكويتية "مقابله مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم " مجلة الرجل لندن يناير ٢٠٠٥م.
- الشمالان، سيف، الغوص على اللؤلؤ في قطر، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة، مارس ١٩٧٦.
- الصالح: علي، رسالة عن تاريخ حائل، مجلة العرب ملحق الجزء السادس السنة الثالثة ذي الحجة ١٣٨٨هـ/آذار (مارس) ١٩٦٩م.
- العقاد: صلاح، حملة مدحت في شبه الجزيرة العربية سنة ١٢٣٢هـ/

- ١٨١٧م وصدائها في منطقة الخليج، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة ٢١ - ٢٨ مارس ١٩٧٦.
- المبارك: أحمد، وصاحبني إلى العراق إنجليزي أعلن إسلامه، المجلة العربية الرياض شوال ١٤٢٠هـ.
- المحارب: عبد الله، الملك عبد العزيز وعشر سنوات في الكويت مقتطفات من منهج شبابه وقصة زواجه، جريدة الشرق الأوسط، لندن، الخميس ١٨ / ٢ / ١٩٩٩م.
- المنصور: عبد العزيز، الشيخ يوسف آل إبراهيم عشر سنوات من عمر الكويت، مجلة البيان، الإمارات العربية المتحدة، السبت ١ / ٧ / ١٩٩٦ العدد ٣٢٥٣.
- ريان: محمد رجائي، الاقتطاعات العسكري في العصرين المملوكي والعثماني مجلة الدارة العدد ٨ السنة ١٤ العام ١٤١٨هـ.
- صفوة: نجدة، الشيخ يوسف آل إبراهيم من أبرز رجالات الكويت مجله ثقافة، الدوحة السبت ١٥ / ١ / ١٩٩٧م العدد ٦٦٣٣ ١٩٧٨.
- مقال "شكوى إلى أمير المؤمنين" مجلة اللواء الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ / ١٥ مارس ١٩٠٠م السنة الأولى العدد الخامس القاهرة.
- مقال بعنوان ((القلال في بلاد العرب وانتصارات ابن الرشيد)) جريدة اللواء الخميس ٦ محرم ١٣١٩هـ / ٢٥ ابريل ١٩٠١ القاهرة.
- موزل: ألويس، تاريخ بيت الرشيد، مجلة العرب، المجلد العاشر (من رجب ١٣٩٥هـ إلى جمادى الآخر ١٣٩٦هـ).
- النويصر: محمد بن عبدالله، حياة الملك عبدالعزيز في الكويت وأثرها على اتساع مداركه السياسية والاجتماعية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، العدد الثاني، السنة الأولى ربيع الأول ١٤٢١هـ / يوليو ٢٠٠٠م.

الروايات الشفهية

- مقابلة مع الرواية الشيخ مفلح عماش العنيزان بمنزله بقرية ضبيعة في منطقة حائل
- مقابلة مع الرواية السيد محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنتاس بدولة الكويت.

- مقابلة مع الأستاذ عبد الرحمن الصالح الجار الله في مكتبة الصالح بحائل.
- مقابلة مع الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم بدولة الكويت.
- مقابلة مع الراوية خلف بن شريدة الحسيني بقرية ضبيعة في منطقة حائل.
- مقابلة مع الأستاذ عبد الرزاق بن إبراهيم بن صالح آل إبراهيم في منتجعه على ساحل العقيلة.
- مقابلة مع الأستاذ عبد الله بن حمد بن صالح آل إبراهيم في مكتبه بمنطقة بهيته.
- مقابلة مع الراوية الشيخ عبدالله المنيع من أعيان الزلفى ومحافظ عفيف السابق.
- مقابلة مع المرحوم الشيخ ناصر بن حمد آل زرعه - رحمه الله - بمنزله بمدينة الإحساء.
- مقابلة مع الراوية والإعلامي الأستاذ بن فواز يحيى الغسلان بمحافظة بقعاء.
- مقابلة مع الأستاذ محمد بن رباح الغيثي بمحافظة بقعاء.
- مقابلة مع الدكتور عبد اللطيف الحميدان بمدينة الرياض.
- المرشدي: عبد الرحمن بن سعود، من تاريخ وقصص الآباء والأجداد، تسجيلات الاستقامة، الرياض، المجموعة الثانية، شريط رقم ٧ و ٨.

